

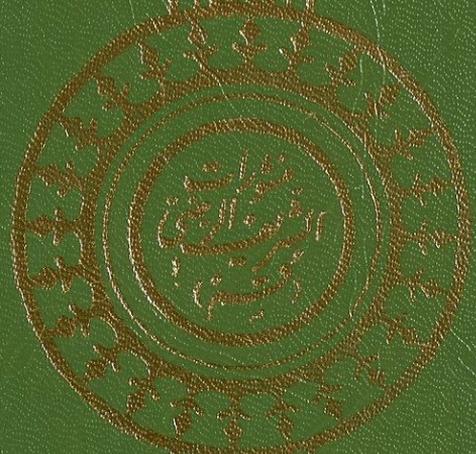
# قصص العرب

تأليف  
علي محمد الأيوبي

مركز البحوث والدراسات الإسلامية

بمطبعة دار البحوث والدراسات الإسلامية

الطبعة الثالثة





# مَكْتَبَةُ لِسَانِ الْعَرَبِ

أبناء الكين شوقاي

[www.lisanarb.com](http://www.lisanarb.com)

# قصر العرب

تأليف

محمد أحمد جاد المولى      على محمد الجاوي      محمد أبو الفضل إبراهيم

الجزء الثالث

الطبعة الرابعة

[ فيها زيادة ضبط وشرح وتحقيق ]

١٣٨٢ هـ - ١٩٦٢ م

مكتبة لسان العرب  
[www.lisanarb.com](http://www.lisanarb.com)

دار النخبة للكتاب العربي  
عيسى البابی ايجلنی و شریکاء

الكتاب      قصص العرب  
المؤلف      محمّد أحمد  
                علي أحمد  
                محمّد أبو الفضل إبراهيم  
الناشر      منشورات الرضى - قم  
القطع      وزيرى  
المطبعة      مطبعة أمير - قم  
المطبوع      ١٠٠٠ نسخة  
الطبعة      الخامسة  
سنة الطبع      ١٣٦٤ هـ - ٠ ش  
عدد الأجزاء      أربعة  
عدد الصفحات      ١٨٦٧ صفحة

# بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## مُقَدِّمَةٌ

تعدّ القصةُ أقدَر الآثار الأدبية على تمثيل الأخلاق ، وتصوير العادات ، ورسم خَلَجَات النفوس ؛ كما أنها - إذا شُرِّفَ غرضُها ، ونُبِّل مقصدُها ، وكرمت غايتها - تُهذِّبُ الطباع ، وترقِّقُ القلوب ، وتدفعُ الناسَ إلى المثل العليا : من الإيمان والواجب ، والحق والتضحية والكرم والشرف والإيتار .

وقد كانت القصةُ - ولا تزال - ذاتَ الشأن الأسمى في آداب الأممِ قديمها وحديثها ؛ فقد وردت في التوراة ، وجاءت في الإنجيل ، وزخرت بها آيُ الذكر الحكيم . ثم هي في شعر الإغريق ، ومخلفاتِ الرومان ، وآثارِ المصريين القدماء .

والعرب من الأمم التي أخذت بنصيب من هذا الفن الجميل ، وأثر عنها فيض من ذلك الأدب الرفيع ؛ بيدَ أن بعضاً من الباحثين المحدثين قد جحدوا نصيبهم من هذا الفن ، وهضموم حَقَّهم في ذلك الباب ، ووصموم بالخيال المقيم ، وعابوا عليهم الفكر القريب ؛ ولكن المنصفين منهم قد هالَهُمْ هذا الجحود ، ولم يرقَهُمْ ذلك النكران ، فاعترفوا للعرب بالقصص التي ترجموها عن الفرس والهنود ، وتزيّدوا عليها في القاهرة وبغداد ، وتحدّثوا للناس عن قصص عنقرة وذات الهمة ، وجلّوا عليهم ألف ليلة وأخبار ابن ذى يزن .

وهذه القصص ، وإن كانت قد نجحت نجاحاً تاماً في تصوير العصور التي وضعت

فيها ، وَرَسَمَتْ نَا الْبَيْتَةَ الَّتِي نَبَتَتْ مِنْهَا ، كَثِيرٌ مِنْهَا تَأْفَهُ الْفَرَضُ ، مُبْتَهَمٌ الْقَصْدُ ، رَدِيُّ اللُّغَةِ وَالْأَسْلُوبِ . وَفِي قَصْرِ قِصَصِ الْعَرَبِ عَلَيْهَا جُحْدٌ لِلْآدَابِ الْعَرَبِيَّةِ فَضْلُهَا ، وَإِنْكَارٌ عَلَيْهَا مَفَاخِرُهَا . . . وَإِلَّا فَيُنْهَكَ هُنَاكَ قِصَصًا زَخَرَتْ بِهَا مَجَالِسُ الْخُلَفَاءِ وَسَوَاحِرِ الْأَسْرَاءِ ، وَمَلَأَتْ الْكُتُبَ الَّتِي انْجَدَتْ إِلَيْنَا عَنِ الْمُؤَلِّفِينَ الْقَدَمَاءِ ؛ وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يَرِدُوا شَرِيعَتَهَا ، أَوْ يَجْنُوا أَطْيَابَهَا إِلَّا مَا مُنِنَتْ بِهِ هَذِهِ الْكُتُبُ مِنْ اضْطِرَابِ التَّرْتِيبِ ، وَرَدِيُّ الطَّبَعِ ، وَتَحْرِيفِ النَّاسِخِينَ

وَكِتَابُنَا هَذَا جَمَعْنَا فِيهِ هَذِهِ الْقِصَصَ : مَا انْتَبَذَ مِنْهَا وَمَا شَرَدَ ، وَأَلْفَنَّا مَا تَنَافَرَ وَافْتَرَقَ ، وَجَعَلْنَاهُ أَقْسَامًا ، وَقَسَمْنَاهُ أَبْوَابًا ؛ جَمَعْنَا كُلَّ قِصَّةٍ إِلَى مِثْلِهَا ، وَضَمَمْنَا كُلَّ طَرْفَةٍ إِلَى شَبِهِهَا ؛ لِيَجْتَمَعَ إِلَى غَرَضِ الْقِصَّةِ - مِنْ تَهْذِيبِ الطَّبَاعِ وَتَرْقِيقِ النُّفُوسِ - عَرْضٌ شَامِلٌ لِحَيَاةِ الْعَرَبِ : مَدِينَتُهُمْ وَحَضَارَتُهُمْ ، وَعُلُومُهُمْ وَمَعَارِفُهُمْ ، وَأَدْبَانُهُمْ وَعَقَائِدُهُمْ ، وَذِكْرُ لِعَوَائِدِهِمْ وَشِمَائِلِهِمْ ، وَمَا طُبِعُوا عَلَيْهِ مِنْ كَرِيمِ الْفَرَائِزِ ، وَحُدَّةِ الذِّكَاةِ ، ثُمَّ مَا كَانَ لِلرِّوَاةِ عِنْدَهُمْ مِنْ سَامِيِ الْمَسْكَاةِ وَعَظِيمِ الْمَنْزَلَةِ ، وَمَا أَثَرَ عَنْهُمْ مِنْ أَخْبَارِ صَوْرُوا بِهَا حَبِّهِمْ الْعَفِيفِ وَغَزَلِهِمْ الرِّقِيقِ وَعَشْقَتِهِمْ الشَّرِيفِ ، وَلَمْ يَحُلْ كِتَابُنَا مِمَّا كَانَ لَمْ مِنْ مَحَاوِرَاتٍ وَمَسَاجِلَاتٍ وَمَطَايِبَاتٍ وَمُنَاقَلَاتٍ ، وَمَا نَقَلَهُ الرِّوَاةُ مِنْ أَحْوَالِ الْعَامَةِ وَالْمُلُوكِ وَطُرُقِ الْقَضَاةِ وَالْوَالَاةِ ، وَأَخْبَارِ الْأَيَّامِ وَالْحُرُوبِ ، وَغَيْرِ هَذَا مِمَّا سَيَعْرِضُ مَفْصَلًا فِي أَبْوَابِ الْكِتَابِ .

وَلَمْ نَقِفْ فِي اخْتِيَارِ الْقِصَّةِ عَلَى تَعْرِيفِ خَاصٍ ، أَوْ حُدِّ مَرْسُومٍ ، فَفِيهَا اخْتِرْنَا مَا ذَكَرُوهُ مِنْ طَرِيفِ الْأَخْبَارِ وَشَائِقِ الْأَحْدَاثِ ، وَمَا وَضَعُوهُ مَصُورِينَ بِهِ الْمَجَالِسِ وَالْأَشْخَاصِ ، وَمَا صَنَعُوهُ عَلَى أَسْنَةِ الطَّيْرِ وَالْحَيَوَانَ ، وَمَا تَحْتَلَّوهُ مِنْ أَخْبَارِ الشَّيَاطِينِ وَالْجَانِّ ؛ إِذْ كَانَ الْفَرَضُ تَثْقِيفَ الْأَذْهَانَ بِذِكْرِ الطَّرَائِفِ ، وَانْشِرَاحَ الصُّدُورِ بِمَرَضِ

اللطائف مع كشف نواحي التاريخ ، وإظهار مفاخر العرب .

ولعلّ القارئُ يروقه ماتدسّى فيها من شريف الخصال فيحتذِها ، أو تعجبه  
كرائم العادات فيطبع نفسه عليها ، إلى ما في هذا من بعث فصيح الألفاظ ، وإحياء  
رائع الأساليب . ولعله يكون فيها مبادئٌ صالحةٌ وأسسٌ قويمةٌ لمن يريد أن ينشئ  
قصصاً طويلة على أساس ، أو يقيم روايات على بناء .

وكان من ههنا أن نحصر على اختيار القصص كما وضّموها ، إلا ما كان من  
زيادة اقتضاها اختلاف الروايات ، أو تفسير لكلمات لا تألفها الآداب ، أو حذف  
عبارات لا غناء فيها .

ولقد بذلنا من الجهد في ضبط الألفاظ ، وكشف النقاب عن المعاني ، وتراجم  
الأشخاص ، وذكر المراجع ما نرجو أن يكون به جنّى الكتاب قريباً ومنهله عذباً ،  
وورده سائغاً ، وطريقة سهلاً معبداً .

ونسأل الله أن ينفع به على ما صدقنا في النية ورجونا .

المؤلفون

ربيع الآخر سنة ١٣٥٨ هـ  
مايو سنة ١٩٣٩ م

## مقدمة الطبعة الرابعة

هذا كتابنا « قصص العرب » تقدمه إلى أدباء العربية في طبعته الرابعة ، بعد أن نفذت طبعته الثالثة ، وازداد الأدباء إقبالا على اقتنائه وتقديره له .

وكنا قد تلقينا رسائل من بعض أفاضل الأدباء يرغبون إلينا فيها أن ندلل الطريق إلى قراءة الكتاب؛ فنكثر من ضبط الكلمات ، ونزيد من شرح المفردات ، فعملنا على تحقيق رغبتهم ، وبذلنا غاية الجهد في تحريره وتحقيقه . وزدنا في شرح كلماته وضبط أعلامه .

ونرجو أن يكون ذلك كفاء لما تلقينا من رسائل الأدباء ، ولما تفضلت به صحف الشرق العربي من إشادة .

ونسأل الله أن يزيد به النفع بقدر ما بذلنا من جهد ، ورجونا من خير .

المؤلفون

ربيع الأول سنة ١٣٨٢  
سبتمبر سنة ١٩٦٢

## البَابُ الْأَوَّلُ

—

في القصص التي تعرب عما كان يقع بين العامة  
والملوك، والقواد والرؤساء والقضاة ومن إليهم، من كل  
ذی صلة بالحكم والحكام، مما يتناول حيلهم في  
المنازعات والخصومات، ويوضح طرائقهم في رفع  
الظلمات، ورجع الحقوق، وما يجري هذا المجرى.

## ١ - متى تعبدتم الناس؟\*

قال أنس: بينما أمير المؤمنين عمر بن الخطاب<sup>(١)</sup> قاعد إذ جاءه رجل من أهل مصر، فقال: يا أمير المؤمنين؛ هذا مقام العائذ بك. فقال عمر: لقد عذت بمجيب؛ فما شأنك؟ قال: سأبقتُ على فرسى ابننا لعمر بن العاص - وهو يومئذ أميراً على مصر - فجعل يُقنِني<sup>(٢)</sup> بسوطه ويقول: أنا ابن الأكرمين! فبلغ ذلك عمر أباه، فحسبني أن آتيتك، فحبسني في السجن، فانفلتُ منه، وأتيتك.

فكتب عمر بن الخطاب إلى عمرو بن العاص: إذا أتاك كتابي هذا فاشهد الموسم أنت وولدك فلان، وقال للمصرى: أقم حتى يأتيتك. فقدم عمرو، فشهد الحاج. فلما قضى عُمر الحج وهو قاعد مع الناس وعمرو بن العاص وابنه إلى جانبه، قام المصرى، فرمى إليه عمر بالدرة<sup>(٣)</sup>.

قال أنس: ولقد ضربه ونحن نشتهي أن يضربه، فلم ينزع<sup>(٤)</sup> حتى أحبين أن ينزع من كثرة ماضربه، وعمر يقول: اضرب ابن الأكرمين! ثم قال المصرى: قد استوفيت واشتفيت. قال عمر: ضعها على صلعة<sup>(٥)</sup> عمرو، فقال: يا أمير المؤمنين؛ قد ضربتُ الذي ضربني. فقال عمر: أما والله لو فعلت لما منعك أحد حتى تكون أنت الذي تنزع. ثم قال: يا عمرو؛ متى تعبدتم الناس وقد ولد لهم أمهاتهم أحراراً!

\* العقد الفريد للملك السعيد: ٥٩

(١) ثاني الخلفاء الراشدين، المضروب بعذله المثل، أسلم قبل هجرة بخمس سنين، وبويع بالخلافة سنة إحدى عشرة، قتله أبو لؤلؤة المجوسى سنة ٢٣ هـ (٢) قنعه بالسوط: غشاه به (٣) الدرة: السوط. (٤) يكف ويتبهي (٥) يريد موضع الصلح من الأراس

## ٢ - أَحَبُّ الْوَلَاةِ إِلَى عَمْرِ بْنِ الْخَطَّابِ \*

قال الربيع بن زياد الحارثي : كنتُ عاملاً لأبي موسى الأشعري على البحرين ، فكتب إليه عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - يأمره بالقدوم عليه هو وعمَّاله ، وأن يَسْتَخْلِفُوا<sup>(١)</sup> جميعاً .

فلما قَدِمْنَا أَيْتُ يَرْفَأُ<sup>(٢)</sup> ؛ فقلت : يَا يَرْفَأُ ؛ مسترشداً وابنُ سبيل ؛ أَىَ الهيئات أحبُّ إلى أمير المؤمنين أن يرى فيها عمَّاله ؟ فأوماً إلى بالخشونة . فاتخذتُ خُفَيْنِ مَطَارَقَيْنِ<sup>(٣)</sup> ، ولبستُ جَبَّةَ صُوفٍ ، ولتتُ<sup>(٤)</sup> عمامتي على رأسي .

فدخلنا على عمر فصفنا بين يديه ، فصعدَ فينا وصوبَ ، فلم تأخذ عينه أحداً غيري ؛ فدعاني فقال : مَنْ أَنْتِ ؟ قلت : الربيع بن زياد الحارثي ، فقال : ماتتولي ؟ قلتُ : البحرين . قال : كم ترتزق ؟ قلت : ألقاً . قال : كثير ! فأتصنعُ به ؟ قلت : أتقوتُ منه شيئاً ، وأعودُ به على أقارب لي ؟ فإفضَلُ عنهم فعلى فقراء المسلمين . قال : فلا بأس ! ارجع إلى موضعك .

فرجعتُ إلى موضعي من الصف ؛ فصعدَ فينا وصوبَ ، فلم تقع عينه إلا على ؛ فدعاني وقال : كم سنك ؟ قلت : خمسٌ وأربعون سنة . قال : الآن حين استحكمت ! ثم دعا بالطعام وأصحابي حديث عهدُهم بلين العيش ، وقد تجوَّعتُ له ، فَأَتَيْتُ بِجُبْزٍ وَأَكْسَارٍ<sup>(٥)</sup> بمير ، فجعل أصحابي يعاقون ذلك ، وجعات آكل

\* الكامل للبرد : ١ - ٨٩

(١) يجعلوا بدلهم خلفاء عنهم . (٢) مولى عمر بن الخطاب . (٣) طارق نعلان : أطبق نعلًا على نعل فخرزهما . (٤) لتها على رأسي : أدت بعضها على بعض على غير استواء . (٥) أكسار بغير : الكسر : العظم ينفصل بما عليه من اللحم .

فأجيد ، ثم جعلتُ أنظرُ إليه يلحظني من بينهم ، ثم سمعتُ مني كلمةً تمنيتُ أني  
سُخِّتُ في الأرض ؛ إذ قلت : يا أمير المؤمنين ؛ إن الناسَ يحتاجون إلى صلاحِكَ ،  
فلو عمدتَ إلى طعامِ ألينَ من هذا ! فزجرني .

ثم قال : كيف قلت ؟ قلت : أقول يا أمير المؤمنين : تنظرُ إلى قوتِكَ من الطحين  
فيخبزُ لك قبل إرادتك إياه بيومٍ ، ويطبخُ لك اللحم كذلك ، فتؤتى بالخبزَ ليناً  
واللحمَ غريضاً<sup>(١)</sup> ، فسكن من غربه<sup>(٢)</sup> ، وقال : أهنا غرت<sup>(٣)</sup> ! قلت : نعم !  
فقال : ياربيع ؛ إننا لو نشاء ملاًنا هذه الرِّحابَ من صلاحِ<sup>(٤)</sup> وسبائك<sup>(٥)</sup>  
وصناب<sup>(٦)</sup> ، ولكني رأيت الله عزَّ وجلَّ نعى على قوم شهواتهم ، فقال : ﴿ أَذْهَبْتُمْ  
طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا ﴾ .

ثم أمر أبو موسى الأشعري بإقرارى وأن يُستبدل بأصحابي .

---

(١) الفريض : العلى . (٢) سكن من غربه : أى هدأ من غضبه . (٣) أهنا غرت :  
أى ذهبت . (٤) صلاح : ما عمل بالنار طبخاً وشياً . (٥) سبائك : يريد ما يسبك من  
الدقيق فيؤخذ خالصه ، وكانت العرب تسمى الرقاق السبائك . (٦) الصناب : المراد المصنول  
بالزبيب ويؤتدم به .

٣ - عمر يتفقد رعيته\*

خرج أمير المؤمنين عمرُ بن الخطاب رضى الله عنه في ليلةٍ ، يطوف ويتفقد أحوال المسلمين ، فرأى بيتاً من الشعر مضروباً ، لم يكن قد رآه بالأمس . فدنا منه ؛ فسمع فيه أنينَ امرأةٍ ، ورأى رجلاً قاعداً ، فدنا منه وقال له : مَنْ الرَّجُلُ ؟ فقال : رجلٌ من البادية ، قدمتُ إلى أمير المؤمنين ، لأُصِيبَ من فضله ، قال : فما هذا الأنين ؟ قال : امرأةٌ مَخَضَتْ<sup>(١)</sup> ! قال : فهل عندها أحدٌ ؟ قال : لا .

فانطلق عمر فجاء إلى منزله ، فقال لامرأته - أم كلثوم بنت علي بن أبي طالب : هل لك في أجر قد ساقه الله إليك ؟ قالت : وما هو ! قال : امرأةٌ مَخَضَتْ ليس عندها أحد ! قالت : إن شئت ! قال : فَخُذِيْ مَعَكَ ما يصلح للمرأة من الخِرق والدُّهن ، وأنتى بِقَدْرٍ وشَحْمٍ وحبُوبٍ . فجاءته به ، فحمل القدر ، ومشت خلفه ، حتى أتى البيت ، فقال لها : ادخلى إلى المرأة .

ثم قال للرجل : أوِ قَدْ لِي نارا ، ففعل ، فوضع القدر بما فيها ، وجعل عمرُ ينفخُ النارَ ويضرمها ، والدخانُ يخرج من خِلالِ لحيته ، حتى أَنْضَجَهَا ، وولدتِ المرأةُ ، فقالت أم كلثوم : بَشَّرْ صاحبك يا أمير المؤمنين بسلام . فلما سمعها الرجلُ تقول : يا أمير المؤمنين ارتاع وخجل ، وقال : يا خَجَلَتاه منك يا أمير المؤمنين ! أهكذا

\* المستطرف : ٢ - ٩٣

(١) مخضت : أتاها المخاض ، وهو ما تشعر به المرأة قبيل الوضع .

تفعلُ بنفسك ! قال : يا أخا العرب ، من وُلِّي شيئاً من أمور المسلمين ينبغي له أن يطلع على صغير أمورهم وكبيرها ، فإنه عنها مسئول ، ومتى غفل عنها خسر الدنيا والآخرة .

ثم قام عمر ، وأخذ القدر ، وحملها إلى باب البيت ، وأخذتها أم كلثوم ، وأطعمت المرأة ، فلما استقرت وسكنت طلعت أم كلثوم ، فقال عمر رضى الله عنه للرجل : قم إلى بيتك وَكُلْ ما بَقِيَ في البُرْمَةِ<sup>(١)</sup> ، وفي غَدِ ائت إلينا . فلما أصبح جاءه فجهزه بما أغناه به .

---

(١) البرمة : القدر .

٤ - عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ يَحَاسِبُ نَفْسَهُ\*

قال الأحنف بن قيس : قدمنا على عُمَرَ بن الخطاب بفتح عظيم نبشّره به ،  
فقال : أين نزلتم ؟ قلنا : في مكان كذا !

فقام معنا حتى اتّهبنا إلى مُناخ<sup>(١)</sup> رِكابنا ، وقد أضعفها الكلال ، وجهدها<sup>(٢)</sup>  
السير ؛ فقال : هلا اتّقيتم الله في رِكابكم هذه ! أما علمتم أنّ لها عليكم حقاً ؟  
هَلَّا أَرَحْتُمُوهَا فَأَكَلَتْ مِنْ نَبَاتِ الْأَرْضِ !

فقلنا : يا أمير المؤمنين ؛ إنا قدّمنا بفتح عظيم ، فأحببنا التسرع إليك وإلى  
للمسلمين بما يسرهم . فانصرف راجعاً ، ونحن معه .

فأتى رجل فقال : يا أمير المؤمنين ، إن فلاناً ظلمني فأعدني عليه<sup>(٣)</sup> . فرفع في  
السماء درّته<sup>(٤)</sup> ، وضرب بها رأسه ، وقال : تدعون عمر ، حتى إذا شغل في أمور  
المسلمين أتيتموه وقلتم : أعدني أعدني ! فانصرف الرجل يتذمر ، فقال عمر : على  
بالرجل ! فجيء به فأُتِيَ إِلَيْهِ الْمُخَفَّقَةُ<sup>(٥)</sup> ، فقال : اقتص . قال : بل أدعه لله ولك .  
قال : ليس كذلك ، بل تدعه إما لله وإرادة ما عنده ، وإما تدعه لي ! قال : أدعه  
لله . قال : انصرف .

ثم جاء حتى دخل منزله ، ونحن معه ، فصلى ركعتين خفيفتين ، ثم جلس ،  
فقال لنفسه : يا ابن الخطاب ، كنت وضيعاً فرفعك الله ، وكنت ضالاً فهداك الله ،  
وكنت ذليلاً فأعزك الله ، ثم حملك على رقاب الناس ، فجاء رجل يستعديك

\* ابن أبي الحديد : ٣ - ٩٧

(١) المناخ هنا : مبرك الإبل ، والركاب : الإبل . (٢) جهد داجه : أجهدهما . (٣) أعدى  
فلاناً عليه : نصره وأعانه وقواه . (٤) الدرّة : السوط . (٥) المخفّقة : الدرّة أوسط من خشب .

على مَنْ ظَلَمَهُ فضرَبته ؛ ماذا تقول لربك غدًا ؟ فجعل يَمَاتِبُ نفسه معاتبَةً ، فظننت أنه من خير أهلِ الأرضِ !

٥ — جئتُك من عند أزهْدِ الناسِ \*

استعمل عمرُ رضَى اللهُ عنه على حِصصِ رجلا يقال له عُمَيْرُ بنُ سعدٍ <sup>(١)</sup> ؛ فلما مضتِ السَّنَةُ كتبَ إليه : أن اقدم علينا ؛ فلم يشعرُ عمرُ إلا وقد قدِمَ عُمَيْرُ ماشياً حافياً ، عكَّازَتُهُ <sup>(٢)</sup> بيده ، وإداوَتُهُ <sup>(٣)</sup> ومزودُهُ وقصعَتُهُ على ظهره . فلما نظر إليه عمر قال له : يا عميرُ ؛ أجبَنَّا أم البلادُ بلادُ سوء ؟ فقال : يا أمير المؤمنين ؛ أما نهاك اللهُ أن تجهر بالسوء وتَنأى عن سوء الظن ؛ وقد جئتُ إليك بالدنيا أجرها بقرابها ! فقال له : وما معك من الدنيا ؟

قال : عكَّازَةٌ أتوَكَّأُ عليها ، وأدفعُ بها عدوًّا إن لقيتُهُ ؛ ومزودٌ أحملُ فيه طعامي ، وإداوةٌ أحملُ فيها ماءً لشربي وطهورى ، وقصعةٌ أتوضأُ فيها ، وأغسلُ فيها رأسي ، وآكلُ فيها طعامي ؛ فوالله يا أمير المؤمنين ؛ ما الدنيا بعدُ إلا تبعٌ لما معي .

فقام عمر رضَى اللهُ عنه إلى قبر رسول الله صلى اللهُ عليه وسلم وأبى بكر رضَى اللهُ عنه ؛ فبكى بكاءً شديداً ، ثم قال : اللهم ألحِقني بصاحبِي ؛ غيرَ مُفْتَضَحٍ ولا مُبَدَّلٍ .

\* المستطرف : ١ - ١١٠

(١) شهد فتوح الشام ، واستعمله عمر على حمص ، وكان عمر يقول فيه : وودت لو أن لي رجلاً مثل عمير بن سعد أستعين بهم على أعمال المسلمين . (٢) العكَّازة : عصاً في أسفلها زج يتوكأ عليها الرجل . والإداوة : لثاء صغير من جلد يتخذ للماء .

ثم عاد إلى مجلسه ، فقال : ما صنعتَ في عملك يا عمير ؟ فقال : أخذتُ الإبل من أهل الإبل ، والجزيةَ من أهل الذِّمة عن يدِ<sup>(١)</sup> وهم صاغرون ، ثم قسمتها بين الفقراء والمساكين وأبناء السبيل ؛ فوالله يا أمير المؤمنين لو بقي عندي منها شيء لأتيتك به .

فقال عمر : عدُّ إلى عملك يا عمير ، فقال : أنشدك الله يا أمير المؤمنين أن تردني إلى أهلي . فأذن له فأتى أهله .

فبعث عمر رجلاً ، يقال له حبيب ، بمائة دينار ، وقال : اختبر لي عميراً ، وانزل عليه ثلاثة أيام حتى ترى حاله : هل هو في سعة أو ضيق ؟ فإن كان في ضيق فادفع إليه الدنانير .

فأتاه حبيب ، فنزل به ثلاثاً ، فلم ير له عيشاً إلا الشعير والزيت ؛ فلما مضت ثلاثة أيام ، قال عمير : يا حبيب ؛ إن رأيت أن تتحوَّل إلى جيراننا فلعلهم يكونون أوسعَ عيشاً منا ؛ فإننا والله لو كان عندنا غيرُ هذا لآثرناك به .

فدفع إليه الدنانير ، وقال : قد بعث بها أمير المؤمنين إليك ، فدعا بقرٍ وحلَّق لاسمأته ؛ فجعل يصرُّ منها الخمسة الدنانير والستة والسبعة ، ويبعثُ بها إلى إخوانه من الفقراء إلى أن أنفدها .

فقدم حبيب على عمر وقال : جئتُك يا أمير المؤمنين من عند أزهدي الناس ، وما عنده من الدنيا قليل ولا كثير . فأمر له عمر بوسقين<sup>(٢)</sup> من طعام وثوبين . فقال : يا أمير المؤمنين ، أما الثوبان فأقبلهما ، وأما الوسقان فلا حاجة لي بهما ؛ عند أهلي صاعٌ من برٍّ هو كافٍهم حتى أرجع إليهم .

(١) عن يد : عن قهر وذل ، وعن اعتراف للمسلمين بأن أيديهم فوق أيديهم . (٢) الوسق : ستون صاعاً ، أو حل البعير .

## ٦ - تأديبُ عمر بن الخطاب لعماله \*

كان عمرُ بن الخطاب جالسا في المسجد فمرَّ به رجل فقال : ويل لك يا عمر من النار ! فقال : قريـبوه إلى . فدنا منه ، فقال : لِمَ قَلتَ ما قلت ؟ قال : تستعملُ عمالَكَ وتشرط عليهم ، ثم لا تنظر : هل وفوا لك بِشَرطِ أم لا ؟ قال : وما ذاك ؟ قال : عاملك على مصر اشترطتَ عليه فترك ما أمرته به ، وارتكب ما نهيته عنه ؛ ثم شرح له كثيرا من أمره .

فأرسل عمر رجلين من الأنصار ، فقال لهما : اتميا إليه فاسألا عنه ، فإن كان كذب عليه فأعلماني ، وإن رأيتما ما يسوء كما فلا تملكاه من أمره شيئا ، حتى تأتيآ به .

فذهبا فاسألا عنه ، فوجداه قد صدق ؛ فجاءا إلى بابه ، فاستأذنا عليه ، فقال صاحبه : إنه ليس عليه اليوم إذن . قالا : لِيُخْرِجَنَّ إلينا أو لنحرقنَّ عليه بابه ، وجاء أحدهما بشُعْلَةٍ من نار .

فدخل الآذنُ فأخبره ؛ فخرج إليهما ، فقالا : إنا رسولا عمر إليك لتأتيه ، قال : إن لي حاجة ، تمهلانني إلى أن أتزود . قالا : إنه عزم علينا ألا نملك .

فاحتملاه وأتيا به عمر ، فلما أتا- سلم عليه فلم يعرفه ، وقال له : من أنت ؟ وكان رجلا أسمر ، فلما أصاب من ريف<sup>(١)</sup> مصر ابيضَّ وسمن - فقال : أنا عاملك على

\* ابن أبي الحديد : ٣ - ٩٨

(١) الريف هنا : أرض فيها زرع وخصب .

مصر ، أنا فلان . قال : وَنَحَكَ ا رَكِبْتَ مَا نَهَيْتَ عَنْهُ ، وَتَرَكْتَ مَا أَمَرْتَ بِهِ ،  
رَاثِيَ لِأَعَاقِبِكَ عَقُوبَةً أُبَلِّغُ إِلَيْكَ فِيهَا .

آتُونِي بِكِسَاءٍ مِنْ صُوفٍ وَعَصَا وَثَلَاثَةَ شَاةٍ مِنْ غَنَمِ الصَّدَقَةِ ؛ ثُمَّ قَالَ لَهُ : الْبَسْ  
هَذِهِ الدِّرَاعَةَ<sup>(١)</sup> ؛ فَقَدْ رَأَيْتُ أَبَاكَ ، وَهَذِهِ خَيْرٌ مِنْ دُرَّاعَتِهِ ، وَخُذْ هَذِهِ الْعَصَا فَهِيَ  
خَيْرٌ مِنْ عَصَا أَبِيكَ ، وَانْهَبْ بِهَذِهِ الشِّيْءَ فَارْزَعْهَا فِي مَكَانٍ كَذَا - وَذَلِكَ فِي يَوْمِ  
صَائِفٍ<sup>(٢)</sup> - وَلَا تَمْنَعْ السَّابِلَةَ<sup>(٣)</sup> مِنْ أَوْلَادِهَا شَيْئًا إِلَّا آَلَ عَمْرٍ ، فَإِنِّي لَا أَعْلَمُ أَحَدًا  
مِنْ آَلَ عَمْرٍ أَصَابَ مِنْ أَوْلَادِهَا غَنَمَ الصَّدَقَةِ وَلَحُومَهَا شَيْئًا .

فَلَمَّا ذَهَبَ رَدَّهُ ، وَقَالَ : أَفْهَمْتَ مَا قُلْتُ ؟ فَضَرَبَ بِنَفْسِهِ الْأَرْضَ ، وَقَالَ :  
يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ؛ لَا اسْتَطِيعَ هَذَا ، فَإِنْ شِئْتَ فَاضْرِبْ عُنُقِي . قَالَ : فَإِنْ رَدَدْتُكَ فَأَيُّ  
رَجُلٍ تَكُونُ ؟ قَالَ : وَاللَّهِ لَا يَبْلُغُكَ بَعْدَهَا إِلَّا مَا تَحِبُّ . فَرَدَّهُ فَكَانَ نَعْمَ الرَّجُلِ !

---

(١) الدراعة : جبة مشقوقة من القدم . (٢) يوم صائف : شديد الحر . (٣) السابلية :  
أبناء السبيل المختلفون على الطرقات في حوائجهم .

## ٧ - أَخْطَأَتْ فِي ثَلَاثَ \*

خرج عمر بن الخطاب في ليلة مظلمة، يَمَسُّ<sup>(١)</sup> بنفسه؛ فرأى في بعض البيوت ضوءَ سِرَاجٍ، وسمع حديثاً؛ فوقف على الباب يتجَسَّس؛ فرأى عبداً أسود قدَّامه إناء فيه مِزْرٌ<sup>(٢)</sup> وهو يشرب، ومعه جماعة؛ فهم بالدخول من الباب فلم يقدر من تحصين البيت؛ ففسور السطح، ونزل إليهم، ومعه الدَّرَّةُ<sup>(٣)</sup>.

فلما رأوه قاموا وفتحوا الباب، واهزموا؛ فأمسك بالأسود؛ فقال له: يا أمير المؤمنين، قد أخطأتُ، وإني تائب؛ فأقبلتُ توبتي. فقال: أريد أن أضربك على خطيئتك! فقال: يا أمير المؤمنين؛ إن كنتُ قد أخطأتُ في واحدة، فأنت أخطأتَ في ثلاث، فإن الله تعالى يقول: «ولا تجسسوا»، وأنت تجسست، ويقول: «وأثروا البيوت من أبوابها»، وأنت أتيت من السطح، ويقول: «لا تدخلوا بيوتاً غير بيوتكم حتى تستأنسوا»<sup>(٤)</sup> وتسلموا على أهلها»، وأنت دخلتَ وما سلَّمتَ فذهب هذه لتلك؛ وأنا تائب إلى الله تعالى، على ألا أعود! فاستتابه<sup>(٥)</sup> واستحسن كلامه.

\* المستطرف : ٢ - ٩٤

(١) يمس : يطوف بالليل . (٢) الزر : ضرب من الأشربة . (٣) البوط القى يضرب به . (٤) تستأذنوا (٥) استتابه : سأله أن يتوب .

## ٨ - تَنَصَّرَتِ الْأَشْرَافُ مِنْ عَارِ لَظْمَةِ\*

رُوي أن جَبَلَةَ<sup>(١)</sup> بن الأيهم بن أبي شمير النَّسَّانِي لما أراد أن يُسلم ، كتب إلى عمر بن الخطاب من الشام يُعلِّمه بذلك ويستأذنه في القدوم عليه ، فسَرَّ بذلك عمر والمسلمون ، فكتب إليه : أن اقدم ولك مالنا وعليك ما علينا ..

فخرج جَبَلَةُ في خمسمائة فارسٍ من عَكَّ وجَفَنَةَ ؛ فلما دنا من المدينة ألْبَسَهُمْ ثياب الرِّشَى المنسوج بالذهب والفضة ، ولبس يومئذ جَبَلَةُ تاجَه وفيه قرطُ مارية - وهي جدَّته - ودخل المدينة فلم يبق بها أحدٌ إلا خرج ينظرُ إليه حتى النساء والصُّبَيَّان ؛ فلما انتهى إلى عمر رحَّب به وأدنى مجلسه ! ثم أراد الحج ، فخرج معه جَبَلَةُ .

فبينما هو يطوف بالبيت إذ وَطِئُ على إزاره رجلٌ من بني فزارة فخله ، فالتفت إليه جَبَلَةُ مُغَضَّباً ، فلطمه فهشَمَ أنفه ، فاستعدى عليه الفزاري عمر بن الخطاب ؛ فبعث إليه فقال : مادعاك يا جَبَلَةُ إلى أن لَطَمْتَ أخاك هذا الفزاري فهشَمْتَ أنفه ! فقال : إنه وَطِئُ إزارى فخله ؛ ولولا حُرْمَةُ البيت لضربتُ الذي فيه عيناه<sup>(٢)</sup> . فقال له عمر : أما أنتَ فقد أقررت ؛ فإما أن ترضيه ، وإلا أقدتُه منك . قال . أتقيدُه مني وأنا ملك وهو سُوقَةٌ ! !

\* المزناة : ٤ - ٢٩٨ ، الأغانى : ١٤ - ٤ ، المقدم : ٢ - ٥٦ ، طبعة لجنة التأليف .  
(١) جبلة بن الأيهم آخر ملوك النساسنة في بادية الشام ، عاش زمناً في العصر الجاهلي ، ولما ظهر الإسلام أسلم في أيام عمر ، ثم ارتد وعاد إلى الشام ومنها إلى القسطنطينية حيث أقام عند هرقل إلى أن توفى سنة ٢٠ هـ . (٢) يريد رأسه .

قال عمر : يا جبلة ! إنه قد جمعك وإياه الإسلام ، فما تفضله بشيء إلا بالتقوى  
والعافية ، قال جبلة : والله لقد رجوت أن أكون في الإسلام أعز مني في الجاهلية .  
قال عمر : دَعَّ عنك هذا ، فإنك إن لم تُرضِ الرجل أقدته منك ، قال جبلة : إذن  
أنتصر . قال : إن تنصرت ضربت عنقك . واجتمع قوم جبلة وبنو فزارة فكادت  
تكون فتنة . فقال جبلة : أخرني إلى غدٍ يا أمير المؤمنين . قال : ذلك لك .

ولما كان جُنح الليل خرج جبلةٌ وأصحابه من مكة ، وسار حتى دخل القسطنطينية  
على هرقل فتهصر ، وأقام عنده ؛ وأعظمَ هرقلُ قدومَ جبلة ، وسرَّ بذلك ، وأقطعهُ  
الأموال والأرضين والرباع<sup>(١)</sup> ، وجعله من محدثيه ومُتماره .

فلما بعث عمر بن الخطاب رسولاً<sup>(٢)</sup> إلى هرقل يدعوه إلى الإسلام ، وأجابه إلى  
المصالحة على غير الإسلام ، أراد أن يكتبَ جوابَ عمر ، وقال للرسول : ألقىتَ  
ابنَ عمك هذا الذي يبيلنا - يعني جبلة - الذي أتانا راغباً في ديننا ؟ قال : مألقيته ،  
قال : ألقه ، ثم اتنى أعطك جواب كتابك .

وذهب الرسول إلى باب جبلة ، فإذا عليه من القهارمة والحجَّاب والبهجة وكثرة  
الجمع مثل ما على باب هرقل . قال الرسول : فلم أزل أتلف في الإذن حتى أذن  
لي ، فدخلت عليه ، فرأيت رجلاً أصهب<sup>(٣)</sup> اللحية ذا سبال<sup>(٤)</sup> ، وكان عهدي به  
أسمر أسود اللحية والرأس ، فنظرت إليه فأنكرته ، فإذا هو قد أتى بسُحالة<sup>(٥)</sup>  
الذهب ، فذرها في لحيته حتى عاد أصهب ، وهو قاعد على سرير من قوارير<sup>(٦)</sup> ،  
قوامه أربعة أسود من ذهب .

(١) الرباع جمع ربع : الدار . (٢) هو جثامة بن مساحق الكناني . (٣) الصهبه : حمرة  
يطلونها سواد . (٤) السبال : جمع سبلة وهي ما على الشارب من الشعر . (٥) السحالة :  
ما سقط من الذهب والفضة ونحوها إذا بردا . (٦) القوارير : شجر يعمل منه الرجال والموائد  
والقوارير من الزجاج أيضاً .

فلما عرفني رفعني معه في السير ، ورحب بي ، ولامني على تزكّي النزول عنده ، ثم جعل يسألني عن المسلمين ، فذكرتُ خيراً وقلت : قد أضعفوا<sup>(١)</sup> أضعافاً على ما تعرف ؛ فقال : كيف تزكّتَ عمر بن الخطاب ؟ قلت : بخير ، فرأيتُهم قد تبين فيه ، لما ذكرتُ له من سبّامة عمر . ثم انحدرتُ عن السير ، فقال : لم تأبى الكرامة التي أكرمناك بها ؟ قلت : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن هذا . قال : نعم ، صلى الله عليه وسلم ، ولكن نقّ قلبك من الدّنس ولا تبالِ علام معدّت . فلما سمعته يقول : صلى الله عليه وسلم طمّعتُ فيه ، فقلت له : ويحك ! يا جبلة ، ألا تُسلم وقد عرفتَ الإسلامَ وفضله . قال : أبعَدَ ما كان مني ؟ قلت : نعم : قد فعل رجلٌ من فزارة أكثرَ مما فعلت : ارتدَّ عن الإسلام ، وضرب وجوهَ المسلمين بالسيف ، ثم رجع إلى الإسلام ، وقبِل ذلك منه ، وخلفته بالمدينة مسلماً . قال : ذرني من هذا ، إن كنتَ تضمن لي أن يزوجني عمر ابنته ، ويولّيني الإمرة بعده رجعتُ إلى الإسلام . قال : ضمنت لك التزويج ، ولم أضمن لك الإمرة . قال : لا .

فأومأ إلى خادم بين يديه ، فذهب مسرعاً ، فإذا خدّم قد جاءوا يحملون الصناديق فيها الطعام ، فوضيت ونصبت موائد الذهب وصحاف الفضة ، وقال لي : كُلْ فقبضت يدي ، وقلت : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن الأكل في آنية الذهب والفضة ، فقال : نعم ، صلى الله عليه وسلم ، ولكن نقّ قلبك وكُلْ فيما أحبت . وأكل في الذهب والفضة ، وأكلت في الخليج<sup>(٢)</sup> .

(١) أضعف الشيء : زيد على أصله فيجعل مثلين أو أكثر . (٢) الخليج : الحفنة .

فلما رُفِعَ الطعامُ جِيءَ بِطِيسَاسٍ<sup>(١)</sup> الفضة وأباريق الذهب ، وأومأ إلى خادم بين يديه ، فرَمَ مسرعاً ، فسمعت حِسّاً ، فالتفتُ ، فإذا خَدَمٌ مَعَهُنَّ الكراسي مرصعة بالجواهر ، فوَضِعَتْ عشرةٌ عن يمينه ، وعشرةٌ عن يساره ، ثم سمعت حِسّاً ، فإذا عشر جوار قد أقبلن مَطْمُوماتٍ<sup>(٢)</sup> الشعر متكسراتٍ في الخلى ، عليهن ثياب الدِّيَاج ، فلم أرَ وجوهاً قط أحسنَ منهن ، فأقعدهن على الكراسي عن يمينه ، ثم سمعت حِسّاً فإذا عشر جوارٍ أخرى فأجلسهن على الكراسي عن يساره ، ثم سمعت حِسّاً ، فإذا جاريةٌ كأنها الشمس حسناً وعلى رأسها تاجٌ ، وعلى ذلك التاج طائر لم أرَ أحسنَ منه ، وفي يدها اليمنى جامةٌ<sup>(٣)</sup> فيها مسك وعنبر ، وفي يدها اليسرى جامةٌ فيها ماء ورد ، فأومات إلى الطائر ، فوقع في جامةِ ماء الورد فاضطرب فيه ، ثم أومات إليه فطار حتى نزل على صليب في تاج جبلة ، فلم يزل يُرْفرف حتى نفذ مافي ريشة عليه؛ وضحك جبلةٌ من شدة السرور ، حتى بدت أنيابها ، ثم التفت إلى الجوارى التي عن يمينه ، فقال : بالله أطرُ بنى . فاندفعن يتغنين يخفخن بميدانهن وَيَقْلُنَ<sup>(٤)</sup> :

لله درَّ عَصَابَةٍ نَادَمْتُهُمْ	يوماً بخلقٍ <sup>(٥)</sup> في الزمانِ الأوَّلِ
يَسْقُونَ مَنْ وَرَدَّ الْبَرِيصُ عَلَيْهِمْ	بِرَدَى يُصَفِّقُ بِالرَّحِيقِ السَّلْسَلِ <sup>(٦)</sup>
أَوْلَادُ جَفَنَةَ حَوْلَ قَبْرِ أَبِيهِمْ	قَبْرِ ابْنِ مَارِيَةَ الْكَرِيمِ الْفُضِّلِ
يُفَشُّونَ حَتَّى مَاتَهُمْ كَلَابِهِمْ <sup>(٧)</sup>	لَا يَسْأَلُونَ عَنِ السَّوَادِ الْمُقْبَلِ

(١) الطيساس : جمع الطس ، وهو الطست . (٢) طعت شعرها : عقصته وهو مطموم ، والعقس : أن تأخذ المرأة كل خصلة من شعرها فتلويها ، ثم تعقدها حتى يبقى فيها التواء ثم ترسلها . (٣) إناء من فضة . (٤) الشعر لحسان بن ثابت . (٥) جلق : شق . (٦) البريص : نهر بدمشق . ويردى : نهر بدمشق أيضاً . وتصفيق الشراب : مزجه ، الرحيق : الحمر . سلسل : لبن (٧) تهر كلابهم : هرير النكب : صوته دون النباح .

بيضُ الوجوه كريمةٌ أحسابهمُ شمُّ الأنوفِ مِنَ الطَّرَازِ الأوَّلِ  
فضحك حتى بدت نواجذهُ ، ثم قال : أتدرى من قائل هذا ؟ قلت : لا ،  
قال : قائله حسانُ بن ثابت شاعر الرسول صلى الله عليه وسلم ، ثم التفت إلى  
الجوارى اللاتي عن يساره ، فقال : بالله أبكيننا . فاندفعن يتغنين ، وهن يخفقن  
بعيدانهن .

فبكي حتى جعلت الدموعُ تسيل على خديهِ ، ثم قال : أتدرى من قائل هذا  
الذي تغنين به ؟ قلت : لا أدري ، قال : حسان بن ثابت ، ثم أنشأ يقول :

تفصرتِ الأشرافُ من عارٍ لَطْمَةٍ	وما كان : فيها - لو صبرتُ لهاضِرَزُ
تكنفني منها لجأجُ ونحوةٌ	ويبتُ لها العينَ الصحيحةَ بالوزِ
فيأليت أمي لم تلدني وليتني	رجعتُ إلى الأمرِ الذي قال لي عُمرُ
وياليتني أرغى المخاضُ <sup>(١)</sup> بقفرةٍ	وكنتُ أسيراً في ربيعةٍ أو مُضَرَ
وياليت لي بالشامِ أدنى مبيشةٍ	أجالسُ قومي ذاهبَ السمعِ والبصرِ

ثم سألتني عن حسان : أحي هو ؟ قلت : نعم ، تركته حياً . فأمر لي بكسوة  
ومال ، ونوق موقرة بُرا ، ثم قال لي : إن وجدته حياً فادفع إليه الهدية ، وأقرئه  
سلامي ، وإن وجدته ميتاً فادفنها إلى أهله ، وانحر الجمالَ على قبره .

فلما قدمتُ على عمر وأخبرته خبر جيلة ، وما دعوته إليه من الإسلام ،  
والشُرط الذي شرطه ، وأنى ضمنت له التزويج ، ولم أضمن له الإمرة قال :  
هلاً ضمنت له الإمرة ؟ فإذا أفاء الله به إلى الإسلام قضى عليه بحكمه عز وجل !  
ثم ذكرتُ له الهدية التي أهداها إلى حسان بن ثابت . فبعث إليه ، وقد كُفَّ

(١) المخاض ، نوق غنم : حوامل .

بصره فأُتِيَ به ، وقائدٌ يقوده . فلما دخل قال : يا أمير المؤمنين ؛ إني لأجد رباح آل جَفْنَةَ عندك . قال : نعم ؛ هذا رجل أقبل من عند جبلة ، قال : هات يا بن أخي ؛ إنه كريم من كرام مدحهم في الجاهلية ، خلف أن لا يلقى أحدا يعرفني إلا أهدى إليّ معه شيئاً : فدفعتُ إليه الهدية : المال ، والثياب ، وأخبرته بما كان أمر به في الإبل إن وُجد ميتاً . فقال : وددت أني كنتُ ميتاً فنُجِرْتُ على قبري ؛ وانصرف يقول :

إن ابن جَفْنَةَ من بَقِيَّةِ مَعْشَرٍ      لم يَنْدُمَ أبَاؤُهُمَ بِاللَّوْمِ  
لم يَنْسِنِي بِالشَّامِ إِذْ هورِبُهُ      مَلِكاً وَلَا مُتَنَصِّراً بِالرُّؤْمِ  
يُعْطِي الجَزِيلَ وَلَا يَرَاهُ عِنْدَهُ      إِلا كَبْعَضِ عَطِيَّةِ المَذْمُومِ

فقال له رجل كان في مجاس عمر : أذكركم ملوكا كفّرة أبادهم الله وأفساهم ؟ قال : ممن الرجل ؟ قال : مُرَيِّئٌ . قال . والله لولا سوابقُ قومك مع رسول الله صلى الله عليه وسلم لطوّقتُكَ طَوَقَ الحَمَامَةِ .

قال : ثم جهزني مُعَمَّرَ إلى قيصر ، وأمرني أن أضمن لجبلة ما اشترط به ، فلما قَدِمْتُ القسطنطينية وجدتُ الناس منصرفين من جنازته ، فعلمت أن الشقاء غلب عليه في أمّ الكتاب .

٩ — بصيرة العباس \*

كان بين العباس (٦) بن عبد المطلب وعلي بن أبي طالب مُباعدة ، فلقى ابنُ عباس عليًا ، فقال : إن كان لك في النظر إلى عمك حاجةٌ فأته ، وما أراك تلقاه بعدها لها . فقال عليٌّ : تقدّمني واستأذن . فتقدم ابنُ عباس واستأذن لِعَلِيٍّ ، فأذن له ودخل ، فاعتنق كلُّ واحد منهما صاحبه ، وأقبل عليٌّ على يد العباس ورجله يقبلهما ، ويقول : يا عمّ ؛ أرضَ عني - رضَى اللهُ عنك - قال : قد رضيت عنك . ثم قال : يا ابن أخي ؛ قد أشرتُ عليك بأشياء ثلاثة فلم تقبل ، ورأيت في عاقبتها ما كرهت ، وهأنذا أميرُ عليك برأيٍ رابع ، فإن قبلته وإلا نالك ما نالك مما كان قبله . قال : وما ذاك يا عمّ ؟ قال : أشرتُ عليك في مرض رسول الله صلى الله عليه وسلم أن تسأله . فإن كان الأمرُ فينا أعطانا ، وإن كان في غيرنا أوصى بنا ، فقلت : أخشى إن منعتاه لا يعطيناه أحد ، فضت تلك !

فلما قبض رسولُ الله صلى الله عليه وسلم أتانا أبو سفيان بن حرب تلك الساعة فدعوناك إلى أن نُبأيعك ، وقلتُ : ابسط يديك أبايعك وبيأيعك هذا الشيخ ، فإننا إن بايعناك لم يختلف عليك أحدٌ من بني عبد مناف ، وإذا بايعك بنو عبد مناف لم يختلف عليك قرشي ، وإذا بايعتك قريش لم يختلف عليك أحدٌ من العرب . فقلت : لنا بجهاز رسول الله صلى الله عليه وسلم شغلٌ ، وهذا الأمر

\* ابن أبي الحديد : ١ - ١٣١

(١) كان من أكابر قريش في الجاهلية والإسلام ، كان سديد الرأي ، واسع العقل ، أسلم قبل الهجرة وكنم إسلامه ، ثم هاجر إلى المدينة وشهد موعدة حنين وفتح مكة ، توفي سنة ٣٢ هـ .

لا يُخشى عليه ، فلم نلبث أن سمعنا التكبير من سقيفة بني ساعدة<sup>(١)</sup> ، فقلت يا عم :  
ما هذا ؟ قلت : ما دعوناك إليه ! فأبيت وقلت : سبحان الله ! أو يكون هذا ؟  
قلت : نعم ، قلت : أفلا يرَدُّ ؟ قلت لك : وهل رُدَّ مثل هذا قط .

ثم أشرتُ عليك حين طعن عمر ، فقلت : لا تُدخِل نفسك في الشورى ؛  
فإنك إن اعترلتهم قدّموك ، وإن ساويتهم تقدّموك ، فدخلت معهم ، فكان  
ما رأيت .

ثم أنا الآن أشيرُ عليك برأى رابع ، فإن قبلته وإلا نالك ما نالك مما كان  
قبله : إني أرى أن هذا الرجل - يعني عثمان - قد أخذ في أمورِ الله ؛ وكأني  
بالعرب قد سارت إليه حتى يُنحَرَ في بيته كما يُنحَرَ الجمل ، والله إن كان ذلك وأنت  
بالمدينة لزمك الناسُ به ، فإذا كان ذلك لم تنل من الأمر شيئاً إلا من بعد شرِّ  
لا خير معه .

قال ابن عباس : فلما كان يوم الجمل عرضتُ لعلِي ، وقد قُتِل طلحة ؛ وقد  
أكثر أهل الكوفة في سبِّه وغمصه<sup>(٢)</sup> . فقال عليّ : أما والله لئن قالوا ذلك لقد  
كان كما قال :

فتى كان يُدنيه الغنى من صديقه إذا ما هو استغنى ويُبعده الفقرُ

ثم قال : لكان عمى ينظر إلى الغيب من وراء ستر رقيق ، والله ما نلتُ من  
هذا الأمر شيئاً إلا بعد شرِّ لا خيرَ معه !

---

(١) السقيفة : هي المكان الظلال ، واسمها الصفة ، وسقيفة بني ساعدة هي التي يبيع فيها  
لأبي بكر بعد حوار طويل بين المهاجرين والأنصار . (٢) غمصه : احتقره ، وطأه ،  
وتهاون بحقه .

## ١٠ - أثرُ المعروف \*

وفد أهل الكوفة على معاوية في دمشق حين خطب لابنه يزيد بالعهد بعده ، وفي أهل الكوفة هاني بن عروة المرادي<sup>(١)</sup> ، وكان سيداً في قومه ، فقال يوماً في مسجد دمشق ، والناس حوله : العجب لمعاوية يريد أن يقسِرنا<sup>(٢)</sup> على بيعة يزيد ، وحاله حاله ، وما ذاك والله بكائن .

وكان يجلس في القوم غلامٌ من قريش ، فتحمل<sup>(٣)</sup> الكلمة إلى معاوية ، فقال معاوية : أنت سمعت هانئاً يقولها ؟ قال : نعم ! قال : فأخرج فأت حلقته ، فإذا خف الناسُ عنه ، فقل له : أيها الشيخ ، قد وصلت كلمتك إلى معاوية ، ولست في زمن أبي بكر وعمر ، ولا أحبُّ أن تتكلم بهذا الكلام ، فإنهم بنو أمية ، وقد عرفت جزأتهم وإقدامهم ، ولم يدعني إلى هذا القول لك إلا النصيحة والإشفاق عليك . ثم انظر ما يقول ، فأتني به .

فأقبل القتي إلى مجلس هاني ، فلما خف من عنده دنا منه ، فقص عليه الكلام ، وأخرجه مُخْرَجَ النصيحة له ، فقال هاني : والله يا ابن أخي ما بلغت نصيحتك كل ما أسمع ، وإن الكلام لكلام معاوية أعرفه . فقال القتي : وما أنا ومعاوية ؟ والله ما يعرفني . قال : فما عليك ! إذا لقيته فقل له : يقول لك هاني : والله ما إلى ذلك من سبيل ، انهض يا ابن أخي راشداً .

\* ابن أبي الحديد : ٤ - ٣٢٧

(١) هاني بن عروة المرادي : أحد سادات قريش وأشرافهم ، قتله عبد الله بن زياد سنة ٥٦٠ هـ

(٢) يكرهنا عليها (٣) تحمل : بمعنى حمل

فقام الفتي فدخل على معاوية ، فأعلمه ، فقال : نستعين بالله عليه .

ثم قال معاوية بعد أيام للوفد : ارفعوا حوائجكم ، وهاني فيهم ، فعرض عليه كتابه فيه ذكر حوائجه . فقال : يا هاني ؛ ما أراك صنعت شيئاً ؛ زد . فقام هاني فلم يدع حاجة عرضت له إلا ذكرها . ثم عرض الكتاب عليه ، فقال : أراك قصرت فيما طلبت . زد ، فقام هاني ، فلم يدع حاجة لقومه ، ولا لأهل مصره إلا ذكرها ، ثم عرض عليه الكتاب ، فقال : ما صنعت شيئاً ، زد ؛ فقال : يا أمير المؤمنين ؛ حاجة بقيت ؛ قال : ما هي ؟ قال : أن أتولى أخذ البيعة ليزيد ابن أمير المؤمنين بالعراق ؛ قال : افعل ، فما زلت لمثل ذلك أهلاً .

فلما قدم هاني العراق قام بأمر البيعة ليزيد بمعونة من المغيرة بن شعبة وهو

والي العراق يومئذ .

١١ — في البيعة ليزيد بن معاوية \*

كتب معاوية إلى سائر الأمصار أن يفدوا عليه ؛ فوفد من كل مضر قوم ،  
ثم جلس في أصحابه وأذن للوفود فدخلوا ، وقد تقدم إلى أصحابه أن يقولوا  
في يزيد <sup>(١)</sup>

فكان أول من تكلم الضحاک بن قيس فقال : يا أمير المؤمنين ؛ إنه لا بد  
للناس من والٍ بعدك ، والأنفس يُفدى عليها ويراج ، وإن الله قال : « كل يوم  
هو في شأنٍ » ، ولا تدري ما يختلف به العصران <sup>(٢)</sup> ، ويزيد ابن أمير المؤمنين ،  
في حُسن معدنه ، وقصد سيرته <sup>(٣)</sup> من أفضلنا جُلماً ، وأحكنا علماً ، فوله عهدك ،  
واجعله لنا علماً بعدك ؛ فإننا قد بلونا الجماعة والألفة فوجدناها أحقن للدماء ، وآمن  
للشبل ، وخيراً في العاقبة والآجلة .

ثم تكلم عمرو بن سعيد فقال : أيها الناس ؛ إن يزيد أملٌ تأملونه ، وأجلٌ  
تأملونه <sup>(٤)</sup> ، طويلُ الباع ، رخبُ الذراع ، إذا صيرتم إلى عدله وسعكم ، وإن  
طلبتم رِفده أغناكم ، جدع <sup>(٥)</sup> قارح ؛ سوبق فسبِق ، وموجد فمجد ، وقورع

\* ذيل الأمال : ١٧٥ ، العقد الفريد ٤ : - ٣٦٩ طبعة لجنة التأليف .

(١) هو يزيد بن معاوية ، وكنيته أبو خالد ، كان أحور العينين ، بوجه آثار جدري ، حسن  
الهيئة خفيفها ، ولي الخلافة بعد موت أبيه سنة ٦٠ ، ومات سنة ٦٤ هـ (٢) المصران : الليل والنهار .  
(٣) استقامتها (٤) يشير إلى ما ينتظر من طول مدة ولايته ، فقد ولي حدثاً (٥) قال في  
اللسان : قال ابن الأعرابي : إذا استم الفرس سنتين ودخل في الثالثة فهو جدع . وقروح الفرس  
يقرح إذا انتهت أسنانه ، والمراد أن يزيد فتى قوى .

قَرَعَ، خَلَفَ مِنْ أمير المؤمنين ولا خَلَفَ منه . قال : اجلس أبا أمية ؛ فلقد  
أوسعت وأحسنت .

ثم قام يزيد بن المقفع فقال : أمير المؤمنين هذا - وأشار إلى معاوية - فإن  
هلك فهذا - وأشار إلى يزيد - فمن أبي فهذا - وأشار إلى سيفه - فقال معاوية :  
اجلس ، فإنك سيد الخطباء .

ثم تكلم الأحنف بن قيس <sup>(١)</sup> ، فقال : يا أمير المؤمنين ؛ أنت أعلم بيزيد في  
ليله ونهاره ، وسرّه وعلايته ، ومدخله ومخرجه ؛ فإن كنت تعلمه لله رضا ولهذه  
الأمّة فلا تُشاور الناس ، وإن كنت تعلم منه غير ذلك فلا تزوده الدنيا وأنت  
تذهب إلى الآخرة . ثم بايع الناس ليزيد .

ولما استقام الأمر لمعاوية بالشام والعراق بيعة يزيد كتب إلى مروان بن الحكم  
عامله على المدينة : أن ادع أهل المدينة إلى بيعة يزيد ؛ فإن أهل الشام والعراق قد  
بايعوا . فقرأ كتابه وقال : « إن أمير المؤمنين قد كبرت سنّه ، ودقّ عظمه ، وقد  
خاف أن يأتيه أمر الله تعالى ، فيدع الناس كالغنم لا راعي لها ، فأحب أن يُعلم  
علماً ، ويقم إماماً » . فقالوا : وفق الله أمير المؤمنين وسدّه ، ليفعل .

فكتب بذلك إلى معاوية ، فكتب إليه : أن سمّ يزيد . فقرأ الكتاب  
عليهم وسمّى يزيد ، وقال : سنّة أبي بكر الهادية المهديّة ؛ فقال له عبد الرحمن بن  
أبي بكر : كذبت ! إن أبا بكر ترك الأهل والعشيرة ، وبايع لرجل من بني عدى  
رضى دينه وأمانته ، واختاره لأمّة محمد صلى الله عليه وسلم ، كذبت والله يا مروان ،  
وكذب معاوية معك ! لا يكون ذلك . لا تُحدّثوا علينا سنّة الرّوم ، كلمات  
هرقل قام مكانه هرقل .

(١) لقبه الفحاح ، والأحنف اسمه .

قال مروان : أيها الناس ؛ إن هذا المتكلم هو الذي أنزل الله فيه : « والذى قال لوالديه أف لكما ! أتعداني أن أخرج وقد خلت القرون من قبلي » .  
فقال عبد الرحمن : يابن الزبير ؛ أفينا تتأول القرآن ا

وتكلم الحسين بن عليّ وعبدُ الله بن الزبير وعبد الله بن عمر، وأنكروا بيعة يزيد ، وتفرّق الناس . فكتب مروان إلى معاوية بذلك .

ولما علم معاويةُ خرج إلى المدينة في ألف ، وحينما قُربَ منها تلقاه الناس ، فلما نظر إلى الحسين قال : مرحباً بسيد شباب المسلمين ، قُربوا دابةً لأبي عبد الله . وقال لعبد الرحمن بن أبي بكر : مرحباً بشيخ قريش وسيدّها وابن الصديق . وقال لابن عمر : مرحباً بصاحب رسول الله وابن الفاروق ، وقال لابن الزبير : مرحباً بابن حواري رسول الله صلى الله عليه وسلم وابن عمته ، ودعا لهم بدوابّ لحملهم عليها ، وخرج حتى أتى مكة ، ففضى حجّه .

ولما أراد الشخوص أمر بأثقاله<sup>(١)</sup> فقدمت ، وأمر بالمنبر فقرب من الكعبة ، وأرسل إلى الحسين وعبد الرحمن بن أبي بكر وابن عمر وابن الزبير . فاجتمعوا ، وقالوا لابن الزبير : أكفنا كلامه ، فقال : على ألا تخالفوني ؟ قالوا : لك ذلك .

ثم أتوا معاوية ، فرحّب بهم وقال لهم : قد علمتم نظري لكم ، وتمطني عليكم ، وصليتي أرحامكم ، ويزيدُ أخوك وابن عمك ، وإنما أردتُ أن أقدمه باسم الخلافة ، وتكونوا أتمّ تأمرؤن وتنهون ؛ فسكتوا .

وتكلم ابنُ الزبير فقال : نخبيرك بين إحدى ثلاث : أيها أخذتَ فهي لك

(١) الثقل : المتاع ، جمه أثقال .

رغبة ، وفيها خيار : إن شئت فاصنع فينا ما صنع رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ قبضه الله ولم يستخلف ، فدع هذا الأمر حتى يختار الناس لأنفسهم . وإن شئت فاصنع أبو بكر ، عهد إلى رجل من قاصية قريش وترك من ولده ومن رهطه الأذنين من كان لها أهلا . وإن شئت فاصنع عمر ، صيرها إلى سبعة نفر من قريش ، يختارون رجلاً منهم ، وترك ولده وأهل بيته وفيهم من لو وليها لكان لها أهلا .

قال معاوية : هل غيرُ هذا ؟ قال : لا . ثم قال للآخرين : ما عندكم ؟ قالوا : نحن على ما قال ابن الزبير ! فقال معاوية : إنى أتقدم إليكم وقد أعذر من أنذر ! إنى قائل مقالة ، فأقسم بالله لئن ردَّ عليَّ رجلٌ منكم كلمةً في مقامى هذا لا ترجع إليه كلمته حتى يضرب رأسه ! وأمر أن يقوم على رأس كل رجل منهم رجلان بسيفهما ، فإن تكلم بكلمة يرُدُّ بها عليه قوله قتلاه .

وخرج وأخرجهم معه حتى رقى المنبر ، وحفَّ به أهل الشام ، واجتمع الناس ، فقال بعد حمد الله والثناء عليه : إنا وجدنا أحاديب الناس ذات عوارٍ<sup>(١)</sup> ، قالوا : إن حسيناً وابن أبى بكر وابن عمر وابن الزبير لم يبايعوا ليزيد ، وهؤلاء الرُّهط سادة المسلمين وخيارهم ، لا نُبرم أمراً دونهم ، ولا نقضى إلا على مشورتهم ، وإني دعوتهم فوجدتهم سامعين مطيعين ، فبايعوا وسلّموا وأطاعوا .

فقال أهل الشام : وما يعظّم من أمر هؤلاء ؟ ائذن لنا فنضرب أعناقهم ، لا نرضى حتى يبايعوا علانية . فقال معاوية : سبحان الله ! ما أسرع الناس إلى قريش بالشر وأحلى دماءهم عندهم ! أنصتوا ، فلا أسمع هذه المقالة من أحد . ودعا الناس إلى البيعة فبايعوا . ثم قرّبت رواحله ، فركب .

(١) العوار هنا : العيب .

فقال الناس للحسين وأصحابه : قاتلتم لا نبايع ، فلما دُعيتُمْ وأرضيتُمْ ببايعتُمْ .  
قالوا : لم نفعل . قالوا : بلى ، فماتتُمْ وبايعتُمْ ، أفلا أنكرتُمْ ! قالوا : خفنا القتل ،  
وكاد بنا وكاد بكم .

## ١٢ - ذو الوجهين لا يكونُ عند الله وجيهاً\*

لما نصب معاوية يزيد لولاية العهد أقمده في قبة حراء ، فجعل الناسُ يسلمون  
على معاوية ، ثم يميلون إلى يزيد ، حتى جاء رجلٌ ففعل ذلك ، ثم رجع إلى معاوية  
فقال : يا أمير المؤمنين ، اعلم أنك لو لم تولِّ هذا أمور المسلمين لأضعتها !  
والأحنف<sup>(١)</sup> جالس .

فقال له معاوية : ما بالك لا تقول يا أبا بجر؟ فقال : أخاف الله إن كذبتُ ،  
وأخافكم إن صدقتُ ؛ فقال : جزاك الله عن الطاعة خيراً ! وأمر له بألوف !  
فلما خرج الأحنف لقيه الرجلُ بالباب ، فقال : يا أبا بجر ؛ إني لأعلم أن شرَّ  
مَنْ خلق الله هذا وابنه ، ولكنهم قد استوثقوا من هذه الأموال بالأبواب والأقفال ؛  
فلسنا نطمعُ في استخراجها إلا بما سمعت !

فقال له الأحنف : يا هذا ؛ أمسك ، فإن ذا الوجهين خليقٌ ألا يكون عند  
الله وجيهاً .

\* السكامل للمبرد : ١ - ٣٠

(١) اسمه الصحاك بن قيس ، والأحنف لقبه ، سيد تميم وأحد المظالم الدهاة الفصحاء الشجعان  
الفاحين ، يضرب به المثل في الحلم ، وله في هذا الباب نوادر مشهورة ، توفي سنة ٦٧ هـ .  
(٣ - قصص - ٣)

## ١٣ — الحجاج وأهل العراق \*

لما بلغ أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان اضطراب أهل العراق ، جمع أهل بيته وأولى النجدة من جنده ، وقال : أيها الناس ، إن العراق كدُر ماؤها ، وكثُر غَوَاؤها ، واملأ لِح عذبها ، وعظم حطبها ، وظهر ضرامها<sup>(١)</sup> وعسر إخاذ نيرانها ؛ فهل من مُمهّدٍ لهم بسيفٍ قاطع ، وذهنٍ جامع ، وقلب ذكي ، وأنفٍ حمي ، فيخمد نيرانها ، ويردع غيلانها ، وينصف مظلومها ، ويداوي الجرح حتى يندمل ، فتصفو البلاد ، ويأمن العباد ؟

فسكت القوم ، ولم يتكلم أحد . فقام الحجاج<sup>(٢)</sup> ، وقال : يا أمير المؤمنين ، أنا للعراق . قال : ومن أنت ؟ لله أبوك ! قال : أنا الحجاج بن يوسف . قال : ومن أين ؟ قال : من ثقيف . قال : اجلس ، لا أم لك ! فلست هناك !

ثم قال : مالي أرى الرئوس مطرقة ، والألسن معتقلة ! فلم يجبه أحد .

فقام إليه الحجاج ، وقال : أنا مجدل<sup>(٣)</sup> الفساق ، مطفي نار النفاق ، قال :

ومن أنت ؟ قال : أنا قاضم<sup>(٤)</sup> الظلمة ، الحجاج بن يوسف ، معدن العفو والعقوبة ، وآفة الكفر والريبة . قال : إليك عني وذاك ! فاست هناك !

ثم قال : من للعراق ؟ فسكت القوم ، وقام الحجاج ، وقال : أنا للعراق . فقال :

إذن أظنك صاحبها والظافر بفنائمها ؛ وإن لكل شيء - يا بن يوسف - آية وعلامة .

\* المستطرف : ١ - ٥١ ، الكامل : ١ - ٢٢٣ ، رغبة الأمل : ٤ - ٧٥

(١) ضمرت النار : اشتعلت (٢) الحجاج بن يوسف الثقفي ، نشأ بالطائف واتصل ببعد الملك ابن مروان ولم يزل يرقى إلى أن ولي العراق والمشرق ، وطار ذكره وعظم سلطانه ، وهلك بواسطة سنة ٩٥ هـ (٣) جدله : صرعه (٤) القضم : الأكل بأطراف الأسنان .

فَمَا آيَتُكَ؟ وما علامتُك؟ قال: العقوبة والعفو والاعتدال والبسط والازورار<sup>(١)</sup>، والإدناء والإبعاد، والجفاء والبر، والتأهب والحزم، وخوض غمرات الحروب بجان غير هيوب، فمن جاد لني قطعته، ومن نازعني قصمته، ومن خالفني نزعته، ومن دناني أكرمته، ومن طلب الأمان أعطيته، ومن سارع إلى الطاعة بجدته، فهذه آيتي وعلامتي؛ وما عليك يا أمير المؤمنين أن تبكوني، فإن كنت للأعناق قطعاً، وللأموال جماعاً، وللأرواح نزاعاً، ولك في الأشياء نقاعاً، وإلا فليستبدل بي أمير المؤمنين، فإن الناس كثير، ولكن من يقوم بهذا الأمر قليل.

فقال عبد الملك: أنت لها، فما الذي تحتاج إليه؟ قال: قليل من الجند والمال.

فدعا عبد الملك صاحب جنده، وقال له: هي له من الجند شهوته، وألزمهم طاعته، وحذرهم مخالفته. ثم دعا الخازن، فأمره بمثل ذلك.

فخرج الحجاج قاصداً العراق، فبينما الناس في المسجد الجامع بالكوفة، إذ أتاهم آت، فقال: هذا الحجاج؛ قدم أميراً على العراق، فتطاوات الأعناق نحوه، وهو يمشي، وعليه عمامة قد غطى بها أكثر وجهه، متقلداً أسنفة، مُتَنَكِّباً<sup>(٢)</sup> قوساً، حتى صعد المنبر، فلم يتكلم كلمة واحدة، ولا نطق بحرف، حتى غص<sup>(٣)</sup> المسجد بأهله، وأهل الكوفة يومئذ ذو حال حسنة، وهيئة جميلة؛ فكان الواحد منهم يدخل المسجد ومعه العشرون والثلاثون من أهل بيته ومواليه وأتباعه، عليهم الخبز والديباج.

(١) ازور عن الشيء: عدل منه وانحرف.

(٢) تنكب القوس: ألقاه على منكبه.

(٣) غص بأهله: ضاق.

فقال الناسُ بعضهم لبعض : قبح اللهُ بنى أمية حيثُ تستعمل مثل هذا على العراقِ ! حتى قال عميرُ بنُ ضابيُّ البُرْجُني . ألا أحصيه<sup>(١)</sup> لكم ؟ فقالوا : أمهلْ حتى نَنظُرُ ، فلما رأى عيونَ الناسِ شاخصةً إليه ، حَسَرَ النَّامَ عن فيه ، ونهض فقال :

أنا ابنُ جَلَا<sup>(٢)</sup> وطلاعُ الشَّنَايَا<sup>(٣)</sup> متى أضَعَ السِّمَامَةَ<sup>(٤)</sup> تَعْرِفُونِي  
ثم قال : يا أهلَ الكوفةِ ؛ إني لأرى رُهو سَأَدَ أَيْبَعَت<sup>(٥)</sup> ، وَحَانَ قِطَافُهَا ،  
وَإِنِّي لَصَاحِبُهَا ، وَكَأَنِّي أَنْظَرُ إِلَى الدَّمَاءِ بَيْنَ العَائِمِ وَاللَّحَى ؛ ثم قال :

هَذَا أَوَانُ الحَرْبِ فَاشْتَدَّي زَيْم<sup>(٦)</sup> قَدْ لَفَّهَا اللَّيْلُ بِسَوَاقِ حُطَم<sup>(٧)</sup>  
لَسْتُ بِرَاعِي إِبْرِيْلَ وَلَا غَنَمَ وَلَا بِجَزَارٍ عَلَى ظَهْرِ وَضَم<sup>(٨)</sup>  
إِنِّي وَاللَّهِ يَا أَهْلَ العِرَاقِ ، مَا يُقَعِّعُ لِي بِالشَّنَانِ<sup>(٩)</sup> ، وَلَا يُغَمِّرُ جَانِبِي كَتَمَازِ التَّيْنِ ،  
وَلَقَدْ فُرِرْتُ عَن ذَكَاءِ<sup>(١٠)</sup> ، وَفُتِّشْتُ عَن تَجْرِبَةٍ ، وَإِن أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ - أَطَالَ اللهُ  
بِقَاءَهُ - نَثَرَ كِفَائَتَهُ بَيْنَ يَدَيْهِ ، فَعَجَمَ<sup>(١١)</sup> عِيدَانَهَا ، فَوَجَدَنِي أَمْرَهَا عَوْدًا ، وَأَصْلَبَهَا  
مَكْسِرًا ، فَمَا كَمِ بِي ؛ لِأَنَّكُمْ طَالَمَا أَوْضَعْتُمْ<sup>(١٢)</sup> فِي القِتَنِ ، وَاضْطَجَعْتُمْ فِي مِرَاقِدِ

(١) حصبه : رماه بالمصى . (٢) أى أنا الظاهر الذى لا يخفى وكل أحد يعرفنى ، وجملا اسم رجل سمى بالفعل الماضى ، وكان ابن جلا هذا صاحب فتك يطلع فى الغارات من ثنية الجبل .  
(٣) الشنايا : جمع ثنية ، والثنية : الطريق فى الجبل ، وقد أراد أنه جلد . (٤) السمامة تلبس فى الحرب وتوضع فى السلم . (٥) أينعت : أدركت ونضجت . (٦) زيم : اسم ناقة أو فرس وهو يخاطبها بأمرها بالعدو ، وحرف النداء محذوف . (٧) هو العنيف برعاية الإبل فى السوق والإيراد والإصدار وبقى بعضها على بعض ، ضربه مثلا لوالى السوء . (٨) الوضم : كل ما قطع عليه اللحم . (٩) الشنان : واحدها شن . وهو الجلد اليابس ، فإذا قمع به فرت الإبل منه ، فضرب ذلك مثلا لنفسه . (١٠) ذكاء : تمام السن ، والذكاء على ضربين : أحدهما تمام السن ، والآخر حدة القلب (١١) اختبرها لينظر أيها أصلب . (١٢) الإيضاع : ضرب من السير .

الضلال، والله لأخز منكم حزم السَّلَمَةِ<sup>(١)</sup>، ولأضربنكم ضرب غرائب<sup>(٢)</sup> الإبل؛ فإنكم لكأهل قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغداً من كل مكان، فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنمون .

وإني والله ما أقول إلا وفيتُ ، ولا أهُمُّ إلا أمضيتُ ، ولا أخلق<sup>(٣)</sup> إلا قرئت<sup>(٤)</sup> ، وإنَّ أمير المؤمنين أمرني بإعطائكم أعطيتكم ، وأن أوجهكم لمحاربة عدوكم مع المهلب بن أبي صفرة ، وإني أقسم بالله لا أجد رجلاً تخلف بعد أخذ عطائه إلا ضربتُ عنقه .

يا غلام ؛ اقرأ عليهم كتاب أمير المؤمنين ، قرأ : بسم الله الرحمن الرحيم . من عبد الله عبد الملك أمير المؤمنين إلى من بالكوفة من المسلمين . سلام عليكم . فلم يقل أحد منهم شيئاً ، فقال الحجاج : اكفُ يا غلام ، ثم أقبل على الناس ، فقال : أسلمَ عليكم أمير المؤمنين فلم تردُّوا عليه شيئاً ! هذا أدبُ ابنِ نهية<sup>(٥)</sup> ! أما والله لأؤدبنكم غير هذا الأدب ، أولتستقيمن !

اقرأ يا غلام كتاب أمير المؤمنين . فلما بلغ إلى قوله : سلامٌ عليكم ، لم يبق في المسجد أحد إلا قال : وعلى أمير المؤمنين السلام .

ثم نزل فوضع للناس أعطيائهم ، فجعلوا يأخذون ، حتى أتاه شيخٌ يرعش كبراً ؛ فقال : أيها الأمير ، إني من الضعفِ على ماترى ، ولي ابنٌ هو أقوى على الأسفار ، فتقبَّلهُ بدلا مني ؟ فقال له الحجاج : نفعل أيها الشيخ .

(١) السَّلَمَةُ : شجرة شاذة ، يسر خراط ورقها ، فيشد بعضها إلى بعض ، ثم يضربها المحابط فيقنثر ورقها . (٢) ضرب غرائب الإبل : هو مثل ضربه يهدد به رعيته ، وذلك أن الإبل إذا دخلت بينها غريبة وهي ترد الماء ضربها راعيها ضرباً مؤلماً حتى تخرج . (٣) أخلق : أقدر . (٤) قرئت : فراه : شقه ضالماً أو فاسداً . (٥) ابن نهية : رجل كان على الشرطة بالبصرة قبل الحجاج .

فلما ولى قال له قائل<sup>(١)</sup> : أتدرى من هذا أيها الأمير؟ قال : لا ، قال : هذا  
عهير بن ضابيُّ البُرْجَمِيّ الذي يقول أبوه :

هَمَّتْ وَلَمْ أَفْعَلْ وَكِدْتُ وَوَلَيْتَنِي تَرَكَتُ عَلَى عُمَانَ تَبْكِي حَلَالَتُهُ  
وَدَخَلَ هَذَا الشَّيْخُ عَلَى عُمَانَ مَقْتُولًا فَوَطِئَ بَطْنَهُ ، فَكَسَرَ ضِلْعَيْنِ مِنْ  
أَضْلَاعِهِ ! فَقَالَ : رَدَّوهُ . فَلَمَّا رُدَّ قَالَ لَهُ الْحِجَاجُ : أَيُّهَا الشَّيْخُ هَلَّا بَعَثْتَ إِلَى أَمِيرِ !  
الْمُؤْمِنِينَ عُمَانَ بَدَلًا يَوْمَ الدَّارِ<sup>(٢)</sup> ؟ إِنْ فِي قَتْلِكَ أَيُّهَا الشَّيْخُ لَصَلَاحًا لِلْمُسْلِمِينَ  
يَلْحَرَسِي<sup>(٣)</sup> اضْرِبْ عُنُقَهُ .

---

(١) هو عنيصة بن العاص الأموي (٢) هو اليوم الذي قتل فيه عثمان .  
(٣) الحرسي : واحد من حرس السلطان .

١٤ — نصيحة\*

رَحَلَ الحجاج إلى عبدِ الملكِ بنِ مروانِ ومعه إبراهيمُ بنُ محمدِ بنِ طلحة ،  
فلما قدم على عبدِ الملكِ سلَّم عليه بالخلافة ، وقال : قدمتُ عليك يا أميرَ المؤمنين  
برجُلِ الحجازِ في الشرفِ والأبوَّة ، وكالِ المروءة والأدب ، وحسنِ المذهبِ والطاعة ،  
والنصيحة مع القرابة ، وهو إبراهيمُ بنُ محمدِ بنِ طلحة ، فافعلْ به يا أميرَ المؤمنين  
ما يستحقُّه مثله في أبوَّتِه وشرفه .

فقال عبد الملك : يا أبا محمد ؛ قد أذُكرُتنا حقاً واجِباً ، ائذنوا لإبراهيمِ !  
فلما دخل وسلَّم بالخلافة أمره بالجلوس في صَدْرِ المجلس ، وقال له : إن أبا محمد  
ذُكرنا ما لم نزلْ نعرفه منك من الأبوَّة والشرف ، فلا تدعُ حاجةً في خاصَّةِ أمرِك  
وعاطته إلا سألتها .

فقال إبراهيم : أما الحوائجُ التي نبتغى بها الزُّلْفَى ، ونرجو بها الثواب ، فأكان  
خالصاً لله ولنبيِّه .

ولكنْ : لك يا أميرَ المؤمنين عندي نصيحةٌ ، لا أجدُ بدءاً من ذكري إياها !  
قال : أهي دون أبي محمد ؟ قال : نعم ، قال : قم يا حجاج .  
فتهض الحجاجُ خجلاً لا يُبصرُ أين يضعُ رجله .

ثم قال له عبد الملك : قل يا بنَ طلحة . قال : تالله يا أميرَ المؤمنين ، إنك  
تحدثت إلى الحجاج ، في ظلمه وتعديبه على الحق ، وإصغائه إلى الباطل ، فوليتبه

الحرَمين، وفيهما مَنْ فيهما من أصحابِ رسولِ الله، وأبناء المهاجرين والأنصار، يَسومُهم<sup>(١)</sup> الخسفَ، وَيَطوؤُهم بِطَغَامِ<sup>(٢)</sup> أهلِ الشام، ومن لا رَأىَ له في إقامةِ الحق، ولا إزاحةِ الباطل.

فأطرقَ عبدُ الملكِ ساعةً، ثم رفعَ رأسه، وقال: كذبتَ ياطلحة، ظنَ فيك الحجاجُ غيرَ ما هو فيك! قُمْ فربما ظنَّ الخيرُ بغيرِ أهله! قال ابنُ طلحة: قمتُ وأنا ما أبصرَ طريقاً، وأتبعني حَرَسِيًّا<sup>(٣)</sup>، وقال له: اشدُّ دُيدك به. فما زلتُ جالساً حتى دعا الحجاج.

فما زالوا يتناجيان طويلاً، حتى ساءَ ظني، ولا أشكُّ أنه في أمرى، ثم دعا بي، فلقينى الحجاجُ في الصَّحنِ<sup>(٤)</sup> خارجاً، فقَبِلَ بينَ عيني، وقال: أحسنَ اللهُ جزاءك! قُلتَ في نفسى: إنه يَهزأُ بي. ودخلتُ على عبدِ الملك، فأجلسنى مجلسى الأول، ثم قال: يا ابنَ طلحة، هل اطَّلَعَ على نصيحتِكَ أحدٌ؟ قُلتَ: لا والله يا أميرَ المؤمنين، ولا أَرَدْتُ إلا اللهَ ورسولَه والمسلمين، وأميرُ المؤمنين يَعْلَمُ ذلك. فقال عبدُ الملك: قد عزلتُ الحجاجَ عن الحرَمين، لما كرهتَه فيه، وأعلمتُه أنك استقلتَ ذلكَ عليه، وسألتنِي له ولايةً كبيرةً، وقد وليتَه العراقين، وقررتُ له أن ذلكَ بسؤالِكَ، ليلزمه من حَقِّك ما لا بدَّ له من القيامِ به، فأخرُجْ معه غيرَ دَامٍ لِصُحْبَتِهِ.

---

(١) يسومهم: يوليهم إياه ويريدهم عليه (٢) الطغام: أوغاد الناس (٣) الحرسي: واحد حرس السلطان (٤) صحن الدار: وسطها.

١٥ - من حِيلِ الحجاج \*

دخل عمرُ بن عبد العزيز قبل أن يُستخلف على الوليد بن عبد الملك ، فقال :  
يا أمير المؤمنين ؛ إن عندى نصيحةً ، فإذا خلا لك عقلك ، واجتمع فهمك فسئنى  
عنها ؛ قال : ما يمنعك منها الآن ؟ قال : أنت أعلم أنه إذا اجتمع لك ما أقول فإنك  
أحق أن تفهم .

فكث أياماً ثم قال : يا غلام ؛ من بالباب ؟ فقال له : ناسٌ وفيهم عمرُ بن  
عبد العزيز ، فقال : أَدْخِلْهُ ، فدخل عليه فقال : نصيحتك يا أبا حفص ، فقال  
عمر : إنه ليس بصد الشُّركِ إنمُ أعظمُ عند الله من الدم وإن عمَّالك يقتلون ،  
ويكتبون : إن ذنبَ المقتول كذا وكذا ، وأنتَ المسئول عنه والمأخوذُ به ،  
فاكتب إليهم : ألا يقتل أحدٌ منهم أحداً حتى يكتب إليك بذنبه ، ثم يُشهد  
عليه ، ثم تأمر بأمرِك على أمرٍ قد وضح لك . قال : بارك الله فيك يا أبا حفص :  
فكتب إلى الأمصار فلم يَخْرُجْ<sup>(١)</sup> من ذلك إلا الحجاج ، فإنه أمَّضَهُ<sup>(٢)</sup> ،  
وشقَّ عليه وأقلقه ، وظن أنه لم يُكتب به إلى أحدٍ غيره ، فبحث عن ذلك فقال :  
من أين دُهينا ؟ ومن أشار على أمير المؤمنين بهذا ؟ فأخبر أن عمر بن عبد العزيز  
هو الذى فعل ذلك ، فقال : هيهات ! إن كان عمر فلا نقضَ لأمره .

ثم إن الحجاج أرسل إلى أعرابي حرورى<sup>(٣)</sup> جافٍ من بكر بن وائل ، ثم قال  
له : ماتقول فى معاوية ؟ فقال منه . قال له : ماتقول فى يزيد ؟ فسبّه . قال :

\* شيرة عمر بن عبد العزيز : ١٣٩ .

(١) حرج : ضاق (٢) أمَّضه : آله وأوجه (٣) الحرورية : فرقة من الخوارج ؛  
ينسبون إلى حروراء ، موضع بظاهر الكوفة ، كان به أول اجتماعه .

فما تقول في عبد الملك؟ فظلمه<sup>(١)</sup>. قال: فما تقول في الوليد؟ فقال: أجورهم حين ولأك، وهو يعلم عداءك<sup>(٢)</sup> وظلمك. فسكت عنه الحجاج، وافترصها<sup>(٣)</sup> منه. ثم بعث إلى الوليد وكتب إليه: أنا أحوط لديني وأرعى لما استرعىمتني، وأحفظ له من أن أقبل أحداً لم يستوجب ذلك، وقد بعثت إليك ببعض من كنت أقبل على هذا الرأي، فشأنك وإياه.

فدخل الحروري على الوليد، وعنده أشراف أهل الشام وعمر فيهم، فقال له الوليد: ماتقول في؟ قال: ظالم جائر جبار! قال: ماتقول في عبد الملك؟ قال: جبار عاتٍ، قال: فما تقول في معاوية؟ قال: ظالم.

قال الوليد لابن الريان: اضرب عنقه، فضرب عنقه، ثم قام فدخل منزله، وخرج الناس من عنده، فقال: يا غلام: اردد على عمر، فردّه عليه فقال: يا أبا حفص: ماتقول في هذا؟ أصبنا فيه أم أخطأنا؟ فقال عمر: ما أصبت بقتله، ولنغير ذلك كان أرشد وأصوب، كنت تسجنه حتى يراجع الله عز وجل، أوتدركه منيته. فقال: شتمني وشم عبد الملك، وهو حروري؛ أفستحل ذلك؟ قال: لعمرى ما أستحلّه؛ لو كنت سجنته - إن بدا لك - أو عفوت عنه كان أرشداً أقام الوليد مغضباً، فقال ابن الريان لعمر: بفرّ الله لك يا أبا حفص، لقد راددت أمير المؤمنين حتى طننت أنه سيأمرني بضرب عنقك! فقال عمر: ولو أمرت كنت تفعل؟ قال: إي لعمرى!

(١) ظلمه: نسب إليه الظلم (٢) العداء: تجاوز الحد في الظلم (٣) افترصها: اتمهزها.

١٦ — لَا أَحْمَدُ إِلَّا اللَّهُ \*

أتى الحجاجُ بقوم ممن خرجوا عليه ، فأمر بهم فضربت أعناقهم ، وأقيمت صلاةُ المغرب وقد بقي من القوم واحد ، فقال لِقَتَيْبَةَ بنِ مسلم : انصرف به معك حتى تَفدُو به عليّ .

قال قَتَيْبَةُ : فخرجتُ والرجلُ معي ، فلما كنّا ببعض الطريق قال لي : هل لك في خير ؟ قلت : وما ذاك ؟ قال : إني والله ماخرجتُ على المسلمين ، ولا استحللت قتالهم ؛ ولكن اهتليتُ بما ترى ، وعندى ودائع وأموال ، فهل لك أن تُخَلِّيَ سبيلي ، وتأذن لي حتى آتي أهلي ، وأرُدَّ عليّ كل ذي حقِّ حقّه ، وأوصي ؛ ولك عليّ أن أرجعَ حتى أضعَ يدي في يدك ؟ فعجبتُ له ، وتضاحكتُ لقوله ، ومضينا هنيئةً ، ثم أعادَ عليّ القول ، وقال : إني أعاهدك الله ، لك عليّ أن أعودَ إليك . فما ملكتُ نفسي حتى قلت له : اذهب !

فلما توارى شخصه أسقط في يدي ، فقلت : ماذا صنعتُ بنفسي ؟ وأتيتُ أهلي مهموماً مضموماً ؛ فسألوني عن شأني فأخبرتهم ، فقالوا : لقد اجترأتَ على الحجاج .

فبتنا بأطول ليلة ، فلما كان عند أذان الفجر إذا الباب يُطرق ، فخرجتُ فإذا أنا بالرجل ، فقلت : أرجعتَ ؟ قال : سبحان الله ! جعلتُ لك عهداً الله عليّ ،

أفأخونك ولا أرجع اقلقت : أما والله إن استطعتُ لأنتفعنك . وانطلقتُ به حتى  
أجلستُهُ على باب الحجاج ، ودخلت ا

فلما رأني قال : ياقتيبة ؛ أين أسيرك ؟ قلت : أصلح الله الأمير - بالباب ،  
وقد اتفق لي معه قصةٌ عجيبة ، قال : ماهي ؟ فحدثته الحديث ، فأذن له فدخل ،  
ثم قال : ياقتيبة ، أتحبُّ أن أهبه لك ؟ قلت : نعم ! قال : هولك ا فانصرف به  
معك .

فلما خرجتُ به قلت له : خذ أيَّ طريقٍ شئتَ ، فرفع طرفه إلى السماء وقال :  
لك الحمدُ يارب ، وما كلمني بكلمة ، ولا قال لي أحسنتَ ولا أسأتَ ا قلت في  
نفسى : مجنون والله ا فلما كان بعد ثلاثة أيام جاءني ، وقال لي : جزاك الله خيراً ،  
أما والله ماذهبَ عني ماضمنت ، ولكن كرهتُ أن أشركَ مع حمد الله حمدَ أحدا

## ١٧ - لا أسألكم عليه أجرًا\*

قال عثمان بن عطاء الخراساني: انطلقت مع أبي نريد هشام بن عبد الملك ، فلما قرُبنا إذا بشيخ على حمارٍ أسود عليه قميص دَنَس ، وجَبَّة دَنَسَة ، وقلنسوة لاطِئَة<sup>(١)</sup> دَنَسَة ، وركاباه من خشب ؛ فضحكت منه ، وقلت لأبي : من هذا الأعرابي ! قال : اسكت ! فهذا سيدُ فقهاء الحجاز عطاءُ بن أبي رباح<sup>(٢)</sup> .

فلما قرب منا نزل أبي عن بَعْلته ، ونزل هو عن حماره ، فاعتنقا وتساءلا ، ثم عادا فركبا وانطلقا حتى وقفا على باب هشام ؛ فما استقرَّ بهما الجلوس حتى أذن لهما .

فلما خرج أبي قلتُ له : حدِّثني ما كان منكما . قال : لما قيل لهشام : إن عطاءُ بن أبي رباح بالباب أذن له ؛ فوالله ما دخلتُ إلا بسببه .

فلما رآه هشام قال : مرحباً مرحباً ! ههنا ، ههنا ، ولا زال يقولُ له : ههنا ههنا ، حتى أجلسه معه على سريره ، ومسَّ بركبته ركبته - وعنده أشرافُ الناس يتحدثون فسكتوا . فقال له : ما حاجتك يا أبا محمد ؟ قال : نعم ، يا أمير المؤمنين ؛ أهل الحرمين أهلُ الله وجيرانُ رسوله تُقسَّم عليهم أرزاقهم وأعطيتهم . قال : يا غلام : اكتب لأهل مكة والمدينة ببطاياهم وأرزاقهم لِسنة .

\* غرر الحقائق : ١١٧

(١) لاطئة : لازقة . (٢) تابعي من أجلة الفقهاء ، ولد باليمن ونشأ بمكة ، فكان مفتي

أهلها ، ومحدثهم ، وتوفى فيها سنة ١١٥ هـ .

ثم قال : هل من حاجة غيرها يا أبا محمد ! قال : نعم ، يا أمير المؤمنين ، أهلُ الحجاز وأهلُ نجد هم أصلُ العرب ، وقادةُ الإسلام ، تردُّ فيهم فضولُ صدقاتهم . قال : نعم ! يا غلام اكتب بأن تردَّ فيهم فضولُ صدقاتهم . هل من حاجة غيرها يا أبا محمد ؟ قال : نعم ، يا أمير المؤمنين ؛ أهلُ الثغور يرُدُّون من ورائكم ، ويقاتلون عدوَّكم ، تُجْرِي لهم أرزاقاً تدرّها عليهم ؛ فإنهم إن هلكوا ضاعت الثغور . قال : نعم ، يا غلام ؛ اكتب بحمل أرزاقهم إليهم . هل من حاجة غيرها يا أبا محمد ؟ قال : نعم ، يا أمير المؤمنين ؛ أهلُ ذمتكم لا يُكَلَّفون مالا يطيقون ؛ فإن ما تجبونه منهم معونةٌ لكم على عدوكم . قال : نعم ، يا غلام ؛ اكتب لأهل الذمة بالألا يكلفوا مالا يطيقون ! هل من حاجة غيرها يا أبا محمد ؟ قال : نعم ، اتق الله في نفسك ؛ فإنك خَلِقتَ وحدك ، وتموتَ وحدك ، وتُحْشَرُ وحدك ، وتَحْسَبُ وحدك ، ولا والله ما معك ممن ترى أحداً .

فأكبَّ هشامٌ يَنْكُتُ<sup>(١)</sup> في الأرض ، وهو يبكي ؛ فقام عطاء .

فلما كنا عند الباب إذا رجل قد تبعه بكيس لا أدري ما فيه ؛ فقال : إن أمير المؤمنين أمر لك بهذا . فقال : لا أسألكم عليه . أجزأ إن أجرى إلا على ربِّ العالمين ، فوالله ما شرب عنده قطرة ماء .

(١) النكت : فرعك الأرض بعدد أو ياصع ، وهو فعل المفكر المهموم .

١٨ — خليفة بين يدي قاض\*

قال العُتبي : إني لقاعد عند قاضي هشام بن عبد الملك إذ أقبل إبراهيم بن محمد بن طلحة ، وصاحب حَرَس هشام<sup>(١)</sup> ، حتى قعدا بين يديه ؛ فقال الحرسي<sup>(٢)</sup> :  
إن أمير المؤمنين جَرَّاني في خصومة بينه وبين إبراهيم !  
فقال القاضي : شاهدك على الجراية<sup>(٣)</sup> !

قال : أتراني قلت على أمير المؤمنين ما لم يقل ! وليس بيني وبينه إلا  
هذه السترة<sup>(٤)</sup> !

قال : لا ، ولكنه لا يثبت الحق لك ، ولا عليك ، إلا بيئته .  
فقام الحرسي فدخل إلى هشام فأخبره ؛ فلم نلبث أن قَعَمَت الأبواب ،  
وخرج الحرسي ، فقال : هذا أمير المؤمنين !  
فقام القاضي فأشار إليه هشام فقعده ، وبسط له مُصَلًى ، فقعده عليه هو وإبراهيم ،  
وكنا حيث نسمع بعض كلامهما ، ويخفي علينا بعضه !  
فتكلما ، وأحضرا البيئته ، فقضى القاضي على هشام ؛ فتكلم إبراهيم بكلمة فيها  
بعض الحرق<sup>(٥)</sup> ؛ فقال : الحمد لله الذي أبان للناس ظلمك !

\* العقد : ٤ - ٤٤٧ ، ( طبعة لجنة التأليف ) .

(١) هشام بن عبد الملك من ملوك الدولة الأموية ، ولد في دمشق وبويع له فيها وتوفي سنة ١٢٥ .  
(٢) الحرسي : واحد حرس السلطان . (٣) الجراية : الوكالة . (٤) السترة : ما يستر به .  
(٥) الحرق : الحق .

قال هشام : لقد همتُ أن أضرب عنقك ضربةً ينتثر منها لحمك عن عَظْمِكَ . قال : أما والله لئن فعلتَ لفعلته بشيخ كبير السن ، قريب القرابة ، واجب الحق !

قال هشام : استرها على يا إبراهيم ! قال : لا ستر الله على ذنبي يوم القيامة إن سترتها !

قال : فإني مُعْظِيكَ عليها مائة ألف ! قال إبراهيم : فسترها عليه طول حياته نمنا لِمَا أَخَذْتُ مِنْهُ ، وَأَدْعَتْهَا بِعِدِّ مَمَاتِهِ ، تَزِينًا لَهُ !

كان لسليمان بن عبد الملك ابن يُقال له أيوب بن سليمان ، فمقدله ولاية المهدي من بعده ؛ ثم إن أيوب توفّي قبل سليمان ، ولم يبق لسليمان إلا ولدٌ صغير .  
فلما حضرته الوفاة أراد أن يستخلف ، فحضره عمر بن عبد العزيز ورجاء ابن حيوة ، فقال لرجاء : اعرض على ولدي في القمص والأردية ، فعرضهم عليه ، فإذا هم صفار لا يحملون ما لبسوا من القمص والأردية ، يسحبونها سحباً . فنظر إليهم وقال : يارجاء ؛

إِنْ بَنَى صَبِيَّةٌ صِغَارُ أَفْلَحَ مَنْ كَانَ لَهُ كِبَارُ

فقال له عمر بن عبد العزيز : يا أمير المؤمنين ؛ يقول الله تبارك وتعالى : « قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَى <sup>(١)</sup> وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى » .

ثم قال : يارجاء ، اعرض على بنى فى السيف ، فقلدوهم السيف ، ثم عرضهم عليه ، فإذا هم صفار لا يحملونها ، يجرؤونها جراً ؛ فنظر إليهم وقال :

إِنْ بَنَى صَبِيَّةٌ صَيْفِيُونَ أَفْلَحَ مَنْ كَانَ لَهُ رِبْعِيُونَ <sup>(٢)</sup>

فقال له عمر بن عبد العزيز : يقول الله تبارك وتعالى : « قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَى وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى » .

\* سيرة عمر بن عبد العزيز : ٢٩

(١) تزكى : تطهر من الشرك والمعاصى . (٢) يقال : أصاف الرجل ، إذا ولده له على كبر سنه وولده صيفيون . وأربع الرجل : إذا ولده فى فتاه سنه ، وولده ربعيون .  
( ٤ - قصص العرب - ٣ )

فلما لم يرَ في ولده ما يريدُ حدثَ نفسه بولايةِ عمر بن عبد العزيز<sup>(١)</sup>؛ لما كان يعرف من حاله؛ فشاوَر رجاءَ فيمن يَمُقِد له، فأشار عليه بعمر، وسدَّ له رأيه فيه، فوافق ذلك سليمان، وقال: لأعقدنَّ عقداً لا يكون للشيطان فيه نصيب.

فلما اشتدَّ به وجعُه عهدَ عهداً لم يُطْلِع عليه أحداً إلا رجاء بن حيوةَ الكندي، استخلف فيه عمر بن عبد العزيز، ويزيد بن عبد الملك من بعد عمر.

فدخل سعيدُ بن خالد مع عُمر بن عبد العزيز وبعضِ أهل بيته يهودون سليمان؛ فأوأوا به الموت، فمضى عمر وسعيد بن خالد ورجاء بن حيوة، ثم تخلف عمر كأنه يعالج نعلَيْه، حتى أدركه رجاء، فقال له: يارجاء، إني أرى أمير المؤمنين في الموت، ولا أحسبه إلا سيِّمهد، وأنا أناشدك الله إن ذكرني بشيء من ذلك إلا صدَّته عني، وإن لم يذكرني إلاَّ تذكرني له في شيء من ذلك. فقال رجاء لعمر: لقد ذهب ظنُّك مذهباً ما كنتُ أحسبك تذهب، أنظنُّ بني عبد الملك يدخلونك في أمورهم! وقد كان سليمان فرغ من ذلك ولكنه أراد إخفاءه عن عمر!

فلما احتضِر<sup>(٢)</sup> سليمان، واشتدَّ ما به أمر بالبيعة لمن كان في كتابه بمن عهد إليه، فبايع الناس ولا يعلمون مَنْ في كتابه.

ثم قضى الله على سليمان بالموت، فلما مات كتم موتَه رجاء بن حيوة، ثم خرج إلى الناس فقال: إن أمير المؤمنين يأمرُكم بتجديد البيعة لمن كان عهداً إليه، وقد أصبح بحمد الله صالحاً. فقالوا: أوصلنا إلى أمير المؤمنين لننظرَ إليه، وُننقدَ أمره؛ فدخل وأمر به فأسند بالوسائد وأقام عنده خادماً، وأمر بالناس فأدخلوا عليه،

---

(١) هو الخليفة الصالح العادل، ولد بالمدينة ونشأ بها، ويوبع له بالخلافة سنة ٩٩ هـ وأخبره في هذه وحسن سياسته كثيرة تولى سنة ١٠١ هـ (٢) احتضر: حضره الموت.

فيقفون عند الباب فيسلمون من بعيد ، وهم يروّون شخصه ، فيردّ الخادم عنه ردّ المريض وهم ينظرون إليه .

ثم قال : يا أميرُكم أميرُ المؤمنين أن تُبايعوا لمن عهد إليّ ، وتسمعوا له وتطيعوا ، فخرجوا إلى المسجد والناسُ مجتمعون : وجوهُ بني مروان وبني أمية ، وأشرافُ الناس ، فبايعوا ، حتى إذا رضى رجاءُ من ذلك نظر فإذا هو لا يرى عمر ؛ فخرج يلتمسه في المسجد حتى رآه قاصياً ، فوقف عليه ، وقال : السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمةُ الله وبركاته ! قُمْ إلي المنبر ، فقال : أنشدك الله يا رجاءُ ، فقال رجاءُ : أناشدك الله أن يضطربَ بالناس حَبْلٌ ، فقد لقي سليمانُ ربّه ، وقضى الله عليه بالموت .

فقام عمر حتى جلس على المنبر ، فنعى للناس سليمان ، وفتح الكتاب ، فإذا فيه استخلاف عمر ويزيد بن عبد الملك من بعد عمر .

فلما قرأ ذِكرَ عمر جثاً هشام بن عبد الملك على ركبتيه وقال : هاه (١) ! فسَلَّ رجلٌ من أهل الشام سيفه ، وقال : تقول لأمرٍ قد قضاه أمير المؤمنين هاه ؟ فلما قرأ : « ثم يزيد بن عبد الملك من بعد عمر » قال هشام : سمعنا وأطعنا . فسمع الناس وأطاعوا ، وقاموا فبايعوا لِعمر .

---

(١) هاه : وعيد .

٢٠ - عمر بن عبد العزيز يحمل الناس على الحق \*

لما دُفِنَ سليمان ، وقام عمر بن عبد العزيز قَرَّبَتْ إليه بُرَاكِبَ ، فقال : ماهذه ؟ فقالوا : مراكب لم تُرْكَب قط يركبها الخليفة أول مايلي . فتركها وخرج يلتمسُ بَعْلَتَهُ ، وقال : يا مُزَاهِمُ ؛ ضُمَّ هذه إلى بيت مال المسلمين .

وَنَصِبَتْ له مُرَادِقَاتٌ وَحُجْرَةٌ لم يجلس فيها أحد قط ، كانت تُضْرِبُ للخليفة أول مايلي ، فقال : ماهذه ؟ فقالوا : سُرَادِقَاتٌ وَحُجْرَةٌ لم يجلس فيها أحد قط ، يجلس فيها الخليفة أول مايلي . قال : يا مُزَاهِمُ ، ضُمَّ هذه إلى أموال المسلمين . ثم ركب بَعْلَتَهُ ، وانصرف إلى الفُرُشِ والوطَاءِ <sup>(١)</sup> الذي لم يجلس عليه أحد قط والذي يفرش للخليفة أول ما يكون ، فجعل يَدْفَعُ ذلك برجله حتى يُفْضَى إلى الحَصِيرِ . ثم قال : يا مُزَاهِمُ ، ضُمَّ هذا لِأَمْوَالِ المسلمين .

وبات عيالُ سليمان يُفْرِغُونَ الأدهان والطيب ، من هذه القارورة إلى تلك القارورة ، ويلبسون ما لم يُلبَس من الثياب حتى تتكسَّرَ - وكان الخليفة إذا مات فإلبس من الثياب ، أو مسَّ من الطيب كان لولده ، وما لم يُلبَس من الثياب وما لم يُلبَس من الطيب فهو للخليفة بعده .

فلما أصبح عمر قال له أهلُ سليمان : هذا لك وهذا لنا . قال . وما هذا ؟ وما هذا ؟ قالوا : هذا مما لبس الخليفة من الثياب ومسَّ من الطيب وهو لولده ، وما لم يمس ولم يلبس فهو للخليفة بعده ، وهو لك .

(\*) سيرة عمر بن عبد العزيز : ٣٥ .

(١) الوطاء : ضد النطاء .

قال عمر : ما هذا لي ، ولا لسليمان ، ولا لكم ، ولكن يامزاحم ؛ ضمّ هذا كله إلى بيت مال المسلمين .

فقام الوزراء فيما بينهم ، فقالوا : أما المراكبُ والسرادقات والحجَر والشوار<sup>(١)</sup> والوطاء فليس فيه رجاء بعد أن كان منه فيه ما قد علمتم ، وبقيت خصلة وهي الجوارى ، نعرضهن فمسي أن يكون ما تريدون فيهن ؛ فإن كان وإلا فلا طمع لكم عنده . فأتى بالجوارى فعرضن عليه كأمثال الدثمي ؛ فلما نظر إليهن جعل يسألهن واحدة واحدة : من أنت ؟ ولن كنت ؟ ومن بمث بك ؟ فتخبره الجارية بأصلها ، ولن كانت ، وكيف أخذت ، فيأمر بردهن إلى أهلن ويحملن إلى بلادهن ، حتى فرغ منهن . فلما رأوا ذلك أيسوا منه ، وعلموا أنه سيحمل الناس على الحق .

واحتجب عن الناس ثلاثا ، لا يدخل عليه أحد ، ووجهه بنى مروان وبنى أمية ، وأشرف الجنود والعرب ، والقواد بيابه ، ينظرون ما يخرج عليهم به . فجلس للناس بعد ثلاث ، وحملهم على شريعة من الحق فعرفوها ؛ فردّ المظالم ، وأحيا الكتاب والسنة ، وسار بالعدل ، وزهد الدنيا ، وتجرّد لإحياء أمر الله عز وجل ، فلم يزل على ذلك حتى قبض<sup>(٢)</sup> .

---

(١) الشوار : اللباس والزينة ومتاع البيت . (٢) مات .

## ٢١ — لا تَلومُوا إِلَّا أَنْفُسَكُمْ\*

اجتمعتُ بنو أمية، فكلموا رجلاً أن يكلم عمر بن عبد العزيز في صلة أرحامهم والمطفِ عليهم ، وكان قد أمرَ لهم بمشرة آلاف دينار فلم تقعَ منهم .  
فدخل عليه الرجلُ ، فكلمه وأعلمه بمقاتتهم ، فقد : أجل ! الله لقد قسمتها فيهم ، وقد ندمتُ عليها أآكون منقتهم إياها ، وقسمتها فكانت تكفي أربعة آلاف بيت من المسلمين .

خرج إليهم الرجلُ وأعلمهم بمقاتته ، وقال : لا تلوّموا إلا أنفسكم يامعشر بني أمية ؛ عمدتم إلى صاحبكم فزوجتموه بنت ابن عمر<sup>(١)</sup> ، فجاءتكم بعمر ملفوقاً في ثيابه ، فلا تلوّموا إلا أنفسكم .

---

\* سيرة عمر بن عبد العزيز : ٥٠ .  
(١) عمر بن الخطاب .

٢٢ - ذَكَرْتُني الطَّعْنَ وَكُنْتُ نَاسِيًا \*

لما وَلِيَ عمرُ بن عبد العزيز الخلافة ردَّ المظالمَ والقطائعَ. وكان سليمانُ بن عبد الملك قد أمر لعنبةَ بن سعيد بن العاص بعشرين ألف دينار ، فدارت في الدواوين حتى انتهت إلى ديوان الختم ، فلم يبقَ إلا قبضُها ، فتَوَقَّى سليمان قبل أن يقبضَها .

وكان عنبة صديقاً لعمر بن عبد العزيز ؛ فغدا يريدُ كلامَ عمر فيما أمر له به سليمان ؛ فوجد بنى اميةَ حضوراً بباب عمر ، يريدون الإذنَ - به ليكلّموه في أمورهم ، فلما رأوا عنبةَ قالوا : ننظر ما يصنعُ به قبل أن نكلّمه ، وقالوا له : أعلم أميرَ المؤمنين مكاننا ، وأعلمنا ما يصنعُ بك في أمورك .

فدخل عنبة على عمر ، فقال له : يا أميرَ المؤمنين ؛ إن أميرَ المؤمنين سليمان قد كان أمر لي بعشرين ألف دينار ، حتى انتهت إلى ديوان الختم ، ولم يبقَ إلا قبضُها ، فتَوَقَّى على ذلك ، وأميرُ المؤمنين أولى باستتمام الصنعة عندي ، وما بيني وبينه أعظمُ مما كان بيني وبين أمير المؤمنين سليمان .

قال له عمر : كم ذلك ؟ قال : عشرون ألف دينار . قال عمر : عشرون ألف دينار تُغني أربعة آلاف بيتٍ من المسلمين وأدفعها إلى رجل واحد ! والله ما لي إلى ذلك من سبيل .

قال عنبة : فرميتُ بالكتاب الذي فيه الصك . فقال لي عمر : لا عليك أن يكون معك ، فلعله أن يأتيك مَنْ هو أجراً على هذا المال مني فيأمر لك بها .

قال عنبة : فأخذته تبرُّكاً برأيه . وقلت له : يا أمير المؤمنين ؛ فما بال جَبَل

الورس؟ - وكان جبل الورس قطيعةً لعمر بن عبد العزيز - فقال عمر : ذكركَ تني الطَّعْنَ وكنت ناسيا ! يا غلام : هاتِ ذلكَ البَقَصَ ، فأتى بقفص من جريد فيه قَطَائِعَ بنى عبد العزيز ، فقال : يا غلام ؛ اقرأ علىّ ، فكلمنا قرأ قطيعة قال : شقها ، حتى لم يبقَ في القفص شيءٌ إلا شقّه .

قال عَنبَسَة : فخرجتُ إلى بنى أمية ، وهم وقوفٌ بالباب ، فأعلمتهم ما كان من ذلك ، فقالوا : ليس بعد هذا شيء ، ارجع إليه فاسأله أن يأذنَ لنا أن نلحق بالبلدان .

فرجعتُ إليه فقلت : يا أميرَ المؤمنين ؛ إن قومك بالباب يسألونك أن تُجْزِي عليهم ما كان من قَبْلِكَ يُجْزِي عليهم ، فقال عمر : والله ما هذا المال لى ، وما لى ذلك من سبيل . قلت : يا أميرَ المؤمنين ؛ فيسألونك أن تأذنَ لهم يضر بون فى البلدان .

قال : ماشاءوا ، ذلك لهم ، وقد أذنت لهم . قلت : وأنا أيضاً ؟ قال : وأنت أيضاً قد أذنتُ لك ، ولكنى أرى لك أن تقيمَ فإنك رجلٌ كثيرُ النُقدِ ، وأنا أبيعُ تركةَ سليمان ، فعلكَ أن تشتريَ منها ما يكون لك فى ربحه عِوضٌ مما فاتك .

فأقت تبرّكا برأيه ، فابتعت من تركةِ سليمان بمائة ألف ، فخرجتُ بها إلى العراق فبعتها بمائتى ألف وحبست الصكّ .

فلما توفى عمر وولى يزيد بن عبد الملك أتيته بكتاب سليمان فأفخذ لى ما كان فيه .

كان بيدِ عمر بن عبد العزيز قبل الخلافة ضَيْمَةٌ المعروفة بالسَّهْلَة ، وكانت باليامة . وكانت لها غَلَّةٌ عظيمة كثيرة ، عَيْشُهُ وعَيْشُ أَهْلِهِ منها .

فلما وَلِيَ الخِلافة قال لمُزاحم مولاة : إني عَزَمْتُ أن أَرُدَّ السَّهْلَة إلى بيتِ مالِ المسلمين . فقال مُزاحم : أتدرى كم وَلَدْتُكَ ؛ إنهم كذا وكذا ! .

فذَرَفَتْ عَيْنَاه ، فجعل يمسح الدَّمْعَةَ بإصبعه الوسطى ، و يَقْرُل : أ كَلِمَهُمْ إلى الله ، أ كَلِمَهُمْ إلى الله .

فَضَى مُزاحم ، فدخل على عبد الملك ابنه ، فقال له : ألا تَعَلَّمُ ما قد عزم عليه أبوك ، إنه يريدُ أن يردَّ السَّهْلَة . قال : فما قلتَ له ؟ قال : ذكرتُ له ولده ؛ فجعل يَسْتَدْمِعُ ويمسح الدَّمْعَةَ بإصبعه الوسطى ، ويقول : أ كَلِمَهُمْ إلى الله .

فقال عبد الملك : بئسَ وزيرُ الدين أنت ! ثم وثبَ وانطلق إلى أبيه ، فقال للآذِن : استأذن لي عليه . فقال : إنه قد وضع رأسه الساعةَ للقائلة<sup>(١)</sup> . فقال : استأذن لي عليه . فقال : أما ترحونهُ ؟ ليس له من الليل والنهار إلا هذه الساعة . قال : استأذن لي عليه ، لَأُمِّ لَكِ !

فسمع عمر كلامهما ، فقال : ائذن لعبد الملك ، فدخل فقال : عَلَامَ عَزَمْتَ ؟

\* ابن أبي الحديد : ٤ - ١٤٧

(١) القائلة : نصف النهار ، والنوم في الظهيرة .

قال: أردت السهلة! قال: فلا تؤخر ذلك. قم الآن، فجعل عمر يرفع يديه، ويقول: الحمد لله الذي جعل من ذريتي من يُعيني على أمر ديني. نعم، يا بني؛ أصلي الظهر، ثم أصعد المنبر، فأرسلت علانية على رؤوس الناس.

قال: ومن لك أن تعيش إلى الظهر، ثم من...، أن تسلم نيتك إلى الظهر إن عشت!

فقام عمر، فصعد المنبر وخطب الناس، وردت السهلة.

## ٢٤ - أوارث أنتَ بنى أمية\*

قال أحمد بن موسى : ما رأيت رجلاً أثبتَ جناحاً من رجل رُفِعَ فيه عندَ المنصور<sup>(١)</sup> ، وقالوا : إنَّ عنده ودائعَ وأموالاً وسلاحاً لبنى أمية . فأمر المنصور حاجبه الربيع بإحضاره ، فأخضِرَ بين يديه .

فقال له المنصور : قد رُفِعَ إلينا أنَّ عندك ودائعَ وأموالاً وسلاحاً لبنى أمية ، فأخرجْ لنا ما عندك ، واحمل جميعَ ذلك إلى بيت المال . فقال الرجل : يا أميرَ المؤمنين ؛ أنت وارثُ بنى أمية ؟ قال : لا . قال : فوصيُّ أنت ؟ قال : لا . قال : فلمَ تسألُ عن ذلك ؛ فأطرقَ المنصور ساعة وقال : إنَّ بنى أمية ظلموا الناسَ وغصبوا أموالَ المسلمين ، وأنا أخذها فأردها إلى بيت المال للمسلمين . قال الرجل : يحتاج أميرُ المؤمنين إلى إقامةِ بينةٍ يقبلها الحاكم على أنَّ المالَ الذي لبنى أمية هو الذي في يدي ، وأنه هو الذي اغتصبوه من الناس ؛ وأميرُ المؤمنين يعلمُ أن بنى أمية كانت معهم أموالٌ لأنفسهم غيرُ الأموال التي اغتصبوها على ما يزعمُ أمير المؤمنين .

فسكت المنصورُ ساعة ثم قال : يا ربيع ؛ صدقَ الرجل ما يجب لنا عليه شيء ، ثم قال للرجل : ألك حاجة ؟ قال : نعم . قال : ما هي ؟ قال : أن تجمعَ بيني وبين

\* المختار من نوادر الأخبار .

(١) هو أبو جعفر عبد الله بن محمد ، ثاني خلفاء بني العباس وأعظمهم شدة وبأساً وقظة وبناتاً توفي سنة ١٥٨ هـ .

مَنْ سعى بى إليك ؛ فو الله يا أمير المؤمنين ما لبني أميةً عندي ودائع ولا مالٌ ولا سلاح ؛ ولما حضرتُ بين يدي أمير المؤمنين ، وعلمتُ ما هو عليه من العدل والإنصاف ، واتباع الحق ، واجتناب الباطل ، أيقنتُ أن هذا الكلام الذى صدر مني هو أنجحُ وأصلحُ لما سألتني عنه وأقربُ إلى الخلاص .

فقال المنصور للربيع : اجمع بينه وبين الرجل الذى اتهمه . ولما جرى بالرجل عرفه ، وقال : هذا غلامى أخذ لي خمسمائة دينار وهرب ، ولى عليه كتاب بها ، ثم استنطق المنصور الفلام ، فأقرّ أنه غلامه وأنه أخذ المال الذى ذكره مولاه ، وأبق<sup>(١)</sup> به ، وسعى بمولاه ليجرى عليه أمرُ الله ، ويسلم هو من الوقوع فى يده . فقال : يا أمير المؤمنين ؛ قد وهبتها له لأجلك ؛ وأدفعُ له خمسمائة دينار أخرى لحضوره مجلس أمير المؤمنين .

فاستحسن المنصورِ فعله ، وكان فى كل وقت يقول : يا ربيع ؛ ما رأيتُ من حاجتى مثله .

---

(١) أبق العبد : استغنى وذهب .

٢٥ - حذر عيسى بن موسى \*

لما خرج أبو جعفر المنصور يريد الحج بالناس ، قال لعيسى بن موسى <sup>(١)</sup> : أنت تعلم أن الخلافة صائرة إليك ، وأريد أن أسلم لك عمي وعمك عبد الله بن علي ؛ فخذها وأقتله : وإياك أن تبجن في أمره .

ثم مضى المنصور إلى الحج ، وكتب إليه من الطريق يستحثه على ذلك ، فكتب إليه : قد أنفذت أمر أمير المؤمنين ! فلم يشك أبو جعفر أنه قتله .

ودعا عيسى بن موسى كاتبه يونس ؛ فقال له : إن المنصور دفع إلى عمه ، وأمرني بقتله . فقال له : إنه يريد أن يقتلك به ؛ فقد أمرك بذلك سرّاً ، ويدعي عليك به علانية . والرأي أن تستر في منزلك ، ولا تطلع عليه أحداً ؛ فإن طلبه منك علانية ، دفعته إليه ، ولا تدفمه إليه سرّاً أبداً ! ففعل ذلك .

وقدم المنصور ؛ فدرس على عمومته من يحركهم أن يسأله أن يهب لهم أخاهم عبد الله ؛ ففعلوا ذلك ، واستشفعوا له . فقال : نعم ، على بعيسى بن موسى ، فأتاه .

فقال : يا عيسى ؛ كنت قد دفعت إليك عمي وعمك عبد الله قبل خروجي إلى الحج ، وأمرتك أن يكون في منزلك مكرماً ! قال : قد فعلت ذلك . قال : فدكلمني فيه عمومته ؛ فرأيت الصفح عنه ، فأتني به .

(\*) المستطرف : ١ - ٦٥

(١) هو عيسى بن موسى بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس ، ولد ونشأ بالحيرة من أرض الشام ، وكان من فحول أهله وشجعانهم وذوى النجدة والبأس فيهم .

قال : يا أمير المؤمنين ؛ ألم تأمرني بقتله ؛ قال : لا ، بل أمرتك بحبسه عندك .  
ثم قال المنصور لمُومته : إن هذا قد أقرّ لكم بقتل أخيكم ، وادّعى أني أمرته  
بذلك ! وقد كذب ! قالوا : دعه لنا نقتله . قال : شأنكم .

فأخرجوه إلى صحن الدار ، واجتمع الناس ، واشتهر الأمر ؛ فقام أحدُهم ،  
وشهّر<sup>(١)</sup> سيفه ، وتقدم إلى عيسى ليضربه ؛ فقال عيسى : لاتعجلوا ؛ فإن عمي حتى ،  
ردوني إلى أمير المؤمنين ، فردّوه إليه ، فقال : يا أمير المؤمنين ؛ إنما أردت بقتله  
قتلي ، هذا عمك حتى ، إن أمرتني بدفعه إليهم دفعتُه . قال : اثنتا به ، فأثى به ،  
فجماله في بيت ، فسقط عليه ، فمات .

وركب المنصور بعد موته ، وفي خدمته ابنُ لعمسه ، وكان يحادثُه ، فقال له :  
هل تعرفُ ثلاثة في أول أسماهم عين قتلوا ؟ قال : لا أعرفُ إلا ما تقولُ العامة  
يا أمير المؤمنين : إن علياً قتل عثمان ، وكذبوا والله ، وعبد الملك بن مروان قتل  
عبد الله بن الزبير ، وسقط البيتُ على عم أمير المؤمنين .

فضحك المنصور ، وقال : إذا سقط البيتُ على عمي ، فما ذنبي ؟ قلت :  
ما قلت لك ذنبٌ يا أمير المؤمنين !

(١) شهر سيفه : اتفاه فرغه .

٢٦ — يَقْظَةُ الْمَنْصُورِ \*

قال عُمَيْبَةُ الْأَزْدِيُّ : دخلتُ مع الجند على المنصور ، فارتابني <sup>(١)</sup> ، فلما خرج الجندُ أذَّناني ، وقال لي : من أنت ؟ فقلت : رجلٌ من الأزد ، وأنا من جند أمير المؤمنين ، قدمت الآن مع عمرو بن حفص .

فقال : إني لأرَى لك هيبَةً ، وفيك نَجَابَةٌ ، وإني أريدك لأمر ، وأنا به مَعْنِيٌّ ، فإن كَفَيْتَنِيهِ رَفَعْتُكَ . فقلت : إني لأرجو أن أصدقَ ظنَّ أمير المؤمنين في . فقال : أخفِ نفسك ، واحضري يوم كذا .

فغِيثُ عنه إلى ذلك اليوم وحضرتُ ، فلم يترك عنده أحداً ، ثم قال لي : اعلم أن بني عمناء هؤلاء قد أبوا إلا كيدَ ملكنا واغتيالَه ، ولم شِيعَةً بخراسان بقرية كذا ، يكاتبونهم ويرسلون إليهم بصدقات أموالهم وألطَافٍ <sup>(٢)</sup> بلادهم ، فخذ معك هَيِّفًا <sup>(٣)</sup> من عندي ، وألطافاً وكتباً ، واذهب حتى تأتي عبد الله بن الحسن ، فأقدم عليه متخشعاً ، واذكر له أن الکتبَ على ألسنة أهل تلك القرية ، والألطفَ من عندهم إليه . فإذا رآك فإنه سيردُّك ويقول : لا أعرفُ هؤلاء القوم ، فاصبر عليه وعاوِذَه ، واكشِفِ باطنَ أمرِه .

فأخذتُ كتبه والعينَ والألطفَ ، وتوجَّهتُ إلى جهة الحجاز ، حتى قدِمْتُ على عبد الله بن الحسن ، فلقيته بالکتبِ ، فأنكرها ونهرني ، وقال : ما أعرفُ

\* المستطرف : ٢ - ٩٤

(١) ارتببت فلاناً : اتهمته (٢) اللطفة : الهدية (٣) العين : المال ، وما ضرب

من الدنايير .

هؤلاء القوم . فلم أنصرف ، وعاودته القول ، وذكرت له اسم القرية وأسماء أولئك القوم ، وأن مى أطاقاً وعيناً .

فأنس بي ، وأخذ السكّاب ، وما كان مى ، فتركته ذلك اليوم ، ثم سأله الجواب ، فقال : أما كتابٌ فلا أكتب إلى أحدٍ ، ولكن أنت كتابى إليهم ، فأقرتهم السلام ، وأخبرهم أن ابني : محمداً وإبراهيمَ خارجان لهذا الأمر وقت كذا وكذا .

فخرجتُ من عنده ؛ وسرتُ حتى قدِمْتُ على المنصور ، فأخبرته بذلك ، فقال لى : إني أريدُ الحج ، فإذا صرتُ بمكان كذا وكذا ، وتلقاني بنو الحسن ، وفيهم عبد الله ، فإني أعظمه وأكرمه ، وأرفعه وأحضر الطعام ، فإذا فرغ من أكله ، وانظرتُ إليه ، فامتلئ بين يديّ ، وقِفْ قدامه ، فإنه سيصرف وجهه عنك ، فدُرْ حتى تقفَ من ورائه ، واغمز ظهره بإبهامك حتى يملأ عينيه منك ، ثم انصرف عنه ، وإياك أن يراك وهو يأكل .

ثم خرج المنصور يريدُ الحج ، حتى إذا قارب البلاد ، تلقاه بنو الحسن ، فأجلس عبد الله إلى جانبه ، فحاده ثم طلب الطعام للعداء ، فأكلوا منه ، فلما فرغوا أمر برفعه فرُفِعَ ، ثم أقبل على عبد الله بن الحسن ، وقال : يا أبا محمد ، قد علمتَ أن مما أعطيتني من العهود والمواثيق أنك لا تريدني بسوء ، ولا تكيدُ لى سلطاناً .

قال : فإنا على ذلك يا أمير المؤمنين .

ثم لحظني المنصور بعينه فقامتُ حتى وقفتُ بين يدي عبد الله بن الحسن ، فأعرضَ عني ، فدُرْتُ من خلفه ، وغمزت ظهره بإبهامى ، فرفع رأسه ، وملأ عينيه منى ،

ثم وثب حتى جثا بين يدي المنصور ، وقال : ألقى بأمر المؤمنين أقالك الله !  
فقال المنصور : لا أقالك الله إن لم أتك ، وأمر بحبسه ، وجعل يتطلب ولديه محمداً  
وإبراهيم ، ويستلم أخبارهما .

## ٢٧ - المنصور في ساحة القضاء\*

قال نعيم المدني : قديم علينا أمير المؤمنين المنصور المدينة ، ومحمد بن عمران  
الطلحي يتولى القضاء بها وأنا كاتبه ، فحضر جماعة من الجمالة<sup>(١)</sup> ، واستعدوه على  
أمير المؤمنين المنصور في شيء ذكره ، فأمرني أن أكتب إلى المنصور بالحضور  
معهم أو إنصافهم . فقلت له : أعنى من ذلك فإنه يعرف خطي . فقال : اكتب .  
فكبت وختمت . فقال : والله ما يميضي به غيرك ، فضيت به إلى الربيع حاجبه ،  
وجلت اعتذر إليه ، فقال : لا بأس عليك ! ودخل بالكتاب على المنصور .

ثم خرج الربيع ، فقال للناس - وقد حضر وجوه أهل المدينة والأشراف وغيرهم :  
إن أمير المؤمنين يقرأ عليكم السلام ويقول لكم : إنى دُعيت إلى مجلس الحكم ،  
فلا أحد منكم يقوم إذا خرجت ، ولا تبدعوني بالسلام .

ثم خرج وبين يديه المسيب<sup>(٢)</sup> والربيع وأنا خلفه ، وهو في إزار ورداء ،  
فسلم على الناس ، فما قام إليه أحد ، ثم مضى حتى بدأ بقبر النبي صلى الله عليه وسلم ،  
فسلم عليه ، ثم التفت ، فلما رآه ابن عمران القاضي أطلق رداءه عن عاتقه ، ثم

\* المقدم الفريد للملك السعيد : ١٧٠

(١) الجمالة أصحاب الجمال (٢) هو المسيب بن زهير ، كان على شرط المنصور والمهدى ببغداد  
وولاه المهدي خراسان ، ولم تطل فيها مدته ، وتوفي ببغداد سنة ١٧٥ هـ .  
(٥ - قصص العرب - ٣ )

احتبى به ، ودعا بالخصوم وهم الجمالة ، ثم دعا بالمنصور ، فادعى عليه القوم ، وقضى لهم عليه ، ثم انصرف .

فلما دخل المنصور الدار قال للربيع : اذهب ، فإذا قام القاضى من مجلسه فادعه . فلما دعاه ودخل على المنصور سلم عليه ، فردّ عليه السلام . وقال له : جزاك الله عن دينك وعن نبيك وعن حبيبك ، وعن خليفتك ، أحسن الجزاء ، قد أمرتُ لك بمشرة آلاف ، صيلةً لك فاقبضها .

فكانت عامّةُ أموال محمد بن عمران من تلك الصلة .

## ٢٨ - نَبِيٌّ كَمَا كَانَتْ أَوْلَانَا تَبْنِي \*

كان المنصور معجباً بمحاذثة محمد بن جعفر ، ولعظم قدره يفزع الناسُ إليه في الشفاعات ، فتعلُّ ذلك على المنصور ، فحجبه مدّة ، ثم لم يصبر عنه ، فأمر الربيعَ حاجبه أن يكلمه في ذلك ، فكلّمه وقال : أعفِ أميرَ المؤمنين ، ولا تُنقل عليه في الشفاعات ، فقبل ذلك منه .

فلما توجهَ إلى الباب اعترضه قومٌ من قريش ، معهم رقاعٌ <sup>(١)</sup> ، فسألوهُ إيصالها إلى المنصور ، فقصَّ عليهم القصةَ ، فأبوا إلا أن يأخذَها ، فقال : اقدفوها في كُمي . ثم دخلَ عليه ، وهو مشرفٌ على مدينةِ السَّلام ، وما حولها من البسانين ، فقال له : أما ترى إلى حسنِها يا أبا عبد الله ، فقال له : يا أمير المؤمنين ، بارك الله لك فيما آتاك ، وهناك ياتمُّ نعمته عليك فيما أعطاك ! فما بنتِ العربُ في دولة الإسلام ، ولا العجمُ في سالفِ الأيام أحصنَ ولا أحسنَ من مدينتك ، ولكن كرهتَها في عيني خصلَةٌ ! قال : وما هي ؟ قال : ليس لي ضيعةٌ ، فتبسّم ، وقال : قد حسنتُها في عينك بثلاث ضياعٍ قد أقطمتُكها ! فقال : لله درُّك يا أمير المؤمنين ! إنك شريف الموارِد ، كريم المصادر ؛ جعل الله تعالى باقِ عمرك أكره من ماضيه ، ثم أقام معه يومه ذلك .

فلما نهض ليقومَ بدتِ الرِّقاع من كُمِّه ، فجعل يردّها ويقول : ارجعن خائبات

خاسرات .

\* المجاني : ٣ - ١٩٥

(١) الرِّقاع : جمع رقعة : ما يكتب فيها .

فضحك للنصور ، وقال : بحقِّ عليك إلا أخبرتني وأعلمتني بخبر هذه الرِّقاع ؛  
فأعلمه ، فقال : ما أتيتَ يابنَ مُعَلِّم الخبير الا كريمةً ، وتمثّل بقول عبد الله بن  
معاوية :

لسنا وإن أحسابنا كرمُت يوماً على الأحساب نتكل  
بنى كما كانت أوائلنا تبني ونفعل مثل ما فعلوا  
ثم نصفح الرقاع ، وقضى حوائج أصحابها جميعاً .

٢٩ - هَمْدَانِي بَيْنَ يَدَيِ الْمَنْصُورِ \*

بينما كان المنصورُ جالساً في مجلسه المبنى على أعلى باب (١) خراسان ، من  
مدينته التي بناها ، وأضافها إلى اسمه ، مُشْرِفاً على دِجْلَةٍ جاءه سَهْمٌ عَائِرٌ (٢) سقط  
بين يديه ، فذَعِرَ منه ذُعراً شديداً ، ثم أخذه فجعل يقلبه ؛ فإذا مكتوب عليه بين  
الرَّيْثَيْنِ :

أَنْطَمَعُ فِي الْحَيَاةِ إِلَى التَّنَادِي (٣)  
وَتَحَسَّبُ أَنْ مَالِكَ مِنْ نَفَادِ  
سَتُسْأَلُ عَنْ ذُنُوبِكَ وَأَنْطَطَايَا  
وَتُسْأَلُ بَعْدَ ذَلِكَ عَنِ الْعِبَادِ  
ثم قرأ عند الرِّيشَةِ الأولى :

أَحْسَنْتَ ظَنِّكَ بِالْأَيَّامِ إِذْ حَسَنْتَ  
وَسَأَلْتَكِ اللَّيَالِي فَاعْتَرَزَتْ بِهَا  
وَلَمْ تَخَفْ سَوْءَ مَا يَأْتِي بِهِ الْقَدَرُ  
وَعِنْدَ صَفْوِ اللَّيَالِي يَحْدُثُ الْكَدَرُ  
ثم قرأ عند الرِّيشَةِ الأخرى :

هِيَ الْمَقَادِيرُ تَجْرِي فِي أَعْتَمِهَا  
يَوْمًا تُرِيكَ خَسِيسَ الْقَوْمِ تَرْفَعُهُ  
فَاصْبِرْ فَلَيْسَ لَهَا صَبْرٌ عَلَى حَالِ  
إِلَى السَّمَاءِ وَيَوْمًا تَخْفِضُ الْعَالِي  
وإذا على جانب السهم مكتوب : « هَمْدَانٌ مِنْهَا رَجُلٌ مَظْلُومٌ فِي حَبْسِكَ » !

• للسعودي : ٢ - ٢٣٢

(١) كان قد بنى على كل باب من أبواب المدينة في الأعلى من طاقه المقود مجلساً يشرف منه على ما يليه من البلاد من ذلك الوجه ، وكانت أربعة أبواب : فأولها باب خراسان أو باب الدولة لإقبال الدولة العباسية من خراسان ، ثم باب الشام ، وهو تلقاء الشام ، ثم باب الكوفة ، وهو تلقاء الكوفة ، ثم باب البصرة وهو تلقاء البصرة (٢) السهم العائر : الذي لا يدري من رماه (٣) يوم التنادي : يوم القيامة .

فبعث من فورهِ بعدةً من خاصَّته ، ففدَّشوا الحُبوسَ (١)؛ فوجدوا شيخاً في بنية من الحبس ، مؤثقالاً بالحديد ، متوجَّهاً نحو القبلة ، يرددُ قوله تعالى : « وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ » ؛ فسألوه عن بلده ، فقال . هَمْدَان .

فَحِيلَ ووضِع بين يدي المنصور فسأله عن حاله ، فأخبره أنه رجلٌ من أبناء مدينة هَمْدَان ، ومن أربابِ نَمَمِها ، ثم قال له : إن وَالِيكَ علينا دخل بلدنا ، ولي ضيعةٌ تساوي ألف ألف ، فأراد أخذها مني ، فامتنعتُ ، فكتبني بالحديد ، وحلني وكتب إليكَ : إني عاصٍ ؛ فطُرِحْتُ في هذا المكان .

فقال : مُنذُكم ؟ قال : منذ أربعة أعوام . فأمر بِفِكَ الحديد عنه ، والإحسان إليه ، وأنزله أحسنَ منزل .

ثم رُدَّ إليه ، وقال له : يا شيخ ؛ قد رَدَدْنَا عليك ضَيِّعَتَكَ بِخِزَاجِها ما عشت وعِشْنَا ، وأما مدينتُكَ هَمْدَان ، فقد ولَّيناكَ عليها ، وأما الوالي فقد حكَمناكَ فيه ، وجعلنا أمره إليك ؛ فجزاه خيراً ودعاه بالبقاء ، وقال : يا أمير المؤمنين ؛ أما الضيعةُ فقد قَبِلْتُها ، وأما الولاية فلا أصلح لها ، وأما واليك فقد عَفَوْتُ عنه .

فَأمر له المنصورُ بمالٍ جزيل ، وبرٍّ واسع ، وحمله إلى بلده مكرماً ، بعد أن صرفَ الوالي وعاقبه على ما جرى من انحرافه عن سُنَّةِ العدلِ والحق ، وسألَ الشيخَ مكاتبتَه في أخبار بلده ، وإعلامه بما يكون من وِلاته ، ثم أنشأ المنصور يقول :

من يصحب الدهرَ لا يأمنَ تَصَرُّفَه      يوماً ، وللدهرِ إخْلالاتٌ وإسْمار  
لكل شيء ، وإن دامت سلامته      إذا انتهى فله لا بدَّ إقصار

(١) الحُبوس : جمع حبس .

### ٣٠- أمير في مجلس القضاء\*

أنت امرأة يوماً شريك<sup>(١)</sup> بن عبد الله قاضي الكوفة، وهو في مجلس الحكم،  
فقلت: أنا بالله ثم بالقاضي! قال: مَنْ ظلمك؟ قالت: الأمير موسى بن عيسى عم  
أمير المؤمنين؛ كان لي بُستان على شاطئ الفرات، فيه نخل ورثته عن أبي، وقاسمتُ  
إخوتي، وبنيت بيني وبينهم حائطاً، وجعلتُ فيه رجلاً فارسياً يحفظُ النخل  
ويقوم به، فاشترى الأمير موسى بن عيسى من جميع إخوتي، وسأومني ورغبني،  
فلم أبعه؛ فلما كانت هذه الليلة بعث بخمسمائة غلام، فاقتلعوا الحائط؛ فأصبحتُ  
لا أعرف من نخلي شيئاً، واختلط بنخل إخوتي.

فقال: يا غلام! أحضر طينة<sup>(٢)</sup>، فأحضرها فحتمها، وقال: امضِ بها إلى بابه  
حتى يحضر مملك؛ فأخذها الحاجب، ودخل على موسى، فقال: قد أعدى<sup>(٣)</sup> القاضي  
عليك، وهذا خبئه؛ فقال: ادعُ لي صاحب الشرطة فدعا به، فقال: امضِ إلى  
شريك، وقل: يا سبحان الله! ما رأيتُ أعجبَ من أمرِك! امرأة ادعت  
دعوى لم تصح أعديتها على! قال صاحبُ الشرطة: إن رأى الأميرُ أن يُعفيني  
من ذلك! فقال: امضِ، ويَلَك! فخرج، وقال لعلمانه: اذهبوا واحلوا لي  
إلى حبس القاضي بساطاً وفراشاً، وما تدعوا الحاجة إليه، ثم مضى إلى شريك،

\* العقد الفريد للملك السعيد ١٧٢

(١) هو شريك بن عبد الله بن الحارث النخعي الكوفي، عالم فقيه، اشتهر بقوة ذكائه،  
وسرعة بديته، ولى قضاء الكوفة سنة ١٥٣ هـ، وكان مثالا للعدل والزهادة في قضائه، توفي  
سنة ١٧٧ هـ (٢) الطينة: القطعة من الطين (٣) أعدى عليه: أغان.

فلما وقف بين يديه أدّى إليه ما قاله موسى ؛ فقال لفلان المجلس : خذ بيده فضعه في الحبس . فقال صاحب الشرطة : والله قد علمت أنك تحبسنى ، فقدمتُ ما أحتاج إليه في الحبس .

وبلغ موسى بن عيسى الخبر ؛ فوجّه الحاجب إليه ، وقال له : رسولُ أدّى رسالةً أىُّ شيء عليه ؛ فقال شريك : اذهبوا به إلى رفيقه في الحبس ، فحبس .

فلما صلى الأمير العصر بمث إلى إسحاق بن الصباح الأشعثى وإلى جماعة من وجوه الكوفة من أصدقاء شريك ، وقال لهم : أبلغوه السلام ، وأعلموه أنه استخفّ بي . وأنى لستُ كالعامّة ؛ فمضوا إليه وهو جالس في مسجده بعد صلاة العصر ، فأبلغوه الرسالة ، فلما انقضى كلامهم ، قال لهم : ما أراكم جثتموني في جمع من الناس ، فكلمتموني ؟ مَنْ هاهنا من فتیان الحى ؟ فأجابته جماعة من الفتیان فقال : ليأخذ كل واحد منكم بيد رجل فيذهب به إلى الحبس ، ما أنتم إلا فِتْنَةٌ وجزاؤكم الحبس . قالوا له : أجادتُ أنت ؟ قال : نعم ، حتى لا تعودوا رسالةً ظالم . فحبسهم .

فركب موسى بن عيسى في الليلة إلى باب السجن ، وفتح الباب ، وأخرجهم كلهم ، فلما كان من الغد ، وجلس شريك للقضاء جاءه السجنان ، فأخبره ، فدعا بالقمطر<sup>(١)</sup> فختمه ، ووجّه به إلى منزله ، وقال لفلان : ائتني بثقل<sup>(٢)</sup> إلى بغداد ، والله ما طلبنا هذا الأمر منهم ، ولكن أكرهونا عليه ، ولقد ضمنوا لنا فيه الإعزاز إذ تقلدناه لهم ، ومضى نحو قنطرة الكوفة إلى بغداد ، وبلغ الخبر إلى موسى بن عيسى ، فركب في موكبه ، فلحقه ، وجعل يناشده الله ، ويقول : يا أبا عبد الله ؛

(١) القمطر : وعاء الكتب (٢) الثقل : المتاع .

تثبت ، انظر إخواني ، أتحبسهم ! قال نعم ، لأنهم مشوا لك في أمرٍ لم يَجْزُ لهم المشى فيه ، ولستُ بيارح أو يُردّوا جميعاً ، وإلا مضيت إلى أمير المؤمنين المهدي ، فاستغفرتُ مما قلدني ..

فأمر موسى بردّهم جميعاً إلى الحبس ، وهو واقفٌ مكانه حتى جاء السجان ، فقال : قد رجعوا جميعاً إلى الحبس ، فقال لأعوانه : خذوا بلجام دابته بين يدي إلى مجلس الحكم ، فمروا به بين يديه حتى أدخل المسجد وجلس في مجلس القضاء ، فجاءت المرأة المتظلمة ؛ فقال : هذا خصمك قد حضر ، فقال موسى وهو مع المرأة بين يديه : قبل كل أمرٍ أنا قد حضرت ، أولئك يخرجون من الحبس ، فقال شريك : أما الآن فنعم ! أخرِجهم من الحبس ، فقال : ما تقول فيما تدّعيه هذه المرأة ؟ قال : صدقت ، قال : تردُّ ما أخذت منها ، وتنبئ حائلها سريعاً كما كان . قال : أفعل ذلك ، قال لها : أبقى لك عليه دعوى ؟ قالت : لا ، وبارك الله عليك ، وجزاك خيراً . قال : قومي ، فقامت من مجلسه .

فلما فرغ قام وأخذ بيد موسى بن عيسى وأجلسه في مجلسه ؛ وقال : السلام عليك أيها الأمير ، أتأمرُ بشيءٍ ؟ فقال : بأيّ شيءٍ أمرٌ ؟ وضحك ، فقال له شريك : أيها الأمير ، ذاك الفعل حقُّ الشرع ، وهذا القول الآن حقُّ الأدب ؛ فقام الأمير وانصرف إلى مجلسه .

٣١ - قاضٍ يطلب إقالته من القضاء\*

نُقل أن عاقبة بن يزيد القاضى كان يلبى القضاء ببغداد المهديّ؛ فجاء في بعض الأيام وقت الظهر للمهديّ، وهو خالٍ، فاستأذنَ عليه، فلما دخل استأذنه فيمنّهُ يُسَمِّى إليه القمطر<sup>(١)</sup> الذى فيه قضايا مجلس الحكم، واستغفاه من القضاء، وطلب منه أن يُقبِلَه من ولايته.

فظن المهديّ أن بعضَ الأولياء قد عارضه في حُكْمه، فقال له في ذلك: إنا إن كان قد عارضك أحدٌ نُنكِر عليه. فقال القاضى: لم يكن شيء من ذلك. قال: فما سبب استغفائك من القضاء؟ قال: يا أمير المؤمنين؛ تقدّم لى خصمان منذ شهر في قضية مُشكِلة، وكلٌّ يدعى بينةً وشهوداً، ويُدلى بِمُجِجٍ تحتاج إلى تأمل وتلبّث، فرددت الخصوم رجاء أن يَصْطَلِحُوا وأن يظهِرَ الفصل بينهما، فسمع أحدهما أنى أحبُّ الرطب، فعمد - في وقتنا هذا وهو أول أوقات الرطب - فجمع رطباً لا يتهيأ الآن جمعٌ مثله لأمير المؤمنين، وما رأيت أحسنَ منه، ورشاً بوّابى بدرام على أن يَدْخِلَ الطَّبِقَ علىّ.

فلما أدخله علىّ أنكرتُ ذلك، وطردت بوّابى، وأمرتُ بردَّ الطبق، فردّه عليه.

\* القُد الفريد للملك السعيد: ١٧٠

(١) ما تصان فيه الكتب.

فلما كان اليوم تقدم الخصمان إلىّ فسا تساويا في عيني ولا قلبي ؛ فهذا  
يا أمير المؤمنين ولم<sup>(١)</sup> أقبل ، فكيف يكون حالي لو قبّلت ، ولا آمن أن تقع على  
حيلة في ديني ، وقد فسد الناس ؛ فأقلني يا أمير المؤمنين ، أقالك الله ، وأعفى ، عفا  
الله عنك .

### ٣٢ — أبو دُلّامة وابن أبي ليلى القاضى \*

شهد أبو دُلّامة لجارية له عند ابن أبي ليلى<sup>(٢)</sup> القاضى على أتانٍ نازعها فيهارجل ،  
فلما فرغ من الشهادة ، قال لابن أبي ليلى : أسمع ما قلتُ قبل أن آتيك ، ثم افض  
بما شئت . قال : هات ، فأنشده :

إنّ الناسُ غَطَّوْنِي تَغَطَّيْتُ عَنْهُمْ      وإنّ بَحَثُوا عَنِّي فَبِحَيْهِمْ مَبَاحِثُ  
وإنّ حَفَرُوا بَثْرِي حَفَرْتُ بِبَثْرِهِمْ      لِيُعْلَمَ يَوْمًا كَيْفَ تَلِكِ النَّبَاثُ<sup>(٣)</sup>

فأقبل القاضى على المرأة وقال : أتبيعيّني الأتان ؟ قالت : نعم . قال : بكم ؟  
قالت : بمائة درهم ! قال : ادفعوها إليها ، ففعلوا .

وأقبل على الرجل ، فقال : قد وهبتها لك . وقال لأبي دُلّامة : قد أمضيتُ  
شهادتك ، ولم أبحثُ عنك ، وابتعتُ من شهدت له ، ووهبت ملكي لمن رأيتُ .  
أرضيتَ ؟ قال : نعم ، وانصرف .

\* معاهد التنصيص : ١ - ٢١١ ، الأغاني : ١٠ - ٢٣٨ .

(١) جلة حالية ، والمعنى : فهذا ما حصل عندي ، مم أني لم أقبل منه الهدية .

(٢) ابن أبي ليلى هو محمد بن عبد الرحمن قاضى الكوفة . (٣) النباث : ما يستخرج من  
تراب البئر إذا حفرت .

### ٣٣ - صاحب شرطة المهدي مع الهادي \*

قال عبدُ الله بن مالك : كنت أتولى الشرطة للخليفة المهدي ، وكان يبعث إليّ في نُدماؤه ولده الهادي أن أضربهم وأحبسهم ، صيانةً للهادي عنهم ، فبعث إليّ الهادي يسألني الرفقَ بهم ، والتخفيفَ في أمرهم ، فلا ألتفتُ إلى ذلك ، وأمضى لما يأمرُ به المهدي . فلما ولي الهادي الخلافة أيقنتُ بالثأفِ ، فبعث إليّ يوماً ، فحضرتُ ودخاتُ عليه متكفناً مُتَحَنَظاً ، وإذا هو جالسٌ على كرسى والنطعُ والسيفُ بين يديه ، فسألتُ عليه ، فقال : لا سَلَّمَ اللهُ عليك ، تذكر يوماً بعثتُ إليك في أمرِ الحرّانيّ لَمَّا أمر أمير المؤمنين بضربه ، فلم تُجِبني ؟ وفي فلان وفلان - وجعل يمدُّ نُدماؤه .

قلتُ : نعم ، يا أمير المؤمنين ؛ أفتأذن لي أن أتكلم ؟ قال : نعم . قلت : أنشدتُك اللهُ ! أيسرُّك أنكَ وليتني ما ولاني أبوك وأمرتني بأمر ؛ فبعثت إليّ بعضُ ولدك بأمرٍ يخالفُ أمرَكَ فاتبعتُ أمره ، وعصيتُ أمرَكَ ؟ قال : لا . قلت : فكذلك أنا لك ، وكذلك كنتُ لأبيك .

فاستدنانى فقبلتُ يده ، فأمر بخلع أبيضت عليّ ، وخرجتُ من عنده ، وصرتُ إلى منزلي مفكراً في أمره وأمرى ، وقلت في نفسي : قد يحدثُ القومَ بالأمر الذي عصيته فيه ، وهم نُدماؤه ووزراؤه وكتابه ، فكأنني بهم قد أزالوه عن رأيه فيّ وحملوه في أمرى على ما كنتُ أمخوفه .

قال : فإني لجالس وبين يدي خُبْزٌ مَشْطُورٌ بِكَامَخٍ<sup>(١)</sup> ، وأنا أسْحَنُهُ وَأَطْعِمُهُ الصَّبِيَّةَ ، وإذا ضَجَّةٌ عَظِيمَةٌ ، حتى توهمتُ أن الدنيا قد أَقْبَلتْ وزُكِّلتْ من شدة وَقَعِ حَوَافِرِ الخَيْلِ والدَوَابِ ، وكَثْرَةِ الضَوْضَاءِ ، فقلت : هاه ! والله قد جاء الأمر ، وإذا البابُ قد فَتِحَ ، وإذا الخدمُ قد دخلوا ، وأميرُ المؤمنين الهادي في وسطهم . فلما رأيتُه وثبتُ من مجلسي مبادراً ، فقبَلْتُ يده ورجله . فقال لي : يا عبد الله ! إني فكرتُ في أمرِكَ بعد انصرافِكَ ، فقلت : يَسْبِقُ إلى قلبِكَ أني إذا جلستُ وحولِي أَعْدَاؤُكَ الذين أسأتَ إليهم أزالوا ما حَسَنَ من رأيي فيكَ ، فأقلَبَكَ ذلكَ وأوحشَكَ ، ومنعَكَ التَّراي ، فصرتُ إلى منزلِكَ لأُوَانِسَكَ ، وأعلمكَ أن الوَحْشَةَ قد زالتْ عن قلبِي ، فهاتِ فَأَطْعِمْنِي مما كنتَ تأكلُ ، وافعلْ فيه ما كنتَ تفعلُ ، حتى تعلمَ أن الوَحْشَةَ قد زالتْ ، وقد تحرَّمتُ<sup>(٢)</sup> بطعامِكَ ، وأُنستُ بمنزلِكَ ، ليزُولَ خَوْفُكَ ووحْشَتِكَ .

فَأَذْنَيْتُ مِنْهُ ذَلِكَ الرَّقَاقِ وَالسُّكْرُجَةَ<sup>(٣)</sup> التي فيها الكَامَخُ ، فأكلُ ؛ ثم قال : هاتوا ما أحضرتموه لعبد الله من مجلسي . فَأَذْخَلْتُ بِنَالٍ كثيرةٍ مَوْقَرَةٍ<sup>(٤)</sup> دراهم وأطعمة ، وقال : هذه لك فاستعِينْ بها ، وهذه البِئَالُ أيضاً ، وقد وليتكَ ما كان أبي قد ولاكَ . ثم انصرف ، وصرتُ بعد ذلك أَعِدُّ مِنْ صَنَائِعِهِ .

(١) الكامخ : نوع من الأدم (٢) تحرم منه بحرمته : تمنع وتحمي (٣) إناء صغير يؤكل فيه الشيء القليل من الأدم ، وهي فارسية ، وأكثر ما يوضع فيه الكوامخ ونحوها .  
(٤) أوفر داجه : حلها :

### ٣٤ - لا أفلح قاض لا يقيم الحق\*

كان عبيد بن ظبيان<sup>(١)</sup> قاضى الرشيد بالرقة - وكان الرشيد إذ ذاك بها - فجاء رجل إلى القاضى ، فاستعداه<sup>(٢)</sup> على عيسى بن جعفر ، فكتب إليه القاضى ابن ظبيان : « أما بعد ، أبى الله الأمير وحفظه وأتم نعمته ، فقد أتانى رجل فذكر أنه فلان ابن فلان ، وأن له على الأمير - أبقاه الله تعالى - خمسمائة ألف درهم ، فإن رأى الأمير أن يحضر مجلس الحكم ، أو يوكل وكيلاً يناظر خصمه ، أو يرضيه . فعل » .

ودفع الكتاب إلى رجل ، فأتى باب ابن جعفر ، فدفع الكتاب إلى خادمه . فواصله إليه ، فقال له : قل له : كل هذا الكتاب .

فوجع الرجل إلى القاضى ؛ فأخبره ، فكتب إليه : « أبقاك الله وأمتع<sup>(٣)</sup> بك ، حضر رجل يقال له فلان ابن فلان ، وذكر أن له عليك حقاً ، فسر معه إلى مجلس الحكم أو وكيلك إن شاء الله تعالى » .

ووجه الكتاب مع عونين<sup>(٤)</sup> من أعوانه ، فحضر باب عيسى بن جعفر ، ودفع الكتاب إليه فغضب ، ورمى به . فانطلقا ، فأخبراه فكتب إليه : « حفظك الله وأمتع بك ، لا بد أن تصير أنت أو وكيلك إلى مجلس الحكم ، فإن أبيت أنهيت أمرك إلى أمير المؤمنين - إن شاء الله » .

\* المقدم الفريد للملك السعيد : ١٧٤

(١) قاضى الرقة (٢) استعديت القاضى على الظالم : طلبت منه النصرة (٣) أبقاك الله ليستمتع بك (٤) العون : الظهير .

ثم وجّه الكتابَ مع رجلين من أصحابه ، ففعدا على باب عيسى بن جعفر حتى طلع ؛ فقاما إليه ، ودفعا إليه كتابَ القاضى ، فلم يقرأه ، ورمى به ، فعادَا فأبلغاه ذلك ، فحتمَ قِمَطْرُه (١) ، وأغلق بابَه ، وقعد فى بيته .

فبلغ الخبِرُ إلى الرشيد فدعاه ، وسأله عن أمره ، فأخبره الخبر ، فقال : يا أميرَ المؤمنين ، أعفنى من هذه الولاية ، فوالله لا أفلحَ قاضٍ لا يُقيم الحقَّ على القوىِّ والضعيف ، فقال له الرشيد : مَنْ يَمْنَعُكَ من إقامةِ الحقِّ ؟ فقال : عيسى بن جعفر ، فقال الرشيد لإبراهيم بن عثمان : مرَّ إلى دار عيسى بن جعفر ، واختمِ أبوابَه كلها ، لا يخرج منها أحدٌ ، ولا يدخل إليها أحدٌ ، حتى يخرجَ إلى الرجلِ من حقِّه ، أو يسيرَ معه إلى مجلسِ الحكمِ .

فأرسل إبراهيم إلى دارِ ابنِ جعفر بخمسمائة فارس ، وأغلق الأبوابَ كلها ، فتوهمَ عيسى بن جعفر أن الرشيد قد حدث عنده رأىٌ فى قتله ، ولم يعرف الخبر ، فجعل يكلمُ الأعوانَ من خلفِ الباب . وارتفع الصُّرَاخُ فى منزله ، وضجَّ النساءُ .

ثم قال لبعض الأعوان من غلمان إبراهيم : ادعُ لى أبا إسحاق لا كُلمه ، فأعلموه ، فجاء حتى وقفَ على الباب ، فقال له عيسى : وَيْحَكَ ! ما حالنا ؟ فأخبره خبر القاضى ابنِ ظبيان ، فأمر بإحضار خمسمائة ألف درهم من ساعته فأحضرت ، وأمر أن تُدْفَع إلى الرجل . فجاء إبراهيم إلى الرشيد فأخبره . فقال : إذا قبض الرجلُ ماله ، فافتح أبوابه ، وعرفه أن مارأيتَه من سيرتك مع القاضى ؛ فإياك ومعارضته .

---

(١) القمطر : ما يسان فيه الكتب .

٣٥ - الغادرُ مَخْذُولٌ \*

قال عمرو بن حفص مولى الأمين : دخلت على محمد الأمين في جوف الليل ،  
وكنتُ من خاصّته ، أصلُ إليه حيث لا يصل إليه أحد من مواليه وحشمه ،  
فوجدته والشمعُ بين يديه ، وهو يُفكّرُ ، فسلمتُ عليه فلم يردّ عليّ ، فعلتُ أنه  
في تدبير بعضِ أموره ، فلم أزل واقفاً على رأسه ، حتى مضى أكثرُ الليل . ثم رفع  
رأسه إلى فقال : أحضِر لي خزيمة بن خازم <sup>(١)</sup> ، فضيتُ إليه فأحضرته ، فلم يزل  
في مُناظرتِه حتى انقضى الليل ؛ فسمعتُ خزيمة وهو يقول : أنشدك الله يا أمير المؤمنين  
ألا تكون أول الخلفاء نكثَ عهده ، ونقضَ ميثاقه ، واستخفَّ بيمينه ، وردَّ رأَى  
الخليفة قبله . فقال : اسكت ؛ لله أبوك ! فعبد الله بن خازم <sup>(٢)</sup> كان أفضلَ منك  
رأياً وأكملَ نظراً حيث يجتمع فَحْلَان في هَجْمَةٍ <sup>(٣)</sup> .

ثم جمع وجوه القواد ، فكان يعرضُ عليهم واحداً واحداً ما اعتزمه قياً بونه ،  
وربما ساعده قوم ، حتى بلغ إلى خزيمة بن خازم ، فشاوره في ذلك ، فقال :  
يا أمير المؤمنين ؛ لم ينصحك مَنْ كذّابك ، ولم يفسدك من صدّقك ، لا تجرّئ  
القواد على الخلع فيخلموك ، ولا تحمّلهم على نكثِ العهد فينكثوا عهدك ويبيعتك ؛  
فإن الغادر مَخْذُولٌ والناكثُ مَفْلُوقٌ .

\* عصر المؤمن : ١ - ٢٠٤

(١) وال من أكابر القواد في عصر الرشيد والأمين والمأمون ، توفى سنة ٢٠٣ هـ .  
(٢) عبد الله بن خازم : كان من أشجع الناس ، له فتوح وغزوات ، وولى إمرة خراسان  
لبنى أمية ، توفى سنة ٧٢ هـ (٣) المجمة من الإبل : ما بين السبعين إلى المائة .

### ٣٦ — رجل يُقاضي المأمون \*

دخل رجلٌ على المأمون <sup>(١)</sup>، وفي يده رقعةٌ فيها مظلمةٌ <sup>(٢)</sup> من أمير المؤمنين، فقال: أمظلمةٌ مني! فقال الرجل: أفأخاطبُ يا أمير المؤمنين سواك! قال: وما هي ظلامتك؟ قال: إن سعيداً وكيلك اشتري مني جواهر بثلاثين ألف دينار. قال: فإذا اشتري سعيدٌ منك الجواهر تشكو الظلّامة مني! قال: نعم، إذ كانت الوكّالةُ قد صحّت منك. قال: لعل سعيداً قد اشتري منك الجواهر، وحمل إليك المال، أو اشتراه لنفسه؛ وعليه فلا يلزمني لك حقٌّ، ولا أعرفُ لك ظلّامة. فقال له: إن في وصيّةِ عمر بن الخطاب لقضاتكم: «البيّنةُ على من ادّعى، واليمينُ على من أنكر». .

قال المأمون: إنك قد عدّمت البيّنة؛ فما يجبُ لك إلا حلفَةٌ، ولئن حلقتها لآنا صادقٌ؛ إذ كنتُ لا أعرفُ لك حقّاً يلزمني. قال: إذن أدعوك إلى القاضي الذي نصبته لرعيّتك. قال: نعم! يا غلام، على يحيى بن أكرم <sup>(٣)</sup>، فإذا هو قد مثل بين يديّ، فقال له المأمون: اقضِ بيننا، قال: في حُكمهم وقضيّة؟ قال: نعم، قال: إنك لم تجعل ذلك مجلسَ قضاء. قال: قد فعلت.

#### \* عصر المأمون: ١ - ٣٤٦

(١) عبد الله المأمون بن هارون الرشيد من أعظم خلفاء بني العباس وعلماهم وحكّامهم، كان كريم الخلق عظيم الحلم محباً للعلم، ووثراً للحكمة، توفي سنة ٢١٨ هـ (٢) الظلمة: ما تطلبه عند الظالم، وكذلك الظلّامة. (٣) يحيى بن أكرم: قاض رفيع القدر، عالي الشهرة، من نبله الفقهاء، يتصل نسبه بأكرم بن صيفي حكيم العرب، ولاء المأمون قضاء البصرة وهو شاب، ثم قلده القضاء ببغداد. توفي سنة ٢٤٢ هـ.

قال : فإني أبدأ بالعامّة أولاً ليصلح المجلس للقضاء . قال : افعَل .  
ففتح الباب وقعد في ناحية ، وأذن للعامّة ، ثم دُعِيَ بالرجل المنتظَم ، فقال له  
يحيى : ما تقول ؟ قال : أقول : عليك أن تدعوَ بِمُحْضَى أميرِ المؤمنين المأمونِ .  
فنادى المنادى ؛ فإذا المأمون قد خرج ، ومعه غلام يحمل مُصَلّى ، حتى وقف على  
يحيى وهو جالس ؛ فقال له : اجلس ؛ فطرح المصلّى ليقعدَ عليها ؛ فقال له يحيى :  
يا أميرَ المؤمنين ؛ لا تَأْخُذْ على خَصْمِكَ شَرَفَ المجلس ، فطرح له مصلى ثم نظر  
في دَعْوَى الرجل ، وطالبَ المأمونَ باليمين خلفَ ، ووثب يحيى بمد فراغ المأمون  
من يمينه ، فقام على رجليه ؛ فقال له المأمون : ما أقامك ؟ فقال : إني كنتُ في حقِّ  
الله عزّ وجلّ حتى أخذتهُ منك ، وليس الآن من حقّي أن أَتَصَدَّرَ <sup>(١)</sup> عليك .  
ثم أمرَ المأمونُ أن يُحْصَرَ ما ادعى الرجل من المال ، وقال له : خذهُ إليك ،  
والله ما كنتُ أحلفُ على فِجْرَةٍ <sup>(٢)</sup> ؛ ثم أسمح لك بالمال فأفسدَ ديني وديناي، والله  
يعلم ما دفتُ إليك هذا المال إلا خوفاً من هذه الرعية ، لعلها ترى أنّي تناولتُك من  
وَجْهِ القُدْرَةِ ، وإنها لتعلم الآن أنّي ما كنتُ أسمحُ لك باليمين وباللِمال .

(١) أتصدر : أتقدم . (٢) حلف على فجرة : إذا ركب أمراً فيبجأ من يمين كاذبة أو كذب .

٣٧ — لا يخلو أحدٌ من شَجَن<sup>(١)</sup> \*

دخل طاهر بن الحسين<sup>(٢)</sup> على المأمون ذات يوم في حاجة ، وكان المأمون - فيما قيل - في مجلس شراب ، فأمر برطلين من النبيذ ، ثم بكى المأمون ، واغرو زرقته عيناه ، فقال له طاهر : يا أمير المؤمنين ؛ لِمَ تبكي لا أبكي الله عينك ! فوالله ، لقد دانت لك البلاد ، وأذعن<sup>(٣)</sup> لك العباد ، وصرت إلى المحبة في كل أمرك . فقال : أبكي لأمرٍ ذكره ذلٌّ ، وسرته حزن ، ولن يخلو أحدٌ من شَجَن ، فتكلمت بحاجة إن كانت لك .

فما زال طاهر بعد ذلك يتخذ الوسائل إلى معرفة السبب ، حتى وُفقَ بالمال إلى إغراء ساقى المأمون أن يتعرف كنه ذلك السبب .

فلما تندى المأمون ذات يوم قال لساقيه : يا حسين ؛ اسقني ، قال : لا والله لا أسقيك أو تقول : لم بكيت حين دخل عليك طاهر ؟ قال : يا حسين ؛ وكيف عنيت بهذا حتى سألتني عنه ؟ قال : لِنَمَى بذلك . قال : هو أمرٌ إن خرج من رأسك قتلتك ، قال : ياسيدي ؛ ومتى أخرجتُ لك سرّاً ! قال : إني ذكرت محمداً أخى ، وما ناله من الذلة ، فحنقتني العبرة فاسترحت إلى الإفاضة ؛ وإن يفوت طاهراً منى ما يكره

فأخبر حسين الساقى طاهراً بذلك فركب طاهر<sup>(٤)</sup> إلى أحمد بن أبي خالد - وهو وزير

\* عصر المأمون : ١ - ٢٧٠

(١) الشجن : الهم والحزن . (٢) كان طاهر بن الحسين قائداً من قواد المأمون ، وهو الذي تولى قتل الأمين ونصب رأسه سنة ١٩٨ هـ . (٣) أى خضعوا لك .

المأمون - فقال له : إن الثناء مني ليس بريخيص ، وإن المعروف عندى ليس بضائع ،  
فضيبنى عن عين المأمون . فقال : سأفعل ؛ فبكر على غداً .

وركب ابنُ أبي خالدٍ إلى المأمون ، فلما دخل عليه قال له : ما نمتُ الليلة ،  
فقال له : ولمَ وَيَحْكُ ا قال : لأنك وليتَ غسانَ خراسان وهو ومن معه أكلتُ  
رأس<sup>(١)</sup> ، فأخافُ أن يخرج عليك خارجة من الترك فيصطلمه<sup>(٢)</sup> .

قال : لقد فكرتُ فيما فكرتَ فيه . آفن ترى ؟ قال : طاهر بن الحسين -  
قال : ويحك يا أحمد ! قال : أنا الضامن له . قال له فأنفذه<sup>(٣)</sup> .

فدعا بطاهر من ساعته ، وجعله حاكماً على خراسان .

---

(١) يريد أن عددتم قليل ، يشبههم رأس واحد . (٢) اصطلمه : استأصله .  
(٣) المراد : أرسله ، ونفذ رأيك :

### ٣٨ - كيف يعتذرُ إنسانٌ من كلام تكلم به!\*

حدّث أحمد بن أبي خالد الأحول أنه سمع المأمونَ يوماً - وعنده علي بن هشام ، وأخواه - ذكر عمرو بن مسعدة<sup>(١)</sup> ، وقال : أَيْسَبُ عَمْرُو أُنَى لَا أَعْرِفُ أَخْبَارَهُ ، وَمَا يُجَنَّبِي إِلَيْهِ ، وَمَا يَعَامَلُ بِهِ النَّاسُ ! بَلَى وَاللَّهِ ، وَنَهَضَ وَانصرفتنا .

فقصدتُ عمرواً من ساعتى ، فخبّرته بما جرى ، وأنسيتُ أن أستحلّه من حكايته عني ، فراح عمرو إلى المأمون ، فظنّ المأمونُ أنه لم يحضُرْ إلا لأمرٍ مهمّ ، لموقعه من الرسائل والمظالم والوزارة ، فأذن له .

فلما دخل عليه وضع سيفه بين يديه ، وقال : يا أمير المؤمنين ؛ أنا عائذُ بالله من سُخْطِهِ ، ثم عائذ بك من سُخْطِكَ يا أمير المؤمنين ، أنا أقلُّ من أن يشكروني أمير المؤمنين إلى أحد ، أو يُسرَّ عليّ ضيفاً يبعثه بعضُ الكلام على إظهار ما يظهر منه .

فقال : وما ذاك ؟ فخبّره عمرو بما بلّغه ، ولكنّه لم يُسمِّ له مُخْبِرَهُ . فقال المأمونُ : لم يكن الأمرُ كما بلّغتك ، وإنما كانت جملةً من تفصيلٍ كنتُ كلّي أن أخبرك به ، وإنما أخرج مني ما خرج معني تجار ينسأه ، وليس عندي إلا ماتحِبُّ ، فليفرخ روعك<sup>(٢)</sup> ، وليجسُنْ ظنك . فأعدت الكلام ، فما زال يسكنُ مني ، ويطيب من

\* عصر المأمون : ١ - ٣٤٢

(١) وزير المأمون وأحد الكتاب البلغاء توفي سنة ٢١٧ هـ (٢) ليفرخ روعك : ليذهب رعبك وفرعك ، فإن الأبر ليس على ما تحاذر . قال الأزهرى : كل من لقيته من اللغوئين يقول : أفرخ روعه - بفتح الراء من روعه - إلا ما أخبرني به المنذرى أنه كان يقال : إنما هو أفرخ روعه - بضم الراء .

نفسى ، حتى ذهب بعض ما كان فى قلبى ، ثم بدأ فضّنى إلى نفسه ، وقبّلت يده ، فأهوى ليماتنى ؛ فشكرته ، وتبينتُ فى وجهه الحياء والخجل مما تأدّى إلى .

قال أحمد : فلما غدوتُ على المأمون ، قال لى : يا أحمد ؛ أما مجلسى حُرمةً ! قلتُ : يا أمير المؤمنين ؛ وهل الحُرَم إلا لما فصل عن مجلسك ! قال : ما أراكم ترَضون بهذه المعاملة فيما بينكم ! قلت : وأية معاملة يا أمير المؤمنين ؟ هذا كلام لا أعرفه ؛ قال : بلى ، أما سمعت ما كُنّا فيه أمس من ذكر عمرو !

ذهب بعض من حضر من بنى هاشم فخبّره به ، فراح إلى عمرو ومُظهِراً منه ما وجب عليه أن يُظهِره ، فدفعتُ منه ما أمكن دَفَعُهُ ، وجعلتُ أعتذرُ إليه منه بعذرٍ قد تبين فى الخجلُ منه ، وكيف يكونُ اعتذارُ إنسان من كلام قد تكلم به ! ألا يتبين فى عينيه وشفتيه ووجهه ! ولقد أعطيتُهُ ما كان يقنع منى بأقل منه ، وما حدّانى عليه <sup>(١)</sup> إلا ما دخلنى من الخساسة ، وما كان قد نطق به اللسان من غير روية ولا احتمال مكروه به .

قلت : يا أمير المؤمنين ؛ أنا أخبرتُ عمراً به ، لا أحد من ولد هاشم ؛ فقال : أنت ! قلت : أنا ، فقال : ما حملت على ما فعلت ؟ قلت : الشكرُ لك والنصحُ والمحبة لأن تمّ نعمتُك على أوليائك وخدمك ؛ أنا أعلم أن أمير المؤمنين يُحبُّ أن يصلح له الأعداء والبُعداء ، فكيف الأولياء والأقرباء ! ولا سيما مثل عمرو فى دُنُوّه من الخدمة وموقعه من العمل ، ومكانه من رأى أمير المؤمنين ، أطال الله بقاءه !

سمعتُ أمير المؤمنين أنكر منه شيئاً فخبّرتُه به ليُصلحَه ، ويقومَ من نفسه أودّها لسيدّه ومولاه ، ويتلافى ما فرط منه ، ولا يفسده مملّه ؟ وإنما يكون ما فعلتُ

(١) ما حدّانى : ما بهتني وحلنى .

عَيْبًا ، لَوَأْشَعْتُ سِرًّا فِيهِ قَدْحٌ<sup>(١)</sup> فِي السُّلْطَانِ ، أَوْ نَقَضْتُ تَدْيِيرَ قَدِ اسْتَنْبَ ، فَأَمَّا  
مِثْلُ هَذَا فَمَا حَسْبَتْهُ يَبْلُغُ أَنْ يَكُونَ ذَنْبًا عَلِيًّا .

فَنظَرَ إِلَى مَلِيًّا ، ثُمَّ قَالَ : كَيْفَ قُلْتَ ؟ فَأَعَدْتُ عَلَيْهِ : ثُمَّ قَالَ : أَعِدْ ، فَأَعَدْتُ ،  
فَقَالَ : أَحْسَنْتَ وَاللَّهِ يَا أَحْمَدُ ، لَمَّا خَبَّرْتَنِي بِهِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَلْفِ أَلْفٍ ، وَأَلْفِ أَلْفٍ ،  
وَأَلْفِ أَلْفٍ .

وَعَقَدَ خِنْصِرَهُ وَبِنَصْرَهُ وَالْوَسْطَى ، ثُمَّ قَالَ : أَمَا أَلْفِ أَلْفٍ فَلَنْتَفِيكَ عَنِّي سَوْءَ  
الظَّنِّ - وَأَطْلُقُ وَسُطَاهُ - وَأَمَا أَلْفِ أَلْفٍ فَلِصِدْقِكَ إِيَّايَ عَن نَفْسِكَ - وَأَطْلُقُ  
الْبِنَصْرَ - وَأَمَا أَلْفِ أَلْفٍ فَلِحُسْنِ جَوَابِكَ - وَأَطْلُقُ الْخِنْصَرَ - وَأَمْرًا لِي بِمَالٍ .

---

(١) قَدْحٌ : عَيْبٌ .

### ٣٩ — غَرَسُ يَدِي وَإِنْفُ أَدْبِي \*

قال رجل من إخوة المأمون للمأمون : يا أمير المؤمنين ، إنَّ عبدَ الله بن طاهر<sup>(١)</sup> يميل إلى ولد أبي طالب ، وكذا كان أبوه قبله ؛ فذفع المأمون ذلك وأَنْكَرَهُ ، ثم عاد بمثل هذا القول .

فدسَّ المأمون إلى عبد الله بن طاهر رجلاً . ثم قال له : امضِ في هيئة القُرَّاء والنَّسك إلى مصر ، فادعُ جماعةً من كبارها إلى القاسم بن إبراهيم بن طباطبا ، واذكُرْ مناقبه وعلمه وفضائله ، ثم صِرْ بعد ذلك إلى بعضِ بطانة عبد الله بن طاهر ، ثم اتَّهِ فادعُهُ ورَغِّبْهُ في استجابته له ، وابحثْ عن دَفِينٍ نِدْبَتُهُ بِحَنَّا شافِيًا ، واثْنِي بما تَسْمَعُ منه .

ففعل الرجلُ ما قال له وأسرَّه به ، حتى إذا دعا جماعةً من الرؤساء والأعلام قعد يوماً بباب عبد الله بن طاهر ، ودفع رُقْعَةً إلى الحاجب ليوصلها إليه ، فأذن له ، فأدخله عليه وهو قاعد على بساطه ما بينه وبين الأرض غيره ، وقد مدَّ رجله وخُفَّاهُ غيماً ، فقال له : قد فهمتُ ما في رُقْعَتِكَ من جملة كلامك ، فهاتِ ما عندك .

قال : ولى أمانك وذمة الله معك ؟ قال : لك ذلك .

فأظهر له ما أراد ، ودعاه إلى القاسم فأخبره بفضائله وعلمه وزُهدِهِ ، فقَالَ له عبد الله : أَتُنصِفُنِي ؟ قال : نعم ، قال : هل يجب شكر الله على العبادِهِ ؟ قال : نعم ،

\* عصر المأمون : ١ - ٣٣٧ .

(١) عبد الله بن طاهر : من أشهر الولاة في العصر العباسي ، ولاه المأمون خراسان ، كان عالي

الهمة شهياً نبيلاً توفي سنة ٢٣٠ هـ .

قال : فهل يجب شكرُ بعضهم لبعض عند الإحسان والمنّة والتفضل ؟ قال : نعم .

قال : فتجئُ إليّ وأنا في هذه الحال التي ترى ؛ لي خاتم في المشرق وفي المغرب ، وفيما بينهما أمرى مطّاع وقولى مقبول ، ثم ما التفتُ يميني ولا شمالي وورائي وقدامي إلا رأيتُ نعمةً لرجل أنعمَها عليّ ، ومنةً طوّقَ بها رقبتي ، وبدأ لأمنحةً بيضاء ابتدأني بها تفضلاً وكرماً ، فتدعوني إلى الكُفْرِ بهذه النعمة وهذا الإحسان ! وتقول : اغدِرِ بمن كان أولاً لهذا وآخرًا ! واسعَ في سفكِ دَمِهِ ! تراك لو دعوتني إلى الجنة عياناً من حيث أعلم ، أكان الله يُحبُّ أن أغدِرَ به وأكُفِرَ بإحسانه ومنّته ، وأنكُتَ بيّعتَه !

فسكت الرجل ، فقال له عبد الملك : أما إنه قد بلغني أمرُك ، وتالله ما أخاف عليك إلا نفسك ، فارحل عن هذا البلد ؛ فإن السلطانَ الأعظمَ إن بلغه أمرُك - وما آمن ذلك عليك - كنتَ الجانيَ على نفسك ونفسِ غيرك .

فلما يئس الرجل مما عنده جاء إلى المأمون فأخبره الخبر ، فاستبشر وقال : ذلك غرسُ يدي وإلفُ أدبي .

٤٠ — غَسَّانُ بنُ عَبَّادٍ وَعَلِيُّ بنِ عَيْسَى \*

كان بين غسان بن عباد وعلى بن عيسى عداوةً عظيمةً ، وكان عليّ بن عيسى ضامناً<sup>(١)</sup> أعمال الخراج والضّياح ببلده ؛ فبقيت عليه بقية مبلغها أربعون ألف دينار ، فألحّ المأمون عليه بطلمها ، إلى أن قال لعلی بن صالح الحاجب : أمهلهُ ثلاثة أيام ؛ فإن أحضر المال وإلا فاضرب به بالسياط حتى يؤدّي المال أو يتلف .

فانصرف علي بن عيسى من دار المأمون آيساً من نفسه ، وهو لا يدري وجهاً يتّجه إليه ، فقال له كاتبه : لو عرّجت علي غسان بن عباد وعرفته خبرك لرجوت أن يهينك على أمرك ، فقال له : على ما بيني وبينه من العداوة ! قال : نعم ، فإن الرجل أريحيّ كريم .

فدخل علي غسان ، فقام إليه وتلقاه بالجميل ، وأوفاه حقه من الخدمة ، ثم قال له : الحال الذي بيني وبينك كما علمت ، ولكن دخولك إلى داري له حرمةٌ توجب بلوغ ما رجوته مني ، فإن كانت لك حاجةٌ فاذْكُرْها .

فقصّ عليه القصة ؛ فقال أرجو أن يكفيك الله تعالى ، ولم يزد علي ذلك شيئاً . فنهض علي بن عيسى ، وخرج آيساً نادماً على قصد غسان ، وقال لكاتبه : ما أفدّنتي بالدخول على غسان غير تعجيل الشّامةِ والهوان .

فلم يصل علي بن عيسى إلى داره حتى حضر إليه كاتبُ غسان ومعه البغالُ عليها مال ، فتقدّم وسلّمه .

\* ثمرات الأوراق : ٢ - ٣٠ .

(١) ضمن الشيء : كفله .

وبكر إلى دار أمير المؤمنين ، فوجد غسان قد سبقه إليها ، ودخل على المأمون وقال : يا أمير المؤمنين ؛ إن لعليّ بن عيسى بحضرتك حرمةً وخدمةً وسالف أصل ، ولقد لحقه من الخسران في ضمانه ما تعارفه الناس ؛ وقد توعدته بضرب السياط بما أطار عقله وأذهب لبّه ؛ فإن رأى أمير المؤمنين أن يميزني على حسنِ كرمه بيهض ما عليه ؛ فهي صنّعة يجدها على تحرّس ما تقدّمها من إحسانه ؛ ولم يزل يتلطف إلى أن حطّ عنه النصف ، واقتصر على عشرين ألف دينار .

فقال غسان : على أن يجدّد عليه أمير المؤمنين الضمان ، وبشرّفه بخِلعةٍ تقوّى نفسه ، وترهّف عزمه ، ويعرف بها مكان الرضا عنه . فأجابه المأمون إلى ذلك .

قال : فيأذن أمير المؤمنين أن أحمل الدواة إلى حضرته ليوقع بما رآه من هذا الإنعام ! قال : افعّل ، فحمل الدواة إلى أمير المؤمنين ، فوقع بذلك . وخرج على ابن عيسى بالخِلعة ، والتوقيع بيده .

فلما حضر على بن عيسى إلى داره حمل من المبال عشرين ألف دينار ، وأرسلها إلى غسان ، وشكر له جميلَ فعله معه . فقال غسان لكتابه : والله ما شفعتُ عند أمير المؤمنين إلا لتؤفّر عليه وينتفع بها ؛ فامض بها إليه ، فلما ردّها كتبه إلى عليّ ابن عيسى علم قدر ما فعل معه غسان ، فلم يزل يعرفها له إلى آخر العمر .

٤١ - فِطْنَةٌ\*

كان المعتضد<sup>(١)</sup> يوماً جالساً في بيت يُبْنَى له ، وهو يشاهد الصَّنَاع ، فرأى في جلتهم عبداً أسوداً مُنْكَرَ الخَلْق ، شديدَ اللَّوْح ، يصعد على السلالمِ مِرْقَاتين<sup>(٢)</sup> مِرْقَاتين ، ويحمل ضعف ما يحمل غيره . فَأَنْكَرَ أمرَه ، وأحضره ، وسأله عن سبب ذلك ، فَلَجَلَجَ<sup>(٣)</sup> . فقال لوزيره : قد خَمَنْتُ<sup>(٤)</sup> في هذا تخميناً ما أحسبه باطلاً ، إما أن يكونَ معه دنانيرٌ قد ظَفِرَ بها من غَيْرِ وجهها ، أو يكونَ لِحَاً يتَسَرَّ بالعمل . ثم قال : علىَّ بالأسود ، فأحضره وضربه ، وحلف إن لم يصدقه ليضربنَّ عنقه . فقال الأسود : ولى الأمان يا أمير المؤمنين ؟ قال : نعم ، إلا ما كان من حدٍّ ؛ فظنَّ أنه قد أَمَنَهُ .

فقال : كنتُ أعملُ في أتونِ الأجرِ منذ سنين ، فأنا منذ شهرٍ جالسٌ إذ مرَّ بى رجلٌ في وسطه كيسٌ ؛ فبتعتُه وهو لا يعرف مكانى ، فحلَّ الهِمِيَّانَ<sup>(٥)</sup> ، وأخرج منه ديناراً ، فتأملته فإذا كلُّه دنانير ، فكتفتُه ، وسدَدْتُ فاه ، وأخذت الهِمِيَّانَ ، وحملتُه على كتفى ، وطرحته في التَّنور ، وطيَّنتُ عليه . فلما كان بعد أيامٍ أخرجتُ عظامه وطرحتها في دجلة ، والدنانير معى تقوى قلبى .

فأرسل المعتضد من أحضر الدنانير ، وإذا على الكيس : « لفلان ابن فلان » فنادى في المدينة ، فحضرت امرأته ، وقالت : هذا زوجى ، وقد ترك طفلاً صغيراً ، خرج في وقت كذا ومعه كيس فيه ألف دينار ، فغاب إلى الآن ، فسلم الدنانير إليها ، وضرب عنق الأسود ، وأمر أن يوضع في الأتون .

\* نهاية الأرب : ٣ - ١٥٠

(١) بويح المعتضد للخلافة سنة ٢٧٧ وتوفى سنة ٢٨٠ هـ . (٢) السلالم : جمع سلم ،  
والمرقاة : الدرجة . (٣) اللجلجة . التردد . (٤) التخمين : القول بالحدس والظن .  
(٥) الهميان : وعاء للمراحم .

٤٢ — لا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ\*

قال عبد الرحيم بن القاضي إسماعيل بن إسحاق : كان في حِجْرِ أَبِي يَتِيمٍ فَبَلَغَ ،  
وله أمٌ ، وأختها في دار الخليفة المعتض بالله ، فقالت أمُّ اليَتِيمِ لأختها : كَلِّمِي  
أمير المؤمنين حتى يرفعَ إسماعيلُ القاضي الحِجْرَ عن وُلْدِي . فكلَّمته ، فدعا  
المعتضد عبيد الله بن سليمان بن وهب وزيره ، وقال له : قُلْ لإسماعيل القاضي يَفْكُ  
الحِجْرَ عن فلان . فقال القاضي : حتى أسألَ عنه ، وقام فسألَ عنه ، فلم يُخْبِرْ عنه  
برُشْدٍ ، فتركه .

ومضت على ذلك أيام ، فرجعت والده الصبيَّ إلى أختها ، وسألتهَا أن تعاوِدَ  
أمير المؤمنين ، وكان المعتضد لا يُعاوِدُ لخشونته ، فعاودته فقال : أَلَسْتُ قد أمرتُ !  
فقالت : لم يُرَفَعْ عنه الحِجْرُ بعد ، فدعا وزيره عبيد الله ثانيًا ، وقال : أمرتُك أن  
تأمرَ إسماعيلَ القاضي بأن يرفعَ الحِجْرَ عن فلان ! فقال : قد كنت قلت له ذلك ،  
فقال : حتى أسألَ عنه . فقال : قل له يرفع الحِجْرَ عنه . فدعا الوزير ثانيًا ، وقال له :  
أمير المؤمنين يأمرُك أن ترفعَ الحِجْرَ عن فلان .

فأطرق القاضي ساعةً ، ثم استدعى دَوَاةَ ورقة ، وكتب شيئًا وختمه ، فاستمظف  
الوزيرُ أن يَخْتَمَ عنه كتابًا ، ولم يقل له شيئًا لحلَّ إسماعيل من الوَرَجِ والعلم ، ثم  
دفع ذلك للوزير ، وقال له : توصل هذا إلى أمير المؤمنين فإنه جوابه .

فأخذَه الوزير ودخل على المعتضد ، وقال : زَعَمَ أن هذا جوابُ أمير المؤمنين !  
ففتح المعتضد الكتاب ، وقرأه وألقاه ، وقال : لا تعاوِذه في هذا . فأخذ عبيد الله

الوزير الكتاب، وإذا فيه : « بسم الله الرحمن الرحيم . يَادَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ ، فَأَحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ ، وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ » .

٤٣ — هشام بن عبد الرحمن الداخل وأحد صنائعه \*

كان هشام<sup>(١)</sup> بن عبد الرحمن الداخل قاعداً لراحته في عُيَّة<sup>(٢)</sup> على النهر في حياة والده ، فنظر إلى رجل كنانى من قدماء صنائعه من أهل جَيَّان<sup>(٣)</sup> ، قد أقبل يُوضِعُ<sup>(٤)</sup> السير في الهاجرة ؛ فأنكر ذلك ، وقد رُشراً وقع به من قِبَلِ أخيه سليمان — وكان والياً على جَيَّان — فأمر بإدخاله عليه ، فقال : مَهْمٌ<sup>(٥)</sup> يا كنانى ! فلا مَرٍ ما قدمت ! وما أحسبك إلا مزعجاً لشيء دَهَمَكَ .

فقال : نعم ياسيدى ، قَتَلَ رجلٌ من قومي رجلاً خطأً ، فقصدنى أخوك بالاعتداء ؛ إذ عرف مكانى منك .

فدَّ هشام يده إلى جارية كانت وراء الستر ، وقطعَ قِلَادَةً كانت في نحرها ، وقال له : دونك هذا المقديا كنانى ، وشراؤه على ثلاث آلاف دينار ، فلا تُخَدَّعَنَّ عنه ، وِبِعْهُ وأدِّ عن نفسك وعن قومك ، ولا تُتَمَكَّنِ الرجل من اهتضامك<sup>(٦)</sup> .

\* فجع الطيب : ١ - ١٥٧

(١) ولد هشام سنة ١٣٩ هـ وتوفى سنة ١٨٠ هـ ، وكان من أشرف الناس نقساً ، وأكرمهم طبعاً ، وأكملهم مهووة ، لم يعرف عنه هفوة في حديثه ، ولا زلة في أيام صباه ، وأهل الأندلس يشبهونه بعمر بن عبد العزيز . (٢) العلية : بالضم والكسر : العرفة . (٣) جيان : بلد بالأندلس . (٤) أوضع : أسرع . (٥) مهم : كلمة استفهام : أى ما حالك وما شأنك أو ما وراءك ؟ (٦) همض فلاناً واهتضمه : ظلمه وغصبه .

فقال : يا سيدي ؛ لم آتِكَ مُسْتَجِدِيًّا ، ولا لضيق المال عما حَمَلْتُهُ ، ولكنني قَصِدْتُ بظلم صُراحٍ أحببت أن يظهر عليّ عزُّ نصرِك ؛ وأثرُ ذَبِّكَ وامتصاصك فأتمَّجِدُ<sup>(١)</sup> بذلك عند من يحسدني على الانتماء إليك .

فقال هشام : فما وجهُ ذلك ؟ فقال : أن تكتبَ إليّ أخيك في الإمساك عني والقيام بذمتك لي . فقال : أُمسِكِ العِقْدَ ، وركب من حينه إلى والده الداخل ، واستأذن عليه في وقت أنكره ، فانزعج ، وقال : ما أتى بأبي الوليد في هذا الوقت إلا أمر مُقَلِّق ، ائذنوا له .

فلما دخل سلم عليه ، ومثَّلَ قائمًا بين يديه ، فقال له : اجلس يا هشام ، فقال : أصحح الله سيدي الأميرًا وكيف جلوسي بهمٍ . وذَلَّ مُزْعِجٍ اِوْحَقَّ لِمَنْ قَامَ مَقَامِي إِلَّا يَجْلِسُ إِلَّا مَطْمَئِنًا ، وإن يُقْعِدَنِي إِلَّا طَيْبُ نَفْسِي بِإِسْمَافِ الْأَمِيرِ لِحَاجَتِي ، وَإِلَّا رَجَعْتُ عَلَى عَقْبِي . فقال له : حَاشَ لَكَ مِنْ انْقِلَابِكَ خَائِبًا ، فاقعدُ مُجَابًا مَشْفَعًا ؛ فجلس ، فقال له أبوه : فما الحدَثُ المُقَلِّقُ ؟ فأعلمه ؛ فأمر بحملِ الدية عنه ، وعن عشيرته من بيت المال ؛ فسُرَّ هشام وأطنب في الشكر ، وكتب الأميرُ إلى ولده سليمان في ترك التعرّض لهذا الكِنَانِي .

ولما دخل الكِنَانِي لوداع هشام قال له : يا سيدي ، قد تجاوزت بك حد الأمانة ، وبلغتُ غايةَ النصر ، وقد أغنى الله عن العِقْدِ المبدول ، فتعيده إلى صاحبتة ؛ فأبى ذلك وقال : لا سبيل إلى رجوعه إلينا .

(١) تمَّجِدُ : تَفَاخَرُ ، وَأَظْهَرَ الْمَجْدَ .

## ٤٤ — قاضي لا يقبل شهادة خليفة\*

وَأَكَلَ سَعِيدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الدَّخْلَ عِنْدَ ابْنِ بَشِيرِ الْقَاضِي وَكَيْلَا يُحَاصِمُ عَنْهُ لَشَيْءٍ اضْطُرَّ إِلَيْهِ ، وَكَانَتْ يِيْدُهُ وَثِيْقَةً فِيْهَا شَهَادَاتٌ شَهُودٌ قَدْ مَاتُوا ، وَلَمْ يَكُنْ فِيْهَا مِنْ الْأَحْيَاءِ إِلَّا الْأَمِيرُ الْحَكَمُ وَشَاهِدٌ آخَرَ ، فَشَهِدَ لِسَعِيدٍ ذَلِكَ الشَّاهِدُ وَضُرِبَتْ عَلَى وَكَيْلِهِ الْأَجَالُ فِي شَاهِدِ ثَانٍ ، وَجَدَّ بِهِ الْخِصَامُ ، فَدَخَلَ سَعِيدٌ بِالْكِتَابِ عَلَى الْحَكَمِ ، وَأَرَاهُ شَهَادَتَهُ فِي الْوَثِيْقَةِ - وَقَدْ كَانَ كَتَبَهَا قَبْلَ الْخِلَافَةِ فِي حَيَاةِ أَبِيهِ - وَعَرَفَهُ حَاجَتَهُ إِلَى أَدَائِهَا عِنْدَ قَاضِيهِ خَوْفًا مِنْ بَطْلَانِ حَقِّهِ .

وَكَانَ الْحَكَمُ يَعْظُمُ سَعِيدًا عَمَّهُ وَيَلْتَزِمُ مَبْرَأَتَهُ ، فَقَالَ لَهُ : يَا عَمُّ ! إِنَّا لَسْنَا مِنْ أَهْلِ الشَّهَادَاتِ ، وَقَدْ التَّبَسْنَا مِنْ هَذِهِ الدُّنْيَا بِمَا لَا تَجْهَلُهُ ، وَنَخْشَى أَنْ تَوْقِفْنَا مَعَ الْقَاضِي مَوْقِفِ مَخْرَاقِ كَنَّا نَفْدِيهِ بِمَلَكْنَا ، فَصِرْ فِي خِصَامِكَ حَيْثُ صِيرَكَ الْحَقُّ إِلَيْهِ ، وَعَلَيْنَا رَدُّ مَا انْتَقَصَكَ .

فَأَبَى عَلَيْهِ وَقَالَ : سُبْحَانَ اللَّهِ ! وَمَا عَسَى أَنْ يَقُولَ قَاضِيكَ فِي شَهَادَتِكَ ، وَأَنْتَ وَلِيَّتُهُ ، وَهُوَ حَسَنَةٌ مِنْ حَسَنَاتِكَ ؟ وَقَدْ لَزِمَكَ أَنْ تَشْهَدَ لِي بِمَا عَلِمْتَهُ ، وَلَا تَكْتُمَنِي مَا أَخَذَ اللَّهُ عَلَيْكَ .

فَقَالَ : بَلَى ! إِنْ ذَلِكَ مِنْ حَقِّكَ كَمَا تَقُولُ ، وَلَكِنَّكَ تَدْخُلُ عَلَيْنَا بِهِ دَاخِلَةً ، فَإِنْ أَغْفَيْنَا مِنْهُ فَهُوَ أَحَبُّ إِلَيْنَا ، وَإِنْ اضْطَرَرْتَنَا لَمْ يُمْكِنَّا عَقُوقَكَ .

فَعَزَمَ عَلَيْهِ عَزْمًا مَنْ لَمْ يَشْكُ أَنْ قَدْ ظَفَرَ بِحَاجَتِهِ ، فَأَرْسَلَ الْحَكَمُ عِنْدَ ذَلِكَ إِلَى

فقبين من فقهاء زمانه ، وخطَّ شهادته بيده في قِرطاس ، وختم عليها بخاتمه ، ودفعا  
إلى الفقيين ، وقال لهما : هذه شهادتي بخطِّي ، فأدَّيأها إلى القاضي .

فأتياه بها إلى مجلسه وقتَ قعوده للسمع من الشهود ، فأدَّيأها إليه ؛ فقال لهما :  
قد سمعتُ منكما ، قوموا راشدين في حفظ الله !

وجاء وكيل سعيد ، وتقدم إليه مُدِّلاً واثقاً ، وقال له أيها القاضي ؛ قد شهد  
عندك الأميرُ - أصلحه الله تعالى - فما تقول ؟ فأخذ كتابَ الشهادة ونظر فيه ،  
ثم قال للوكيل : هذه شهادةٌ لا تقبلُ عندي ، فجيئني بشاهد عدل .

فدهش الوكيل ، ومضى إلى سعيد فأعلمه ، فركب من فورِهِ إلى الحكم ،  
وقال : ذهب سلطاننا ، وأزبل بهاؤنا ؛ أو يجترئُ هذا القاضي على ردِّ شهادتك ،  
واللهُ - سبحانه - قد استخلفك على عباده ، وجعل الأمر في دماهم وأموالهم إليك !  
هذا ما يجب أن تحمِّله عليه . وجعل يُفريه بالقاضي ويحرِّضه على الإيقاع به .

فقال له الحكم : وهل شككتُ أنا في هذا يا عمّ ! القاضي زجل صالح ،  
لا تأخذه في الله لومةُ لأم ، فملا ما يجبُ عليه ويلزمه ؛ وسدَّ دونه بابا كان يصعب  
عليه الدخول منه ، فأحسن الله جزاءه .

فغضب سعيد وقال : هذا حسي منك ! فقال له : نعم قد قضيتُ الذي كان  
لكَ علىّ ، ولستُ - والله - أعارضُ القاضي فيما احتاط به لنفسه ، ولا أخون  
المسلمين في قبض يدٍ مثله .



## البَابُ الثَّانِي

---

في القصص التي تصوّر احتفاظهم بأنسابهم ،  
واعترازهم بقبائلهم ، وتمجيدهم للأسلاف ، وتمديدهم  
ما تركوا من مآثر ، وما أدى إليه ذلك من  
مفاخرات ومنافرات .

٤٥ — خَاطَرْتُ عَلَى حَسْبِي وَحَسْبِكَ \*

خرج الحكم بن أبي العاصي ومعه عِطْرٌ يريد الحيرة . كان بالحيرة ، سوقٌ  
يجتمع إليها الناس كل سنة — فرّ في طريقه بحاتم بن — الله الطائي<sup>(١)</sup> ؛ فسأله  
الجوار في أرض طيِّ حتى بصيرَ إلى الحيرة ، فأجاره . ثم أمر حاتم بجزور ففحرت  
وطبخت ، ثم دعاهم إلى الطعام فأكلوا ، ولما فرغوا من الطعام طيَّبهم الحكم  
من طيبه .

وكان النعمان بن المنذر قد جعل لبني لأمٍ رُبْعَ الطريق طُعْمَةً لهم ؛ لأنَّ بنت  
سعد بن حارثة بن لأم كانت عنده .

ومرَّ سعد بن حارثة بحاتم ومعه قومه من بني لأم ، فوضع حاتم سُفْرَتَهُ وقال :  
اطعمُوا حيَّاكم الله ا فقالوا : مَنْ هؤلاء الذين معك يا حاتم ؟ قال : هؤلاء جيرانى ،  
قال له سعد : فأنت تُجِير علينا فى بلادنا ا قال له : أنا ابن عمِّكم وأحقُّ من لم  
تُخَفِّرُوا ذِمَّتَهُ . فقالوا : لست هناك ا وأرادوا أن يفضحوه ، ووثبوا إليه ، وتناول  
سعدُ حاتمًا ، فأهوى له حاتم بالسيف ، فأطار أرنبةً أنفه ، ووقع الشر حتى تماجزوا ،  
ثم قالتُ بنوُ الأم لحاتم : بيننا وبينك سوق الحيرة فما جدُّك<sup>(٢)</sup> ؛ ثم وضعوا نِسْمَةً  
أفراس رهنًا ، ووضع حاتم فرسه رهنًا عند رجل من كلب ، وخرجوا حتى اتهموا  
إلى الحيرة .

\* الأغانى : ١٦ - ٩٥

(١) حاتم الطائي : فارس شاعر ، جواد ، يضرب المثل بمجوده ، توفي نحو سنة ٤٥ ق . هـ

(٢) يقال : ماجده مجاداً : عارضه بالمجد فجدّه ، أى غلبه .

وسمع بذلك إياسُ بن قبيصةَ الطائيّ؛ فخاف أن يُعينهم النعمانُ بن المنذر وبقويهم بماله وسلطانَه للصَّهرِ الذي بينهم وبينه؛ فجمع رَهْطَه من بني حَيّة، وقال: يا بني حَيّة؛ إن هؤلاء القوم قد أرادوا أن يفضَّحوا ابنَ عمِّكم في مُمَجِدَتِهِ؛ فقال رجلٌ منهم: عندي مائةُ ناقةٍ سوداء، ومائةُ ناقةٍ حمراءُ أدْمَاءُ<sup>(١)</sup>؛ وقام آخر فقال: عندي عشرةُ حصن؛ على كلِّ حصانٍ منها فارسٌ مُدَجَّجٌ<sup>(٢)</sup> لا يُرَى منه إلا عيناه. وقال حسانُ بن جبلة الخير: قد علمت أن أبي قد مات وترك خيراً كثيراً، فعلى كلِّ خمر ولحم أو طعام ما أقاموا في سوق الحيرة؛ ثم قام إياس فقال: على مثلُ جميع ما أعطيتكم كلُّكم - وحاتمٌ لا يعلم بشيء مما فعلوا.

وذهب حاتمٌ إلى ابن عمه وهم بن عمرو - وكان مصارماً له لا يكلمه - فقالت له امرأته: أيّ وهم، هذا والله أبو سفانة - حاتم - قد طلَّع، فقال: مالنا وحاتم! أئْتبتي النظر، فقالت: هاهو. قال: ويحك! هو لا يكلمني، فما جاء به إلى؟ ثم نزل حتى سلَّم عليه، فردَّ سلامه وحيَّاه، ثم قال له: ميا جاء بك يا حاتم؟ قال: خاطرتُ على حَسَبِكَ وحسبي، قال: في الرَّحْبِ والسَّعة، هذا مالي وعِدَّتُهُ تَسْمَعَانَةُ بعير، فخذها مائة مائة حتى تذهب الإبل أو تصيب ما تريد<sup>(٣)</sup>.

ثم إن إياس بن قبيصة قال لقومه: احمِلوني إلى الملك - وكان به نقرس<sup>(٤)</sup> - فَحَمِلَ حتى أُدْخِلَ عليه، فقال: أنعم صباحاً، أيدتَ اللعن! فقال النعمان: وحيّاك

(١) الأدمة في الإبل: لون مشرب سواداً أو بياضاً، والأنتى: أدماء (٢) المدجج: الذي لبس سلاحه. (٣) وفي وهم يقول حاتم:

ألا أبلغا وهم بن عمرو رسالة  
رأيتك أدنى الناس منا قرابة  
إذا ما أتى يوم يفرق بيننا  
فإنك أنت المرء بالخير أجدر  
وغيرك منهم كنت أحبو وأنصر  
بموت فكن يا وهم ذو يتأخر

وذو بمعنى الذي في لغة طي.

(٤) النقرس: ورم ووجع في مفاصل الكمين وأصابع الرجلين.

إلهك . فقال إياس : أعمد أختانك <sup>(١)</sup> بالمال والخيل ، وجعلت بني ثعل في قمر  
الكِنانة ! أظن أختانك أن يصنعوا بحاتم كما صنعوا يعامر بن جوين <sup>(٢)</sup> ولم يشعروا  
أن بني حية بالبلد ! فإن شئت والله نأجر ناك <sup>(٣)</sup> حتى يسفح الوادي دماً ، فليحضروا  
مجادم <sup>(٤)</sup> غداً بجمع العرب .

فعرف النعمان الغضب في وجهه وكلامه ، فقال له : يا أحلمنا ، لا أنضب فإني  
سأ كفيك . وأرسل النعمان إلى سعد بن حارثة وإلى أصحابه ، وقال : انظروا  
ابن عمكم حاتماً فأرضوه ، فوالله ما أنا بالذي أعطيكم مالي تبذرونه ، وما أطيع  
بني حية .

فخرج بنو لأم إلى حاتم وقالوا له : اعرض عن هذا المجداد ندع أورش <sup>(٥)</sup> أنف  
ابن عمنا . قال : لا والله لا أفعل حتى تتركوا أفراسكم ويقلب مجادكم .  
فتركوا أورش أنف أصحابهم وأفراسهم وقالوا : قبحها الله وأبعدها ! فعمد إليها  
حاتم فقهرها وأطعمها الناس .

(١) أختان : جمع ختن ، وهو الصم (٢) كانت بنو لام فضحت عامر بن جوين في ماجدة .  
(٣) المناجرة : المناقاة (٤) ماجده مجاداً : عارضه بالمجد (٥) الأرش : الدينة .

٤٦ — لا تجملن هوازنا كمذحج\*

اجتمع يزيد بن عبد المدان وعامر بن الطفيل بموسم عكاظ ، وقدم أمية<sup>(١)</sup> ابن الأسكر الكناني ، وتبعته ابنة له من أجل أهل زمانها ؛ فخطبها يزيد وعامر فقالت أم كلاب امرأة أمية : مَنْ هذان الرجلان؟ فقال : هذا يريد بن عبد المدان ، وهذا عامر بن الطفيل ، فقالت : أعرفُ بني الديان<sup>(٢)</sup> ، ولا أعرفُ عامراً . فقال : هل سمعتِ بملاعب الأسنة<sup>(٣)</sup> ؟ فقالت : نعم ، قال : فهذا ابنُ أخيه .  
وأقبل يزيد يفاخر خصمه ، فقال : يا أمية ، إن ابنَ الديان صاحب الكتيبة ورئيس مذحج ، ومن كان يصبو أصابعه فتنطف<sup>(٤)</sup> دماً ، ويدلُّك راحتيه فخرجان ذهباً .

فقال أمية : بخ بخ ! مرعى ولا كالسعدان<sup>(٥)</sup> !

فقال يزيد : يا عامر ؛ هل تعلم شاعراً من قومي سار بمدحةٍ إلى رجل من قومك ؟ قال : اللهم لا !

قال : فهل تعلمُ أن شعراء قومك يرحلون بمدائحهم إلى قومي ، قال : اللهم نعم !

\* الأغاني : ١٠ - ١٣٨

(١) هو أمية بن حرتان بن الأسكر ، ينتهي نسبه إلى نزار ، وكان شاعراً فارساً مخضرمًا أدرك الجاهلية والإسلام ، وكان من سادات قومه وفرسانهم وله أيام مأثورة مذكورة .  
(٢) بنو الديان : قبيلة يزيد . (٣) ملاعب الأسنة : عامر بن مالك ، فارس قيس ، وأحد أبطال العرب في الجاهلية توفي نحو سنة ١٠ هـ . (٤) تنطف : تسيل . (٥) ذهب مثلاً ، والسعدان نبت من أفضل مراعيهم .

قال : فهل لكم بَنَجْمُ يمان أو بُرْدُ يمان أو سَيْفُ يمان أو رُكنُ يمان ؟ قال : لا ،  
قال : فهل ملكناكم ولم تملكونا ؟ قال : نعم .

فنهض يزيد وأنشأ يقول مخاطباً أبا البنت :

أحى يابن الأسكر بن مُدْلِجٍ لا تجعلن . هوازنا كتمذحجٍ  
إنك إن تلهج بأمرٍ تلججٍ ما النبعُ<sup>(٢)</sup> في مفرسه كالعوسج

\*ولا الصريح المحض كالمزج\*

فزوج أمية يزيد بن عبد اللذان أبنته ، ثم لجّ التهاجى بين الرجلين .

(٢) النبع شجر تتخذ منه القسي ، ومن أغصانه السهام

(١) بنو مدلج : قبلة من كنانة  
والعوسج : شجر من شجر الشوك .

٤٧ — يتنازحان الزمامة \*

لما أسنَّ أبو براء عامر بن مالك ، تنازع في الرياسة عامرُ بن الطفيل <sup>(١)</sup> ،  
وعَلَمَةُ <sup>(٢)</sup> بن عَلَانة .

فقال علقمة : كانت : لجدِّي الأخص وأبنا صارت لعمك بسببه ، وقد قعد  
عمك عنها ، وأنا أسترجعها ، فأنا أولى بها منك ؛ فشرى <sup>(٣)</sup> الشرَّ بينهما ، وسارا  
إلى المنافرة .

فقال علقمةُ : إن شئتَ نافرْتُك ، فقال عامر : قد شئتُ ، والله إني لأكرهُ  
منك حسباً ، وأثبتُ منك نسباً ، وأطولُ منك قصباً <sup>(٤)</sup> .

فقال علقمة : والله لأنا خيرُ منك ليلاً ونهاراً . فقال عامر : والله لأنا أنحرُ  
منك للقاح <sup>(٥)</sup> ، وخيرُ منك في الصباح ، وأطمُ منك في السنة الشياح <sup>(٦)</sup> .

فقال علقمة : أنا خيرُ منك أترأ ، وأحدُ منك بصراً ، وأعزُّ منك نفراً ،  
وأشرفُ منك ذِكراً .

---

\* الأغاني : ١٥ - ٥٠ ، مهذب الأغاني : ٢ : ٦٨ ، نهاية الأرب : ٣ - ٢٧٢ ، بلوغ  
الأرب : ١ : ٢٨٦

وهذه القصة اختلفت رواياتها اختلافاً كثيراً جملنا الروايات يكمل بعضها بعضاً .  
(١) من بني عامر بن صعصعة ، فارس قومه ، وأحد فتاك العرب وشعرائهم ، ولد ونشأ  
بنجد ، كريماً شجاعاً ، وفد على رسول الله يريد القدر به ولم يسلم ، فات في طريقه قبل أن يبلغ  
قومه سنة ١١ هـ (٢) علقمة بن علانة : كان في الجاهلية من أشرف قومه ، أسلم ، وارتد في  
أيام أبي بكر فأنصرف إلى الشام ، ثم عاد إلى الإسلام ، توفى نحو سنة ٢٠ هـ (٣) شري :  
استطار (٤) يريد طول القامة ، والقصب أيضاً ثياب تتخذ من كتان رفاق ناعمة ، وهو كناية  
عن الرفاهية والنعمة وورغد العيش (٥) القاح : الإبل (٦) الشياح : القحط .

فقال عامر: ليس لبني الأحوص فضلٌ على بني مالك في العدد ، وبصرى ناقصٌ ، وبصرُك صحيح ، ولكني أنافرك ؛ وإني أَسْمِيُ منك سُمَّةً <sup>(١)</sup> ، وأطولُ منك قِمةً ، وأحسنُ منك أَمَةً <sup>(٢)</sup> ، وأجعدُ منك جُمَّةً <sup>(٣)</sup> ، وأسرعُ منك رَحمةً ، وأبعدُ منك هِمَّةً .

فقال علقمة: أنت رجلٌ جسيمٌ ، وأنا رجلٌ قَصِيفٌ <sup>(٤)</sup> ، وأنت جميل ، وأنا قبيح ، ولكني أنافرك بأبائي وأعمامي .

فقال عامر: آباؤك أعمامى ، ولم أكنْ لِأنافرك بهم ، ولكني أنافرك ؛ أنا خيرٌ منك عِقبًا ، وأطعمُ منك جَدًّا .

فقال علقمة: قد علمتُ أن لك عِقبًا ، وقد أطعمت طيبًا ، ولكني أنافرك ؛ إني خيرٌ منك ، وأولى بالخيرات منك .

فخرجت أمُّ عامر - وكانت تَسْمَعُ كلامهما ، فقالت: يا عامر ، نافره أيكما أولى بالخيرات .

قال عامر: والله إني لأزكبُ منك في الحِمْاة ، وأقتلُ منك للكِمْاة <sup>(٥)</sup> ، وخيرٌ منك للولى والمولاة .

فقال له علقمة: والله إني كبرٌ وإنك لناجر ، وإني لَوَلُودٌ وإنك لعاقرٌ <sup>(٦)</sup> ، وإني لعفٌ وإنك لعاهر ، وإني لوفى وإنك لغادر ، فقيم تفاخرنى يا عامر؟ فقال عامر: والله إني لأنزلُ منك للقفرة <sup>(٧)</sup> ، وأنحرُ منك للبكرة <sup>(٨)</sup> ، وأطعمُ منك للتهبرة <sup>(٩)</sup> ، وأطعمُ منك للثفرة .

(١) السمة: القرابة (٢) اللمة: الشعر المجاوز شحمة الأذن (٣) اللمة: مجتمع شعر الرأس (٤) قضيف: نحيف (٥) الكمأة: جم كمي ، وهو الشجاع (٦) رجل عاقر: لم يولد له ولد (٧) القفرة: الحلاء من الأرض (٨) البكرة: الفئحة من الإبل (٩) الهبرة: القطعة المجتمعة من اللحم .

فقال علقمة : والله إنك لكيلُ البصر ، نكدُ النظر .

فقال بنو خالد بن جعفر - وكانوا يداً مع بني الأخوص على بني مالك بن جعفر :  
لن تطيقَ عامراً ؛ ولكن قل له أنا فِرْكُ بخرنا وأقر بنا إلى الخيرات .

فقال له علقمة هذا القول ؛ فقال عامر : غَيْرُ وَتَيْسٌ <sup>(١)</sup> وَتَيْسٌ وَعَنْزٌ . نعم ، على  
مائة من الإبل إلى مائة من الإبل يُعطاها الحكم أئنا نفرَ عليه صاحبه أخرجها ؛  
ففعلوا ذلك ، ووضعوا بها رَهْناً من أبنائهم على يدي رجل يقال له خزيمة بن عمرو ،  
فسمي الضَّيِّين .

وخرج علقمة ومن معه من بني خالد ، وخرج عامرٌ فيمن معه من بني مالك ،  
وجعلا منافرتهما إلى أبي سفيان بن حرب بن أمية ، فلم يقل بينهما شيئاً ، وكره  
ذلك لهما ، وحال عشيرتهما ، وقال : أنما كرُّ كَبْتِي البعير الأذرم <sup>(٢)</sup> . قالا : فأئنا  
اليمين ؟ قال : كلا كما يمين ؛ وأبى أن يقضىَ بينهما .

فانطلقا إلى أبي جهل بن هشام ، فأبى أن يحكم بينهما ، وقد كانت العرب  
تحاكمُ إلى قريش ، فأتيا عيينة بن حصن بن حذيفة ، فأبى أن يقولَ بينهما شيئاً ،  
فأتيا غيلان بن سلمة التقي ، فردهما إلى حرملة بن الأشعر المري ، فأبى أن  
يقول شيئاً .

ثم تَدَاعَى إلى هَرَمِ بن قُطَنة ليحكم بينهما ، فرحلا إليه ، ومع كل واحد منهما  
ثلاثمئة من الإبل : مائة يطعمها مَنْ تَبَعَهُ ، ومائة يعطيها للحاكم ، ومائة تُعَمَّرُ إذا

---

(١) العير : الحمار ، وغلب على الوحش ، وهو أقوى من التيس ، أي مثل وراك كالعير والتيس ،  
أو على الأقل كالنيس والمنز ، إذ التيس أقوى على النطاح من المنز (٢) درم العظم : واره  
الحم حتى لم يبق له حجم .

حَكَمَ ؛ فأبى هرم بن قُظنة أن يحكم بينهما مخافة الشرِّ ، وأبياً أن يرتحلا ، فقال هرم :  
لعمرى لأحكمنَّ بينكما ، ثم لأفصنَّ ، فأعطينى موثقاً مطمئنّاً إليه أن ترضياً بما  
أقول ، وتُسَلِّما لما قضيتُ بينكما ، وأمرهما بالانصراف ووعدهما يوماً . فانصرفا  
حتى إذا بلغ الأجلُ خرجا إليه ، وأقام القومُ عنده أياماً .

فخلَّاهم بملقمة ، وقال له : أترجوان ينفركَ<sup>(١)</sup> رجلٌ من العربِ على عامرٍ  
فارسٍ مضرٍ ؛ أندى الناس كفاً وأشجعهم لقاءً ، لسنانُ رُمحِ عامرٍ أذكُرُ في  
العرب من الأحوص ، وعمه مَلَّاعِبُ الأسنه .

فقال له علقمة : أنشدك الله والرحمِ ألا تُنقِرَ على عامراً ! اجزُرْ ناصيتي ،  
واحتمك في مالى ، وإن كنت لا بد أن تفعل فسوِّ بينى وبينه . فقال ، انصرف ،  
فسوف أرى رأبى ؛ فخرج وهو لا يشكُّ أنه سيفضِّلُ عليه عامراً .

ثم خلا بهامر فقال له : أعلَى علقمة تفخرُ ؟ أنت تناوئته ! أعلَى ابن عوف بن  
الأحوص ؛ أعفُّ بنى عامر ، وأيمَنهم نقيبة ، وأحلمهم وأسودهم ؛ وأنت أعورُ عاقر  
مَشْثوم ! أما كان لك رأى يَزَعُكَ<sup>(٢)</sup> عن هذا ! أكنتَ تظن أن أحداً من العرب  
يُنْفِرُكَ عليه ؟ فقال عامر : نَشَدتكَ الله والرحمِ ألا تفضِّلَ على علقمة ! فوالله  
إن فعلتَ لا أفليح بعدها أبداً ، هذه ناصيتي فاجزُرْها ، واحتمك في مالى ، فإن  
كنتَ لا بدَّ فاعلا فسوِّ بينى وبينه . قال : انصرف فسوف أرى رأبى ، فخرج عامر  
وهو لا يشكُّ أنه ينفِرُهُ عليه .

ثم إن هَرِمًا أرسل إلى بنيه وبنى أبيه : إني قائلٌ غدًا بين هذين الرجلين  
مقالة ، فإذا فعلتُ فليطرد بعضكم عشر جزائر<sup>(٣)</sup> فليتحرها عن علقمة ، ويطرد

(١) هره عليه : قضى له عليه بالقلبة (٢) يزك : يردك (٣) جزائر : جمع جزور

بعضكم عشر جزائر لينحرها عن عامر ، وفرقوا بين الناس لا تكون لهم جماعة .

فلما اجتمعوا وحضر الناس للقضاء قام هَرَم ، وقال : يا بني جعفر ، قد تحاكمنا عندى ، وأنما كَرُّكَبْتِي البعير الأدرَم ، تقعان إلى الأرض معاً ، وليس فيكما أحَدٌ إلا وفيه ماليس في صاحبه ، وكِلَاكما سيِّدٌ كريم .

وعندَ بنو هَرَم وبنو أخيه إلى تلك الجزر فنحروها حيث أمرهم هَرَم ، وفرقوا الناس ، ولم يُفَضِّلْ هَرَم أحداً منهما على صاحبه ، وكره أن يفعل - وهما ابنا عم - فيجلب بذلك عداوة ، ويوقع بين الحيين شرّاً .

فارتحلوا عن هَرَم لما أعيامهم نحو عكاظ ، فلقيهم الأعشى منحدرًا من اليمن - وكان لما أرادها قال لعلمة : اعقد لى حَبْلًا<sup>(١)</sup> ، فقال : أعقد لك من بنى عامر ! قال : لا يُغْنَى عَنى . قال : فمن قيس ! قال : لا . قال : فما أنا برائدك . فأتى عامر بن الطفيل ، فأجاره من أهل السماء والأرض ، فقيل له كيف تُجِيرُهُ من أهل السماء ؟ قال : إن مات وَدَيْتُهُ<sup>(٢)</sup> - فقال الأعشى لعامر : أَظْهَرَ أنكما حَكَمْتُمَانِي ، ففعل ؛ فقام الأعشى ؛ فرفع عَقِيرَتَهُ<sup>(٣)</sup> في الناس فقال :

حَكَمْتُمُوهُ فَقَضَى بَيْنَكُمْ أَبْلَجُ مِثْلُ الْقَمَرِ الزَّاهِرِ  
لا يأخذ الرِّشْوَةَ فِي حُكْمِهِ ولا يبالي خُسْرَ الخَاسِرِ  
عَلِمْتُ لا ؛ لست إلى عامر النَّاقِضِ الأوتارِ والواتِرِ  
واللاسِرِ الخليلِ بخيلٍ إذا نَارَ عَجَاجُ الكَبَبِ<sup>(٤)</sup> النَّائِرِ  
إن تَسُدُّ الحِوَصُ فلم تَعُدُّم وعامِرٌ سَادَ بنى عامِرِ  
ساد وألَى رَهْطُهُ سَادَةٌ وكابِرٌ آسَادُوكَ عن كَابِرِ

(١) يريد جواره . (٢) دفعت ديتة (٣) عقيرته : صوتة (٤) الكبة : الدفعة في القتال والحلة في الحرب .

وشدَّ القومُ في أعراضِ الإبلِ المائةِ فقروها ، وقالوا : نُفِّرَ عامرَ وذهبتَ بها  
الْفَوْغَاءُ ، وَجَهْدَ علقمةُ أن يردَّها فلم يقدر على ذلك ، فجعل يهدِّدُ الأعشى فقال :  
أتانى وعيْدُ الخوصِ من آلِ عامرٍ فيأبى عمري ولو نهيتَ الأحوصاً !  
فما ذنبُنا إن جاشَ بحرُ ابنِ عمك وبجرِكُ ساجٍ<sup>(١)</sup> لا يوارى الدَّعامِصاً<sup>(٢)</sup>  
كلا أبو يكم كان فرعى دِعامَةً ولكنهم زادوا وأصبحت ناقصاً  
تبيتون في المَشَى ملاء بطونكم وجاراتكم غرثى<sup>(٣)</sup> يبتنَّ حمانصاً<sup>(٤)</sup>  
يُراقِبَن من جوعٍ خِلالَ مخافةِ نجومِ العشاءِ العاتماتِ الفوامِصاً<sup>(٥)</sup>  
رمى بك في أخرامُ ترك الندى وفضلٌ . أقواماً عليك مراهِصاً<sup>(٦)</sup>  
فمضَّ حديد الأرض إن كنت ساخطاً بفيك وأحجارَ الكلابِ الرِّوهِصاً<sup>(٧)</sup>  
فبكى علقمة لما بلغه هذا الشعر وكان بكاؤه زيادة عليه في العار .

---

(١) سجي : سكن (٢) الدموس : دوية أو دودة سوداء تكون في الفدران إذا قل ماؤها  
(٣) غرث : جاع (٤) الحمانس : جمع خيصة ، ضاؤد البطن : أى من شدة الجوع .  
(٥) الفميصاء : لأحدى الشعريين ، قال في القاموس : من أحاديثهم : إن الشعري العبور قطعت  
الحجرة فسميت عبوراً وبكت الأخرى علي أنرها حتى غمضت ، ويقال لها الفموس أيضاً (٦) راهص  
غريه : راصده ؛ قال في القاموس : والمرامس لم يسمع بواحد (٧) الكلاب : موضع ،  
والرواهص من الحجارة التي تنكب الدواب ، والصخور الثابتة .

٤٨ - أَنْتَ لَهُ\*

قَدِمَ رَهْطٌ مِنْ بَنِي جَعْفَرٍ عَلَى النِّعْمَانِ بْنِ الْمُنْذَرِ ، عَلَيْهِمْ عَامِرُ بْنُ مَالِكٍ مَلَاعِبُ  
الْأَسْتَةِ ، وَفِيهِمْ لَيْبِدٌ<sup>(١)</sup> بْنُ رَبِيعَةَ ، وَهُوَ يَوْمُئِذٍ غَلَامٌ لَهُ ذُوَابَةٌ ، فَضْرَبَ النِّعْمَانُ قُبَّةً  
وَأَجْرَى عَلَيْهِمُ النَّزْلَ<sup>(٢)</sup> ، فَجَعَلُوا يَبْغُدُونَ إِلَى النِّعْمَانِ وَيَرُوحُونَ وَيَتْرَكُونَ لَيْبِدًا فِي  
رِحَالِهِمْ ، يَحْفَظُ أَمْتَعَتَهُمْ وَيَبْغِدُوا بِإِبْلِهِمْ فِيرْعَاهَا ، فَإِذَا أَمْسَى الْمَسَاءُ انصَرَفَ بِهَا .  
وَكَانَ الرَّبِيعُ بْنُ زِيَادٍ الْعَبْسِيُّ يُنَادِمُ النِّعْمَانَ وَيَصَادِقُهُ ، وَيَتَقَدَّمُ عَلَى مَنْ سِوَاهُ ،  
فَكَانَ إِذَا خَلَا بِالنِّعْمَانِ طَعَنَ فِي بَنِي جَعْفَرٍ وَذَكَرَ مَعَايِبَهُمْ لِعِدَاوَةٍ قَدِيمَةٍ كَانَتْ بَيْنَ  
عَبْسٍ وَبَنِي جَعْفَرٍ ، وَفَعَلَ ذَلِكَ مَرَارًا حَتَّى أَثَرَتْ فِي نَفْسِ النِّعْمَانِ ، فَزَرَعَ الْقُبَّةَ عَنْهُمْ ،  
وَقَطَعَ النَّزْلَ .

وَدَخَلُوا عَلَيْهِ يَوْمًا ، فَرَأَوْا مِنْهُ جَفَاءً ؛ فَخَرَجُوا مِنْ عِنْدِهِ غَضَابًا ، وَهَمُّوا  
بِالانصِرَافِ .

وَبَيْنَمَا هُمْ يَتَذَاكَرُونَ أَمْرَ الرَّبِيعِ سَمِعَهُمْ لَيْبِدٌ فَقَالَ لَهُمْ : مَا لَكُمْ تَتَفَاجِئُونَ !  
فَكَتَمُوهُ ، وَقَالُوا لَهُ : إِلَيْكَ عَنَّا . قَالَ : أَخْبَرُونِي ، فَلَمَلَّ لَكُمْ عِنْدِي فَرَجًّا ،  
فَزَجَرُوهُ ؟ فَقَالَ : لَا وَاللَّهِ لَا أَحْفَظُ لَكُمْ مَتَاعًا ، وَلَا أُسْرِحُ<sup>(٣)</sup> لَكُمْ بِمِيرَا  
أَوْ تَخْبِرُونِي .

فَقَالُوا لَهُ إِنْ خَالَكَ الرَّبِيعُ - وَكَانَتْ أُمُّ لَيْبِدٍ عَبْسِيَّةً ، وَكَانَتْ يَتِيمَةً فِي جِحْرِ

\* الحزائنة : ٤ - ١٧١ ، مجمع الأمثال : ٢ - ٤٢ ، الأغاني : ١٤ - ١٩٢ ، ١٦ - ٢٢ ،  
اللسان - مادة سمل .

(١) لبيد بن ربيعة : أحد الشعراء الفرسان الأشرف في الجاهلية ، أدرك الإسلام ، وعاش  
عمرًا طويلًا ، وتوفي سنة ٤١ هـ . (٢) النزول : الطعام (٣) سرح الماشية وسرحت بنفسها .

الربيع - قد غلبنا على الملك ، وصدنا عننا وجهه ! فقال لهم : هل تقدرن أن تجمعوا بيني وبينه غداً حين يقعدُ الملك ، فأرْجُزَ به رَجَزاً مُمِضاً مُؤَلِّماً ، لا يلتفت إليه النعمانُ بعده أبداً ؟ قالوا له : وهل عندك ذلك ؟ قال : نعم ، قالوا : إنا نَبْلُوكَ بِشْتَمٍ هذه البَقْلَةُ - وَقَدَّامَهُمْ بَقْلَةٌ دَقِيقَةُ الْقَضْبَانِ (١) ، قليلة الورق ، لا صقَّةُ فروعها بالأرض تُدعى التُّرْبَةُ (٢) .

فاقتلعهما من الأرض ، وأخذها بيده ، وقال : هذه التربة التي لا تُذْكَرُ (٣) ناراً ، ولا تُؤْهِلُ داراً ، ولا تُسْرُجُ جاراً ، عودُها ضئيل ، وفرعها قليل (٤) ، وخيرها قليل بَلَدُهَا شاسع ونَبْتُهَا خاشع (٥) ، وآكلها جائع ، والمقيمُ عليها ضائع ؛ أَقْصَرُ البَقُولِ فَرْعاً ، وأخبثها مرعى ، وأشدُّها قلعاً ، فَحَرَّ بِأُحْمَاها وجدعاً (٦) ! القوا بي أخوا عبس ، أرجعه عليكم بتمس (٧) ونكس ، وأتركه من أمره في لبس .

فقالوا : نُصَبِحُ فَرَى فِيك رأينا . فقال لهم عامر : انظروا إلى غلامكم هذا ؛ فَإِنْ رَأَيْتُمُوهُ نَأَمَّا فَلَيْسَ أَمْرُهُ بِشَيْءٍ ، إِنَّمَا يَتَكَلَّمُ بِمَا جَرَى عَلَى لِسَانِهِ وَيَهْدِي بِمَا يَهْجِسُ فِي خَاطِرِهِ ، وَإِنْ رَأَيْتُمُوهُ سَاهَرًا فَهُوَ صَاحِبِكُمْ !

فومقوه بأبصارهم ، فوجدوه قد رَكِبَ رَحْلاً يَكْدُمُ (٨) واسطته حتى أصبح

فلما أصبحوا قالوا : أنت والله صاحبه . وحلقوا رأسه ، وتركوا له ذؤابتين ،

وألْبَسُوهُ حُلَّةً ، وغدوا به معهم .

(١) القضبان : الأغصان (٢) التربة . نبت سهل ، والبقل : ما نبت من بزره لا من أرومه ثانية ، والبقلة واحدة (٣) أذكي النار : أوقدها (٤) قليل : ضعيف غير صليب . (٥) خاشع : دان من الأرض (٦) جدعا : قطعاً (٧) النص : الملاك . (٨) كدمه : عضه بأدنى فم أو أثر فيه بمعدية .

فدخلوا على النعمان ، فوجدوه يتغذى ومعه الربيع ، ليس معه غيره ، والدارُ  
والجالس مملوءة من الوفود .

فلما فرغ من الغداء ذكروا له حاجتهم ؛ فاعترضهم الربيعُ في كلامهم ، فقال  
ليبد - وقد دهن أحد شقِّي رأسه ، وأرختي إزاره ، وانتعل نعلًا : آييتَ اللعن !  
أتأذن لي في الكلام ؟ فأذن له ، فأنشأ يقول (١) :

لا تَزْجُرِ الْفَتِيانَ عَنْ سُوءِ الرَّعَةِ (٢)      ياربِّ هَيْجَا (٣) هِي خَيْرٌ مِنْ دَعَا  
فِي كُلِّ يَوْمٍ هَامَتِي مُقَرَّعَه (٤)      نحن بنو أم البنين (٥) الأربعة  
نحن خيَازُ عامر بن صَعَصَه      المطعمون الْجَفْنَةَ المددَعَة (٦)  
والضاريون الهامَ تحت الخِيضَه (٧)      يا واهبَ المالِ الجزيلِ من سَعَه  
إليكِ جاوزنا بلاداً مُسْبَعَه (٨)      إذ الفلاة أوحشت في المَعَمَة

\* يخبرك عن هذا خيرٌ فاسمه \*

فقال النعمان : ما هو ؟ فقال : \* مهلاً آييتَ اللعنَ لا تأكل معه \* .

فقال النعمان : ولم ؟ فقال : \* إن استه من برصٍ مُلَمَعَه \* .

فقال النعمان : وما عليّ ؟ فقال : \* وإنه يُدْخِلُ فيها إصْبَعَه \* .

يدخلها حتى يوارى أشجعَه (٩)      كأننا يطلب شيئاً ضَيْعَه

(١) مجمع الأمثال : ٢ - ٤٤ مع اختلاف الرواية (٢) الرعة : حالة الأحمق التي رضى بها

(٣) الهيجا : الحرب . (٤) يقال هو مقزع ومقزوع : رقيق شعر الرأس .

(٥) بنو أم البنين الأربعة : هم خسة : مالك بن جعفر ، وطفيل بن مالك ، وربيعة بن مالك ،  
وعبيدة بن مالك ، ومعاوية بن مالك ، وهم أشرف بن عامر ، جعلهم أربعة لأجل القافية .

(٦) المددعة : المملوءة (٧) الخيضة : البيضة (٨) بلاد مسبعة : كثيرة السباع .

(٩) الأشاجع : عروق ظاهر الكف .

فلما سمع النعمان قوله أفف<sup>(١)</sup> ، ورفع يده من الطعام ، والتفت إلى الريح  
يرمقه شزراً ، وقال : أ كذلك أنت ا قال : كذب والله ابن الحقيق<sup>(٢)</sup> اللثيم !  
فقال النعمان : لقد خبث على طعامى .

ثم قضى النعمان حوائج الجفريين ، وانصرف الريح إلى منزله ، فبعث  
إليه النعمان بضمف ما كان يحبوه به ، وأمره بالانصراف إلى أهله . فكتب  
إليه : « إني قد تخوفت أن يكون قد وقع في صدرك ما قال لبيد ، ولست  
برائم<sup>(٣)</sup> حتى تبعث من يردنى ؛ ليعلم من حضرك من الناس أنى لست كما  
قال . . . »

فأرسل إليه : « إنك لست صانماً بانتفائك مما قال لبيد شيئاً ، ولا قادراً على  
رد ما زلت به الألسن ، فالحق بأهلك » . فلحق بأهله .

ثم أرسل إلى النعمان :

لئن رحلتُ جمالى إن لى سمةً	ما مثلها سعة عرَضاً ولا طولاً
ولو جمعتُ بنى نخمٍ بأسرهمُ	لم يمدلوا ريشةً من ريش سمويلاً <sup>(٤)</sup>
ترعى الزوائم <sup>(٥)</sup> أحرارَ البقول بها	لا مثل رعيكم ملخاً وغسويلاً <sup>(٦)</sup>
فأبث بأرضك بعدى واخلى متكناً	مع النطاسى طوراً <sup>(٧)</sup> وابن نوفيلاً

(١) أفف : قال « أف » (٢) الحق : الأحق (٣) رائم : بارح وراحل (٤) سمويلى :  
أحد أجداد الريح . وهو فى الأصل اسم طائر ، وقيل : بلد كثير الطير (٥) ناقة روم ورائمة  
ورائم : عاطفة على ولدها (٦) الغسويل : نبت ينبت فى السباح (٧) النطاسى وابن نوفيل :  
اثنان كانا يادمان النعمان أولهما طيب وثانيهما تاجر .

فأجابه النعمان :

شَرُّ ذُبْرَحِكَ حَيْثُ شِئْتَ وَلَا تَكْثُرْ عَلَيَّ ، وَدَعْ عَنْكَ الْأَقَاوِيلَا  
قَدْ رُمِيَتْ بِدَاءِ لَسْتِ غَاسِلَهَ مَا جَاوَرَ السَّيْلَ أَهْلُ الشَّامِ وَالنَّيْلَا  
فَمَا انْتَفَاؤُكَ مِنْهُ بَعْدَ مَا قَطَعْتُ هُوجُ<sup>(١)</sup> الْمَطِيِّ بِهِ أَكْنَافُ شَمْلِيلَا<sup>(٢)</sup>  
قَدْ قِيلَ مَا قِيلَ إِنْ صَدَقْنَا وَإِنْ كَذَبْنَا فَمَا اعْتَذَارُكَ مِنْ قَوْلٍ إِذَا قِيلَا  
فَأَلْحَقْ بِمِثْرَائِي أَرْضَ الْأَرْضِ وَاسْمَا وَانْشُرْ بِهَا الطَّرْفَ إِنْ عَرْضْنَا وَإِنْ طَوْلَا

---

(١) الهوجاء : الناقة المسرعة ، جمها هوج (٢) شميل : بلد .

## ٤٩ - أنت اليوم ذوجديين \*

قال الملك النعمان : لأُعْطِينَ أفضلَ العرب مائةً من الإبل . فلما أصبح الناسُ اجتمعوا لذلك ، ولم يك قيس بن مسعود فيهم ، وأرادَه قَوْمُه على أن ينطلق معهم إليه ، فقال : لا ، لئن كان يُريدُ بها غيري لأشهدُ ذلك ، وإن كان يريدني بها لأعطينَهَا .

فلما رأى النعمانُ اجتماعَ الناس قال : ليس صاحبُها شاهداً . فلما كان من الغدِ ، قال له قَوْمُه : انطلقْ ؛ فانطلق فدفعها الملك إليه ، فقال حاجِبٌ <sup>(١)</sup> بن زُرارة : أبيتَ اللعن ! ما هو بأحقَّ بها مني ، فقال قيس بن مسعود : أنا فرُه <sup>(٢)</sup> عن أكرمنا قعيدةً <sup>(٣)</sup> ، وأحسننا أدبَ ناقة ، وأكرم لثيم قوم .

فبعث معها النعمانُ مَنْ ينظر في ذلك ، فلما اتهموا إلى بادية حاجب بن زُرارة مرَّوا على رجل من قومه ، فقال حاجب : هذا الأُمُّ قومي ، وهو فلان ابن فلان - والرجلُ عند حوضه يُوردُ إبله - فأقبلوا إليه فقالوا : يا عبدَ الله ؛ دعنا فلنستق فإنا قد هلكنا عطشاً ، وأهلكنا ظُهورنا <sup>(٤)</sup> ، فتجَّهَّ وأبى عليهم . فلما أغيام قالوا لحاجب : أسفر ، فسفر ، وقال : أنا حاجبُ بن زُرارة فدعنا فلنشرَب . قال : أنت ! فلا مرحباً بك ولا أهلاً ؛ ثم أتوا بيته ، فقالوا لاسرأته : هل من منزل يا أمةَ الله ؟ قالت : والله ماربُّ المنزل شاهداً وما عنده من منزل ، وأرادوها على ذلك فأبَتْ

\* بلوغ الأرب : ١٠ - ٢٨٦

(١) حاجب بن زُرارة : من سادات العرب في الجاهلية ، أدرك الإسلام وأسلم ، وتوفى نحو سنة ٣٠ هـ . (٢) أنافره : ألكمه (٣) القعيدة : المرأة (٤) يريد ما يركبون .

ثم أتوا رجلا من قوم قيس بن مسعود على ماء يُورِدُ لبله ، فقال قيس : هذا والله  
 أَلَأُمُّ قومي ، فلما وقفوا عليه قالوا مثل ما قالوا للآخر ، فأبى عليهم وهم أن يضربهم ،  
 فقال له قيس بن مسعود : ويلك ! أنا قيس بن مسعود ، فقال له : مرحباً وأهلاً ، أُورِدُ .  
 ثم أتوا بيته ، فوجدوا فيه امرأته قِدْرُهَا تَقِطُ<sup>(١)</sup> ، فلما رأت الركب من بعيداً نَزَلَتْ  
 القِدْرَ وتَرَوَّتْ ، فلما انتهوا إليها قالوا : هل عندك يا أمة الله منزل ؟ قالت : نعم !  
 انزلوا في الرَّحْبِ والسَّمة . فلما نزلوا وطعموا وارتحلوا أخذوا ناقتيهما ، فأنأخوها على  
 قريتين للنمل ، فأما ناقة قيس بن مسعود فتضوَّرت<sup>(٢)</sup> ، وتقلبت ثم لم تُنْزِ ، وأما  
 ناقة حاجب فكثت وثبتت ، حتى إذا قالوا : قد اطمانت طفقت هاربة . فأتوا الملك ،  
 فأخبروه بذلك ، فقال له : قد كنت يا قيس ذا جدِّ<sup>(٣)</sup> ، فأنت اليوم ذو جدِّين .

(١) تفت : أي تصوت ، وذلك عند اشتداد غليانها (٢) التضور : الصياح والتلوي عند  
 الضرب أو الجوع (٣) الحد : العظمة ، والحظ .

٥٠ — إن البلاء مُوَكَّلٌ بالمنطق \*

خرج رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ومعه أبو بكر وعلي . قال عليّ : فدَقَعْنَا إلى مجلس من مجالس الدَرَبِ ، فتقدّم أبو بكر — وكان نَسَابَةً <sup>(١)</sup> — فسلم فرَدُّوا عليه السلام، فقال: يَمِّنُ القوم؟ قالوا: مِن ربيعة . فقال : من هَامَتِهَا أم مِن لَهَازِمِهَا <sup>(٢)</sup>؟ قالوا : من هَامَتِهَا العُظْمَى . قال : فأى هَامَتِهَا العُظْمَى أتم ؟ أتم ذُهل الأكبر؟ قالوا : نعم .

قال : أفنكم عَوْف الذي يقال له : لا حُرَّ بوَادِي عوف؟ قالوا : لا ا قال : أفنكم بِنِطَام <sup>(٣)</sup> ذو اللواء ومنتهى الأحياء ؟ قالوا : لا ا قال : أفنكم جَسَاس بن مرة حامى الذمار ، ومائعُ الجار؟ قالوا : لا ا قال : أفنكم الحَوْفِرَان <sup>(٤)</sup> قاتل الملوك وسالباها أَنفُسَهَا؟ قالوا : لا ا قال : أفنكم اللزْدَلِف <sup>(٥)</sup> صاحب العمامة الفردة؟ قالوا : لا ا قال : فأتَم أحوال الملوك <sup>(٦)</sup> من كِنْدَةَ؟ قالوا : لا ا قال : فأتَم أصهار الملوك من نَحْم <sup>(٧)</sup>؟ قالوا : لا ا قال : فلستم ذُهلًا الأكبر ، أتم ذُهل الأصغر ا فقام إليه غلام منهم حين بَقَل <sup>(٨)</sup> وجهه يقال له دَغْفَل <sup>(٩)</sup> فقال :

\* المحاسن والأضداد : ١٠٤ ، بجم الأمثال : ١ - ١٢

(١) النساب : العالم بالنسب ، وأدخلوا الماء للبالغة والمدح (٢) من هَامَتِهَا أم من لَهَازِمِهَا : يريد أمن أشرفها أم من أوسطها ؟ (٣) هو بِنِطَام بن قيس بن مسعود الشيباني ، أفرس فرسان بكر في الجاهلية (٤) الحَوْفِرَان : لقب الحارث بن شريك ، لقبه به قيس بن عاصم حين حفره بالريح فقاته (٥) هو عمرو بن أبي ربيعة بن ذهل الشيباني ، سمى بذلك لآزدلافه إلى العدو وحده بين الصفيين ، وكان إذا اعتم لا يجرؤ بكري أن يلبس مثل : نمته (٦) هم كليب ومهلهل وأختهم فاطمة أم امرئ القيس (٧) هم النمر بن قاسط من ذهل بن شيبان ، منهم ماء السماء أم المنذر أحد ملوك الحيرة (٨) بقل : ظهر ونجم (٩) هو دغفل بن حنظلة السدوسي النسابة .

إِنَّ عَلَى سَائِلِنَا أَنْ نَسْأَلَهُ وَالْعَبءَ لَا نَعْرِفُهُ أَوْ تَحْمِلَهُ

يا هذا ، إنك سألتنا فلم نكتنك شيئاً من أمرنا ، فمن الرجل ؟ قال : رجل من قريش ، قال : بَخِ بَخِ ! أهل الشرف والرياسة ، فمن أى قريش أنت ؟ قال : من تيم بن مرة . قال : أفنكم قصي بن كلاب الذى جمع القبائل من فِهْر وكان يدعى مجعاً ؟ قال : لا ، قال : أفنكم هشام الذى هشم الثريد لقومه ورجال مكة مُسْنِتُونَ عِجَافٌ <sup>(١)</sup> ؟ قال : لا ، قال : أفنكم شيبة الحمد مُطِمْ طير السماء الذى كان بوجهه قرأ بضىء ليل الظلام الداجي ؟ قال : لا ، قال : أفن المفيضين بالناس أنت <sup>(٢)</sup> ؟ قال : لا ، قال : أفن أهل الندوة أنت ؟ قال : لا ، قال : أفن أهل الرقادة <sup>(٣)</sup> أنت ؟ قال : لا ، قال : أفن أهل الحجابة أنت ؟ قال : لا ، قال : أفن أهل السقاية <sup>(٤)</sup> أنت ؟ قال : لا .

واجتذب أبو بكر زمام ناقته ورجع إلى رسول الله ، فقال دَغْفَل :

صَادَفَ دَرَّ السَّيْلِ دَرًّا يَدْفَعُهُ يَرْفَعُهُ حِينًا وَحِينًا بَضْمُهُ

أما والله لو ثبت لأخبرتُك أنك من زَمَعَات <sup>(٥)</sup> قريش ، أو ما أنا دَغْفَل ! فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال على : قلت لأبي بكر : لقد وقعت من الأعرابي على باقعة <sup>(٦)</sup> ، قال : أجل ! إن لكل طامة طامة ، وإن البلاء مؤكَّل بالمتنطق <sup>(٧)</sup> .

(١) مسنتون : مجدبون ، والأعجف : الهزيل (٢) الإفاضة من مناقب قريش فى الجاهلية ، وكانت فى آل صفوان ، ثم انتقلت إلى عبد الدار ولإبهم كانت البدانة . (٣) كانت لبنى نوفل . (٤) كانت لبنى هاشم فى العباس بن عبد المطلب وكذلك الحجابة . (٥) أصل الزمعات : الزوائد براء الأرساغ . (٦) داهية كيس . (٧) ذهبت مثلا .

١٦ - مُعَاقِرَةٌ \*

أَسْنَتَ<sup>(١)</sup> بنو تميم رمن عليّ بن أبي طالب؛ فانتجعوا أرضاً من أرض كلب من طرف السّماوة، فصنع غالب بن صعصعة - وهو أبو الفرزدق - طعاماً، ونَحَرَ نَحَائِرَ، وجفنها<sup>(٢)</sup> في جفان، وجعل يُقسّمها على أهل المزايا<sup>(٣)</sup>.

فأنت جفنةٌ منها سُحيم بن وثيل الرياحي الشاعر، فكفأها وضرب الخادم التي أنته بها، واحتفظ<sup>(٤)</sup> غالب من ذلك، فعاتب سحياً؛ فسرى القول بينهما حتى تداعياً إلى المعاقرة<sup>(٥)</sup> - وكان سُحيم رجلاً فيه شَنِيفَةٌ<sup>(٦)</sup> وأذى للناس، وكان الناس شآفي<sup>(٧)</sup> القلوب عليه - وكانت إبلة خوامس<sup>(٨)</sup> لم ترد.

ووردت إبيلُ غالب؛ ففطق غالب بعقرها، وطافت الوغدان<sup>(٩)</sup> والفتيان بالإبل، فجعلت تحوزها من أطرافها إليه، ومع الفرزدق هراوة يردّ بها على أبيه، فيقول غالب: ردّ، أي بني، فيقول الفرزدق: اعقرْ أبتِ؛ حتى نحر سائرها؛ وكانت مائتين.

فقال طارق بن دَيْسَق - وكان يهاجى سُحياً:

أَبْلُغْ سُحِيًّا إِنْ عَرَضْتَ وَجَعْدَرًا      أَنْ الْمُحَازِيَّ لَا يَنَامُ قَرَادُهَا

\* ذيل الأمالى : ٥٢ ، بلوغ الأرب : ٣ - ٣٠

(١) أسنت : أجدبوا (٢) جفن الناقة : نحرها وأطعم لها في الجفان (٣) أهل القدر (٤) غضب (٥) المعاقرة : هي أن يتبارى الرجلان كل واحد منهما يجادل صاحبه ، فيقرر هذا عدداً من إبلة ، ويعقر صاحبه ؛ فأيهما كان أكثر عقراً غلب صاحبه . وقره (٦) الشنيفرة : سوء الخلق والفحش والبذاءة (٧) وغراء الصدور عليه (٨) الخمس من أطباء الإبل : أن ترعى ثلاثة أيام وترد الرابع ، والإبل خوامس (٩) الوغدان : جمع وغد ، وهو خادم القوم .

أَفَدَحْتُمَا حَتَّى إِذَا أُورِيتُمَا لِلْحَرْبِ نَارَ كَمَا خَبَا يُقَادُهَا  
لَوْ كَانَ شَاهِدَنَا الْجَمِيلُ وَمَالِكٌ لَحَبَّتْ (١) لِقَاحٍ وَوَلَّهُ أَوْلَادُهَا  
أَطْرَدْتَهَا نَبِيًّا تَحْنُ إِفَالُهَا (٢) مِنْ أَنْ يَكُونَ لَسَيْفِهِ إِيرَادُهَا  
فَأَقْبَلَتْ إِبْلُ سُجِّمٍ حَتَّى وَرَدَتْ عَلَيْهِ ، فَأَوْرَدَهَا كُنَاسَةَ (٣) الْكُكُوفَةَ . وَجَمَلٌ  
يَقْفِرُهَا وَهُوَ يَقُولُ :

كَيْفَ تَرَى جُحَيْدِرًا يَرَعَاهَا بِالسَّيْفِ يُخْلِئُهَا إِذَا اسْتَخْلَاهَا  
\* يَنْتَرُ الْجَزِيرَةَ (٤) مِنْ ذُرَاهَا \*  
فَلَمْ يَنْفَعَهُ عَقْرُهُ إِيَّاهَا ، وَقَدْ سَبَقَهُ غَالِبٌ بِالْقَعْرِ .

---

(١) الأعب : الطريق الواضح ، ولحب الطريق : سلكه (٢) الإفاله : جمع أفيل ، الفصيل  
(٣) كناسة الكوفة : محلة بها .  
(٤) أصل الجزيرة : خصلة من صوف .

٥٢ — قد كان يسوءني أن تكون أميراً\*

دخل صمصمة<sup>(١)</sup> بن صوحان على معاوية أول ما دخل عليه ، وقد كان يبلغ معاوية عنه كلام ، فقال له معاوية : بمن الرجل ؟ قال : رجل من نزار . قال : وما نزار ؟ قال : إذا غزا احتش<sup>(٢)</sup> ، وإذا انصرف انكش ، وإذا لقي افتش .

قال : فمن أي ولده أنت ؟ قال : من ربيعة . قال : وما ربيعة ؟ قال : كان يغزو بالخييل ، ويُغير بالليل ، ويمجد بالنيل .

قال : فمن أي ولده أنت ؟ قال : من أسد . قال : وما أسد ؟ قال : كان إذا طلب أفضى<sup>(٣)</sup> ، وإذا أدرك أرضي ، وإذا آب أنضى<sup>(٤)</sup> :

قال : فمن أي ولده أنت ؟ قال : من جديلة ؟ قال : وما جديلة ؟ قال : كان يطيل النجاد<sup>(٥)</sup> ، ويُعدّ الجياد ، ويمجد الجلال<sup>(٦)</sup> .

قال : فمن أي ولده أنت ؟ قال : من دُعْمَى . قال : وما دُعْمَى ؟ قال : كان ناراً ساطعاً ، وشرّاً قاطعاً ، وخيراً نافعاً .

---

\* بلوغ الأرب : ٣ - ٢٠٥ ، صبح الأعشى : ١ - ٢٥٤ ، مروج الذهب : ٢ - ٧٧ ،  
الأمالي : ٢ - ٢٣٠

(١) صمصمة بن صوحان : كان خطيباً بليغاً له شهر ، شهد صفين مع علي ، وله مع معاوية مواقف ومات نحو سنة ٦٠ هـ (٢) احتش : جمع وكسب (٣) أفضى إلى الشيء : وصل .  
(٤) أفضى بعيره : هزله ، ونوبه أبلاه (٥) النجاد : جمائل السيف .

قال : فمن أى ولده أنت ؟ قال : من أفصى ، قال : وما أفصى ؟ قال : كان ينزل القارات<sup>(١)</sup> ، ويكثر الفارات ؛ ويحى الجارات .

قال : فمن أى ولده أنت ؟ قال : من عبد القيس . قال : وما عبد القيس ؟ قال : أبطال ذادة ، ججاججة<sup>(٢)</sup> قادة ، صناديد سادة .

قال : فمن أى ولده أنت ؟ قال : من أفصى . قال : وما أفصى ؟ قال : كان ذا رماح مشرعة ، وقدور مترعة<sup>(٣)</sup> ، وجحان مفرغة .

قال : فمن أى ولده أنت ؟ قال : من ككيز . قال : وما ككيز ؟ قال : كان يباشر القتال ، ويمانق الأبطال ، ويبدد الأموال :

قال : فمن أى ولده أنت ؟ قال : من عجل : قال : وما عجل ؟ قال : الليوث الضراغمة<sup>(٤)</sup> ، الملوك القمامة<sup>(٥)</sup> ، والقروم القشاعة<sup>(٦)</sup> .

قال : فمن أى ولده أنت ؟ قال : من كعب ، قال : وما كعب ؟ قال : كان يسعر<sup>(٧)</sup> الحرب ، ويمجد الضرب ، ويكشف الكرب :

قال : فمن أى ولده أنت ؟ قال : من مالك : قال : وما مالك ؟ قال : الهمام للهمام ، والقمام للقمام .

قال معاوية : والله ما تركت لهذا الحى من قریش شيئاً ! قال : بل تركت أكثره وأحبّه . قال . وما هو ؟ قال : تركت لهم الوبرَ والمدَرَ<sup>(٨)</sup> ، والأبيض

---

(١) القارات : جمع قارة ؛ وهى الجبل الصغير . (٢) ججاججة : جمع ججاج : السيد . (٣) مترعة : مملوءة (٤) جمع ضرغام : الأسد (٥) جمع قمام : السيد (٦) القرم : السيد ، والقشم : الأسد أو الرجل المسن ، ويقصد الحرب (٧) سمر الحرب : أو قدما (٨) كناية عن البادية والدين .

والأصفر ، والصفاء والمشعر<sup>(١)</sup> ، والقبة والمنفخر ، والسريير والمنسبر . والمُلك إلى المحشر .

قال : أما والله لقد كان يسوءني أن أراك أسيراً . فقال : وأنا والله لقد كان يسوءني أن أراك أميراً . ثم خرج ، فبعث إليه فردّه ووصله وأكرمه .

٥٣ — لترجمنّ بأكثر مما آب به معدّي\*

كان الوليد بن جابر بن ظالم الطائي ممن وفد على رسول الله ، ثم صحب علياً ، وشهد معه صفين<sup>(٢)</sup> ، وكان من رجاله المشهورين ، ثم وفد على معاوية ، فدخل عليه في جملة الناس .

فلما انتهى إليه استنسبه<sup>(٣)</sup> فانتسب له فقال له : أنت صاحب ليلة الهرير<sup>(٤)</sup> ؟ قال : نعم ! قال : والله ما تخلو مسامعي من رجرك تلك الليلة ، وقد علا صوتك أصوات الناس ، وأنت تقول :

(١) الشعر : موضع مناسك الحج .

\* ابن أبي الحديد : ٤ - ٤٩ .

(٢) موضع قرب الرقة بشاطئ الفرات كانت به الواقعة العظمى بين علي ومعاوية في صفر سنة ٤٧ هـ .  
(٣) استنسه : سأله أن ينتسب . (٤) سfert بين علي ومعاوية السفراء ؛ ليصلحوا بين الفريقين ولكن ذهب سعيهم سدى ، فابتدأ القتال ثانية في يوم الأربعاء أول صفر سنة ٣٧ هجرية من غير أن يقف كلا الجمعين وجهاً لوجه ، بل كل يوم يخرج قائد من هنا وقائد من هنا حتى إذا مضت سبعة أيام قال علي لجنده : حتى متى لا تناهض هؤلاء القوم بجمعنا ! فباتوا يصلحون أمرهم ، وفي الصباح زحف على مجنوده ، وزحف معاوية بمجنوده ، واقتتل الفريقان ، ثم أمادوا الكرة في غد ذلك اليوم ولا أمسى المساء لم ينفصلا ، بل استمر القتال شديداً طول الليل ، ويسمون هذه الليلة ليلة الهرير .

شَدُّوا فِداءَ لَكم أُمِّي وَأَبُ . فَإِنما الأَمْرُ غِداً لِمَن غَلَبَ  
هَذا ابْنُ عَمِ المِصْطَفَى وَالمِنتَخَبِ . تَنبِيهُ لِلعِلياءِ ساداتُ العَرَبِ  
ليس بِموصومٍ إِذا نُصِّ (١) النَّسَبَ . أولُ مِن صَلَّى وَصامَ وَاقْتَرَبَ

قال : نعم . أنا قائلها . قال : فلماذا قلتها ؟ قال : لأننا كنا مع رجل لا نعلم  
خَصْلَةً تُوجِبُ الخِلافةَ ولا فَضيلَةً تُصيرُ إلى التَّقدِمةِ إلا وَهِيَ مِجْموعَةٌ لَه . كان أولُ  
النَّاسِ سِلْماً (٢) ، وَأَكْثَرُهُم عِلْماً ، وَأَرْجَحُهُم حِلْماً ، فَاتَ الجِياذِ فلا يُشَقُّ غُبارُهُ ،  
وَأَوْضَحَ مِنبَهِجِ المِهدى فلا يبيدُ مَنارَهُ ، وَسَلَكَ القِصْدَ فلا تَدْرُسُ آثارُهُ ، فلما ابتلانا  
اللهُ تَعالَى بِاِفتقادهُ ، وَحوَلَ الأَمْرَ إلى مَن يَشاءُ مِن عِبادِهِ دَخَلنا في جِملَةِ المُسْلِمِينَ ؛  
فَلَمْ نَنزِعْ بِداً عَن طِاعةِ ، وَلَمْ نَصْدَعْ صِفَةَ جِماعَةٍ .

عَلَى أَنَّ لَكَ مَنًّا ما ظَهَرَ ، وَقَلوبُنَا بِيَدِ اللهِ ، وَهُوَ أَمْلَكُ بِها مَنكَ ؛ فَاقبَلْ  
صَفوانا ، وَأَعْرِضْ عَن كَدَرِنا ، وَلا تُنْزِلْ كِواِمِينَ الأَحقادِ ؛ فَإِنَّ النِّارَ  
تُقَدِّحُ بِالزُّنادِ .

قال معاوية : وإنيك تهتديني يا أخا طيِّبٍ بأوباشٍ (٣) العِراقِ ، أَهلُ النِّفاقِ  
وَمَعْدِنُ الشُّقاقِ ، قال : يا معاوية ، هُم الَّذينَ أَشْرَقَ قَوكُ بِالرِّيقِ ، وَحَبَسَوكَ في المِضيقِ ،  
وَذادُوكَ عَن سَنَنِ الطَّرِيقِ ، حَتَّى لُدَّتْ مِئَمَّتُهُم بِالْمِصاحفِ ، وَدَعَوَتْ إِلَيْها مَن صَدَقَ  
بِها وَكَذَبَتْ ، وَمَن آمَنَ بِمُنزِلِها وَكَفَرَتْ ، وَعَرَفَ مِن تَأويلِها  
ما أنكَرَتْ .

فغضب معاوية ، وأدار طَرْفَهُ فِمين حِولِهِ ، فَإِذا جِلْهُم مَن مُضَّرَّ وَفِرَّ قَليلِ مَن  
الِمينِ ، فقال : أَيُّها الشَّقِيُّ الخائِنُ ، لِإِخالِ أَنَّ هَذا آخِرُ كِلامِ تَفوُّهُتَ بِهِ .

(١) كل ما أظهر فقد نس (٢) السلم : الإسلام (٣) الأوباش : الأخلاط .

وكان عقير بن ذى يَزَن بباب معاوية حينئذ فعرف موقفَ الطائيِّ ومراد معاوية ، فخافه عليه ، فهجم عليهم الدَّار ، وأقبل على اليمانية ، فقال : شامت الوجوه ذُلًّا وَقَلًّا<sup>(١)</sup> ، وَجَدَعًا وَقَلًّا!

ثم التفت إلى معاوية فقال : إى والله يا مُعَاوِيَةَ ، ما أقول قولى هذا حبًّا لأهل العراق ، ولا جُنُوحًا إليهم ، ولكن الحفيظة<sup>(٢)</sup> تذهب الغضب .

لقد رأيتك بالأمس خاطبت أخا ربيعة - يعنى صَفْصَةَ بن صُوحان - وهو أعظمُ جرُمًا عندك من هذا ، وأذكى لقلبك ، وأقدح فى صفاتك ، وأجدُّ فى عداوتك ، وأشدُّ انتصاراً فى حربك ، ثم أثبتته وسرَّحتَه ، وأنت الآن تُجمعُ على قتل هذا ، زعمتَ استصغاراً لجماعتنا ، وأنا لا نبرُّ ولا نُحلي<sup>(٣)</sup> ، ولعمري لو وكلتكَ أبناء قحطان إلى قومك لكان جدك العائر ، وذكرك الدائر ، وحدك المفلول ، وعرشك المثلول ، فازبَع<sup>(٤)</sup> على ظلمك ، واطوينا على بُللاتنا<sup>(٥)</sup> ، ليسهل لك حزننا ، ويطمنن لك شاردنا ، فإننا لا نرام بوقع الضيم ، ولا تتلمظ<sup>(٦)</sup> جرع الحسف ، ولا نغمر بفمار الفتن ، ولا ندرُّ على الغضب .

فقال معاوية : الغضبُ شيطان ، فازبَع على نفسك أيها الإنسان ، فإننا لم نأت إلى صاحبك مكروهاً ، ولم نرتكب له مُغضيباً ، ولم ننتهك منه سحرماً ، فدوّنك ، فإنه لم يضق عنه حلمنا ويسع غيره .

(١) القل : القلة (٢) الحفيظة : الحمية (٣) يقال فلان ما يمر وما يحلى : أى لا يصر ولا يتفجع (٤) اربع على ظلمك : ارفق على نفسك فإنك ضعيف فاتته عما لا تعليقه . (٥) يقال : طويت فلاناً على بللانه ، وفتح اللام أيضاً : إذا احتملته على ما فيه من الإساءة والعيب ، وداريته وفيه بغية . (٦) تتلمظ : تتذوق .

فأخذ غفير بيد الوليد ، وخرج به إلى منزله ، وقال له : والله لثوبنٌ بأكثر مما آب به ممدئي .

وجمع من بدمشق من اليمانية ، وفرض على كل رجل دينارين في عطائه فبلغت أربعين ألفاً ، فتمجّلها من بيت المال ، ودفعها إلى الوليد ، وردّه إلى العراق .

### ٥٤ — مات كسيفُ الأيامُ منك إلا عن سيفٍ صقيلٍ\*

وفد عبدُ الله بن عباس على معاوية مرّة ، فقال معاوية لابنه يزيد ولزيد بن نمية وعُتْبَةَ بن أبي سفيان ومرّوان بن الحكم وعمرو بن العاص والمغيرة بن شعبة وسعيد بن العاص ، وعبدالرحمن بن أم الحكم : إنه قد طال العهد بعبد الله بن عباس ، وما كان شجرَ بيننا وبينه وبين ابن عمّه (١) ، ولقد كان نصبه للتحكيم فدفع عنه (٢) ؛ فحرّ كوه على الكلام لنبليغ حقيقة صفته ، ونقف على كنه معرفته ؛ ونعرف ما صرّف عنا من شبا حدّه ، ووورى عنا من دهاء رأيه ؛ فربما وُصِف المرء بغير ما هو فيه ، وأُعطي من النعت والاسم ما لا يستحقّه .

ثم أرسل إلى عبد الله بن عباس ، فلما دخل واستقرّ به المجلس ابتدأه ابن أبي سفيان ، فقال : يا بن عباس ، ما منع عليك أن يوجّه بك حكماً ؟ فقال :

\* ابن أبي الحديد : ٢ - ١٠٥ .

(١) يريد على بن أبي طالب (٢) حينما خرج الحوارج على علي بن أبي طالب وأصروا على التحكيم أشار بابن عباس أو الأشتر حكماً ، ولكنهم أبوا إلا التحكيم أبي موسى الأشعري .

أما والله لو فعل لقرنَ عمرأ بصعب<sup>(١)</sup> من الإبل يوجع كتفيه مراسمها<sup>(٢)</sup> ، ولأذهلتُ عقله ، وأجرضته بريقه<sup>(٣)</sup> وقدحتُ في سويداء قلبه ؛ فلم يُبرمُ أمراً ، ولم ينفذ تراباً إلا كنتُ منه بمزأى ومسمع ، فإن نكته أرمت<sup>(٤)</sup> قواه ، وإن أرمه فصمت<sup>(٥)</sup> عمراه ؛ بقرب مقول<sup>(٦)</sup> لا يفلُ حدّه ، وأصالة رأى كمتاح<sup>(٧)</sup> الأجل لاوزرَ منه ، أصدعُ به أديمه ، وأفلُ به شبا حدّه ، وأشحدُ به عزائم المتقين ، وأزيحُ به شبه الشاكين .

قال عمرو بن العاص : هذا والله يا أمير المؤمنين نجوم<sup>(٨)</sup> أول الشرّ ، وأقولُ آخر الخير ، وفي حَسَمِهِ قطعُ مادته ؛ فبادرَه بالحلمة ، وانتهز منه الفرصة ، وادرع بالتكليل به غيره ، وشرّد به من خلقه .

قال ابن عباس : يا ابن النّابغة ؛ ضلّ والله عقلك ، وسفّه حلمك ، ونطق الشيطانُ على لسانك ! هلا توليت ذلك بنفسك يوم صفين ، حين دُعيت نزال<sup>(٩)</sup> ، وتكافح الأبطال ، وكثرت الجراح ، وتقصفت الرماح ، وبرزت إلى أمير المؤمنين مصأولا ، فانكفأ نحوك بالسيف حاملا ، فلما رأيت الكوائر<sup>(١٠)</sup> من الموت أعددت حيلة السلامة قبل لقائه ، والانكفاء عنه بعد إجابة دُعائه ، فمنحته - رجاء النجاة - عورتك ، وكشفت له - خوف بأسه - سواتك ؛ حذراً أن يصطلمك بسطوته ، أو يلتهمك بمحلمته :

(١) الصعبة : مؤنث صعب ، والصعب من الدواب يقبض الذلول . (٢) مراسمها : علاجها (٣) جرض بريقه : ابتلعه بجهد (٤) أرم قوته : أضغفها واينها (٥) يقال أرم الحبل : قتله مديداً ، فصمت : حلت (٦) الغرب : حد كل شيء ، والقول : اللسان (٧) الأجل الناح : المقدر (٨) نجوم : ظهور (٩) أي حين قال الأبطال بعضهم لبعض : نزال . (١٠) الكوائر : جمع كوتر ، وهو الكثير من كل شيء .

ثم أشرت على معاوية كالتصريح له بمبارزته ، وحسنت له التعرض لمكافحته ، رجاء أن تكني مثنوته وتعدّم صورته ؛ فعلم غلّ صدرك ، وما انحنّت عليه من الفئاق أضلمك ، وعرف مقرّ سهميك في غرضك ؛ فأكفّف غرّب لسانك ، واقمع عوزاء<sup>(١)</sup> لفظك ، فإنك بين أسد خادر ، وبجر زاخر ؛ إن تبرزت<sup>(٢)</sup> للأسد افترسك ، وإن عمّت في البحر قمسك<sup>(٣)</sup> .

فقال مروان بن الحكم : يا بن عباس ؛ إنك لتصرف<sup>(٤)</sup> نآبك ، وتورى نارك ، كأنك ترجو الغلبة ، وتؤمّل العافية ، ولولا حليم أمير المؤمنين عنكم لتناول لكم بأقصر أنامله ، فأوردكم مهلاً بعيداً صدره<sup>(٥)</sup> ؛ ولعمري لئن سطا بكم ليأخذنّ بعض حقه منكم ، ولئن عفا عن جرأركم<sup>(٦)</sup> فقد يما نسب إلى ذلك .

فقال ابن عباس : وإنك لتقول ذلك ياعدو الله ، وطريد رسول الله ، وألباح دمه<sup>(٧)</sup> ، والداخل بين عثمان ورعيته بما حملهم على قطع أوداجه<sup>(٨)</sup> وركوب أنباجه<sup>(٩)</sup> ؛ أما والله لو طلب معاوية ثأره لأخذك به ، ولو نظر في أمر عثمان لوجدك أوّله وآخره . وأما قولك لي : إنك لتصرف نآبك وتورى نارك ، فسئل معاوية وعمراً يخبراك ليلة الهرير<sup>(١٠)</sup> ، كيف ثباتنا للمثلات<sup>(١١)</sup> ، واستخفافنا بالمعضلات ، وصدق جلالنا عند المصاولة ، وصبرنا على اللاؤاء<sup>(١٢)</sup> والمطاولة ، ومصاحفتنا بجباهنا السيوف المزهفة ،

(١) الموراء : الكلمة أو الفعلة القبيحة (٢) تبرز : برز وخرج إلى القفار (٣) القمس : الغلبة بالنوم (٤) الصريف : صوت الأناب ، يقال : صرف نابه وبنابه ، إذا صوت بها . (٥) الصدر : الرجوع (٦) الجريرة : الذنب (٧) في فتنه عثمان (٨) جم ودج ، وهو العرق الذي يقطعه الذابغ (٩) الشج : ما بين الكاهل إلى الظهر ووسط الشئ ومعظمه (١٠) ليلة الهرير هي تلك الليلة التي استمر فيها القتال طول الليل بين أنصار معاوية وعلى في حرب صفين وأوشك جيش على أن تكون له الغلبة (١١) جمع مثلة (بضم التاء وسكونها) ، من مثلت بالقتيل إذا نكلت به (١٢) اللاؤاء : الشدة .

ومباشرتنا بنحورنا حدَّ الأسنَّة ؛ هلِ خِفْنَا<sup>(١)</sup> عن كرائم تلك المواقف، أم لم نبدل  
مُهَجَّنَا للتلّف ! وليس لك إذ ذاك فيها مقامٌ محمود، ولا يومٌ مشهود، ولا أثرٌ  
عبدود، وإنيما شهدا ما لو شهدت لأقلّك ؛ فازرع<sup>(٢)</sup> على ظلمك، ولا تتعرّض  
لما ليس لك ؛ فإنك كالمفروز في صفد<sup>(٣)</sup>، لا يهبط برجل، ولا يرفأ<sup>(٤)</sup> بيد.

فقال زياد : يا بن عباس ؛ إني لأعلم مامنع حسناً وحسيناً من الوفود معك على  
أمير المؤمنين إلا ماسولتُ لهما أنفسهما، وغرهما به من هو عند البأساء يُسْلِمُهُما<sup>(٥)</sup>.  
وإيّم الله لو وليتهما لأدأباً<sup>(٦)</sup> في الرحلة إلى أمير المؤمنين أنفسهما، ولقلّ بمكانهما  
لُبثُهُما.

فقال ابن عباس : إذن والله يقصر دونهما باعك، ويضيق بهما ذراعك، ولو  
رُمتَ ذلك لو جدتَ من دونهما فنةً صدقاً<sup>(٧)</sup> صُبراً على البلاء، لا يخيمونَ عن اللقاء،  
فلعرّكوكَ بكلا كليهم<sup>(٨)</sup> ووطئوكَ بمنّا ميمهم<sup>(٩)</sup>، وأوجرُوكَ مشق<sup>(١٠)</sup> رماحهم  
وشفّارَ سيوفهم، ووخرَ أسنّتهم، حتى تشهدَ بسوء ما أتيت، وتبَيّنَ ضياع الحزم  
فيما جنيت؛ فحذار حذار من سوء النية؛ فإنها تردُّ الأمنية، وتكونُ سبباً لفساد  
هذين الحَيّين بعد صلاحهما، وسعيّاً في اختلافهما بعد ائتلافهما، حيثُ لا يضرهما  
إبساسك، ولا يُفنى عنهما إبناسك<sup>(١١)</sup>.

فقال عبد الرحمن بن أم الحكم : لله درُّ ابن ملجَم<sup>(١٢)</sup> ! فقد بَلَغَ الأمل ،

(١) خام عنه : نكس وجبن (٢) اربع على ظلمك : ارقق على نفسك واسكت على ما بك .  
(٣) الصفد : الوثاق (٤) يقال : رفا في الدرجة ، أى صعد (٥) أسلمه : خذله (٦) أدأباً :  
أجهداً (٧) أى ذات صدق وصبر (٨) بكلا كلمهم : بصورهم (٩) المنس : خف الجير  
(١٠) يقال : أوجره الرمح ، أى طعنه به في فيه . والمشق : الطعن الخفيف السريع .  
(١١) الإبساس أن يقال للناقة عند الحلب : بس بس ، والإبناس : خلاف الإباحاش .  
(١٢) هو عبد الرحمن بن ملجم قاتل على .

وأمن الوجيل، وأحد الشفرة، وألان للهزة، وأدرك الثار، ونقى العار، وفاز بالنزلة العليا، ورقى الدرجة القسوى .

فقال ابن عباس : أما والله لقد كرع كأس حنفيه بيده ، وعجل الله إلى النار برؤوحه ؛ ولو أبدى لأمير المؤمنين صفحته لألقه صاباً<sup>(١)</sup> ، وسقاه سماماً<sup>(٢)</sup> ، وألقه بالوليد وعتبة وحنظلة<sup>(٣)</sup> ، فكلمهم كان أشد منه شكيمة ، وأمضى عزيمة ، فقرى بالسيف هامهم<sup>(٤)</sup> ، ورملمهم<sup>(٥)</sup> بدماهم ، وقرى الذئاب أشلاءهم<sup>(٦)</sup> ، وفرق بينهم وبين أحبائهم ، أولئك حصب<sup>(٧)</sup> جهنم هم لها واردون فهل تحبس منهم من أحدٍ أو تسمع لهم ركزاً<sup>(٨)</sup> ! ولا غرو إن ختل ، ولا وصمة إن قتل .

فقال المغيرة بن شعبة : أما والله لقد أشرت على علي بالنصيحة ، فأثر رأيه ، ومضى على غلوائه ، فكانت العاقبة عليه لا له ، وإني لأحسب أن خلفه يقتدون بمنهجه .

فقال ابن عباس : كان والله أمير المؤمنين - عليه السلام - أعلم بوجوه الرأي ، ومآفد الخزم ، وتضريف الأمور ، من أن يقبل مشورتك فيما نهى الله عنه ، وعنف عليه : قال سبحانه : ﴿ لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ﴾ .

ولقد وقفك على ذكر مبين ، وآية متلوة قوله تعالى : ﴿ وَمَا كُنْتُمْ تُخِذُ الْمُضِلِّينَ عَضُدًا ﴾ . وهل كان يسوغ له أن يحكم في دماء المسلمين وفيء المؤمنين

(١) الصاب : عصارة شجر مر (٢) السمام : جمع سم (٣) هؤلاء قتلوا يوم بدر .  
(٤) جمع هامة ، وهي الرأس (٥) رملهم : لطمهم (٦) الأشلاء : جمع شلو ، وهو العضو  
(٧) الحصب : ما يرى في النار (٨) الركز : الصوت الحق .

من ليس بئامونٍ عنده ، ولا موثوقٍ به في نفسه ، هيئات هيئات ا هو أعم بفرضِ  
الله وسنةِ رسوله أن يُبَيِّنَ خلافَ ما يظهرُ إلا للتقية<sup>(١)</sup> ، ولاتَ حينَ تَقِيَّةٍ ، مع  
وضوح الحق وثبوتِ الجنان ، وكثرة الأُنصار ؛ يمضى كالسيف المُلصَّك<sup>(٢)</sup> في أمرِ  
الله ، مؤثراً لطاعةِ ربه والتقوى على آراءِ أهلِ الدنيا .

فقال يزيد بن معاوية : يا ابنَ عباس ! إنك لتتطقُ بلسانِ طَلق<sup>(٣)</sup> ، تنبئُ عن  
مكتوبِ قلبِ حَرَق<sup>(٤)</sup> ، فاطلو ما أنت عليه كَشْحًا ، فقد محاضوه حَقًّا ظلمةً  
بأطليكم .

فقال ابنُ عباس : مهلاً يزيد ا فوالله ما صفتِ القلوبِ لكم منذ تكدرتْ  
بالعداوةِ عليكم ، ولا دنتْ بالحجةِ إليكم منذ نأتْ بالبغضاءِ عنكم ، ولا رضيت  
اليومَ منكم ما سخطت بالأمس من أفعالكم ، وإن تُدَلِّ<sup>(٥)</sup> الأيامُ نستقصِ  
ماشدًا عنا ، ونسترجع ما ابتزنا منا ، كيلاً بكيال ، ووَزَنًا بوزن ؛ وإن تكن الأخرى  
فكني بالله ولياً ووكيلاً على المعتدين علينا ا

فقال معاوية : إن في نفسى منكم لحزازات يا بني هاشم ، وإني لخليق أن  
أدركَ فيكم النارَ ، وأتقى العارَ ؛ فإن دماءنا قَبَلَكُم ، وظلامتنا فيكم .  
فقال ابن عباس : والله إن رُمِتَ ذلك يا معاوية لتثيرنَ عليك أُسْدًا مُخَدَّرَةً<sup>(٦)</sup> ،  
وأفاعي مُطَرِّقَةً لا يَفْتَنُوهَا<sup>(٧)</sup> كثرةُ السلاح ، ولا تمعضها نكابة الجراح ، يضعون  
أسيافهم على عواتقهم ، يضربون قُدُماً قُدُماً من ناوأهم ، يهون عليهم نُبَاح  
الكلاب ، وعواء الذئاب ، لا يفاتون بوتر ، ولا يسبقون إلى كريمِ ذِكر ، قد

(١) التقية : المحافظة على النفس (٢) المصت : السلول (٣) طلق : ذلق (٤) حرق :  
حرون (٥) يقال : أداله الله من عدوه ، نصره عليه (٦) أخدر الأسد : لزم الأجمة .  
(٧) المراد : لا يسكنها .

وطنوا على الموت أنفسهم ، وسميت بهم إلى العلياء همهم كما قالت الأزدية :  
قومٌ إذا شهدوا الهياج فلا ضربٌ يهنهم ولا زجرٌ  
وكانهم آسادٌ غينة <sup>(١)</sup> قد غرئت <sup>(٢)</sup> وبلى متونها القطرُ

فلتكوننّ منهم بحيث أعددت ليلة المريير للهرب فرسك ، وكان أكبر هتك  
سلامة حشاشة نفسك ، ولولا طغام <sup>(٣)</sup> من أهل الشام وقوك بأنفسهم ، وبذلوا  
دونك مهجهم ، حتى إذا ذاقوا وخز الشفار ، وأيقنوا بحلول الدمار ، رفعوا المصاحف  
مستجبرين بها ، وعاندين بعصمتها ، لكنت شلوا مطروحا بالعراء ، تسفي عليك  
رياحها ، ويعتورك ذئابها .

وما أقول هذا أريد صرفك عن عزمك ، ولا إزالتك عن معقود نيتك ،  
لكن الرحم التي تعطف عليك ، والأوامر التي توجب صرف النصيحة إليك !  
فقال معاوية : لله ذرك يا بن عباس ! ما تكشف الأيام منك إلا عن سيفٍ  
صقيل ، ورأى أصيل ؛ وبالله لو لم يلد هاشمٌ غيرك لما نقص عددهم ، ولو لم يكن  
لأهلك سواك لكان الله قد كثرهم .  
ثم نهض ابن عباس وانصرف .

٥٥ — لولا ما جعل الله لنا في يدك ما أتيناك \*

بيننا معاويةُ جالس يوماً وعنده عمرو بن العاص إذ قال الأذن : قد جاء عبدُ الله بن جعفر بن أبي طالب ، فقال عمرو : والله لأسوأته اليوم ! فقال معاوية : لا تفعل ! يا أبا عبد الله ، فإنك لا تتنصِّفُ<sup>(١)</sup> منه ، ولعلك إن تفعل تظهر لنا من منقَبته<sup>(٢)</sup> ما هو خفيٌ عنا ، وما لا نحب أن نعلمه منه .

وغشيهم عبد الله بن جعفر ، فأذناه معاويةُ وقرَّبه ، فإل عمرو إلى بعض جلساء معاوية ، فقال من عليّ جهاراً غير ساتر له ، وثلبه ثلباً قبيحاً ؛ فالتمع لونُ عبد الله واعتراه أفكل<sup>(٣)</sup> حتى أزعجتُ خصائله<sup>(٤)</sup> ثم نزل عن السريز كالقنيق<sup>(٥)</sup> ؛ فقال عمرو : مه يا أبا جعفر ! فقال عبد الله : مه ، لا أم لك اثم قال :

أظنُّ الحلم دلَّ على قومي وقد يتجهلُّ الرجلُ الحليمُ

ثم حَسَرَ عن ذراعيه ، وقال : يا معاوية ؛ حَتَام نتجرع غيظك ، وإلام الصبرُ على مكروه قولك وسينُ أدبك ، وذميم أخلاقك ، هبلتِك الهبُولُ<sup>(٦)</sup> ! أما يزجرك ذِمَامُ المجالسة عن القذع لجليسك إذ لم تكن حرمةً من دينك تنهاك عما لا يجوزُ لك ؟ أما والله لو عطفتك أواصِرُ الأرحام ، أو حاميت على سهمك من

\* ابن أبي الحديد : ٢ - ٩٠٤ .

(١) اتصف منه : استوفى حقه منه كاملاً (٢) النقية : المغفر - (٣) الأفكل : الرعدة (٤) الحصلة : كل قطعة من لحم عظمت أو صغرت ، وجمعا الحصائل (٥) القنيق : الفحل المكرم لا يؤذى لكرامته على أهله (٦) هبل : نكل ، والهبول : هي من النساء التي لا يبقى لها ولد

الإسلام ، ما أُرعيتَ بنى الإمام أَعراض قومك ؛ وما يجهل موضع الصَّفوة إلا أهل الجفوة .

وإنك لتعرفُ قريشاً و صفوةً غرائزها فلا يدعوك تصويبُ ما فرط من خطئك في سفكِ دماء المسلمين ، ومحاربةِ أمير المؤمنين إلى التماذى فيما قد وضح لك الصوابُ في خلافه ؛ فاقصد لمنهج الحق ؛ فقد طال عمهك<sup>(١)</sup> عن سبيل الرشد ، وخبطك في دنجور ظلمة النفى ؛ فإن أبيت ألا تتابعنا فأعفنا من سوء القالة فينا ، إذا ضمنا وإياك الندى<sup>(٢)</sup> ، وشأنك وما تريد إذا خلوت ، والله حسبيك ! فوالله لولا ما جعل الله لنا في يديك لما أتيناك .

ثم قال : إنك إن كلفتنى ما لم أطق ساءك ما ستر منى من خلق .

فقال معاوية : يا أبا جعفر ؛ نغير الخطأ ، أقسمت عليك لتجلسن ، لعن الله من أخرج ضبَّ صدرك من وجاره<sup>(٣)</sup> ، محمول لك ما قلت ، ولك عندنا ما أملت ، فلم يكن محتدك ومنصبك لكان خلقتك وخلقتك شافعين لك إلينا ، وأنت ابنُ ذى الجناحين ، وسيد بنى هاشم .

فقال عبدُ الله : بل سيدُ بنى هاشم : حسنٌ وحسين ، لا ينازعهما في ذلك أحد . فقال : يا أبا جعفر ؛ أقسمتُ عليك لما ذكرتَ حاجةً لك إلا قضيتها كأنه ما كانت ! ولو ذهبتُ بجميع ما أملك ، فقال : أما في هذا المجلس فلا !

ثم انصرف فأتبمه معاويةُ بصره ، فقال والله لكانه رسول الله في مشيئته وخلقه وخلقه ، وإنه لمن مشكاته<sup>(٤)</sup> ؛ ولوددت أنه أخى بنفيس ما أملك .

---

(١) العمه : التردد في الضلال (٢) الندى : مجلس القوم (٣) الوجار : جحر الضبع وغيرها (٤) أى أنهما من شىء واحد .

ثم التفت إلى عمرو فقال : يا أبا عبد الله ؛ ما تراه منعه من الكلام معك !  
قال : ما لا خفاء به عنك ! قال : أظنك تقول : إنه هابَ جوابك ، لا والله ،  
ولكنه ازدراك واستحقرك ، ولم يرك للكلام أهلاً ، أما رأيت إقباله على  
دونك ، ذاهباً بنفسه عنك ؟ فقال عمرو : فهل لك أن تسمع ما أعددت له لجوابه ؟  
فقال معاوية : أرغبُ إليك يا أبا عبد الله ؛ فلات حين جواب فيما يرى اليوم ،  
ونهض معاوية وتفرق الناس .

٥٦ — ذهب قريش بالمكانم والملا\*

شَبَّ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنِ حَسَانَ بَرْمَلَةَ بِنْتِ مَعَاوِيَةَ فَقَالَ :

رَمَلُ ، هل تذكرين يوم عَزَّالٍ إِذْ قَطَعْنَا مَسِيرَنَا بِالتَّمَنِيِّ  
إِذْ تَقُولِينَ : عَمْرُكَ اللهُ ، هل شَيْءٌ ، وَإِنْ جَلَّ سَوْفَ يُسَلِّيكَ عَنِّي !

وَبَلَغَ ذَلِكَ يَزِيدَ بْنَ مَعَاوِيَةَ ؛ فَغَضِبَ ، وَدَخَلَ عَلَى مَعَاوِيَةَ وَقَالَ :  
يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ؛ أَلَا تَرَى إِلَى هَذَا الْعِلْجِ <sup>(١)</sup> مِنْ أَهْلِ يَثْرِبَ يَتَهَكَّمُ بِأَعْرَاضِنَا ،  
وَيَتَشَبَّ بِنِسَائِنَا ! قَالَ : وَمَنْ هُوَ ؟ قَالَ : عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنِ حَسَانَ ، وَأَنْشَدَهُ مَا قَالَ .  
فَقَالَ : يَا يَزِيدُ ؛ لَيْسَتْ الْعُقُوبَةُ مِنْ أَحَدٍ أَقْبَحَ مِنْهَا مِنْ ذَوِي الْقُبُورَةِ ؛ وَلَكِنْ  
أَمَهْلُ ، حَتَّى يَقْدَمَ وَفَدُّ الْأَنْصَارِ ، ثُمَّ ذَكَّرَنِي .

فَلَمَّا قَدِمَ وَفَدُّ الْأَنْصَارِ ذَكَرَهُ بِهِ ، فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ قَالَ : يَا عَبْدَ الرَّحْمَنِ ؛  
أَلَمْ يَبْلَغْنِي أَنَّكَ تَشَبَّ بِرَمَلَةَ بِنْتِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ؟ قَالَ : بَلَى ، وَلَوْ عَلِمْتُ أَنَّ أَحَدًا  
أَشْرَفَ بِهِ شِعْرِي أَشْرَفَ مِنْهَا لَذَكَرْتُهُ ! قَالَ : وَأَيْنَ أَنْتَ عَنْ أُخْتِهَا هِنْدَ ؟ قَالَ :  
وَإِنْ لَهَا لِأَخْتًا ! قَالَ : نَعَمْ - وَإِنَّمَا أَرَادَ مَعَاوِيَةَ أَنْ يَشَبَّ بِهِمَا جَمِيعًا فَيَكْذِبُ نَفْسَهُ -  
فَلَمْ يُرِضْ يَزِيدٌ مَا كَانَ مِنْ مَعَاوِيَةَ .

فَارْسَلُ إِلَى كَعْبِ بْنِ جُمَيْلٍ فَقَالَ : اهْجُ الْأَنْصَارَ ، فَقَالَ : أَفَرَّقَ <sup>(٢)</sup> مِنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ،  
وَلَكِنْ أَدُلُّكَ عَلَى الشَّاعِرِ الْكَافِرِ الْمَاهِرِ ، قَالَ : وَمَنْ هُوَ ؟ قَالَ : الْأَخْطَلُ <sup>(٣)</sup> .

\* الْأَغَانِي : ١٤ - ١٤٢ .

(١) العليج : الرجل الشديد اللطيف (٢) أفرق : أخاف (٣) الأخطل : شاعر اشتهر في عهد  
بني أمية بالشام وأكثر من مدح ملوكهم ، وتهاجى مع جرير والفرزدق فتناقل الرواة شعره ،  
توفي سنة ٩٠ هـ .

فدعا به ، فقال : اهج الأنصار ، قال : أفرق من أمير المؤمنين ، فقال :

لا تخف شيئاً ، أنا لك بذلك ، فهجهم فقال :

وإذا نسبت ابن الفريضة<sup>(١)</sup> خيلته كالجحش بين حمارة وحمار  
لعن الإله من اليهود عصاةً بالجزع بين جلاجلٍ وصرار<sup>(٢)</sup>  
قومٌ إذا هدر العسير رأيتهم حمرا عيونهم من السطار<sup>(٣)</sup>  
خلوا المكارم لستموا من أهلها وخذوا مساحيككم<sup>(٤)</sup> بني النجار  
ذهبت قريش بالمكارم والعلا واللوم تحت عمائم الأنصار

فبلغ ذلك النعمان بن بشير ؛ فدخل على معاوية فحَسَرَ عن رأسه عمامته ،  
وقال : يا أمير المؤمنين ؛ أترى لؤماً ؟ قال : لا ، أرى كرمًا وخَيْرًا ، ما ذاك ؟ قال :  
زعم الأخطل أن اللوم تحت عمامنا ، قال : أو فعل ! قال : نعم ، قال : لك لسانه .

وكتب فيه أن يؤتى به ، فلما أتى به ، سأل الرسول ليدخل إلى يزيد أو لا ،  
فأدخله عليه ، فقال : هذا الذي كنت أخاف ، قال : لا تخف شيئاً ، ودخل على  
معاوية ، فقال : علام أرسل إلى هذا الرجل وهو يرمى من وراء جمرتنا<sup>(٥)</sup> ؟ قال :  
هجا الأنصار ، قال : ومن زعم ذلك ؟ قال : النعمان بن بشير . قال : لا يُقبَلُ  
قوله عليه ، وهو يدعى لنفسه ، ولكن تدعوه بالبيئة ، فإن أثبت شيئاً أخذت به له .  
فدعاه بالبيئة ، فلم يأت بها فحلى سبيله ، فقال الأخطل في يزيد :

(١) الفريضة : هي أم حسان بن ثابت (٢) صرار : اسم جبل ، وجلاجل : مكان  
(٣) للبطار من أسماء الخمر التي اعتصرت من أبكار النعب (٤) المساحي : جمع مسحة وهي  
المخرفة من الحديد (٥) الحجر : اجتماع القبيلة الواحدة على من ناوأها .

صحا القلبُ إلا من ظمائن فاتني  
 وقرَّبَنَ للبينِ الجمالِ وزِينَتِ  
 فطِرُنَ بوَحْشٍ ماتواتيك بعد ما  
 وإني غَدَاةَ استعبرت<sup>(٤)</sup> أمُّ مالكِ  
 ولولا يزيدُ ابنُ الملوكِ وسَيْبُهُ  
 فنكم أنقذتني من جرَّورِ<sup>(٦)</sup> حبالكم  
 إلى أن قال :

أبا خالدٍ ؛ دافعتَ عنى عظيمةً  
 وأطفأتَ عنى نارَ نُعمانِ بعدما  
 ولما رأى النعمانُ دوني ابنَ حرَّةِ  
 ولاتى امرأً لا يَنْقُضُ القومُ عهدَه  
 وأدركتَ لحمي قبل أن يتبددا  
 أغذَّ لأمرِ عاجزٍ وتجرَّدَا<sup>(٩)</sup>  
 طوى الكشَّحَ إذ لم يستطعنى وعَرَّدَا<sup>(١٠)</sup>  
 أمرَ القويِّ دون الوُشاةِ، وأحصدَا<sup>(١١)</sup>

(١) أصعد : سار في أرض مرتفعة (٢) لك : أراد بها الجلود أو الثياب المصبوغة  
 (٣) أراد بالوحش النساء ، والبازي نفسه (٤) استعبرت : جرت عبرتها ، وأم مالك : امرأة  
 الأختل (٥) الحديار : السنة المحدبة ، ويستمار للأمر الصعب (٦) الجرور : الثر البعيدة النور  
 (٧) الحرساء : الداهية (٨) بلد : لصق بالأرض (٩) النعمان بن بشير ، والإغذاذ : سرعة  
 السير ، وأمر عاجز : شديد يعجز صاحبه (١٠) طوى الكشح : أضر العداوة ،  
 هرد : هرب (١١) أمر القوي : أحكم فعلها ، وكذلك أحصد .

## ٥٧ — لو ترك القطأ لنأم\*

تزوج عبدُ الله بن الزبير<sup>(١)</sup> أم عمرو ابنة منظور بن زبَّان الفزاريَّة ، فلما دخل بها قال لها تلك الليلة : أتدريين مَنْ معك في حجَلتك<sup>(٢)</sup> ؟ قالت : نعم ! عبد الله بن الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد بن عبد العزى ، قال : ليس غير هذا ؟ قالت : فما الذى تريدُ ؟ قال : معك مَنْ أصبحَ فى قريش بمنزلة الرأس من الجسد ، لابل بمنزلة العيدين من الرأس .

قالت : أما والله لو أن بعضَ بنى عبد مناف حَضَرَكَ لقال لك خلاف قولك . فغضب وقال : الطعامُ والشرابُ على حرام حتى أحضَرَكَ الهاشميين وغيرهم من بنى عبد مناف فلا يستطيعون لذلك إنكاراً .

قالت : إن أطعتى لم تفعل ، وأنت أعلمُ وشأنك .

فخرج إلى المسجد ، فرأى حَلَقَه فيها قومٌ من قريش ، منهم عبد الله بن عباس وعبدُ الله بن الحصين بن الحارث بن عبد المطلب بن عبد مناف ، فقال لهم ابن الزبير : أحبُّ أن تنطلقوا معى إلى منزلى ، فقام القومُ جميعاً ، حتى وقفوا على باب بيته . فقال ابن الزبير : يا هذه ؛ اطرحى عليك سِتْرَكَ .

\* ابن أبي الحديد : ٢ - ٥٠١ .

(١) عبد الله بن الزبير : أول مولود فى المدينة بعد الهجرة يبيع له بالخلافة سنة ٦٤ هـ بميد موت يزيد بن معاوية وكانت له مع الأمويين وقائع هائلة انتهت بقتله سنة ٧٣ هـ (٢) الحجلة : موضع يزين بالثياب والستور .

فلما أخذوا مجالسهم دعا بالمائدة فتغذى القوم ، فلما فرغوا قال لهم : إنما جمعتمكم لحديثٍ رَدَّتهُ عليّ صاحبةُ السرِّ ، وزعمتُ أنه لو كان بعضُ بنى عبدمناف حضرنى لما أقرتُ لى بما قلت . وقد حضرتم جميعاً . وأنتَ يابنَ عباس ، ماتقول ؟ إني أخبرتُها أن معها فى خدرها منْ أصبح فى قریش بمنزلة الرأس من الجسد ، لا بل بمنزلة العينين من الرأس ، فردت عليّ مقالتي .

فقال ابنُ عباس : أراك قصدتَ قصدى ؛ فإن شئتَ أن أقول قلت ، وإن شئتَ أن أكفَّ كفتت ، قال : بل قل ، وما عسى أن تقول ؟ ألسنتَ تعلم أن أبى الزبير حواريُّ رسولِ الله ، وأن أمى أسماء بنتُ أبى بكر الصديق ذات النطاقين ، وأن عمى خديجة سيدة نساء العالمين ، وأن صفية عمه رسول الله جدتى وأن عائشة أم المؤمنين خالتى ، فهل تستطيع لهذا إنكاراً !

قال ابنُ عباس : لا ، ولقد ذكرتُ شرفاً شريفاً ، وفخراً فاخراً ؛ غير أنك تفاخر منْ بفخره فخرتُ ، وبفضله سموتُ . قال : وكيف ذلك ؟ قال : لأنك لم تذكُرْ فخراً إلا برسول الله وآله ، وأنا أولى بالفخر به منك !

قال ابنُ الزبير : لو شئتُ لفخرتُ عليك بما كان قبل النبوة . قال ابنُ عباس : قد أنصف القارة<sup>(١)</sup> من راماهما ، نشدتكم الله أيها الحاضرون ؛ عبدالمطلب أشرفُ أم خويلد فى قریش ؟ قالوا : عبدالمطلب . قال : أفهاشم كان أشرفَ فيها أم أسد ؟

---

(١) القارة : قبيلة ، وفى اللسان زعموا أن رجلين التقيا ، أحدهما قارى والآخر أسدى ، فقال القارى : إن شئتَ صارعتك ، وإن شئتَ سابتك ، وإن شئتَ راميتك ، فقال الأسدى : قد اخترت الرامة ، فقال القارى : قد أنصفتنى وأنشد :

قد أنصف القارة من راماهما

إذا ما فشة فلغاهما  
فرد أولاهما على أخراهما

قالوا : بل هاشم ! قال : أفعبد مناف كان أشرف أم عبد العزى ؟ قالوا :  
عبد مناف ، فقال ابن عباس :

تتأفروني<sup>(١)</sup> يابن الزبير وقد قضى عليك رسول الله لا قول هازل  
ولو غيرنا يابن الزبير فخرته ولكننا ساميت شمس الأصائل  
قضى لنا رسول الله بالفضل في قوله : « ما أفرقت فرقتان إلا كنت في  
خيرهما » ، فقد فارقتك من بعد قضى<sup>(٢)</sup> بن كلاب ، أفنحن في فرقة الخير أم لا ؟  
إن قلت : نعم خصمت<sup>(٣)</sup> ، وإن قلت : لا كفرت .

فضحك بعض القوم ؛ فقال ابن الزبير : أما والله لولا تجرؤك<sup>(٤)</sup> بطعامنا  
يابن عباس لأغرقت جبينك قبل أن تقوم من مجلسك !

قال ابن عباس : ولم ؟ أباطل ! فالباطل لا يفلب الحق ، أم بحق ! فالحق  
لا يخشى من الباطل .

فقال المرأة من وراء الستر : إني والله قد نهيتك عن هذا المجلس فأبي إلا  
ماترون . فقال ابن عباس : مه أيتها المرأة ، اقنعي ببعلك ، فما أعظم الخطر ،  
وما أكرم الخبر !

فأخذ القوم بيد ابن عباس - وكان قد عمى - فقالوا : انهض أيها الرجل فقد  
أخبتك غير مرة ، فنهض وهو يقول :

ألا يا قومنا ارتحلوا وسيروا      فلو ترك القطأ لفناً ونأما

---

(١) تحاكني في الحسب وتفاخرني (٢) كان من أولاد قضى عبد العزى (ومن سلالته ابن  
الزبير) وعبد مناف (ومن سلالته بنو هاشم) (٣) خصمت: غلبت (٤) تجرؤك: احتماؤك .

فقال ابنُ الزبير : يا صاحبَ القَطَا ؛ أَقْبِلِ عَلَيَّ ، فما كنتَ لَتِدْعَنِي حَتَّى أَقُولَ ،  
وأيُّمُ اللهُ لَقَدْ عَرَفَ الأَقْوَامُ أَنِي سَابِقُ غَيْرِ مَسْبُوقٍ ، وابنُ حَوَارِيٍّ <sup>(١)</sup> وَصَدِيقٌ ،  
مُتَّبِعٌ <sup>(٢)</sup> فِي الشَّرَفِ الأَنِيقُ ، خَيْرٌ مِن طَلِيقٍ <sup>(٣)</sup> وابنُ طَلِيقٍ .

فقال ابنُ عباسٍ : هَذَا الكَلَامُ مَرْدُودٌ مِن امْرِئٍ حَسُودٍ ، فَإِن كُنْتَ سَابِقًا  
فإِلَى مَنْ سَبَقْتَ ؟ وَإِن كُنْتَ فَأَخْرَأَ فِيمَنْ فَخَرْتَ ؟ فَإِن كُنْتَ أَدْرَكَتَ هَذَا الفَخْرَ  
بأسْرَتِكَ دُونَ أسْرَتِنَا فَالفَخْرُ لَكَ عَلَيْنَا ، وَإِن كُنْتَ إِنَّمَا أَدْرَكَتَهُ بِأسْرَتِنَا فَالفَخْرُ لَنَا  
عَلَيْكَ ، وَالكَنْكَتُ <sup>(٤)</sup> فِي فَمِكَ وَبِيَدِكَ .

وأما ما ذَكَرْتَ مِنَ الطَّلِيقِ ؛ فواللهُ لَقَدْ ابْتُلِيَ فَصِيرٌ ، وَأَنْعِمَ عَلَيْهِ فَشَكَرَ ، وَإِن  
كَانَ - وَاللهُ - وَفِيًّا كَرِيمًا غَيْرَ نَاقِضٍ بَيْعَةٍ بَعْدَ تَوَكِيدِهَا ، وَلَا مُسَلِّمٍ كَتِيبَةٍ بَعْدَ  
التَّامِرِ <sup>(٥)</sup> عَلَيْهَا .

فقال ابنُ الزبير : أتعيرُ الزبيرَ بالجبنِ ! واللهُ إنكَ لتَعْلَمُ مِنْهُ خِلافَ ذَلِكَ .  
قال ابنُ عباسٍ : وَاللهُ إِنِّي لَا أَعْلَمُ إِلا أَنَّهُ فَرَّ - وَمَا كَرَّرَ - ، وَحَارِبٌ فَمَا صَبَرَ ، وَبَايَعَ  
فَمَا تَمَّ ، وَقَطَعَ الرَّحِمَ ، وَأَنْكَرَ الفَضْلَ ، وَرَامَ مَالِيَسَ لَهُ بِأَهْلٍ :

وَأَدْرَكَتَ مِنْهَا بَعْضَ مَا كَانَ يَرْتَجِي - وَقَصَّرَ عَنِ جَزَائِ الكِرَامِ وَبَلَدِ <sup>(٦)</sup>  
وَمَا كَانَ إِلا كَالهَجِينِ أَمَامَهُ عِتَاقٍ <sup>(٧)</sup> فِجَارَاهِ العِتَاقِ ، فَأُجْهِدِ

---

(١) الحواري في الأصل : كل مبالغ في نصرة آخر ، وقد لقب الزبير بذلك . والصدیق : أبو بكر ،  
وهو أبو أسماء أم عبد الله بن الزبير (٢) التبجح : الافتخار والتعظم (٣) يعرض بالماس  
ابن عبد المطلب ، وقد أسره المسلمون يوم بدر ، وقد أطلقه رسول الله بعد أن أخذ منه الفدية  
(٤) الكنكك : التراب . (٥) يعرض بالزبير وقد بايع علي بن أبي طالب ثم نكس (٦) لم يتجه  
لشيء ، وبخل ولم يبيد (٧) عتاق : جمع عتيق وهو الكريم من الخيل ، والهجين : ما ليس عتيقاً

فقال ابن الزبير: لم يَبْقَ يابني هاشم غير المشائمة والمُضاربة . فقال عبد الله  
ابن الحصين بن الحارث : أقمناه عنك يا بَنَ الزبير ، وتأبى إلا منازَعته ! والله  
لو نازَعتهُ من ساعتك إلى انقضاء عمرك ما كنت إلا كالسَّفب<sup>(١)</sup> الظمآن ، يفتح  
فاه يستزيدُ من الريح ، فلا يشبع من سَقَب ، ولا يرَوَى من عَطش ، فقل : إن  
شئتَ أوفدَعْ . وانصرف القوم .

---

(١) السفب: الجائم .

٥٨ — مفاخرة ربيعة \*

قال عبدُ الملك<sup>(١)</sup> بن مروان يوماً لجلسائه : خبّرُونِي عن حَيٍّ من أحياء العرب ،  
فيهم أشدُّ الناس ، وأسخَى الناس ، وأخطبُ الناس ، وأطوِّجُ الناس في قومه ،  
وأحلمُ الناس ، وأحضرُمُ جواباً .

قالوا : يا أميرَ المؤمنين ؛ ما نعرفُ هذه القبيلة ، ولكن ينبغي أن تكونَ في  
قريش ، قال : لا ، قالوا : ففي حِمْيَرٍ وملوكها ، قال : لا . قالوا : ففي مضر ،  
قال : لا .

قال مصقلةُ بنُ رقية العبدى : فهي إذن في ربيعة ، ونحن هم . قال : نعم . قال  
جلساؤه : ما نعرفُ هذا في عبد القيس ، إلا أن نخبرنا به يا أميرَ المؤمنين .

قال : نعم ، أمّا أشدُّ الناس حِكيم<sup>(٢)</sup> بن جبلة ؛ كان مع عليّ بن أبي طالب  
رضى الله عنه ، فقطعت ساقه ، فضمَّها إليه ، حتى مرَّ به الذي قطعها فرماه بها ،  
فألغاه عن دابته ، ثم حبا إليه فقتله ، واتَّسكأ عليه ؛ فر به الناس ؛ فقالوا : يا حَكيم ؛  
مَنْ قطع ساقك ؟ قال : وسادى هذا ! وأنشأ يقول :

ياساقُ لا تُرَاعِي إن مَعِيَ ذِرَاعِي

\* أحمي بها كُرَاعِي<sup>(٣)</sup> \*

\* المقدم الفريد : ٢ - ٢٣٢

(١) عبد الملك بن مروان من أعظم الخلفاء ودهاتهم ، استعمله معاوية على المدينة ، وانتقلت إليه  
الخلافة بموت أبيه سنة ٦٥ ، توفى بدمشق سنة ٨٦ هـ (٢) حكيم بن جبلة : صحابي ، اشترك  
في الفتنة أيام عثمان ، ولما كان يوم الجمل قاتل مع أصحاب علي ، وقتل في هذه الواقعة سنة ٣٦ هـ  
(٣) الكراع : اسم يجمع الخيل والسلاح .

وأما أسخى الناس فعبدُ الله بن سوار ؛ استعمله معاوية على السند ؛ فسار إليها في أربعة آلاف من الجند ، وكانت تُوقدُ معه نار حينما سار فيطم الناس ؛ فبينما هو ذات يوم إذ أبصرَ ناراً ، فقال : ماهذه ؟ قالوا : أصلح الله الأمير ! اعتلَّ بعضُ أصحابنا ، فاشتبهى خبيصاً<sup>(١)</sup> ، فعملنا له ؛ فأمر خبازه ألا يطمَ الناس إلا الخبيص ، حتى صاحوا ، وقالوا : أصلح الله الأمير ! ردنا إلى الخبز واللحم ؛ فسعى مُطمَ الخبيص .

وأما أطوعُ الناس في قومه فالجارود<sup>(٢)</sup> بن بشر بن العلاء ؛ لأنه لما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وارتدت العرب ، خطبَ قومه فقال : أيها الناس ، إن كان محمدٌ قد مات فإن الله حيٌّ لا يموت ؛ فاستمسكوا بدينكم ، فمن ذهب له في هذه الرِّدة دينار أو درهم أو بعيرٌ أو شاة ، فله على مثلاه ؛ فما خالفه منهم رجل .

وأما أحضرُ الناس جواباً فصعصعةُ بن صوحان ؛ دخل على معاوية في وفدِ أهل العراق ؛ فقال معاوية : مرحباً بكم يَ أهل العراق ، قدتم أرضَ الله المقدسة ، منها المنشر وإليها المحشر ، قدتم على خير أميرٍ يبرُّ كبيركم ، ويرحم صغيركم ، ولو أنَّ الناس كلُّهم ولدُ أبي سفيان لكانوا حلاماً عقلاء .

فأشار الناس إلى صعصعة ؛ فقام ، فحمدَ الله ، وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم ؛ ثم قال : أما قولك يا معاوية : إننا قدمنا الأرض المقدسة ؛ فلعمري ما الأرض تقدَّس الناس ، ولا يقدَّسُ الناس إلا أعمالهم ، وأما قولك : منها المنشر وإليها المحشر

(١) الخبيص : الطعام من التمر والسمن (٢) هو بشر بن عمرو سيد عبد القيس ، كان شريفاً في الجاهلية وأدرك الإسلام فأسلم وقتل شهيداً سنة ٢٠ هـ

فلعمري ما ينفع قُربها ولا يضر بُعدها مؤمناً . وأما قولك : لو أن الناس كلُّهم ولدُ  
أبي سفيان لكانوا حلماء عقلاء ، فقد ولداهم خيرٌ من أبي سفيان ، آدم صلوات الله  
عليه ، فمنهم الحلِيم والسفيهُ ، والجاهل والعالم .

وأما أحلمُ الناس فإن وفدَ عبد القيس قدموا على النبي صلى الله عليه وسلم  
بصدقاتهم ، وفيهم الأشجّ ، ففرّقها رسول الله ، وهو أول عطاء فرّقه في أصحابه ،  
ثم قال : يا أشجّ ، ادنُ مني ، فدنا منه ، فقال : إن فيك خلّتين يخبئهما الله :  
الأناة والحلم ، وكفى برسول الله شاهداً .

٥٩ — أراك عالماً بقومك \*

رَوَى أَن عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ لَمَّا قَدِمَ الْكُوفَةَ بَعْدَ قَتْلِهِ مُصَعبَ بْنِ الزَّيْرِيرِ جَلَسَ لِعَرَضِ أَحْيَاءِ الْعَرَبِ ، فَقَامَ إِلَيْهِ مَعْبُدُ بْنُ خَالِدِ الْجَدَلِيِّ - وَكَانَ قَصِيراً دَمِيماً - فَتَقَدَّمَ إِلَيْهِ رَجُلٌ حَسَنُ الْهَيْئَةِ .

قَالَ مَعْبُدُ : فَنظَرَ عَبْدُ الْمَلِكِ إِلَى الرَّجُلِ وَقَالَ : مِمَّنْ أَنْتَ ؟ فَسَكَتَ وَلَمْ يَقُلْ شَيْئاً - وَكَانَ مِنْهَا - فَقُلْتُ مِنْ خَلْفِهِ : نَحْنُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ جَدِيلَةَ ، فَأَقْبَلَ عَلَى الرَّجُلِ وَتَرَكَنِي وَقَالَ : مِنْ أَيِّكُمْ ذُو الْإِصْبَعِ ؟ قَالَ الرَّجُلُ : لَا أَدْرِي ، قُلْتَ : كَانَ عَدَوَانِيًّا ، فَأَقْبَلَ عَلَى الرَّجُلِ وَتَرَكَنِي وَقَالَ : لَمْ تُسَمِّ ذَا الْإِصْبَعِ ؟ قَالَ الرَّجُلُ : لَا أَدْرِي ، قُلْتَ : نَهَشْتَهُ حَيَّةً فِي إِصْبَعِهِ فَيَبَسَتْ فَأَقْبَلَ عَلَى الرَّجُلِ وَتَرَكَنِي ، ثُمَّ قَالَ : وَيَمَّ كَانَ يُسَمِّي قَبْلَ ذَلِكَ ؟ قَالَ الرَّجُلُ : لَا أَدْرِي ، قُلْتَ : كَانَ يَسْمَى حُرْثَانَ ، فَأَقْبَلَ عَلَى الرَّجُلِ وَتَرَكَنِي ، ثُمَّ قَالَ : مِنْ أَيِّ عَدَوَانَ كَانَ ؟ فَقُلْتُ مِنْ خَلْفِهِ : مِنْ بَنِي نَاجٍ ، الَّذِينَ يَقُولُ فِيهِمْ الشَّاعِرُ :

وَأَمَّا بَنُو نَاجٍ فَلَا تَذْكُرْهُمْ      وَلَا تُتْبِعَنَّ عَيْنِكَ مَا كَانَ هَالِكًا  
إِذَا قُلْتَ مَعْرُوفًا لِأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ      يَقُولُ وَهَيْبٌ لَا أَسْأَلُ ذَلِكَ  
فَأُضْحَى كظَهَرَ الْفَجَلُ جُبَّ سَنَامُهُ      يَدْبُ إِلَى الْأَعْدَاءِ أَحْدَبَ بَارِكًا

فَأَقْبَلَ عَلَى الرَّجُلِ وَتَرَكَنِي وَقَالَ : أَنَشِدُنِي قَوْلَهُ : « عَذِيرَ الْحَيِّ مِنْ عَدَوَانَ » .

قال الرجل : لستُ أرويهَا ؛ قلت : يا أميرَ المؤمنين ؛ إن شئتُ أنشدتَكَ . قال :  
ادنُ مني ؛ فإنِّي أراك بقومك عالمًا . فأنشدته :

وليس المرءُ في شيءٍ من الإبرامِ والنَّقْضِ  
إذا أبرمَ أمرًا خَا لَهُ يَقْضِي وَمَا يَقْضِي  
يقولُ اليومَ أمْضِيهِ وَلَا يَمْلِكُ مَا يُمْنِي  
عذيرَ الحَيِّ من عَدُوِّهِ نَ كَانُوا حَيَّةَ الْأَرْضِ (١)  
بغى بعضهمُ بعضًا فلم يُبْقُوا على بعضِ  
فقد صاروا أحاديثَ بَرَفَعِ الْقَوْلِ وَالْخَفْضِ  
ومنهم كانت السادا تُ وَالْمَوْفُونَ بِالْقَرْضِ  
ومنهم حَكَمَ يَقْضِي فَلَا يُنْقِضُ مَا يَقْضِي  
ومنهم من يُجِيزُ (٢) النَّاسَ بِالسَّنَةِ وَالْقَرْضِ  
وَمَنْ مَنَ وَلَدُوا أَشْبَوْا (٣) بَسْرًا الْحَسْبِ الْمُخْضِ  
ومن ولدوا عامرَ ذُو الطُّولِ وَذُو الْعَرَضِ  
وَمَنْ بَوَّأ (٤) تَقِيْفًا دَا رَ لَا ذُلَّ وَلَا خَفْضِ

فأقبل على الرجل وتركني وقال : كم عطاؤك ؟ فقال : ألقان . فأقبل على

كاتبه وقال : اجعل الألقين لهذا والخسمانة لهذا . فانصرفتُ بها .

(١) يقال : فلان حية الوادي أو الأرض أو البلد : أي دام خبيث .

(٢) كانت لإجازة الحج لخرافة ، ثم انتقلت إلى عدوان ، يقف رئيسهم في أيام الحج يخاطب في

الناس ثم ينفر ويتبعونه بعد ذلك (٣) يقال : أشبه فلان إذا ولد له ولد كيس (٤) بوا : أنزلوا .

٦٠ — لقد خِفْتُ أَنْ تَفْخَرَ عَلَيَّ\*

دخل رجل من بني سعد على عبد الملك بن مروان ، فقال له من الرجل ؟  
قال : من الذين قال لهم الشاعر :

إِذَا غَضِبْتَ عَلَيْكَ بَنُو تَمِيمٍ حَسِبْتَ النَّاسَ كُلَّهُمْ غَضَابًا

قال : فمن أيهم أنت ؟ قال : من الذين يقول فيهم القائل :

يَزِيدُ بَنُو سَعْدٍ عَلَى عَدَدِ الْحَصَى وَأَثْقَلُ مِنْ وَزَنِ الْجِبَالِ حُلُومَهَا<sup>(١)</sup>

قال : فمن أيهم أنت ؟ قال : من الذين يقول لهم الشاعر :

ثِيَابُ بَنِي عَوْفٍ طَهَارَى تَقِيَةٌ وَأَوْجُهُمْ بِيضُ الْمَسَافِرِ غُرَّانُ<sup>(٢)</sup>

قال : فمن أيهم أنت ؟ قال : من الذين يقول لهم الشاعر :

فَلَا وَأَيُّكَ مَا ظَلَمْتَ قُرَيْبُ بَانَ يَبْنُوا الْمَكَازِمَ حَيْثُ شَاءُوا

قال : فمن أيهم أنت ؟ قال : من الذين يقول لهم الشاعر :

قَوْمٌ هُمُ الْأَنْفُ وَالْأَذْنَابُ غَيْرُهُمْ وَمَنْ يُسَوِّيْ بِأَنْفِ النَّاقَةِ الذَّنْبَا؟

قال : اجلس لا جلست ! والله لقد خفتُ أن تفخرَ عليّ .

\* نهاية الأرب : ٣ - ٢٠٠

(١) الملوم : جمع حلم : وهو العقل .

(٢) يقال : رجل أغر الوجه إذا كان أبيض الوجه ، من قوم غر وجران ، والبيت لامرئ القيس

(اللسان - غرر) .

## ٦١ - عبد الله بن جعفر والحجاج\*

أكره الحجاجُ بن يوسف عبد الله بن جعفر على أن زوجته ابنته ، فاستأجله<sup>(١)</sup> في ثقلها سنة ؛ ثم فكرَ عبدُ الله في الانفكاك منه ، فألقى<sup>(٢)</sup> في روعه خالدُ بن يزيد ، فكتب إليه يعلمه ذلك - وكان الحجاجُ تزوجها بإذنِ عبد الملك - فورد على خالد كتابه ليلاً ، فاستأذنَ من ساعتهِ على عبد الملك . فقيل : أفي هذا الوقت ؟ فقال : إنيته أمرٌ لا يُؤخَّر .

فأعلمَ عبدُ الملك بذلك ، فأذنَ له . فلما دخل عليه قال له عبد الملك : فيم السرى<sup>(٣)</sup> يا أبا هاشم ؟ قال : أمرٌ جليل لم آمن أن أوخِّره ، فتحدُّث على حادثة ، فلا أكون قد قضيتُ حقَّ بيعةِك . قال : وما هو ؟ قال : أنعلمُ أنه ما كان بين حيينِ من العداوة والبغضاء ما كان بين آل الزبير وآل أبي سفيان ؟ قال : لا ، قال : فإن تزويجي<sup>(٤)</sup> إلى آل الزبير أذهبَ ما كان لهم في قلبي ، فما أهل بيت أحبُّ إليّ منهم .

قال : فإنَّ ذلك ليكون .

قال : فكيف أذنتَ للحجاج أن يتزوج في بني هاشم ، وأنت تعلم ما يقولون ويُقال فيهم ؟ والحجاجُ من سلطانك بحيث علمت ! فجزأه خيراً وكتب إلى الحجاج أن يطلقها .

\* رغبة الأمل : ٥ - ٢٣ ، الكامل : ١ - ٢٠٥

(١) طلب منه أن يؤجله إلى مدة (٢) في روعه : فكر فيه (٣) السرى : السير بالليل (٤) كان خالدٌ قد تزوج رملة بنت الزبير بن العوام .

فطَلَّقَهَا ، وَغَدَا النَّاسُ عَلَيْهِ يُعَزُّوْنَهِ . عَنْهَا ؛ فَكَانَ مِنْ أَتَاهِ عَمْرُو بْنُ عُتْبَةَ بْنِ أَبِي سَفْيَانَ ، فَأَوْقَعَ الْحِجَابُ بِخَالِدٍ ؛ فَقَالَ : كَانَ الْأَمْرُ لِأَبَائِهِ فَعَجَزَ عَنْهُ حَتَّى انْتَزِعَ مِنْهُ . فَقَالَ لَهُ عَمْرُو بْنُ عُتْبَةَ : لَا تَقُلْ ذَا أَيُّهَا الْأَمِيرُ ؛ فَإِنَّ خَالِدًا قَدِيمًا سَبَقَ إِلَيْهِ ، وَحَدِيثًا لَمْ يُغْلَبْ عَلَيْهِ ، وَلَوْ طَلَبَ الْأَمْرَ لَطَلَبَهُ بِجِدِّهِ وَجِدِّهِ ، وَلَكِنَّهُ عِلْمٌ عَلَمًا ، فَسَلِّمِ الْعِلْمَ إِلَى أَهْلِهِ .

فَقَالَ الْحِجَابُ : يَا آلَ أَبِي سَفْيَانَ ؛ أَنْتُمْ تُحِبُّونَ أَنْ تَحْمَلُمُوا ، وَلَا يَكُونُ الْحِلْمُ إِلَّا مِنْ غَضَبٍ ؛ فَفَحْنُ نُنْفِضُكُمْ فِي الْعَاجِلِ ؛ ابْتِغَاءً مَرْضَاتِكُمْ فِي الْأَجْلِ .

## ٦٢ - إنها قريش يُقَارِعُ بعضها بعضاً\*

لما قَتَلَ ابنُ الزبير حَجَّ خالده<sup>(١)</sup> بن يزيد بن معاوية ، فخطبَ رَمَلَةَ بنتَ الزبير بن العوام ؛ فأرسل إليه الحجاج حاجبه عبيد الله ، فقال له : ما كنتُ أراكَ تحطِبُ إلى آل الزبير حتى تشاورني ! وكيف خطبتِ إلى قوم ليسوا لك بأكفاء ، وهم الذين قارعوا أباك على الخلافة ، ورموه بكل قبيلة ، وشهدوا عليه وعلى جدك بالضلالة !

فنظر إليه خالد طويلاً ، ثم قال له : لولا أنك رسول - والرسولُ لا يعاقب - لقطعتك إزباً إزباً<sup>(٢)</sup> ، ثم طرحتك على باب صاحبك ؛ قل له : ما كنتُ أرى أن الأمور بلغتْ بك إلى أن أشاورك في خِطْبَةِ النساء . وأما قولك لي : قارعوا أباك ، وشهدوا عليه بكل قبيلة ، فإنها قريش يُقَارِعُ بعضها بعضاً ؛ فإذا أقرَّ الله عز وجل قراره كان تقاطعهم وتراحمهم على قدر أحلامهم وفضلهم .

وأما قولك : إنهم ليسوا بأكفاء ، فقاتلك الله يا حجاج ! ما أقلَّ علمك بأنساب قريش ! أيكون العوام كفننا لعبد المطلب بن هاشم بتزوجه صفية ، ويتزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم خديجة بنت خويلد ، ولا ترام أهلاً لأبي سفيان !

### فرجع الحاجب إليه فأعلمه !

\* الأغانى : ١٦ - ٨٤ ، بلوغ الأرب : ٢ - ٦ ،

(١) خالد بن يزيد بن أبي سفيان بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف ، كان من رجالات قريش سخاء ، وعارضةً وفصاحة ، وكان قد شغل نفسه بطلب الكيمياء ، فأفنى بذلك عمره وأسقط نفسه (٢) لإربا لإربا : عضوا عضوا .

٦٣ — تَسْتَجِيرُ بِقَبْرِ أَبِيهِ \*

لما ولى الحجاجُ تميمَ بنَ زيدِ التَّمِيَّيَّ السَّنَدِيَّ دخلَ البصرةَ فجعلَ يُخْرِجُ من أهلها مَنْ شاءَ ؛ فجاءتِ عَجُوزٌ إلى الفرزدقِ <sup>(١)</sup> فقالت : إني استجرتُ بقبرِ أبيك - وأتتَ منه بِحَصِيَّاتٍ <sup>(٢)</sup> - فقال لها : وما شأنُك ؟ قالت : إن تميمَ بنَ زيدٍ خرجَ بابنٍ لي معه ، ولا قرَّةَ لعيني ، ولا كاسِبَ لي غيرُهُ : فقال لها : وما اسمُ ابنك ؟ فقالت : خُنَيْسُ .

فكتب إلى تميم بن زيدٍ مع بعضٍ من شَخَصٍ :

تَمِيمُ بنَ زَيْدٍ لَا تَكُونَنَّ حَاجَتِي      بظَهْرٍ ، فَلَا يَعْأَى عَلَيَّ جَوَابُهَا  
وَهَبْ لِي خُنَيْسًا وَاحْتَسِبْ فِيهِ مَنَّةً      لَمَبْرَةٍ أُمِّ مَآ يَسُوعُ شَرَابُهَا  
أَتْنِي فَعَاذَتْ يَا تَمِيمُ بِفَالِبٍ <sup>(٣)</sup>      وَبِالْحَفْرَةِ السَّاقِي عَلِيهَا تَرَابُهَا  
وَقَدْ عَلِمَ الْأَقْوَامُ أَنَّكَ مَا جِدُّ      وَلَيْتَ إِذَا مَا الْحَرْبُ شَبَّ شِهَابُهَا

فلما وردَ الكتابُ على تميمٍ تشكك في الاسمِ ، فقال : أَحْبَبَيْشُ أُمِ خُنَيْسِ ؟ انظروا مَنْ له مثلُ هذا الإسمِ في عسكرنا . فأصيب ستة ما بين حبيسٍ وخنيسٍ ، فوجه بهم إليه .

\* الكامل : ١ - ٢٩١

(١) الفرزدق : شاعر بن أهل البصرة ، عظيم الأثر في اللغة وهو صاحب الأخبار مع جرير والأخطل ومهاجته لها أشهر من أن تذكر . تولى سنة ١١٠ هـ (٢) الحصى : سفار الحجارة ، الواحدة حصة . (٣) غالب موأبو الفرزدق .

## ٦٤ - الفرزدق والأنصار \*

قال إبراهيم بن محمد بن سعد بن أبي وقاص الزهري : قدم الفرزدق المدينة في إمارة أبان بن عثمان ؛ وإني والفرزدق وكثيراً جلوساً في المسجد تتناشد الأشعار ؛ إذ طلع علينا غلام شخت<sup>(١)</sup> آدم في ثوبين مُمَصَّرين<sup>(٢)</sup> ، ثم قصد نحونا حتى جاء إلينا فلم يسلم ، فقال : أيكم الفرزدق ؟ فقلت - مخافة أن يكون من قريش : أهكذا تقول لسيد العرب وشاعرها ! فقال : لو كان كذلك لم أقل هذا له .

فقال له الفرزدق : ومن أنت لا أم لك !

قال : رجل من بني الأنصار ، ثم من بني النجار ، ثم أنا ابن أبي بكر بن حزم . . بلغني أنك تزعم أنك أشعر العرب ، وتزعم مضر ذلك لك ، وقد قال صاحبنا حسانُ شعراً ، فأردت أن أعرضه عليك وأوجلك سنة ، فإن قلت مثله فانت أشعر العرب ، وإلا فانت كذابٌ منتحل ، ثم أنشده قول حسان :

لنا الجففاتُ الغرُّ يلْمَعن بالضحا      وأسيفنا يَقَطْرُن من نجدة دماً  
متى ما تزرنا من معدٍ عصابةٌ      وغسان<sup>(٣)</sup> نمنع حوضنا أن يهدماً  
أبي فملنا المعروف أن ننطق الخنا      وقائلنا بالعرف إلا تكلاً  
ولدنا بني المتعاقب وابني مُحَرَّقٍ      فأكرم بنا خالاً وأكرم بنا ابناً

وأنشده القصيدة إلى آخرها ، وقال له : إني فدأجتلك فيها حولاً ، ثم انصرف

\* الأغانى : ٩ - ٣٣٧

(١) الشخت : الدقيق الضامر ، أصلاً ، لا هزالاً (٢) ممصران : أى مصبوغان بصفرة غير شديد

(٣) وغسان : الواو هاهنا للقسم ، لأن غسان لم تكن تغزوم مع معد .

وانصرف الفرزدق مُغَضَّباً يسحبُ رداءه ما يدرى أى طريق يسلك ، حتى خرج من المسجد .

فأقبل كثيرٌ علىَّ فقال : قاتل الله الأنصارى ! ما أفصح لهجته ، وأوضح حجته وأجود شعره ! ثم لم نزلْ في حديث الفرزدق والأنصارى بقية يومنا ، حتى إذا كان الندى خرجتُ من منزلي إلى مجلسي الذي كنت فيه بالأمس ؛ وأتاني كثيرٌ فجلس معي ؛ فإننا لتذاكر الفرزدق ونقول : ليت شعري ما فعل ! إذ طلع علينا في حلة أفواف<sup>(١)</sup> يمانية موشاة ، له غدیرتان ، حتى جلس في مجلسه بالأمس ، ثم قال : ما فعل الأنصارى ؟ فإنا منه وشتمناه ؛ فقال : قاتله الله ! ما رميتُ بمثله ولا سمعتُ بمثل شعره ؛ فارتكبا فأتيتُ منزلي ، فأقبلتُ أضعُدُ وأصوبُ في كل فنٍّ من الشعر ، فكأني مُفحَم ، أو لم أقل قط شعراً ، حتى نادى المنادى بالفجر ، فرحلتُ ناقتي ، ثم أخذتُ بزمامها ، فقدمتها حتى أتيتُ ذباباً<sup>(٢)</sup> ، ثم ناديتُ بأعلى صوتي : أحاكم أبا لئبي ! وجاش صدري كما يجيش المرجل ، ثم عقلتُ ناقتي ، وتوسدتُ ذراعها ، فما قتتُ حتى قلتُ مائة وثلاثة عشر بيتاً .

فبينما هو يُنشدنا ، إذ طلع علينا الأنصارى حتى انتهى إلينا فسلم ، ثم قال : أما إنى لم آتک لأعجلك عن الأجل الذي وقتهُ لك ، ولكنى أحببت ألا أراك إلا سألتك عما صنعت ، فقال : اجلس ، ثم أنشده قصيدته :

عزفت بأعشاش<sup>(٣)</sup> وما كدت تعزفُ      وأنكرت من حدراء ما كنت تعرفُ  
ولج بك الهجران حتى كأنه      ترى الموت في البيت الذي كنت تألفُ

(١) أفواف : جمع فوف وهو النطن . (٢) ذباب : جبل بالمدينة .

(٣) أعشاش : موضع في بلاد بني تميم .

ومنها :

لنا العِزَّةُ الغَلْبَاءُ والعددُ الذى عليه إذا عدَّ الحصى يُتَحَلَّفُ (١)  
 ولا عزًّا إلا عِزُّنا قاهرٌ له وَيَسَأُ لَنَا النِّصْفَ الذَّلِيلُ فَيُنْصَفُ (٢)  
 ومِنَّا الذى لا يَنْطِقُ النَّاسُ عِنْدَهُ ولكن هو المُسْتَيَاذَنُ المُتَنَصِّفُ (٣)  
 تراهُمُ قَعُوداً حَوْلَهُ ، وَعِيُونُهُم مُكْسِرَةٌ أَطْرَافُهَا مَا تَصَرَّفُ  
 إذا هبَطَ النَّاسُ المُحْصَبَ مِن مِئى عَشِيَّةَ يَوْمِ النَّجْرِ مِنْ حَيْثُ عَرَفُوا (٤)  
 ترى النَّاسَ مَا سَرْنَا يَسِيرُونَ خَلْفَنَا وَإِنْ نَحْنُ أَوْ مَأْنَا إِلَى النَّاسِ وَقَفُوا (٥)

فلما فرغ الفرزدقُ من إنشاده قام الأنصارى كثيراً ، فلما توارى طلع أبوه فى مَشِيخَةً مِنَ الْأَنْصَارِ فسلموا علينا وقالوا : يَا أَبَا فِرَاسٍ ؛ قَدْ عَرَفْتَ حَالَنَا وَمَكَانَنَا مِنْ رَسولِ اللَّهِ وَوَصِيَّتِهِ بِنَا ؛ وَقَدْ بَلَّغْنَا أَنَّ سَفِينًا مِنْ سَفِينَاتِنَا تَعْرِضُ لَكَ ، فَسَأَلْنَا بِاللَّهِ لَمَّا حَفِظْتَ فِينَا وَصِيَّةَ رَسولِ اللَّهِ وَوَهَبْنَا لَهُ وَلَمْ تَفْضَحْنَا . قال إبراهيم : فأقبلت أسكله أنا وكثير ، فلما أكثرنا عليه قال : اذهبوا فقد وهبكم لهذا القرشى .

(١) يتحلف : يحلف الناس أنه عدد الحصى .

(٢) النصف هنا : الإنصاف (٣) المتنصف : المطلوب منه الإنصاف (٤) المحصب : موضع روى الجار بجنى . وعرفوا : أى من حيث هبطوا من جبل عرفات (٥) كان الذى يؤم الناس ويدفع بهم من عرفات فى الجاهلية من تميم ، فيسيرون بسيره ويقفون بوقوفه .

٦٥ — الفرزدق عند سليمان بن عبد الملك \*

دخل الفرزدق على سليمان بن عبد الملك ، فقال له : مَنْ أَنْتَ ؟ وَتَجْهَمُ لَهُ كَأَنَّهُ لَا يَعْرِفُهُ ، فَقَالَ لَهُ الْفَرَزْدَقُ : أَوْ مَا تَعْرِفُنِي يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ؟ قَالَ : لَا ، قَالَ : أَنَا مِنْ قَوْمٍ مِنْهُمْ أَوْفَى الْعَرَبِ ، وَأَسْوَدُ الْعَرَبِ ، وَأَجُودُ الْعَرَبِ وَأَحْلَمُ الْعَرَبِ ، وَأَفْرَسُ الْعَرَبِ ، وَأَشْعَرُ الْعَرَبِ .

قال : وَاللَّهِ لَتُبَيِّنَنَّ مَا قُلْتَ أَوْ لَا أَجْمَنُ ظَهْرَكَ وَلَا أَهْدِيَنَّ دَارَكَ .

قال : نَعَمْ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، أَمَا أَوْفَى الْعَرَبِ فَحَاجِبُ بْنُ زُرَّارَةَ الَّذِي رَهَنَ قَوْسَهُ عَنْ جَمِيعِ الْعَرَبِ فَوَفَّى بِهَا .

وَأَمَا أَسْوَدُ الْعَرَبِ فَقَيْسُ بْنُ عَاصِمِ الَّذِي وَفَدَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَبَسَطَ لَهُ رِدَاءَهُ ، وَقَالَ : هَذَا سَيْدُ الْوَبَرِ .

وَأَمَا أَحْلَمُ الْعَرَبِ فَمَتَّابُ بْنُ وَرْقَاءَ الرِّيَّاحِيِّ .

وَأَمَا أَفْرَسُ الْعَرَبِ فَالْحَرِيشُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ السَّعْدِيِّ ، وَأَمَا أَشْعَرُ الْعَرَبِ فَهَذَا بَيْنَ يَدَيْكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ .

فَاغْتَمَّ سُلَيْمَانُ مِمَّا سَمِعَ مِنْ فَخْرِهِ وَلَمْ يَنْكُرْهُ ، وَقَالَ : ارْجِعْ عَلَى عَقْبِكَ ، فَالْكَ عِنْدِي شَيْءٌ مِنْ خَيْرٍ . فَرَجَعَ الْفَرَزْدَقُ وَقَالَ :

أَتَيْنَاكَ لَا مِنْ حَاجَةٍ عَرَضَتْ لَنَا إِلَيْكَ ، وَلَا مِنْ قَلَّةٍ فِي مُجَاشِعٍ<sup>(١)</sup>

\* المقدم الفرزدق : ٢ - ١٩٣

(١) هو مجاشع بن دارم بن مالك بن حنظلة من تميم .

٦٦ — البَاهِلِيُّ \*

قال أبو قلابة الجرميُّ : حَجَجْنَا سِرَّةَ مع أبي جَزء بن عمرو بن سعيد ، وكُنَّا فِي ذَرَاهِ (١) : وهو إذ ذاك بهيٌّ وَضِيٌّ ؛ فجلسنا في المسجد الحرام إلى أقوام من بني الحارث بن كعب ، لم نَرَ أَفْصَحَ منهم ؛ فرأوا هيئةَ أبي جَزء وإِعْظَامَنَا إِيَّاهُ ، مع جَمَالِهِ ؛ فقال قائلٌ منهم : أَمِنْ أَهْلِ بَيْتِ الخليفةِ أَنْتَ ؟ قال : لا ، ولكن رجلٌ من العرب . قال : مِمَّنِ الرجلُ ؟ قال رجلٌ من مُضَرَ . قال : أَعْرَضَ ثوبٌ لِلْمَلْبَسِ (٢) ؛ من أَيِّهَا عَافَاكَ اللهُ ! قال : رجلٌ من قَيْسِ . قال : أَيْنَ يُرَادُ بِكَ ؟ صِرْتُ إِلَى فَصِيلَتِكَ الَّتِي تُؤْوِيكَ . قال : رجلٌ من بني سعد ، قال : اللهم عَفِّرْهُ ! من أَيِّهَا عَافَاكَ اللهُ ؟ قال : رجلٌ من بني يَمَعُرَ . قال : من أَيِّهَا ؟ قال رجلٌ من باهلة . قال : قُمْنَا عِنَّا .

قال أبو قلابة : فَأَقْبَلْتُ عَلَى الحارثيِّ فَقُلْتُ : أتعرفُ هذا ؟ قال : ذكر أنه باهليٌّ ، فقلت : هذا أمير ابن أمير . . . وعدادت خمسة . ثم قلت : هذا أبو جزء ابن عمرو ، وكان أميراً ، ابن سعيد ، وكان أميراً : ابن سلم ، وكان أميراً ، ابن قتيبة وكان أميراً .

\* النكامل : ٢ - ٢٤

(١) ذراه : كنفه (٢) الملبس : ثوب اللبس ، يريد أتم وسار عريضاً ، وهو مثل يضرب حين يقال للرجل : ممن أنت ؟ فيقول : من مضراً أو ربيعة أو الهين ولم يخمس ، أي عمت ولم تخم

فقال الحارثي: الأمير أعظم أم الخليفة؟ قلت: بل الخليفة. قال: أفأخليفة  
أعظم أم النبي؟ قلت: بل النبي. قال: والله لو عدت له في النبوة أضف  
ما عدت له في الإمارة، ثم كان باهلياً ما عبأ<sup>(١)</sup> الله به شيئاً.  
فكادت نفس أبي جزة تخرج؛ قلت: انهض بنا، فإن هؤلاء أسوأ  
الناس آداباً.

---

(١) ما عبأ الله به شيئاً: يريد: لم يكن له قدر منه.

## ٦٧ - كُثُومِ الْعَتَابِيِّ\*

كان أَخَوَانٌ مِنْ قَيْسٍ يَخْفَرَانِ قَرْيَةَ بِالْجَزِيرَةِ ، فَطَالَ مَقَامَهُمَا بِهَا حَتَّى أَثْرَبَا ، فَخَسَدَ قَوْمٌ مِنْ رِبِيعَةَ ؛ وَقَالُوا : يَخْفَرَانِ هَذِهِ الضِّيَاعِ فِي بِلَدِنَا ، وَجَمَعُوا لَهَا جَمْعًا ، وَسَارُوا إِلَيْهَا ، فَقَاتَلُوهُمَا حَتَّى قُتِلَ أَحَدُهُمَا ؛ وَعَلَى الْجَزِيرَةِ يَوْمَئِذٍ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ صَالِحِ الْهَاشِمِيِّ<sup>(١)</sup> ، فَشَكَا الْقَيْسِيُّ أَمْرَهُ إِلَى وَجُوهِ قَيْسٍ ، وَعَرَفْتَهُمْ قَتَلَ رِبِيعَةَ أَخَاهُ .

فَقَالُوا لَهُ : إِذَا جَلَسَ الْأَمِيرُ فَادْخُلْ إِلَيْهِ ، فَفَعَلَ ذَلِكَ ، وَدَخَلَ عَلَى عَبْدِ الْمَلِكِ وَشَكَا إِلَيْهِ مَالِحَةً ، ثُمَّ قَالَ لَهُ : وَحَسْبُ الْأَمِيرِ أَنَّهُمْ لَمَّا قَتَلُوا أَخِي وَأَخَذُوا مَالِي قَالَ قَاتِلْ مِنْهُمْ :

لَا يَحْوِزَنَّ أَمْرًا مُضَرِّيًّا بِخَفِيرٍ وَلَا بِسَفِيرٍ خَفِيرٍ

فَقَالَ عَبْدُ الْمَلِكِ : أَتَنْدُبُنِي<sup>(٢)</sup> إِلَى الْعَصِيْبَةِ أَوْ زَبْرَةَ<sup>(٣)</sup> .

فَفَرَجَ الرَّجُلُ مَغْمُومًا ، وَشَكَا ذَلِكَ إِلَى وَجُوهِ قَيْسٍ ، فَقَالُوا : لَا تُرْعِ ، فَوَاللَّهِ لَقَدْ ذَقْنَا فِي سُوَيْدَاءِ قَلْبِهِ ، فَعَاوَدَهُ .

فَعَاوَدَهُ فِي الْمَجْلِسِ الْآخِرِ فَزَبْرَهُ ، وَقَالَ لَهُ قَوْلَهُ الْأَوَّلَ ، فَقَالَ لَهُ : إِنِّي لَمْ آتِكَ أَنْدُبُكَ لِلْعَصِيْبَةِ ، وَإِنَّمَا جِئْتُكَ مُسْتَعْدِيًّا<sup>(٤)</sup> . فَقَالَ لَهُ : حَدِّثْنِي كَيْفَ فَعَلَ الْقَوْمُ ؟ فَحَدَّثَهُ وَأَنْشَدَهُ فَعَضِبَ ، وَقَالَ : كَذَبْتَ لِعَمْرِي لِيَحْوِزَنَّ .

\* الْأَغَانِي : ١٢ - ٨

(١) عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ صَالِحٍ : أَمِيرٌ مِنْ بَنِي الْعَبَّاسِ ، تَوَلَّى الْمَوْصِلَ ، ثُمَّ الْمَدِينَةَ ، وَبَلَغَ الرَّشِيدَ أَنَّهُ يُطَلَّبُ الْمَلَانَةَ فَبَيْسَهُ ، وَتَوَفَّى سَنَةَ ١٩٦ هـ (٢) نَدَبَهُ لِأَمْرٍ : دَمَاهُ إِلَيْهِ (٣) زَبْرَةُ : زَجْرُهُ وَاتِّهَرُهُ (٤) اسْتَعْدَيْتَ الْأَمِيرَ : اسْتَعْنَتَ بِهِ .

ثم دعا أحد قواده، وقال له : اخرج ، وجرد السيف في ربيعة . فخرج وقتل منها مقتلة عظيمة ، فقال كلثوم بن عمرو العتّابي - وهو من ربيعة - قصيدة فيها :

هَذِي يَمِينِكَ فِي قُرْبَاكَ صَائِلَةٌ      وصارم من سيوف الهند مشهورُ  
 إِنْ كَانَ مَنَاذِرُكَ وَمَارِقَةٌ<sup>(١)</sup>      وَعُصْبَةٌ دِينَهَا الدَّوَانُ وَالزُّورُ  
 فَإِنَّ مَنَا<sup>(٢)</sup> الَّذِي لَا يَسْتَحِثُّ إِذَا      حُتَّ الْجِيَادُ وَضَمَّتْهَا الْمَضَامِيرُ<sup>(٣)</sup>  
 مَسْتَنْبِطُ عِزْمَاتِ الْقَلْبِ مِنْ فِكْرٍ      مَا بَيْنَهُنَّ وَبَيْنَ اللَّهِ مَعْمُورُ  
 وبلغت القصيدة عبد الملك ، فأمر قائده بالكف عنهم .

ولما قدم الرشيد الرافقة<sup>(٤)</sup> أنشده عبد الملك القصيدة ، فقال : إِمِنْ هَذِهِ ؟ فقال : لرجل من بني عتّاب يقال له : كلثوم بن عمرو ، فقال : وما يمنعه أن يكون بيابنا ؟ وأمر بإشخاصه من رأس عَيْن<sup>(٥)</sup> .

فوافق الرشيد ، وعليه قميص غليظ وفرّوة وخُفّ ، وعلى كتفه ملحفة جافية ؛ فلما رُفِعَ الخبرُ بقدمه أمر الرشيد بأن تُفْرَشَ له حجرة ، وتقام له وظيفة ؛ ففعلوا ، فكانت المائدة إذا قُدِّمَتْ إليه أخذ منها رقاقةً وملحاً وخلط الملح بالتراب فأكله بها ، فإذا كان وقت النوم نام على الأرض ، والخدمُ يتمجبون من فعله ، وسأل الرشيد غنه فأخبروه بأمره ، فأمر بطرده .

فخرج حتى أتى يحيى بن سعيد العقيلي وهو في منزله ، فسلم عليه ، وانتسب له ، فرحب به وقال له : ارتفع ، فقال : لم آتكَ للجلوس ، قال : فما حاجتك ؟ قال :

(١) الإفك : الكذب ، والمارقة : الخارجون (٢) يشير إلى عبد الله بن هشام بن بسطام التغلبي وكان أحد قوادهم (٣) المضار : الموضع الذي تضم فيه الخيل (٤) بلدة على الفرات بناها المنصور (٥) الجزيرة .

دابةً أبلغُ عليها إلى رأسِ عَيْنٍ ، فقال : يا غلام ! أعطِ الفرسَ الفلانيَّ ، فقال : لا حاجة لي في ذلك ، ولكن تأسر أن تُشترى لي دابةً أتبلغُ عليها ، فقال لفلانمه : امض معي ، فاتبعْ له ما يريد . فمضى معه ، فعدل به العتّابي إلى سوق الحمير ، فقال له : إنما أمرني أن أبتاع لك دابة ، فقال كلثوم : إنه أرسلك معي ولم يُرسلني معك فإن عملت ما أريد وإلا فانصرف . فمضى معه ، فاشتري حماراً بمائة وخمسين درهماً وقال : ادفع ثمنه ، فدفعه . فركب الحمار بمرشحة<sup>(١)</sup> عليه وبرذعة ، وساقاه مكشوفتان .

فقال له يحيى بن سعيد : فضحتني ، أمثلي يَحْمِلُ مثلك على هذا ! فضحك وقال : ما رأيتُ قدْرَكَ يستوجب أكثر من ذلك . ومضى إلى رأس عين ، وكانت تحته امرأةٌ من بَاهِلَةِ ، فلامته وقالت : هذا منصور النمرى قد أخذ الأموال فحلى نساءه ، وبنى دارَه ، واشترى ضياعاً ، وأنت هنا كما ترى ؛ فأنشأ يقول :

تَلومُ على تَرَكِ الغِنَى باهليَّةً	ذَوَى الفَقْرِ عنها كل طِرْفٍ وتالِدِ <sup>(٢)</sup>
رَأَتْ حَولَهَا النِّسوانِ يرفُفنُ في الثرى <sup>(٣)</sup>	مقلدة أعناقها بالقلائدِ
أَسْرَكَ أنى نلتُ ما نال جعفرَ <sup>(٤)</sup>	من العيش ، أو ما نال يحيى بن خالدٍ
وَأَنْ أميرَ المؤمنينِ أغصني	مفصَّهما بالمرهفاتِ البواردِ
رَأَيْتُ رَفِيعاتِ الأمورِ مشوبةً	بمستودعاتِ في بطونِ الأساودِ
دعيني تَجِثني ميثي مطمئنةً	ولم أنجشمُ هَوْلَ تلكِ اللوَارِدِ

(١) المرشحة : ما يوضع تحت الميثة ، والميثة : هنة تتخذ للسرَج .  
 (٢) الطرف هنا : الحديث من المال ، والتالِد : غير الحديث من المال .  
 (٣) الثراء (٤) جعفر البرمكي .



## البَابُ الثَّالِثُ

في القصص التي تنقل ما كانوا يتفكّهون به من  
أَسْمَارٍ وَمُطَايَبَاتٍ ، وَمُنَافَذَاتٍ وَأَفَاكِيهِ ، مما نال  
به المحدثونِ والندماءِ سِنِي الجوائزِ والجلعِ من الخلفاءِ  
والوزراءِ ، وما ارتفعت به مكاتبتهم عند السادةِ والوجوهِ  
في المجتمعاتِ والمنتدياتِ .

٦٨ - يبيع اسمه\*

لقي تأبط شراً<sup>(١)</sup> رجلاً من ثقيف يقال له أبو وهب ، وكان جباناً أهوج<sup>(٢)</sup> ،  
وعليه حلةٌ جيدة ، فقال أبو وهب لتأبط شرا : بم تطلبُ الرجال يا ثابت وأنت - كما  
أرى - دميمٌ ضئيل ؟ قال : بأسمى ، إنما أقول ساعة ما ألقى الرجل : أنا تأبط شرا ،  
فيُخلع قلبه حتى أنال منه ما أردتُ .

فقال له الثقيفي : أقط<sup>(٣)</sup> ؟ قال : قَطَّ ، قال : فهل لك أن تبيعتني اسمك ؟  
قال : نعم ، قال : فمَ تَبْتَاعُهُ ؟ قال : بهذه الحلَّةِ وبكنيتي . قال له : أفعل . ففعل ،  
وقال تأبط شرا : لك اسمي ولي كنتك ، وأخذ حُلته ، وأعطاه طمْرِيه<sup>(٤)</sup> ، ثم  
انصرف .

وقال في ذلك يخاطب زوجة الثقيفي :

ألا هل أتى الحسناء أن حايِلها      تأبط شراً واكتنيتُ أبا وهبِ  
فهبه تسمي اسمي وسميت باسمه      فأين له صبري كلّي مُعْظَمِ الخطيبِ  
وأين له بأسٌ كَبْأَمي وسورتي      وأين له في كل فادِحَةٍ قَلبي ا

\* مهذب الأغانى : ١ - ٢١٦

(١) هو ثابت بن جابر ، كان أسمع العرب وأبصرهم وأكيدهم ، اشتهر بالمدو والغزو ، توفي نحو  
سنة ٨٠ ق ٥٠ (٢) الهوج : الطول في حق وطيش وتسرع (٣) أقط : أحسب  
(٤) الطمر : الكساء البالي .

٦٩ - أنا كنتُ أُولَى بهذا الشعر من أيك\*

حجَّ معاوية حِجَّتَيْنِ<sup>(١)</sup> في خلافته ، وكانت له ثلاثون بَغْلَةً يُمِجُّ عليها نساؤه وجواربه ؛ فحجَّ في إحداهما ، فرأى شيخاً يصلي في المسجد الحرام ، عليه ثوبان أبيضان ؛ فقال : من هذا ؟ قالوا : سَعِيَّة بن غَرِيض - وكان من اليهود .

فأرسل إليه يَدْعُوهُ ، فأتاه رسوله ، فقال : أَجِبْ أمير المؤمنين . قال : أوليس قد مات أمير المؤمنين ؟ قيل : فأجب معاوية : فأتاه فلم يَسَلِّمَ عليه بالخلافة ، فقال له معاوية : ما فعلت أرضك التي بَدَيْمَاء ؟ قال : يُكْسَى منها العارى ، وَيُرَدُّ فَضْلُهَا على الجار . قال : أَفَتَبِعُهَا ؟ قال : نعم . قال : بكم ؟ قال : بستين ألف دينار ، ولولا خَلَّةٌ<sup>(٢)</sup> أصابت الحمى لم أبقها . قال : لقد أَعْلَيْتِ<sup>(٣)</sup> ! قال : أما لو كانت لبعض أصحابك لأخذتها بستائة ألف دينار ، ثم لم تُبَالِ : قال : أجله ، وإذ بخلت بأرضك فأنشدنى شعر أيك يَرْتِي به نفسه فقال : قال أبى :

يا ليتَ شعري حينَ أُنْدَبُ هالِكاً	ماذا تَوَبَّنِي به أنوَأحسى <sup>(٤)</sup> !
أيقُلن : لا تَبَعْدُ ، فربُّ كَرِيهَةٍ	فَرَجَّتْهَا بِشِجَاعَةٍ وَسَمَّاحٍ
ولقد ضربتُ بِفَضْلِ مَالِي حَقَّهُ	عند الشتاءِ وَهَبَّةِ الأَرْوَاحِ <sup>(٥)</sup>
ولقد أخذتُ الحقَّ غيرَ مَخَاصِمٍ	ولقد رددتُ الحقَّ غيرَ مُلَاحِحِي <sup>(٦)</sup>
وإذا دُعيتُ لَصَعْبَةٍ سَهَلْتُهَا	أُدْعَى بِأَفْلَحِ مَرَّةً ، وَنِجَاحِ

\* الأغانى : ٣ - ١٣٠

(١) الحجَّة : المرَّة من الحج ، وهى من الشواذ ، لأن القياس الفتح (٢) الخلة : الحاجة والفقر (٣) جعلتها غالبية (٤) الأنواح : النائمات (٥) الأرواح : الرياح (٦) الملاحاة : المنازعة .

قال : أنا كنتُ بهذا الشعر أوثى من أيك . قال : كذبتَ ولوئنتَ ! قال :  
أما كذبتُ فنعم ، وأما لوئنتُ فلم ؟ قال : لأنك كنت مَيِّتَ الحقِّ في الجاهلية  
ومَيِّتُهُ في الإسلام ؛ أما في الجاهلية فقاتلتَ النبيَّ صلى الله عليه وسلم والوحيَ حتى  
جَمَلَ اللهُ عزَّ وجلَّ كَيْدَكَ المردود . وأما في الإسلام فنمعتَ ولد رسول الله صلى الله  
عليه وسلم الخِلافة ، وما أنتَ وهى ، وأنتَ ظَلِيقُ ابنِ طَلِيقِ <sup>(١)</sup> ! فقال معاوية :  
قد خَرَفَ <sup>(٢)</sup> الشيخ فأقيموه ؛ فأخَذَ بيده فأَقِيم .

---

(١) الطليق : الأسير الذى أطلق عنه لِساره ، وهو يريد أنه من الطلقاء الذين حاربوا النبي وآذوه  
فلما غلبهم عام الفتح خطبهم فقال : يا معشر قريش ؛ ما نرون أُنَى من لِبكم ؟ قالوا : خيراً ، أخ ،  
كريم وابن أخ كريم . فقال : اذهبوا فأنتم الطلقاء .  
(٢) خرف : فسد عقله من الكبر .

٧٠ - عبد الرحمن بن الحكم يترضى زياداً\*

دخل بنو أمية ، وفيهم عبد الرحمن بن الحكم ، على معاوية ، عندما استلحق زياداً ، فقال له عبد الرحمن : يا معاوية ؛ لو لم تجد إلا الزنج (١) لا ستكرت بهم علينا قلة وذلة - يعني على بنى أبي العاص .

فأقبل معاوية على مهران ، وقال : أخرج عنا هذا الخليع (٢) . فقال مروان : إى والله إنه خليع ما يطاق ، فقال معاوية : والله لولا حلوى وتجاوزى لعلت أنه يطاق ؛ ألم ييلنى شعره فى وفى زياد ! ؟ فقال مروان : أسمعنيه فأنشد :

ألا أبلغ معاوية بن حرب لقد ضاقت بما يأتى اليدان

ثم قال : والله لا أرضى عنه حتى يأتى زيادا ، فيترضاه ويعتذر إليه .

فجاء عبد الرحمن بن الحكم إلى زياد معتذراً يستأذن عليه ، فلم يأذن له .

فأقبلت قريش تكلمه فى أمر عبد الرحمن ، فلما دخل سلم فتشأوس (٣) إليه

زياد بعينيه ، ثم قال : أنت القائل ما قلت ؟ قال عبد الرحمن : ما الذى قلت ؟

قال : قلت ما لا يفال ، قال : أصلح الله الأمير ! إنه لا ذنب لمن أعتب (٤) ،

وإنما الصنح من أذنب ، فسمع منى ما أقول . قال : هات ، فأنشده :

إليك أبا المغيرة تبت مما جرى بالشام من خطل (٥) اللسان

\* ابن أبي الحديد : ٤ - ٧١

(١) الزنج والزنج : جيل من السودان (٢) الخليع : الرجل يحنى الجنايات يؤخذ بها أولياؤه فيبرهون به ومن جناياته ، والخليع أيضاً : المستهتر بالشرب والهوى وللأمر للقرار (٣) التشاوس : أن ينظر إليه بمؤخر عينيه ويميل وجهه فى شق العين التى ينظر بها (٤) أعتب : الإعتاب رجوع المتعوب عليه إلى ما يرضى العتاب (٥) الخطل : النطق الفاسد المضطرب .

وأغضبتُ الخليفةَ فيك حتى دعاه فرَطَ غيظٍ أنْ هجاني  
وقلت لمنَ لحاني <sup>(١)</sup> في اعتذارى : إليك اذهب فشأنك غيرُ شاني  
عرفتُ الحقَّ بعد ضلالِ رأبي وبعد النعيِّ من زَيْغِ الجِنَانِ <sup>(٢)</sup>  
زيادٌ من أبي سفيانٍ غُصْنٌ تهادى ناضراً بين الجِنَانِ <sup>(٣)</sup>  
أراك أحمًا وعمًا وابنَ عمِّ فـأأدرى بعيبٍ ما تراني  
وإن زيادةً في آلِ حربٍ أحبُّ إليَّ من وَسْطَى بناني  
ألا أبلغ معاويةَ بن حربٍ فقد ظفرت بما تأتي اليدان

فقال زياد : قد سمعنا شعرك ، وقبلنا عذرك ، فهات حاجتك . قال : تكتبُ  
إلى أمير المؤمنين بالرضا عني . قال : نعم ، ثم دعا بكتابه فكتب له بالرضا عنه .  
فأخذ كتابه ومضى حتى دخلَ على معاوية ، فلما قرأه ، قال : لحا الله <sup>(٤)</sup> زياداً !  
لم يتنبه لقوله : « وإن زيادةً في آل حرب » .  
ثم رضى عن عبدِ الرحمن ، وردَّه إلى حاله .

(١) لحاني : لامي وعمتني (٢) الجنان : القلب (٣) جمع جنة (٤) لحاه الله : أهلكه ولنته .

٧١ - أتاكم غريبُ الدارِ مظلومٌ \*

استعمل عُتْبَةُ بن أبي سفيان رجلاً من آله على الطائف ، فظلم رجلاً من  
أزْدِ شَنْوَةَ ، فأتى الأزديُّ عتبة ، فمثل بين يديه ، فقال :

أمرت من كان مظلوماً ليأتىكم فقد أتاكم غريبُ الدارِ مظلومٌ !  
ثم ذكر ظلامته ؛ فقال له عتبة : إني أراك أعرابياً جافياً ، والله ما أحسبك  
تدرى كم نُصَلِّي في كلِّ يومٍ وليلة : فقال : أرايت إن أنبأتك ذلك أتجعلُ لي  
عليك مسألةً ! قال : نعم ، فقال الأعرابي :

إن الصلاةَ أربعٌ وأربعٌ ثم ثلاثٌ بعدهنَّ أربعٌ

\* ثم صلاةُ الفجرِ لا تُضَيِّعُ \*

فقال : صدقت . فاسأل ، فقال : كم فقارٌ <sup>(١)</sup> ظهرك ؟ فقال : لا أدري ، فقال :

أفتحكُم بين الناس ، وأنت تجهلُ هذا من نفسك ! قال : ردُّوا عليه غَنِيمَتَهُ <sup>(٢)</sup> .

\* الكامل للمبرد : ١ - ٢٠٩

(١) الفقارُ : جمع فقارة ، وهي أيضاً الفقرة (٢) النجفة : تصغير غم ، قال في اللسان : إذا  
صفرتها أدخلت عليها التاء لأن أسماء الجموع التي لا واحد لها من لفظها إذا كانت لغير الآدميين  
وصفرتها فالتأنيث لها لازم .

٧٢ — أرى فيك موضعاً للصنعة \*

أخذ مُصَنَّبٌ<sup>(١)</sup> بنُ الزُّبير رجلاً من أصحاب الخنار ، فأمر بضرب عنقه  
فقال : أيها الأمير ؛ ما أقبح بك أن أقومَ يومَ القيامةِ إلى صورتِكَ هذه الحسنةِ  
ووجهك هذا الذي يُسْتَبْضَأُ به ، فأنتلقُ بأطرافك وأقول : أي ربُّ ؛ سلْ مصعباً  
فيم قَتَلَنِي ؟ قال : أطلقوه .

قال : اجعلْ ما وهبتَ لي من حياتي في خَفَضٍ . قال : أعطوه مائة ألف .  
قال : بأبي أنتَ وأمي ، أشهدُ اللهَ أن لابنَ قيسِ الرُّقَيَّاتِ منها خمسين ألفاً . قال :  
ولِمَ ؟ قال : لقوله فيك :

إِنَّمَا مُصَنَّبٌ شَهَابٌ مِنَ الْإِلاهِ تَجَلَّتْ عَنْ وَجْهِهِ الظُّلُمَاتُ  
مُلْكُهُ مُلْكٌ رَحِمَةٌ لَيْسَ فِيهِ جَبْرٌ يُخْشَى وَلَا كِبْرِيَاءُ  
يَتَّقِي اللهُ فِي الْأُمُورِ وَقَدْ أَفْ لَمَحَ مَنْ كَانَ هُمُ الْإِتِّقَاءُ

فضحك مُصَنَّبٌ ، وقال : أرى فيك موضعاً للصنعة . وأمره بلزومه ، وأحسن  
إليه ، فلم يزل معه حتى قتل .

\* عيون الأخبار : ١ : ١٠٣

(١) أحد الولاة الأبطال في صدر الإسلام ، وولاه أخوه عبيدة البصرة ، ثم أضاف إليه الكوفة  
فأحسن السياسة ، وأجرى العدل ، خرج عبد الملك بن مروان لقتاله ، ثم قتل وحمل رأسه إليه سنة ٥٧١هـ .

٧٣ — الرُّقِيَّةُ \*

دخل عبدُ الله بن جعفر على عبد الملك بن مروان <sup>(١)</sup> ، فوجده يتأوه ، فقال :  
يا أميرَ المؤمنين ؛ لو أدخلتَ عليك من يُؤنسك بأحاديث العرب وبياسطك  
استرحت ! فقال : لستُ بصاحبٍ لهو ، فقال : ما الذي تشكوه يا أمير المؤمنين ؟ قال :  
هَاجَ بي النَّسَاءُ <sup>(٢)</sup> ليأتي هذه ؛ فيبلغ مني ما تراه .

قال : إنَّ بُدَيْنَجًا مولاي أُرْقِي <sup>(٣)</sup> اتَّخَلَّقِي منه . فأمر بإحضاره .

فلما مثل <sup>(٤)</sup> بين يديه قال عبد الملك : يا بُدَيْنَج ، اِرْقِي رجلى ، فقال :  
يامولاي ؛ أنا أُرْقِي الناسَ لها . ثم وضع يده عليها ، وجعل يقول مالا يُسمع ، فقال  
عبد الملك : قد وجدتُ راحةً بهذه الرُّقِيَّةِ ؛ أين فلانة ؟ ائتوني بها تكسبها ؛  
لئلا يهيجَ بي الوجعُ بالليل .

قال بديح : يمينا ؛ ما أكتبها إلا بمجمل جائزتي ، فأمر له بأربعة آلاف  
درهم ، فقال : يا أمير المؤمنين ، يمينا ، ما أكتبها حتى تُحملَ جائزتي إلى بيتي .  
قال : تُحْمَلُ . فَحُمِلَتْ .

\* المستطرف : ٢ - ٢٣٢

(١) من أعظم الخلفاء ودهاتهم ، نشأ في المدينة ، واستعمله معاوية عليها ، وانتقلت إليه الخلافة  
سنة ٦٥ هـ ، وتوفى سنة ٨٦ هـ (٢) النساء عرق من الورك إلى الكعب ، ولا يقال : عرق  
النساء لأن الشيء لا يضاف إلى نفسه (٣) رقى الراقى رقبة ، إذا هوذت وفث .  
(٤) مثل : وقف .

فقال : يا أمير المؤمنين : يمينا مارقيتُ رجلك إلا مباسطة بقول نصيب :  
ألا إن ليلى العامرية أصبحت على البعد منى ذنبَ غيرى تنقمُ  
فقال : ويحك ، ما تقول ! قال : مارقيتُك إلا بها ، فقال : اكتمها  
على ، فقال : كيف وقد سارت بها الرُّكبان إلى أخيك بمصر ! فضحك حتى  
فحص الأرضَ برجليه .

٧٤ -- ظَرْفُ عَبَادِ الْحِجَازِ \*

قال عبدُ الله بن عمر العمريّ : خرجتُ حاجًا ، فرأيتُ امرأةً جميلةً تتكلم بكلام أُرِفَتْ<sup>(١)</sup> فيه ، فأدْنَيْتُ ناقتي منها ، ثم قلتُ لها : يَا أُمَّةَ اللَّهِ ، أَلَسْتَ حَاجَةً ! أما تخافين الله ؟ فَسَفَرَتْ عن وجهِ يَبْهَرِ الشَّمْسِ حسنًا ، ثم قالت : تَأَمَّلْ يَا عَمَّ فَإِنِّي مِمَّنْ عَنَاهُ الْعَرَجِيُّ<sup>(٢)</sup> بقوله :

أَمَاطَتْ كِسَاءَ الْخَزِّ عَنْ حُرٍّ وَجْهَهَا وَأَدْنَتْ عَلَى الْخَلْدَيْنِ بُرْدًا مَهْلَمَلَا  
مِنَ اللَّاءِ لَمْ يَحْجُبْ جَنِّ يَبْفَيْنِ حِسْبَةً<sup>(٣)</sup> وَلَكِنْ لَيَقْتُلَنَّ الْبَرِيءَ الْمَغْفَلَا<sup>(٤)</sup>  
فقلتُ لها : فَإِنِّي أَسْأَلُ اللَّهَ أَلَّا يُعَذِّبَ هَذَا الْوَجْهَ بِالنَّارِ .

وبلغ ذلك سعيد بن المسيّب<sup>(٥)</sup> فقال : أما والله لو كان من بعض بُغَضَاءِ الْعِرَاقِ لَقَالَ لَهَا : اعْزُبِي قَبْحَكَ<sup>(٦)</sup> اللَّهُ ! وَلَكِنَّهُ ظَرْفُ عَبَادِ الْحِجَازِ .

\* الأغانى : ١ - ٤٠٣ .

(١) أُرِفَتْ : تكلمت بفاحش القول (٢) هو عبد الله بن عمر ، شاعر غزل ينحونحو عمر بن أبي ربيعة ، وكان من الأدباء الظرفاء الأسخياء ، ولقب بالمرجى لسكنائه قرية العرج في الطائف (٣) المسبة : الأجز (٤) المغفل : الذي لا فطنة له (٥) سعيد بن المسيّب ، سيد التابعين ، جمع بين الحديث والفقه ، توفي سنة ٩٤ هـ . (٦) قبّحه الله : نحاه عن الخير .

٧٥ — جرير وجارية الحجاج \*

نزل جرير<sup>(١)</sup> على عَنبَسَةَ<sup>(١)</sup> بن سعيد بوَاسِطِ ، ولم يكن أحدٌ يدخلها إلا بإذن الحجاج ، فلما دخل على عَنبَسَةَ ، قال له : وَيَحْكُ ! لَقَدْ غَرَّرْتَ بِنَفْسِكَ ، فَمَا حَلَمْتُ عَلَى مَا فَعَلْتَ ؟ قال : شِعْرٌ قَلْتَهُ اعْتَلَجَ فِي صَدْرِي ، وَجَاشَتْ بِهِ نَفْسِي ، وَأَحْبَبْتُ أَنْ يَسْمَعَهُ الْأَمِيرُ . فَعَنَفَهُ وَأَدْخَلَهُ بَيْتًا فِي جَانِبِ دَارِهِ ، وَقَالَ : لَا تُطْلِمَنَّ رَأْسَكَ حَتَّى نَنْظَرَ كَيْفَ تَكُونُ الْحِيلَةُ لَكَ .

ولم يلبث أن أتاه رسولُ الحجاج من ساعته يدعوهُ في يومِ قَانِظِ ، وهو قَاعِدٌ فِي الْخَضْرَاءِ<sup>(٢)</sup> ، وَقَدْ صُبَّ فِيهَا مَاءٌ اسْتَنْقَعَ<sup>(٣)</sup> فِي أَسْفَلِهَا ، وَهُوَ قَاعِدٌ عَلَى سُرِيرٍ ، وَكَرْسَى مَوْضُوعٌ نَاحِيَةً .

قال عنبسة : فَعَدَدْتُ عَلَى الْكُرْسِيِّ ، وَأَقْبَلْتُ عَلَى الْحَجَايِمِ حَتَّى ، فَلَمَّا رَأَيْتُ تُطْلِقُهُ وَطِيبَ نَفْسَهُ قُلْتُ : أَمَّا لِحِ اللَّهِ الْأَمِيرَ ! رَجُلٌ مِنْ شِعْرَاءِ الْعَرَبِ قَالَ فِيكَ شِعْرًا أَجَادَ فِيهِ ، فَاسْتَخَفَّهُ عَجْبُهُ بِهِ حَتَّى دَعَاهُ إِلَى أَنْ رَحَلَ إِلَيْكَ ، وَدَخَلَ مَدِينَتَكَ مِنْ غَيْرِ أَنْ يُسْتَأْذَنَ لَهُ . قَالَ : وَمَنْ هُوَ ؟ قُلْتُ : ابْنُ الْخَطْفِيِّ . قَالَ : وَأَيْنَ ؟ قُلْتُ : فِي الْمَنْزِلِ . قَالَ : يَا غُلَامَ ، فَأَقْبِلِ الْعِلْمَانَ يُتَسَارِعُونَ . قَالَ : صَفَّ لَهُمْ مَوْضِعَهُ مِنْ دَارِكَ ؛ فَوَصَفْتُ لَهُمُ الْبَيْتَ الَّذِي هُوَ فِيهِ .

\* الْأَغَانِي : ٨ - ٧٥ ، الْكَامِلُ : ١ - ٣١٢ .

(١) هُوَ عَنبَسَةُ بْنُ سَعِيدِ بْنِ الْعَاصِ أَحَدِ أَشْرَافِ بَنِي أُمِيَّةٍ ، حَبَسَهُ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ مَرْوَانَ يَوْمَ قَتْلِ أَخِيهِ عَمْرُو بْنِ سَعِيدِ الْأَشْدَقِ (٢) الْخَضْرَاءُ : يَرَادُ بِهَا خَضْرَاءُ وَاسِطِ ، وَتَعْرَفُ بِالْقُبَّةِ الْخَضْرَاءِ بِهَا هِجَابُ الْحَجَّاجِ مَعَ قَصْرِهِ فِي هَذِهِ الْمَدِينَةِ (٣) اسْتَنْقَعَ الْمَاءَ : اجْتَمَعَ .

فانطلقوا حتى جاءوا به ، فأدخل عليه وهو مأخوذ بضبعيه<sup>(١)</sup> حتى رُمي به في الخضراء ، فوقع على وجهه في الماء ، ثم قام يَتَنَفَّسُ كما يَتَنَفَّسُ<sup>(٢)</sup> الفَرَّخُ . فقال له : هيه ! ما أقدامك علينا بغير إذننا ؟ لا أمَّ لك ! قال : أوصَلَحَ اللهُ الأمير ! قلتُ في الأمير شعراً لم يقل مثله أحدٌ ؛ فجاشَ به صدري ، وأحبيت أن يسمه مني الأميرُ ؛ فأقبلتُ به إليه .

فَتَطَلَّقَ الحِجَّاجُ وسكَنَ ، واستنشده ، فأنشده ، ثم قال : يا غلام ، فجاءوا يَسْعَوْنَ . فقال : علىَ بالجارية التي بعث بها إلينا عاملُ اليمامة ؛ فأُتيَ بجاريةٍ بيضاءَ مَدِيدَةٍ القامةِ . فقال : إن أصبَتْ صِفَتَهَا فهي لك . فقال : ليس لي أن أقولَ فيها وهي جاريةُ الأمير . فقال : بلى ، فتأملها واسألها ؛ فقال لها : ما اسمك ؟ فأمسكت . فقال لها الحجاج : خَبِّريه ، فقالت : أمانة ، فأنشأ :

وَدَّعْ أمانةَ حَانَ منك زحيلٍ      إن الوداعَ لمن تُحِبُّ قليلُ  
مثلُ الكَتِيبِ تمايلتَ أعطافهُ      فالريحُ تجرُّ برمتَهُ وتهيلُ  
هذي القلوبُ صوادياً تَيَمَّمَتِهَا      وأرى الشفاءَ وما إليه سبيلُ

فقال الحجاج : قد جعل الله لك السبيلَ إليها ، فخذها فهي لك .  
فضرب بيده إلى يديها ، فتمنعت عليه ، فقال :

إن كان طِبُّكُمْ<sup>(٣)</sup> الدلالُ فإنه      حسنٌ دلالُك يا أمَّامَ جميل

فاستضحك الحجاج ، وأمر بتجهيزها معه إلى اليمامة .

وكانت من أهل الرى ، وكان إخوتها أحراراً ، فاتبعوه ، فأعطوه بها حتى

بلغوا عشرين ألفاً فلم يقبل ، ففي ذلك يقول :

(١) الضبع : العضد كلها أو وسطها بلحمها (٢) تنفس الطائر : قض ريشه (٣) الطب : المذهب ، والدلال : الدالة .

إذا عرضوا عشرين ألفاً تعرّضت لأُمّ حكيم حاجةً هي ماهياً  
لقد زدت أهل الرّميّ عندي مودّةً وحبّيت أضعافاً إلى المواليا  
فأولدها حكيماً وبلالاً وحرزّه بنيه .

٧٦ — أرادت عرّاراً بالهوان\*

لما أخذ الحجاجُ رأس ابن الأشعث وجّه به إلى عبد الملك بن مروان ، مع  
عرّار<sup>(١)</sup> بن عمرو بن شأس الأسدّي ، وكان أسودَ دميماً ؛ فلما وردت به عليه جعل  
عبدُ الملك لا يسأل عن شيء من أمرِ الوقعة<sup>(٢)</sup> إلا أنباه به عرّار ، في أصحّ لفظ ،  
وأشبع قولٍ ، وأجزأ اختصار .

فسفاه من الخبر ، وملاً أذنه صواباً ، وعبدُ الملك لا يعرفه ، وقد اقتحمته<sup>(٣)</sup>  
عينه حين رآه ، فقال عبد الملك مُتمثلاً :

أرادت عرّاراً بالهوان ومن يُردّ لعمري عرّاراً بالهوان فقد ظلم  
وإنّ عرّاراً إن يكن غير واضحٍ فإني أحبُّ الجونَ ذا المنكبِ العمم<sup>(٤)</sup>  
فقال له عرّار : أتعرفني يا أمير المؤمنين ؟ قال : لا ! قال : فأنا والله عرّار ،  
فزاد في سروره ، وأضعف له الجائزة .

\* الكامل : ١ - ١٦٠

(١) ضبطه صاحب اللسان ( مادة عرر ) بالفتح ، ولما أورد البيت الثاني من البيتين الواردين في  
القصة ضبطه بالكسر (٢) الوقعة : الواقعة (٣) اقتحمته : احتقرته (٤) منكب عمم :  
طويل .

٧٧ - قد نجوت\*

خرج العَدِيلُ<sup>(١)</sup> بن الفرخ يريدُ الحَجَّاجَ<sup>(٢)</sup> ، فلما صار ببابه حجبه الحاجب فوثب عليه العَدِيلُ ، وقال : إنه لن يدخلَ على الأمير - بعد رجالات قريش - من هو أكبرُ مني ولا أولى بهذا الباب ؛ فنارعه الحاجبُ الكلامَ ، فأحفظه<sup>(٣)</sup> ، وانصرف العَدِيلُ عن باب الحجاجِ إلى يزيد بن المهلب ، فلما دخل إليه أنشأ يقول :

لئن أرتجَ الحَجَّاجُ بالبخلِ بابه      فبابُ الفتى الأزديِّ بالعرفِ يُفتحُ  
فتى لا يبالي الدهرَ ماقلَّ ماله      إذا جُعِلتْ أيدي المكارمِ تَسْفَعُ  
يداهُ يد بالعرفِ تنهب ماحوت      وأخرى على الأعداءِ نسطو وتجرحُ  
إذا ما أتاه المرملون<sup>(٤)</sup> تيقنوا      بأنَّ الغنى فيهم وشيكا سيسترحُ  
أقام على العافين<sup>(٥)</sup> حراسَ بابه      ينادونهم ، وألحُرُّ بالحرِّ يفرحُ  
هللوا إلى سنبِ الأميرِ وعُرفه      فإن عطاياهُ على الناسِ تنفحُ

فقال له يزيد : عرَّضتَ بنا وخاطرتَ بدمك ، وباللَّهِ لا يصلُ إليك وأنت في حيزي ، ثم أمر له بخمسين ألف درهم ، وأمر له بأفراس ، وقال له : الحق بعلياء نجد ، واحذر أن تعلقك حبالُ الحجاج ، أو تَحْتَجِّنَكَ<sup>(٦)</sup> محاجته ، وابعث إلى في كل عام ، فلك على مثل هذا ، فارتحل .

\* الأغانى : ١٣ - ٢٠

(١) العَدِيلُ : شاعر مقل من شعراء الدولة الأموية (٢) الحجاج : انظر صفحته ٢٨  
(٣) أحفظه : أغضبه (٤) أرملوا : فقد زادهم (٥) العاقى : طالب العروف (٦) تحتجيك .

وبلغ الحجاج خبره ، فأحفظه ذلك على يزيد ، وطلب العديل فهرب وقال :

أخوف بالحجاج حتى كأننا      يحرك عظم في الفؤاد مهبض  
ودون يد الحجاج من أن تنالني      بساط لأيدي الناعجات<sup>(١)</sup> عريض  
مهامه أشباه كأن سرابها      ملاء<sup>(٢)</sup> بأيدي الغاسلات رحيض<sup>(٣)</sup>

ولكن الحجاج لجَّ في طلبه حتى لفظته الأرض ، ونبا به كل مكان هرب  
إليه ؛ فأتى بكر بن وائل ، وهم يومئذ بلدون ، فشكا إليهم أمره ، وقال لهم : أنا  
مقتول ، أفتسلموني هكذا وأنتم أعزُّ العرب ! قالوا : لا والله ؛ ولكن الحجاج  
لا يُراغم<sup>(٤)</sup> ، ونحن نستوهبك منه ، فإن أجابنا فقد كُفيت ، وإن حادنا<sup>(٥)</sup> في  
أمرك منعناك ، وسألنا أمير المؤمنين أن يهبك لنا .

فأقام فيهم ، واجتمعت وجوه بكر بن وائل إلى الحجاج ، فقالوا له : أيها  
الأمير ؛ إننا قد جنينا جميعاً عليك جناية لا يفر منها ، وهانحن أولاء قد استسلمنا  
وألقينا بأيدينا إليك ، فإما وهبت فأهل ذلك أنت ، وإما عاقبت فكنت المسلط  
للمالك العادل ؛ فتبسم وقال : قد عفوت عن كل جرُم إلا جرم الفاسق العديل ،  
فقاموا على أرجلهم وقالوا : مثلك أيها الأمير لا يستثنى على أهل طاعته وأوليائه  
في شيء ، فإن رأيت ألا تكدر مننتك باستثناء ، وأن تهب لنا العديل في أول  
من تهب . قال : قد فعلت ، فهاتوه - قبحه الله - فأتوه به ، فلما مثل بين  
يديه أنشأ يقول :

فلو كنت في سلكي أجا وشعابها      لكان الحجاج على دليـــــــــــــــــل

---

(١) ناعجات : جم الناعجة : الناقة السريمة ، أو التي تصاد عليها ناعج الوحش (٢) الملاء :  
جم ملاءة ، وهي الربطة (٣) الرحيض : الثوب الغسول (٤) لا يراغم : لا يعادي .  
(٥) حاده : غاضبه وعاداه وخالفه .

بنى قبة الإسلام حتى كأنما  
إذا جأَرَ حَكْمُ النَّاسِ أَلْجَأَ حَكْمَهُ  
خَلِيلٌ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ وَسَيْفُهُ  
بِهِ نَصَرَ اللَّهُ الْخَلِيفَةَ مِنْهُمْ  
فَأَنْتَ كَسَيْفِ اللَّهِ فِي الْأَرْضِ خَالِدٌ  
وَجَازَيْتَ أَصْحَابَ الْبَلَاءِ بِبَلَاءِهِمْ  
وَصُلَّتْ بِمِرْأَقِ الْعِرَاقِ فَأَصْبَحَتْ  
وَمَا خِفْتُ شَيْئًا غَيْرَ رَبِّي وَحْدَهُ  
تَرَى الثَّقَلَيْنِ : الْجِنَّ وَالْإِنْسَ أَصْبَحَا  
هَدَى النَّاسَ مِنْ بَعْدِ الضَّلَالِ رَسُولٌ  
إِلَى اللَّهِ قَاضٍ بِالْكِتَابِ عَقُولَ  
لِكُلِّ إِمَامٍ صَاحِبٌ وَخَلِيلٌ  
وَتَبَّتْ مَلَكَا كَادَ عَنْهُ يَزُولُ  
تَصُولُ بِصَوْنِ اللَّهِ حِينَ تَصُولُ  
فَمَا مِنْهُمْ عَمَّا تُحِبُّ نُسْكُولٌ (١)  
مَنَاصِكُهَا لِلوَطْءِ وَهِيَ ذُلُولُ  
إِذَا مَا انْتَحَيْتُ النَفْسُ كَيْفَ أَقُولُ  
عَلَى طَاعَةِ الْحِجَاجِ حَيْبُ يَصُولُ  
فَقَالَ لَهُ الْحِجَاجُ : أَوْلَى لَكَ ! قَدْ نَجَّوْتِ ، وَفَرَضَ لَهُ ، وَأَعْطَاهُ عَطَاءَهُ .

---

(١) النسكول : النكوس والجن .

٧٨ — ما أنا بيارح أو يرضى أمير المؤمنين \*

أوفد الحجاجُ ابنه محمداً إلى عبد الملك عاشرَ عشرة من أهل العراق ، وأوفدَ إليه جريراً<sup>(١)</sup> معه ، ووصاه به ، وأمره بمسألة عبد الملك في الاستماع منه .

فقدم محمدٌ على عبد الملك فخطب بين يديه ، فأجلسه على سريره عند رجله ، ثم دعا بالوفد رجلاً رجلاً ، فجعل كلما خطب رجل قطع خطبته وتكلم جرير فقطع خطبته ، ثم قال : مَنْ هذا يا محمد ؟ فقال : هذا يا أمير المؤمنين ابنُ الخطفي . قال : مادحُ الحجاج ؟ قال : وما دحكُ يا أمير المؤمنين ! فقال جرير : إن رأى أمير المؤمنين أن يأذن لي في إنشاده مِدْحَةً فيه ! قال : هات ما قلت في الحجاج ، فأنشده :

صَبَرْتَ<sup>(٢)</sup> النفسَ يا ابنَ أبي عقيل      محافظةً فكيف تَرَى الثَّوَابَا  
ولو لم يَرْضَ رَبُّكَ لم يُنَزَّلْ      مع النصر الملائكة الغضابا  
إذا سَعَرَ<sup>(٣)</sup> الخليفةُ نارَ حَرْبٍ      رأى الحجاجَ أَنْقَبَهَا<sup>(٤)</sup> شِهَابَا<sup>(٥)</sup>

\* المحاسن والساوي : ٢٣٠ ، طبع لبيزج ، الأغاني : ٨ - ٦٧

(١) كان جرير مقبلاً بالبادية ، فكتب إليه بنو يربوع : أنت مقيم بالبادية ، وليس أحد يروى عنك ، والفرزدق قد ملاً عليك العراق ، فأنحدر إلى جماعة الناس ؛ فأشد بالرجل كما يشيد بك ؛ فأنحدر وأقام بالبصرة ؛ فذلك يقول :

وإذا شهدت لغير قومي مشهداً      آثرت ذلك على بني ومالي

فأوجهه الحجاج ، وملاً بمدحه الأرض ، وبلغ أهل الشام وأمير المؤمنين ورواه الناس .

(٢) صبرت : حبست (٣) سمر الحرب : أوقدها (٤) الكوكب الثاقب : المضيء (٥) الشهاب : الكوكب .

فقال : صدقت ! كذلك هو ، ثم قال : ابدأ بالهجاج ، فأشده :

طَرِبْتَ لِمَهْدِ هَيْجَتِهِ الْمَنَازِلُ      وَكَيْفَ تَصَابِي<sup>(١)</sup> الْمَرءِ وَالشَّيْبِ شَامِلِ  
فَمَا فَرَّغَ مِنْهَا حَتَّى ظَهَرَ فِي وَجْهِهِ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ الْغَضْبَ ، وَقَالَ : هَاتِ ؛ أبدأ  
بالهجاج ، فأشده :

هَاجَ الْهَبْوَى لِقَوَادِكِ الْمُهْتَاكِ      فَانظُرْ بِتَوْضُحِ<sup>(٢)</sup> بَاكِرِ الْأَحْدَاجِ<sup>(٣)</sup>  
حَتَّى أَتَى عَلَى قَوْلِهِ :

مَنْ سَدَّ مُطَّلَعَ النِّفَاقِ عَلَيْهِم      أَمْ مَنْ بَصُولُ كُصُولَةِ الْهَجَاجِ  
أَمْ مِنْ يَفَارُّ عَلَى النِّسَاءِ حَفِيظَةً      إِذْ لَا يَتَّقْنَ بَغْيَ بَعِيرَةِ الْأَزْوَاجِ  
فَتَكَلَّمَ الْأَخْطَلُ وَقَالَ : أَيْنَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ يَا بَنَ الْمَرَاغَةِ ؟ فَمَلِمَ جَرِيرٌ أَنَّهُ الْأَخْطَلُ  
فَزَيَّنَ<sup>(٤)</sup> حِيَالَ وَجْهِهِ بِكُمِّهِ ، وَقَالَ : اخْسَأْ ، وَمَضَى حَتَّى أَشَدَّهُ كَلِمًا .

فقال الخليفة : اجلس ، فجلس ، ثم قال : قم يا أخطل ، هات مديح  
أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ .

قال جرير : فقام حِيَالِي ، فَأَشَدَّ أَشْعَرَ النَّاسِ وَأَمْدَحَ النَّاسِ ؛ فَقَالَ لَهُ الْخَلِيفَةُ :  
أَنْتَ شَاعِرُنَا وَمَادِحُنَا ، ارْكَبْهُ ، فَرَمَى بَرْدًا أَنَّهُ ، وَأَلْقَى قَمِيصَهُ عَلَى مَنْكَبِهِ ، وَوَضَعَ  
يَدَهُ عَلَى عُنُقِي ، فَقُلْتُ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ؛ لَا يَفْعَلُ . فَقَالَ أَهْلُ الْمَجْلِسِ : صَدَقَ  
يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، فَقَالَ : دَعْنِي ، وَانْتَقِضَ الْمَجْلِسُ وَخَرَجْنَا .

فقال جرير : فدخل الوفدُ عليه ثمانيةَ أَيَّامٍ مَعَ مُحَمَّدِ كَلْبَانَ أَحْجَبَ فَلَا أُدْخِلُ

---

(١) التصابي : التظاهر بالصبا (٢) توضح : اسم مكان (٣) الحدج : مركب للنساء كالحففة  
جمعه أحداج (٤) الزين : الدفع .

عليه ، ثم دخلوا في التاسع ، وأخذوا جوائزهم ، وتهيئوا في العاشر للدخول والتّوديع للرحيل .

فقال محمد : يا أبا حَرْزَةَ ما لي لا أراك تَتَّجَهَرُ؟ قلتُ : كيف وأميرُ المؤمنين عَلِيٌّ سِباخَطُ؟ ما أنا بيارح أو يَرْضَى عني !

فلما دخل عليه محمد ليودّعه ، قال : يا أمير المؤمنين ؛ إن ابن الخَلَطِني ما دحك وشاعركُ ، ومادح الحجاج سيفك وأمينك ، وقد لزمْتَنَّا له صُحْبَةً وذيَمَامَ ، فإن رأيتَ أن تأذنَ له ؟ فإنه أباي أن يخرجَ معنا ، وأنت عنه غضبان ، وآلى أنه لا يخرج أو ترضى عنه فيدخل ويودّك .

قال جرير : فأذن لي ؛ فدخلت عليه ، ودعوت له ، فقال : إنما أنت للحجاج . قلت : ولك يا أمير المؤمنين .

ثم استأذنته في الإنشاد ، فسكت ولم يأذن لي ، فاندفعت فقلت :

أَتَصْحَوُ (١) أم فؤادك غيرُ صاحبِ

فقال : بل فؤادك !

فقلت :

عَشِيَّةَ هَمِّ صَحْبِكَ بِالرَّوَّاحِ (٢)

حتى فرغت منها ، وعلمت أني إن خرجت بغير جائزة كان إسقاطي آخرَ

الدهر .

فلما بلغت إلى قولي :

أَلَسْتُ خَيْرَ مَنْ رَكَبَ المَطَايا وَأَنْدَى العالَمِ بِنُطُونِ رَاحِ (٣)

(١) تصحو : تترك الباطل (٢) الرواح : الذهاب عشية (٣) الراح : جمع راحة : باطن الكف .

تبسّم عبد الملك وقال : بلى ، كذلك نحن ، وما زلنا كذلك ؛ أَعِدْ فَأَعَدْتُ ، فطرب لذلك ، ثم أنشدته إياها حتى أتيت إلى قولى :

تَعَزَّتْ أُم حَرْزَةَ ثُمَّ قَالَتْ رَأَيْتُ الْمُرَيْدِينَ ذَوِي لِقَاحِ  
تُعَكَّلُ وَهِيَ سَاعِبَةٌ بَيْنَهُمَا بِأَنْفَاسٍ مِنَ الشِّمِّ الْقَرَّاحِ<sup>(١)</sup>

فالتفت عبد الملك إلى محمد بن الحجاج ، وقال : أترى أم حَرْزَةَ تُرَوِّيهَا مَائَةً مِنَ الْإِبِلِ ؟ قال : إن لم يُرَوِّها ذلك فلا أرواها الله !

فقال : أخرجوا لنا مائة من النعم التي جاءت من عند كلب ، ولا تُرْزِلُوها<sup>(٢)</sup> ؛ فشكرتُ له ، وشكرَ له أصحابي ومن شهدني من العرب .

ثم قلتُ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ؛ إِنَّمَا نَحْنُ أَشْيَاحٌ مِنْ أَهْلِ الْعِرَاقِ ، وَبِئْسَ فِي وَاحِدٍ مِمَّا فَضَّلَ عَنْ رَاحِلَتِهِ . قَالَ . أَفَنَجْعَلُ لَكَ أَمَانَهَا ؟ قُلْتُ : لَا ، وَلَكِنْ الرَّعَاءَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ؛ فَظَنَرُ جَنَّبَتَيْهِ ، ثُمَّ قَالَ لِحِوَسَانِهِ : كَمْ يَجْزِي مَائَةً مِنَ الْإِبِلِ ؟ قَالُوا : ثَمَانِيَةَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ . فَأَسْرَلِي بِنِجَانِيَةِ عَبْدِ ؛ وَكَانَ قَدْ أَهْدَى إِلَيْهِ بَعْضَ الدِّهَاقِينَ<sup>(٣)</sup> ثَلَاثَ صِحَافٍ فَضَّةً ، وَهَنَ بَيْنَ يَدَيْهِ يَقْرَعُهُنَّ بِالْحِيزِرَانَةِ ، فَقُلْتُ : لِجَحَبٍ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فَنَدَسَ<sup>(٤)</sup> إِلَى مَنَّهُنَّ وَاحِدَةً ، وَقَالَ : خُذْهَا لَا نَفَعَتْكَ ، قُلْتُ : بَلَى ، كُلُّ مَا أَخَذْتُهُ مِنْكَ يَنْفَعُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ ، وَوَدَعْنَاهُ وَانصَرَفْنَا .

وكتب محمدٌ إلى أبيه بالحديث كله ، فلما قدِمْنَا عَلَى الْحِجَاجِ قَالَ لِي : أَمَا وَاللَّهِ لَوْلَا أَنْ يَبْلُغَ الْخَبْرُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فَيَجِدَ عَلَيَّ لِأَعْطَيْتُكَ مِثْلَهَا ، وَلَسَكُنَ هَذِهِ خَمْسُونَ رَاحِلَةً وَأَحْمَالَهَا حِنْطَةً ، تَأْتِي بِهَا أَهْلَاكَ ؛ فَتَمِيرُهُمْ ؛ فَقبضتُهَا وانصرفتُ .

(١) الأنفاس : جمع نفس ، وهو جرعة الماء ، والشيم : البارد ، والقراح : الخالص ، يريد أنها تطلهم بالماء عند افتقاد اللبن (٢) أُرْذَلُهُ : جعل فيه الرذالة ، وهي ما اتقى جيده (٣) الدهاقين : جمع دهقان ، وهو زعيم فلاحى العجم ، ورئيس الإقليم — معرب (٤) ندس إلى منهن واحدة : قذفى بها .

\* ٧٩ - آكل \*

قال الشَّمرُ دلُّ وكيْلُ عمْرُو بنِ العاصِ : قدِمَ سَليمانُ بنُ عبدِ الملِكِ الطائِفَ فدخلَ هوَ وعمْرُ بنُ عبدِ العَزيزِ وأيوبُ ابنُه بستانًا لعمرو ، فجالَ حتى أتى صدره إلى غُصْنِ ، ثم قال : ويلك ! يا شَمْرُ دلُّ ؛ ما عندك شيءٌ تَطْعَمُنِي ؟ قلت : عندِي جَذَعٌ<sup>(١)</sup> حافِلٌ<sup>(٢)</sup> تغدو عليه وتروحُ أخرى . قال عَجَلْ به فأثبته به كأنه عُكَّةٌ<sup>(٣)</sup> سَمْنٌ ، فجعلَ يأكلُ ، وهو لا يدَعُو عمْرَ ولا ابنَه ، حتى بقي منه فَنَحِذُ . فقال : يا أبا حفص ؛ هلم ! قال : إني صائمٌ ، فأثبته عليه ، ثم قال : يا شمردل ؛ ويلك ! ما عندك شيءٌ تَطْعَمُنِي ؟ قلت : دَجَاجاتٌ سِتٌ ، كأنهن رِثْلانٌ<sup>(٤)</sup> . النعامُ ، فأثبته بهنَ فسكانَ يأخذُ رجلُ الدجاجة فيلقي عظامها نَفِيَّةً فأثبته عليهن ، ثم قال : ويلك يا شمردل ! ما عندك شيءٌ تَطْعَمُنِي ؟ قلت : سَوِيْقٌ كأنه قُرَاضَةُ الذهبِ ؛ فأثبته بهنَّ<sup>(٥)</sup> يغيب فيه الرأسُ ، فشر به ، فلما فرغَ تجشأ كأنه صارخٌ في جُبِّ ، ثم قال : يا غلام ! أَوْرَغْتَ من غَدائنا ؟ قال : نعم ! قال : ما هو ؟ قال : نَيْفٌ وثمانونَ قدرًا ، فأثبته بها قِدْرًا قِدْرًا ، وبقنَاقٍ<sup>(٦)</sup> عليه رُقَاقٌ ، فأكل من كل قدرٍ ثلاثَ لقمٍ ، ثم مسحَ يده ، واستلقى على فراشه ، فوَضِعَ الخوانَ ، وقعدَ يأكلُ مع الناسِ ، فما أنكرت شيئًا من أكله .

\* العقد الفريد : ٣ - ١٦٨ ، نهاية الأرب : ٣ - ٣٤٤

(١) الجذع : الصغبر السن ، وهو يختلف في أسنان الأبل والحبل والبقر والشاء ، وهو من الفم ما عمره سنة (٢) شاة حافل : كثيرة اللبن (٣) الككة : آنية السمن (٤) رثلان : جمع الرأل : وهو ولد النعام أو حوايه (٥) المس : القدح العظيم (٦) القنَاق : الطبق من عيب النخل .

٨٠ — نُزِلَ أُمُّ حَبِيبٍ \*

نزل نَضِيبٌ <sup>(١)</sup> بامرأة تُسَكِنِي أُمُّ حَبِيبٍ ، من أهل مَلَلٍ <sup>(٢)</sup> ، وكانت تُضِيفُ  
في ذلك الموضع وتَقْرِي ، ولا يزالُ الشريفُ ينزلُ بها فَيُفْضِلُ عليها الفضلَ  
الكثيرَ ، ولا يزالُ الشريفُ ممن لم يَحُلْ بها ، يتناولها بالبرِّ لِيُعِينَهَا على مُرُوءَتِهَا ،  
فنزَلَ بها نَضِيبٌ ومعه رجلان من قريش ، فلما أرادوا الرِّحْلَةَ عنها وصلَّها القرشيان ،  
وكان نَضِيبٌ لا مالَ معه في ذلك الوقت ؛ فقال لها : إن شئتِ فلك أن أُوَجِّهَ إليك  
بمثل ما أعطاكِ أحدهما ، وإن شئتِ قلتُ فيكِ شعراً ؛ فقالت : بل الشعر ؛ فقال :

أَلَا حَيٌّ قَبْلَ الْبَيْنِ <sup>(٣)</sup> أُمُّ حَبِيبٍ      وَإِن لَمْ تَكُنْ عِنَّا غَدًا بِقَرِيبٍ  
وَإِن لَمْ يَكُنْ أُنِّي أَحَبُّكَ صَادِقًا      فَمَا أَحَدٌ عِنْدِي إِذْنٌ بِحَبِيبٍ  
تَهَامٍ أَصَابَتْ قَلْبَهُ مَلَلِيَّةٌ      غَرِيبُ الْهَوَى ، وَاهَاً لِكُلِّ غَرِيبٍ !

\* الكامل : ١ - ٣٣٤

(١) نَضِيبُ بن رباح : شاعرُ غُلٍّ مَقْدَمٍ في النسيبِ والمدائحِ توفي سنة ١٠٠ هـ (٢) مَلَلٌ :  
موضعٌ في طريقِ مَكَّةَ بينَ الحَرَمَيْنِ (٣) البين : الفراق .

## ٨١ — امرأة تجاوز كثيرًا\*

قال السائب راوية كثير: والله إني لأسير يوماً مع كثير<sup>(١)</sup>، حتى إذا كنا من المدينة على أميال، لقيت امرأة في رحالة<sup>(٢)</sup> متنقبة، معها عبيد لها يسعون معها، فرت جنابي<sup>(٣)</sup>، فسلمت، ثم قالت: ممن الرجل؟ قلت: من أهل الحجاز: قالت: فهل تروى لكثير شيئاً؟ قلت: نعم. قالت: أما والله ما كان بالمدينة من شيء هو أحب إلي من أن أرى كثيرًا وأسمع شعره، فهل تروى قوله:

أهاجك برق آخر الليل واصب<sup>(٤)</sup>

قلت: نعم، فأنشدتها إياها إلى آخرها، قالت: فهل تروى قوله:

كأنك لم تسمع ولم تر قبلها تفرق آلاف لهن حنين

قلت: نعم، وأنشدتها. قالت: فهل تروى قوله أيضاً:

أطلال سعدى باللوى تتهدد

قلت: نعم، وأنشدتها حتى أتيت على قوله:

فلم أر مثل العين ضنت بمائها علم ولا مثلي على الدمع يحسد

فقالت: قاتله الله! فهل قال مثل قول كثير أحد على الأرض! والله لأن أكون رأيت كثيرًا أو سمعت منه شعره أحب إلي من مائة ألف درهم.

\* الأغاني: ١١ - ٤٨

(١) هو كثير بن عبد الرحمن، اشتهر بزة، وشبب بها، وكان رافضياً شديداً التعصب لآل أبي طالب، توفي سنة ١٠٥ هـ (٢) الرحالة: السرج (٣) الجناب: الناحية (٤) واصب: دام.

قال السائب: فقلت: هو ذاك الراكب أمامك، وأنا السائب روايته، قالت: حياك الله! ثم ركضت بغلتي حتى أدركته، فقالت: أنت كذّير؟ قال: مالك؟ وبيك! فقالت: أنت الذي تقول:

إذا حُسِرَتْ عنه العِمَامَةُ راعَهَا جَمِيلُ الحَيَاةِ أَغْفَلَتْهُ الدَّوَاهِنُ  
والله ما رأيت عربياً قط أقبح ولا أحقر ولا أأم منك! قال: أنت والله أقبح  
منى وأأم. قالت له: أو لست القائل:

تراهنّ إلا أن يؤدين نظرةً بمؤخر عين أو يقلبن منصما  
يُحَاذِرُنْ منى غيرةً قد عرفها قديماً فما يضحكن إلا تبسماً

لعن الله من يفرق<sup>(١)</sup> منك اقال: بل لعنك الله، من أنت؟ قالت: لا يضرُّك  
إن لم تعرفني. قال: والله إني لأراك لثيمة الأصل والعشيرة. قالت: حياك الله  
يا أبا صخر! ما كان بالمدينة رجل أحبّ إلى وجهها ولا لقاء منك: قال: لا حياك  
الله، ولكن ماعلى الأرض أحدٌ أبغض إلى وجهها منك. قالت: أتعرفني؟ قال:  
أعرفُ أنك لثيمة من اللثام، ثم تعرفت إليه فإذا هي غاضرة أمٌ ولده لبشر  
ابن مروان.

قال السائب: وسائرهما حتى الجبل، ثم قالت له: يا أبا صخر؛ أضمن لك  
مائة ألف درهم عند بشر بن مروان إن قدّمت عليه. قال: أفى سبّك إياي أو في  
سبّي إياك تضمنين لي هذا؟ والله لا أخرجُ إلى العراق على هذه الحال. فلما قامت  
تودّعه سمرت فإذا هي أحسنُ من رأيت من أهل الدنيا وجهاً، وأمرت له بعشرة  
آلاف درهم.

٨٢ - إِفْحَام \*

بينما كان كثيرٌ عزّةً مارًّا بالطريق يوماً ، إذ هو بمجوز عمياء على قارعة<sup>(١)</sup> الطريق تمشي ؛ فقال لها : تَنَحَّيْ عن الطريق ، فقالت له : ويحك ! ومَنْ تَكُونُ ؟ قال : أنا كثيرٌ عزّة . قالت : قَبِّحْكَ اللهُ ! هل مثلك يُنَبِّحُنِي له عن الطريق ؟ قال : ولم ؟ قالت : أَلَسْتَ القائل :

وما رَوْضَةٌ بالحزن طَيِّبَةٌ التَّرى بِمِجُّ النَّدى جِثَجَاتُهَا وَعَرَارُهَا<sup>(٢)</sup>  
بأطيب من فِيهَا إذا جِثَّتْ طَارِقًا وقد أُوقِدَتْ بِالْمِجْمَرِ<sup>(٣)</sup> اللّٰدِنِ<sup>(٤)</sup> نَارُهَا  
ويحك يا هذا ! لو تَبَخَّرَ بِالْمِجْمَرِ اللّٰدِنِ مثلى ومثلُ أمِّك لطاب ريحها ؛ هَلَاءَ  
قلت كما قال سيِّدُكَ امرؤ القيس :

وكنْتُ إذا ماجِثْتُ بالليل طَارِقًا وَجَدْتُ بِهَا طَيِّبًا وَإِنْ لَمْ تَطَيَّبْ  
فَقَطَعْتَهُ<sup>(٥)</sup> ، ولم يردَّ جوابًا !

\* المستطرف : ١ - ٥٥

(١) قارعة الطريق : أعلاه (٢) الجثجات ، نبات له زهر أصفر طيب الريح . والعراز : نبت طيب الريح أيضاً (٣) المِجْمَر : ما يبخر به من عود وغيره (٤) اللدِن : الابن .  
(٥) انقطع الرجل : إذا انقطعت حجته ، وقطعه أيضاً وأقطعه .

٨٣ — بين كثير وعزة \*

دخل كثير بن عبد الرحمن على عزة، فقالت : ما ينبغي أن نأذن لك في الجلوس.  
قال : ولم ذلك ؟ قالت : لأنى رأيت الأحوص ألين جانباً عند القوافى منك في  
شعره ، وأضرع خدّاً للنساء ؛ وإنه الذى يقول :

يأبها اللامى فيها لأصرمها (١)      أ كذت لو كان يُبني عنك إكثار  
أفصرم فليست مطاعاً إذ وشيت بها      لا القلب سأل ولا فى حُبها عار  
ويعجبني قوله :

أدور ولو لأن أرى أم جعفر      بأبياتكم ما دُرْتُ حيث أدورُ  
وما كنت زوّاراً ولكن ذا الهوى      إذا لم يُرز لا بدّ أن سيزور  
لقد مننت معروفها أم جعفر      وإنى إلى معروفها لفقيرُ  
ويعجبني قوله :

كم من دنى لها (٢) قد صرت أتبعه      ولو صحا القلب عنها كان لى تبعاً  
لا أستطيع نزوعاً عن محبتها      أو يصنع الحبُّ بى فوق الذى صنعا  
أدعو إلى هجرها قلبى فيتبعنى      حتى إذا قلت : هذا صادق نزعا  
وزادنى رغبةً فى الحب أن منعت      أشهى إلى المرء من دنياه ما منعا  
وقوله (٣) :

إذا أنت لم تعشق ولم تدّر ما الهوى      فكن حجراً من يابس الصخر جلمداً

\* ذيل زهر الآداب : ١٥٠

(١) أصرمها : أقطعها ، وأفارقها (٢) الدنى : القريب (٣) البتان الأخيران الحفهما  
العيني وغيره بهذا الموضع من شعر الأحوص ، وأنشدهما أبو بكر بن دريد لأعرابي .

وما الميشُ إلا ماتلذّ وتشتهى وإن لآمَ فيه ذُو الشَّانِ وفندًا<sup>(١)</sup>  
 وإني لأهواها وأهوى لقاءها كما يشتهى الصادي<sup>(٢)</sup> الشرابَ المبردًا  
 فقال لها كثير: والله لقد أجاد؛ فما استجفيت<sup>(٣)</sup> من قولي؟ قالت:  
 فذلك قولك:

وَأُظْهِرَنَّ مَنِي هَيْبَةً لَا تَجْهَمُهَا  
 بِمَآذِرِنِّي غَيْرَةً قَدْ عَرَفْتَهَا  
 قَدِيمًا فَمَا يَضْحَكُنَّ إِلَّا تَبَسُّمًا  
 تَرَاهِنًا إِلَّا أَنْ يُؤَدِّينَ نَظْرَةً  
 وَقَوْلُكَ:

وَدَدْتُ - وَبَيْتَ اللَّهِ - أَنْكَ بَكْرَةٌ  
 كَلَانَا بِهِ عُرٌّ<sup>(٦)</sup> فَنَ يَرَنَا يَقُلُ  
 هِجَانٌ<sup>(٤)</sup> وَأَنِي مُصْعَبٌ<sup>(٥)</sup> ثُمَّ نَهْرَبُ  
 - عَلَى حُسْنِهَا - جِرْبَاءُ تُعْدِي وَأَجْرَبُ  
 نَكُونُ لَدِي مَالٍ كَثِيرٌ مُفْقَلٌ  
 فَلَ هُوَ يَرُوعَانَا وَلَا نَحْنُ نَطْلُبُ  
 إِذَا مَا وَرَدْنَا مَنَهَلًا صَاحَ أَهْلُهُ  
 عَلَيْنَا، فَمَا نَنْفَكُ نُنْسَقِي وَنُضْرَبُ  
 وَيْحُكَ! لَقَدْ أَرَدْتُ فِي الشَّعْمَاءِ، مَا وَجَدْتُ أُمْنِيَّةً أَوْطَأُ مِنْ هَذِهِ! فَخَرَجَ  
 مِنْ عِنْدَهَا حَجِيلاً!

(١) ذُو الشَّانِ: البغض. فنده: خطأ رأيه (٢) الظَّانُّ (٣) استجفاه: عده جافياً  
 (٤) الهجان من الإبل: البيضاء الكريمة، يستوى فيه الذكر والمؤنث والجمع (٥) المصعب:  
 الفعل (٦) المر: داء يأخذ الإبل فيتمتع عنها وبرها حتى يبدو الجلد، وهو كالجرب للإنسان:

٨٤ — حوار بين شعراء \*

قَدِمَ عمرُ بنُ أبي زبيعة المدينةَ لأمرٍ ، فأقام شهراً ثم خرج إلى مكة ، وخرج معه الأحوص مُعْتَمِراً .

قال السائب راوية كثير: فلما مرنا بالروحاء<sup>(١)</sup> استنلينا<sup>(٢)</sup> ، فخرجت أتلوها ، حتى لحقتهما بالعرج<sup>(٣)</sup> . فخرجنا جميعاً حتى وردنا ودان<sup>(٤)</sup> ، فحبسهما نصيب ، وذبح لهما وأكرمهما .

وخرجنا وخرج معنا نصيب ، فلما جئنا إلى منزل كثير قيل لنا قد هبط قديداً<sup>(٥)</sup> ، فجئنا قديداً ، فقيل لنا : إنه في خيمة من خيامها ، فقال لي ابن أبي ربيعة : اذهب فادعُه لي ، فقال نصيب : هو أحق وأشد كبراً من أن يأتيك ، فقال لي عمر : اذهب كما أقول .

فجئته فهش لي وقال : « اذكرُ غائباً تره » ، لقد جئت وأنا أذكرك ، فأبلغتُه رسالة عمر ، فحدد لي نظره ، ثم قال : أما كان عندك من المعرفة بي ما كان يردعك عن إتياني بمنزل هذا ؟ فقلت : بلى ، ولكن سرتُ عليك ، فأبى الله إلا أن يهتك سترك ، قال : إنك والله يا ابن ذكوان ، ما أنت من شكلي ، فقل لابن أبي ربيعة : إن كنت قرشيًا فإني قرشي ، وإن كنت شاعرًا فأنا أشعرُ منك . فقلت : هذا إذا كان الحكم إليك ، قال : وإلى من هو ؟ ومن أولى به مني !

\* الأغاني : ١١ - ١٧ ، الكامل للمبرد : ١ - ٣٣٢ .

(١) الروحاء : موضع على ثلاثين ميلاً من المدينة (٢) استنلينا : طلبنا مني أن أتلوها

(٣) العرج : قرية بالطائف في الحجاز (٤) ودان : موضع بين مكة والمدينة

(٥) قديداً : موضع قرب مكة .

قال السائب : فرجعت إلى القوم فأخبرتهم ، فضحكوا ، ثم نهضوا معي إليه ، فدخلنا عليه في خيمة ، فوجدناه جالسا على جلد كبش ، فوالله ما أوسع للقرشي ، فلما تحدثوا مليا ، وأفاضوا في ذكر الشعراء أقبل كثير على عمر فقال له : أنت تنمت للمرأة فنشئب بها ، ثم تدعها وتنسب بنفسك ! أخبرني عن قولك :

قالت : تصدئي له ليعرفنا ثم اغزبه يا أخت في خفر

قالت لها : قد غمزته فأبى ثم اسبطرت<sup>(١)</sup> تشتد في أثرى

وقولها والدموع تسبقها لتفسدن الطواف في عمر

أتراك لو وصفت بهذا الشوهرة أهلك ، ألم تكن قد قبحت وأسأت لها ،

وقلت المجر ! إنما توصف الحرمة بالحياء والإباء والبخل والامتناع ، كما قال هذا -

وأشار إلى الأحوص :

أدور ولولا أن أرى أم جعفر<sup>(٢)</sup> بأبياتكم ؛ مادرت حيث أدور

وما كنت زوارا ولكن ذا الهوى إذا لم يزر لا بد أن يزر

لقد منعت معروفها أم جعفر وإني إلى معروفها لفقير

فدخلت الأحوص الأبهة ، وعرفت الخلاء فيه . فلما عرف كثير ذلك منه

قال له : أبطل آخرك أولك ، أخبرني عن قولك :

فإن نصلي أصلك وإن تعودي لهجر بعد وصلك لا أبالي

ولا ألتني كمن إن سيم صرما<sup>(٣)</sup> تعرض كي يرد إلى الوصال

أما والله لو كنت فحلا لبأيت ولو كسرت أنفك ! ألا قلت كما قال هذا

الأسود - وأشار إلى نصيب :

(١) اسبطرت : أسرعت ، تشتد : تجرى وتسرع (٢) أم جعفر : امرأة من الأنصار كان

يشب بها الأحوص (٣) صرما : قطيعة .

يزينب ألم قبل أن يرحل الركبُ وقلن : إن تمليننا فما ملك القلبُ  
فانكسر الأحوص ، ودخل نصيبا الأبهة ، فلما فهم ذلك منه قال : وأنت  
يا أسود ؛ أخبرتنا عن قولك :

أهيمُ بدعدٍ ماحيتُ وإن أمتُ فوا كبدى من ذابهمُ بها بعدى !  
أهمك من يشبُّ بها بعدك ! فقال نصيب : استوى الترق (١) .

قال السائب : فلما أمسك كثير أقبل عليه عمر فقال : قد أنصتنا لك فاستمع ،  
أخبرني عن قولك لنفسك وتخزيك لمن تحب حيث تقول :

ألا ليتنا ياعرز من غير ريبةٍ بعيران نزعى فى الخلا ونذّب !  
كلانا به عر (٢) فمن يرنا يقلُ على حسنها جرباء تعدى وأجربُ  
إذا ماوردنا منها صاح أهله علينا ، فما ننفك نرى ونضرب  
وددت ، وبيت الله ، أنك بكرةٌ هجان (٣) وأنى مصعب (٤) ثم نهربُ  
نكونُ بعيرى ذى غنى فيضيعنا فلا هو يرطانا ولا نحن نطلبُ

وبلك ، تمنيت لها ولنفسك الرق والجرب والرمنى والطرود والنسخ ، فأى مكروه  
لم تمنى لها ولنفسك ! ولقد أصابها منك قول الأول : معادة عاقل خير من مودة  
أحمق ، فجعل يختلج جسد كثير كله ، ثم أقبل عليه الأحوصُ فقال : أخبرني  
عن قولك :

وقلن - وقد يكذبن - فيك تعفّ وشؤمٌ إذا ما لم تطع صاح ناعفه  
وأعييتنا لا راضياً بكراهةٍ ولا تاركا شكوى الذى أنت صادقه

(١) الفرق . نوع من الاعمب ، ومعنى الجملة : استوتينا فلم يثلب واحد منا صاحبه ، وفى الكامل  
« الفرقة » وهى لعبة على خطوط فاستواؤها اقتضاؤها (٢) المر : الجرب (٣) الهجاءت  
من الإبل : البيضاء الكريمة (٤) المصعب : الفعل .

فأدركت صفوة الودِّ منا فلمتتنا وليس لنا ذنبٌ، فنحن مَوَازِقُهُ (١)  
وألفيتنا سِلماً فصدَّعتَ بيننا كما صدَّعتَ بين الأديمِ خَوَالِقَهُ (٢)  
والله لو احتفلَ عليك هاجيكِ ما زاد على ما بُوتَ به (٣) على نفسك . فحَفَقَ (٤)  
كثيرٌ كما يَحْفَقُ الطائرُ، ثم أقبلَ عليه نُصِيبُ فقال : أقبلِ علىّ ، فقد تمّنتِ  
معرفةَ غائبٍ عندي علّه حيث تقول :

وددتُ ، وما تغني الودادةُ ، أننى بما فى ضميرِ الحاجبيّةِ عالمُ  
فإن كان خيراً سرّنى وعلّمته وإن كان شراً لم تُلمنى اللوائمُ  
انظر فى مرآتكَ ، واعرف صورةَ وجهك تعرف ما عندها . فاضطرب اضطرابَ  
المصنورِ ، وقام القومُ يضحكون .

---

(١) مذاق الود : لم يخلصه (٢) الخالق : صانع الأديم .  
(٣) رجعت به على نفسك ، أى ما وصفت به نفسك (٤) اضطرب .

٨٥ — احتال حتى أقرأها رسالته \*

كان عمرُ بنُ أبي ربيعة<sup>(١)</sup> يَهْوَى كَلِمَ بنتِ سعدِ الخَزُومِيَّةِ ، فأرسل إليها رسولاً<sup>(٢)</sup> ففرضَ بها وحلَقَها<sup>(٣)</sup> وأخلفَها ألا تُعاوِدَ ؛ ثم أعادها ثانية ففعلتُ بها مثلَ ذلك ، فتحامها رسولُهُ ؛ فابتاعَ أمةً سوداءَ لطيفةً رقيقةً ، وأتى بها منزله فأحسنَ إليها وكساها ، وأنسبها وعرفها خبره ، وقال لها : إن أوصلتِ لي رُقعةً إلى كَلِمَ فقرأتها فأنتِ حرةٌ وراكِ معيشتكِ ما بقيتِ .

قالت : اكتبِ لي مَكاتِبَةً<sup>(٤)</sup> واكتبِ حاجتكِ في آخرها . ففعل ذلك فأخذتها ومضتُ بها إلى بابِ كَلِمَ ، فاستأذنتُ ، فخرجتُ إليها أمةً لها ، فسألتهاعنِ أمرها ، قالت : مكاتِبَةٌ لبعضِ أهلِ مَولاناكِ جئتُ أستعِينُها في مكاتِبَتِي ، وحادثتها وناشدتها حتى ملأتُ قلبها .

فدخلتُ إلى كَلِمَ وقالت : إن بالبابِ مكاتِبَةٌ لم أرقطُ أجلَ منها ولا أكل ولا آدب . فقالت : ائذني لها ، فدخلتُ ، فقالت : مَنْ كاتِبِكِ ؟ قالت : عمرُ ابنُ أبي ربيعةَ الفاسقُ ؛ فارقني مكاتِبَتِي . فدَّتْ يدها لتأخذها فقالت لها : لي عليك عهدُ الله أن تَقْرَأِيها ؛ فإن كانتِ منكِ إلى شيءٍ مما أُحِبُّه ، وإلا لم يَلْحَقْنِي

\* الأغاني : ١ - ٢٠٤ .

- (١) من مخزوم ، بطن من قريش ، واختص شعره بوصف النساء ، والشيبب بين ، قال ابن جريج : ما دخل على العواتق في حجالهن شيء أضر عليهن من شعر ابن أبي ربيعة ، توفي سنة ٩٣ هـ .  
(٢) رسول . يجوز استعماله للمذكر والمؤنث (٣) يقال : حلقة : أي أوجعه في حلقة .  
(٤) المكاتبه : أن يكاتب الرجل عبده على مال يؤديه إليه منجها ، فإذا آداه صار حراً .

مِنْكَ مَكْرُوهٌ ، فَعَاهَدْتَهَا وَفَطِنْتَ ، وَأَعْطَيْتَهَا الْكِتَابَ فَإِذَا أَوْلَهُ :

من عاشقٍ صَبَّ بِسِرِّهِ الْمَوَى      قَدْ شَفَّهُ الْوَجْدُ إِلَى كَلْتَمِ  
رَأْتِكَ عَيْنِي فَدَعَانِي الْمَوَى      إِلَيْكَ لِلْحَبِينِ <sup>(١)</sup> وَلَمْ أَعْلَمْ  
قَتَلْتَنِي ، يَا حَبِّذَا أَنْتُمْ      فِي غَيْرِ مَا جُرْمٍ وَلَا مَأْتَمِ  
وَاللَّهُ قَدْ أَنْزَلَ فِي وَحْيِهِ      مُبَيِّنًا فِي آيِهِ الْمُحْكَمِ  
مَنْ يَقْتُلِ النَّفْسَ كَذَا ظَالِمًا      وَلَمْ يُقِدْهَا نَفْسَهُ يَظْلَمِ  
وَأَنْتِ تَأْرِي فَتَلَا فِي دَمِي      ثُمَّ اجْعَلِيهِ نِعْمَةً تُنْعِمِي  
وَحَكْمِي عَدْلًا يَكُنْ بَيْنَنَا      أَوْ أَنْتِ فِيمَا بَيْنَنَا فَاحْكِي  
وَجَالِسِي بِنِي مُجْلِسًا وَاحِدًا      مِنْ غَيْرِ مَاعَارٍ وَلَا مَحْرَمِ <sup>(٢)</sup>  
وَخَبِّرِي نِي : مَا الَّذِي عِنْدَكُمْ      بِاللَّهِ فِي قَتْلِ امْرِئٍ مُسْلِمٍ ؟

فَلَمَّا قَرَأَتْ الشَّعْرَ قَالَتْ لَهَا : إِنَّهُ خَدَاعٌ مَلِيقٌ ، وَلَيْسَ لِمَا شَكَاهُ أَصْلٌ . قَالَتْ :

يَا مَوْلَانِي ؛ فَمَا عَلَيْكَ مِنْ امْتِحَانِهِ ؟ قَالَتْ : قَدْ أَذِنْتُ لَهُ ، وَمَا زَالَ حَتَّى ظَفِرَ  
بِبُعْيَتِهِ ، فَقَوْلِي لَهُ : إِذَا كَانَ الْمَسَاءَ فَلْيَجْلِسْ فِي مَوْضِعِ كَذَا حَتَّى يَأْتِيَهُ رَسُولِي .  
فَانصَرَفَتِ الْجَارِيَةُ فَأَخْبَرْتَهُ فَتَاهَبَ لَهَا .

فَلَمَّا جَاءَهُ رَسُولُهَا مَضَى مَعَهُ حَتَّى دَخَلَ إِلَيْهَا وَقَدْ تَهَيَّأَتْ أَجَلَ هَيْئَةٍ . وَزَيَّنَتْ  
نَفْسَهَا وَمَجْلِسَهَا وَجَلَسَتْ لَهُ مِنْ وَرَاءِ سِتْرٍ ، فَسَلَّمَ وَجَلَسَ ، فَتَرَكْتَهُ حَتَّى سَكَنَ ثُمَّ  
قَالَتْ لَهُ : أَخْبِرْنِي عَنْكَ يَا فَاسِقُ ؛ أَلَسْتَ الْقَائِلُ :

هَلَا ارْزَعُوْنِي فَتَرْحَمِي صَبًّا      صَدِيَانِ لَمْ تَدْعِي لَهُ قَلْبًا  
جَسِمَ الزِّيَارَةِ فِي مَوَدَّتِكُمْ      فَأَرَادَ أَلَّا تَحْقِدِي ذَنْبًا

وَرَجَا مُصَاحَلَةً فَكَانَ لَكُمْ سَلَامًا<sup>(١)</sup> وَكَفْتِ تَرْيَنَهُ حَرْبًا  
يَأْيُهُمُ الْمُضْنَى مُودَّتَهُ مَنْ لَا يِرَاكَ مُسَامِيًا خِطْبًا<sup>(٢)</sup>  
لَا تَجْعَلْنَ أَحَدًا عَلَيْكَ إِذَا أَحْبَبْتَهُ وَهَوِيَّتَهُ رَبًّا  
وَصِلِ الْحَبِيبَ إِذَا شُفِنَتْ بِهِ وَاطْوِرِ الزِّيَارَةَ دُونَهُ غِيًّا  
فَلَذَاكَ أَحْسَنُ مِنْ مُوَاصَلَةٍ لَيْسَتْ تَزِيدُكَ عِنْدَهُ قُرْبًا  
لَا ، بَلْ يَمْلِكُ عِنْدَ دَعْوَتِهِ فَيَقُولُ هَاهُ<sup>(٣)</sup> وَطَالَمَا لَبَّيْ

فقال لها : جُعِلْتُ فِدَاكَ ، إِنْ الْقَلْبَ إِذَا هَوَى نَطَقَ اللِّسَانُ بِمَا يَهْوَى !  
فتزوجها ، فولدت له ابنتين .

٨٦ — مَنْ لِي بِمِثْلِكَ يُعْتَبِنِي إِذَا اسْتَعْتَبْتَهُ ! \*

دخل حمزة بن بيض<sup>(١)</sup> على مخلد بن يزيد بن المهلب ، فوعده أن يصنع به خيراً ، ثم شغل عنه ، فاختلف عليه مراراً ثم لم يصل إليه ، وأبطأت عليه عدته ، فقال ابن بيض :

أَمَخَلَدُ <sup>(٢)</sup> إِنْ آتَى اللَّهُ مَا شَاءَ يَصْنَعُ	يَجُودُ فَيُعْطِي مَا يَشَاءُ وَيَمْنَعُ
وَإِنِّي قَدْ أَمَلْتُ مِنْكَ سَحَابَةً	فَجَادَتْ سَرَابًا فَوْقَ بَيْدَاءِ تَلْمَعُ
فَأَجَمْتُ صَرْمًا ثُمَّ قَلْتُ لَعَلَّهُ	يَثُوبُ إِلَى أَمْرٍ جَمِيلٍ وَيَرْجِعُ
فَأَيَّاسُنِي مِنْ خَيْرِ مَخْلَدِ أَنَّهُ	عَلَى كُلِّ حَالٍ لَيْسَ لِي فِيهِ مَطْمَعُ
يَجُودُ لِأَقْوَامٍ يُوَدُّونَ أَنَّهُ	مِنَ الْبُغْضِ وَالشَّنَانِ أَمْسَى يُقَطِّعُ
وَيَبْخُلُ بِالْمَعْرُوفِ عَمَّنْ يُوَدُّهُ	فَوَاللَّهِ مَا أَدْرَى بِهِ كَيْفَ أَصْنَعُ
أَصْرِمِهِ ، فَالْصَّرْمُ شَرٌّ مَعْتَبَةٌ	وَنَفْسِي إِلَيْهِ بِالْوَصَالِ تَطَّلَعُ
وَشَتَانِ بَيْنِي وَالْوَصَالِ وَيَنْفِهِ	عَلَى كُلِّ حَالٍ أَسْتَقِيمُ وَيَطَّلَعُ <sup>(٣)</sup>
فَأَعْقَبَنِي صَرْمًا عَلَى غَيْرِ إِحْنَةٍ	وَبِخْلًا وَقَدِّمًا كَانَ لِي يَتَبَرَّعُ
وغيره ما غير الناس قبـله	فنفسى بما يأتي به ليس تقنع

\* الأغاني : ١٥ - ٢٣ .

(١) حمزة بن بيض : شاعر إسلامي من شعراء الدولة الأموية ، كوفي خلیج ماجن ، وكان منقطعاً إلى المهلب ابن أبي صفرة وولده ، ثم إلى أبان بن الوليد وبلال بن أبي بردة واكتسب بالشعر من هؤلاء مالا عظيماً ، توفي سنة ١٢٠ هـ (٢) أمير من بيت إمارة ورياسة وبطولة ، وولي إمارة خراسان على عهد عمر بن عبد العزيز نائباً عن أبيه ، ثم رحل إلى الشام واندأ على الخليفة عمر بن عبد العزيز ، فأعجب به ، مات سنة ١٠٠ هـ (٣) الظلم : العرج .

ثم كتبها في قرطاسٍ ، وختمه ، وبعث به مع رجل ، فدفعه إلى غلامه ، فدفعه الغلام إليه .

فلما قرأه سأل الغلام: مَنْ صاحبُ الكتاب؟ قال لا أعرفه ، فأدخل إليه الرجل ، فقال : مَنْ أعطاك الكتاب ؟ ومن بعث به معك ؟ قال : لا أدري ، ولكن من صفته كذا وكذا ، ووصف صفة ابن بيض . فأمر به فضرب عشرين سوطاً على رأسه ، وأمر له بخمسة آلاف درهم وكساه ، وقال : إنما ضربتك أدباً لك ؛ لأنك حملت كتاباً لا تدري ما فيه لمن لا تعرفه ، فإياك أن تعود لمثلها .

فقال الرجل : لا والله ، أصاحك الله ! لا أحمل كتاباً لمن أعرف ولا لمن لا أعرف . قال : احذر فليس كلُّ أحدٍ يصنع بك صنيعي .

وبعث إلى ابن بيض ، فقال له : أتعرف ما لحق صاحبك ؟ قال لا ، فخذته مخدلاً بقصته . فقال ابن بيض : والله إنه لا يزال يتسوق إلى العشرين سوطاً مع الخمسة أبدأ ؛ فضحك مخدلاً ، وأمر له بخمسة آلاف درهم وخمسة أثواب ، وقال : وأنت والله لا تزال نفسك تتسوق إلى عتاب إخوانك أبدأ . قال : أجل والله ، ولكن من لي بمنلك يُعتبني <sup>(١)</sup> إذا استعتبته ، ويفعل بي مثل فعلك ، ثم قال :

وأبيض بهلول إذا جئتُ داره      كفاني ، وأعطاني الذي جئتُ أسألُ  
ويُعتبني يوماً إذا كنتُ عاتباً      وإن قلتُ زدني قال حقاً سأفعل  
تراه إذا ما جئتُه تطلبُ الندى      كأنك تعطيه الذي جئتُ تسألُ

(١) يقال : أعتبني فلان ؛ إذا ترك ما كنت أجد عليه ، ورجع إلى ما أَرْضأى عنه ، بعد استغاطه لِيأى عليه .

فله أبناء المهلب فتيةً إذا لقيت حَرْبٌ عوانٌ تأكلوا<sup>(١)</sup>  
 ترى الموت تحت الخلفات أمامهم إذا وردوا علواً الرماح وأنهلوا<sup>(٢)</sup>  
 يمجودون حتى يحسب الناس أنهم لجودهم نذر عليهم يجللُ  
 فذلك ميراثُ المهلب، إنه كريمٌ نماءً للكارم أولُ

فلما أنشده ابنُ بيض هذه الأبيات أمر له بعشرة آلاف درهم وعشرة أثواب  
 وقال : نزيديك ما زدتنا ونضعفُ لك ، فقال :

أحمدُ لم تترك لنفسى بقيةً وزدتَ على ما كنت أرجو وآملُ  
 فكنتُ كما قد قال معنُ فإنه بصيرٌ كما قد قال إذ يتملُّ  
 وجدتُ كثيرَ المالِ إذ ضنَّ معدماً يدمُّ ويلجأه<sup>(٣)</sup> الصديق المؤملُ  
 وإن أحق الناس بالجد من رأى أباه جواداً للكارم يُجزلُ  
 وجدتُ يزيداً والمهلب برزاً فقلتُ فإني مثل ذلك أفلُ  
 ففتت كما فازا وجاوزت غايةً يقصُرُ عنها السابقُ المتملُّ  
 فانت غياثٌ لليتامى وعصمةٌ إليك رجاء الطالبى الخير يرحلُ  
 وموتُ الفتى خيرٌ له من حياته إذا كان ذا مالٍ يرضنُ ويبخلُ  
 فقال له مغلد : احتكم ، فأبى ، فأعطاه أثنى دينار وجاريةً وغلاماً  
 وبرذوناً .

(١) تأكل الرجل : غضب وهاج كأنه يأكل بعضه بعضاً (٢) العل : الشرب الثاني ، والنهل :  
 الشرب الأول (٣) يلومه .

٨٧ — هما قمرًا السماء وأنت نجم \*

قَدِمَ الفرزدق إلى المدينة في سنةٍ مُجْدِبَةٍ ، فشى أهلُ المدينة إلى عمر بن عبد العزيز ، فقالوا له : أيها الأمير ؛ إن الفرزدق قدم مدينتنا في هذه السنة الجُدْبَةِ التي قد أهلكت عامة الأموال التي لأهل المدينة ، وليس عند أحدٍ منهم ما يعطيه شاعراً ؛ فلو أن الأمير بعث إليه فأرضاه ، وتقدّم إليه ألا يعرض لأحدٍ بمدحٍ ولا هجاء .

فبعث إليه عمر : إنك يا فرزدق قدِمْتَ مدينتنا في هذه السنة الجُدْبَةِ ، وليس عند أحد ما يعطيه شاعراً ، وقد أمرتُ لك بأربعة آلاف درهم ، فخذها ولا تعرض لأحد بمدح ولا هجاء .

فأخذها الفرزدق ، ومرّ بعبد الله بن عمرو بن عثمان ، وهو جالس في سقيفة داره ، عليه مُطْرَفٌ <sup>(١)</sup> خَزِرٌ أحمر ، وجبة خَزِرٍ أحمر ، فوقف عليه ، وقال :

أعبد الله أنت أحق ماشٍ وساعٍ بالجواهر الكبارِ  
نما الفاروقُ <sup>(٢)</sup> أمك وابن أروى أبوك فانت مُنْصَدِعُ النهمارِ  
هما قمرًا السماء وأنت نجمٌ به في الليل يُدْلِجُ <sup>(٣)</sup> كلُّ سارِ

فلعل عليه الجُبَّةُ والعمامة والمطْرَفُ ، وأمر له بعشرة آلاف درهم .

\* الأغانى : ١٩ - ٥٢ .

(١) رداء من خزمريج له أعلام (٢) عمر بن الخطاب (٣) أدلمج : سار من أول الليل -

فخرج رجلٌ كان حضر عبد الله والفرزدقُ عنده، ورأى ما أعطاه إياه،  
وسمع ما أمره عُمرُ به ألاَّ يَفرِضَ لأحدٍ؛ فدخل إلى عمر بن عبد العزيز،  
فأخبره، فبعث إليه عُمرُ: ألم أتقدّم إليك يا فرزدقُ ألاّ تعرض لأحدٍ بمدح ولا  
هجاء! اخرج، فقد أجّلتك ثلاثاً، فإن وجدتُك بعد ثلاثٍ نكّلتُ بك، فخرج  
وهو يقول:

فَأَجَّلَنِي وَوَعَدَنِي ثَلَاثًا      كَأَوْعَدَتِ لِمَهْلِكِهَا نَمُودُ<sup>(١)</sup>!

---

(١) هم أصحاب صالح.

٨٨ — نَقِي الأَحْوَصِ \*

لما وليَ عمرُ بنُ عبدِ العزِيزِ الخِلافةَ لم تَكُنْ لَهُ هِمَّةٌ إِلَّا عَمَرَ بنَ أَبِي رِيعَةَ  
وَالأَحْوَصَ . فَكَتَبَ إِلى عَامِلِهِ عَلى المَدِينَةِ : قَدِ عَرَفْتُ عَمَرَ وَالأَحْوَصَ بِأَخْبَثِ  
وَالشَّرِّ ، فَإِذَا أَتَاكَ كِتَابِي هَذَا فَاشدُّ ذِمَّتَهُمَا وَاحمِلْهُمَا إِلىَّ .

فلما أتاه الكتاب حملهما إليه ؛ فأقبل على عمر فقال له : هيه !

فلم أر كالتَّجْمِيرِ<sup>(١)</sup> مَنْظَرَ نَاطِرٍ وَلَا كَلِيَابِ إِلَى المِجِجِ أَفْلَتَنَ ذَا هَوَى  
وَكَمْ مَالِيءٌ عَيْنِيهِ مِنْ شَيْءٍ غَيْرِهِ إِذَا رَاحَ نَحْوَ الجَمْرَةِ البِيضِ كَالدُّمَى  
فَإِذَا لَمْ يُفَلِّتِ النَّاسُ مِنْكَ فِي هَذِهِ الأَيَّامِ فَتِي يُفَلِّتُونَ ! أَمَا وَاللَّهِ لَوْ أَهْتَمَمْتُ  
بِأَمْرِ حَبَجِّكَ لَمْ تَنْظُرْ إِلى شَيْءٍ غَيْرِكَ ، ثُمَّ أَمَرَ بِنَفْيِهِ . قَالَ : يَا أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ ؛ أَوْ  
خَيْرٌ مِنْ ذَلِكَ ! قَالَ : وَمَا هُوَ ؟ قَالَ : أَعَاهِدُ اللهَ أَلَّا أَعُودَ إِلى مِثْلِ هَذَا الشَّعْرِ أَبَدًا  
وَأَجِدُّ تَوْبَةَ عَلى يَدَيْكَ . قَالَ : أَوْ تَفْعَلُ ؟ قَالَ : نَعَمْ . فَعَاهَدَ اللهَ عَلى تَوْبَةٍ وَخَلَّاهُ .

ثم دعا بالأحوص فقال : هيه !

اللهِ بَيْنِي وَبَيْنَ قِيَمَتِهَا يَهْرُبُ مِنِّي بِهَا وَأَتَّبِعُ

بَلِ اللهُ بَيْنَ قِيَمَتِهَا وَبَيْنِكَ ! ثُمَّ أَمَرَ بِنَفْيِهِ إِلى دَهْلَاقِ<sup>(٢)</sup> ، فَلَمْ يَزَلْ بِهَا .

فَرَحَلَ إِلى عَمَرَ عِدَّةٌ مِنَ الأَنْصَارِ فَكَلَّمُوهُ فِي أَمْرِهِ ، وَسَأَلُوهُ أَنْ يُقَدِّمَهُ ،

\* الأغانى : ٩ - ٦٤

(١) التَّجْمِيرُ : رَمَى الجَمَارِ (٢) دَهْلَاقُ : بَلَدَةٌ ضَيْقَةٌ حَارَّةٌ تَجَاهَ مِصْرَ ، كَانَ بَنُو أُمَيَّةٍ إِذَا

سَخَطُوا عَلى أَحَدٍ نَفَرُوا إِليهَا .

وقالوا له : قد عرفتُ نسبهَ وقدمه وموضعه ، وقد أُخرجَ إلى بلادِ الشرك ، فنطلب  
منك أن تردّه إلى حرم رسول الله صلى الله عليه وسلم ودارِ قومه . فقال لهم عمر :  
من الذى يقول :

فما هو إلا أن أراها فُجَاءَةً فَأُبهتَ حتى ما أكادُ أُحِيرُ<sup>(١)</sup>

قالوا : الأحوص . قال : فمن الذى يقول :

أدورُ ولولا أن أرى أمَّ جعفرِ بأياتكم مادرتُ حيثُ أدورُ  
وما كنتُ زواراً ولكنّ ذا الهوى إذا لم يزُرْ لا بُدَّ أنْ سيزورُ  
قالوا : الأحوص . قال : فمن ذا الذى يقول :

كان لُبْنى صَبِيرٌ<sup>(٢)</sup> غاديةٍ أودُمِيَّةٌ زِينَتُ بَيْعِ البَيْعِ  
الله يبنى وبين قِيمِها يهربُ منى بَيْعِها وأتبع  
قالوا : الأحوص ، قال : والله لا أردّه مادام لى سلطان .

فكث هناك حتى مات عمر ، وولىَ الأمرُ يزيدُ بن عبد الملك ، فغنته  
جميلة يوماً :

كريمُ قريشٍ حين يُنسَبُ والذى أقرت له بالملك كَسْلاً وأمرِداً  
فطرب يزيد وقال : ويحك ! من كريم قريشٍ هذا ؟ قالت : أنتَ  
يا أمير المؤمنين ، ومن عسى أن يكون ذلك غيرك . قال : ومن قائل هذا الشعر  
فيّ ؟ قالت : الأحوص وهو منى .

(١) لم يجر جواباً : لم يرجع ولم يرد (٢) صبير : سحابة بيضاء .

فكتب برده وحمله إليه : وأنفذ إليه صلات سنية ؛ فلما قدم إليه أدناه وقرّبه  
وأكرّمه ، وقال له يوماً في مجلس حافل : والله لو لم تمت<sup>(١)</sup> إلينا بحق ولا صهر  
ولا رّحيم إلا بقولك :

وإني لأستحييكم أن يقودني إلى غيركم من سائر الناس مَطْمَعُ  
لكفالك ذلك عندنا . ولم يزل يُناديه حتى مات .

٨٩ — شهادة \*

قال دُكَيْنُ الرَّاجِزِ : امتدحتُ عُمَرَ بْنَ عَبْدِ الْعَزِيزِ وَهُوَ وَالِي الْمَدِينَةِ ، فَأَمَرَ لِي بِخَمْسِ عَشْرَةَ نَاقَةً كَرَامًا ، فَكْرِهْتُ أَنْ أُزْمِيَ بِهِنَّ الْفِجَاجُ <sup>(١)</sup> ، وَلَمْ تَطِبْ نَفْسِي بِبَيْعِهِنَّ . فَقَدِمْتُ عَلَيْنَا رُفْقَةً مِنْ مِصْرَ ، فَسَأَلْتُهُمُ الصُّحْبَةَ ، فَقَالُوا : ذَلِكَ إِلَيْكَ ، وَنَحْنُ نَخْرُجُ اللَّيْلَةَ .

فَأَتَيْتُهُ فَوَدَعْتُهُ ، وَعِنْدَهُ شَيْخَانِ لَا أَعْرِفُهُمَا ، فَقَالَ لِي : يَا دُكَيْنُ ؛ إِنْ لِي نَفْسًا تَوَاقَاةً ، فَإِنْ صِرْتُ إِلَى أَكْثَرِ مِمَّا أَنَا فِيهِ فَأَتْنِي وَلَكَ الْإِحْسَانَ . قُلْتُ : أَشْهَدُ لِي بِذَلِكَ . قَالَ : أَشْهَدُ اللَّهُ بِهِ . قُلْتُ : وَمِنْ خَلْقِهِ ؟ قَالَ : هَذِينَ الشَّيْخَيْنِ ، فَأَقْبَلْتُ عَلَى أَحَدِهِمَا فَقُلْتُ : مَنْ أَنْتَ أَعْرَفَكَ ؟ قَالَ . سَالِمُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ . وَقُلْتُ لِلْآخَرِ : مَنْ أَنْتَ ؟ قَالَ : أَبُو يَحْيَى مَوْلَى الْأَمِيرِ .

فَخَرَجْتُ إِلَى بَلَدِي بِهِنَ ، فَرَمَى اللَّهُ فِي أَذْنَائِهِنَّ بِالْبِرْكَاتِ حَتَّى اعْتَقَدْتُ <sup>(٢)</sup> مِنْهُنَّ الْإِبِلَ وَالْمَبِيدَ ؛ فَإِنِّي لَبِصْحَاءُ فَلَجَ <sup>(٣)</sup> إِذَا نَاعَ يَنْعَى سَلِيمَانَ . قُلْتُ : فَمَنْ الْقَائِمُ بَعْدَهُ ؟ قَالَ : عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ ،

فَتَوَجَّهْتُ نَحْوَهُ ، فَلَقِيَنِي جَرِيرٌ مُنْصَرِفًا مِنْ عِنْدِهِ ؛ فَقُلْتُ : يَا أَبَا حَرَزَةَ <sup>(٤)</sup> ، مَنْ أَيْنَ ؟ فَقَالَ : مَنْ عِنْدَ مَنْ يُعْطَى الْفُقَرَاءَ ، وَيَمْنَعُ الشُّعْرَاءَ ، فَاَنْطَلَقْتُ فَإِذَا هُوَ فِي عَرْمَةِ <sup>(٥)</sup> دَارٍ ، وَقَدْ أَحَاطَ النَّاسُ بِهِ ، فَلَمْ أَخْلُصْ إِلَيْهِ ، فَانْدَابْتُ :

\* الْأَغَانِي : ٩ - ٢٦١ ، الْمَقْدُ الْفَرِيدُ : ١ - ٢٠٢ .

(١) أصل الفجج : الطريق الواسع ، وجمعه فجج (٢) اعتقد الشيء : اشتراه أو اقتناه .

(٣) فلج : اسم واد (٤) كنية جرير (٥) العرصة : كل بقعة بين الدور واسعة ليس فيها بناء .

يا عمرَ الخيراتِ والمكارِمِ      وعمرَ الدَّسائِعِ <sup>(١)</sup> العظائمِ  
إني امرؤُ من قَطَنِ بنِ دارِمِ      طلبتُ دَينِي <sup>(٢)</sup> من أخي مَكَارِمِ  
إذ تَنَتَّحِي والليلُ غيرُ نائمِ      عند أبي يحيى وعند سالمِ

فقام أبو يحيى فقال : يا أمير المؤمنين ؛ لهذا البدويّ عندي شهادةٌ عليك ،  
فقال ؛ أعرفها ؛ اذنُ يا دُكَيْنِ ، أنا كما ذكرتُ لك ، إن نفسي لم تنل شيئاً قط  
إلا تافت لما هو فوقه ، وقد نلتُ غايَةَ الدنيا ، فنفسي تتوقُّ إلى الآخرة ، والله  
ما رَزَأْتُ <sup>(٣)</sup> من أموال الناس شيئاً ؛ ولا عندي إلا ألفُ درهم ، فخذ نصفها .  
قال دُكَيْنِ : فوالله ما رأيتُ ألفاً كان أعظمَ بركةً منه .

---

(١) الدسائِع : الطايا (٢) يشير إلى وعده السابق (٣) رزأ من ماله شيئاً : إذا اهد .  
( ١٤ - قصص العرب - ٣ )

٩٠ — فُضِّصَ الطرفَ إنك من نمير\*

كان راعِي<sup>(١)</sup> الإبل يَقْضِي للفرزدق على جرير<sup>(٢)</sup> وَيُفَضِّلُهُ . فلما أكثر من ذلك خرج جريرُ إلى رجالٍ من قومه ، فقال : هَلَّا تَعْجَبُونَ لهذا الرجل الذي يَقْضِي للفرزدق على ، وهو يهجو قومه وأنا أمدحهم !

ثم خرج ذاتَ يومٍ يمشى ولم يركب دابته - وكان لراعي الإبل والفرزدق وجلسائهما حلقة بأعلى المِزْبَد بالبصرة يجلسون فيها - قال جرير ؛ فخرجت أنمرّض له لألقاه حيث كنتُ أراه يمرُّ إذا انصرف من مجلسه ، وما يسرنى أن يعلم أحد ، حتى إذا مرَّ على بفسلة له وابنه جندلٌ يسير وراءه على مَهْرٍ له أخوَي محذوف الذنب<sup>(٣)</sup> ؛ فلما استقبلته قلت : مرحباً بك يا أبا جندل ؟ وضربت بشمالي على مَعْرِفَةِ بفلته ، ثم قلت : يا أبا جندل ؛ إن قولك يُسْتَمَع ، وإنك تُفَضِّلُ الفرزدقَ على تفضيلاً قبيحاً ، وأنا أمدحُ قومك وهو يهجوهم ، ويكنيكَ من ذلك إذا ذُكِرْنَا أن تقولَ : كلاهما شاعر كريم ، ولا تحتملُ مني ولا مِنْهُ لائمةً .

فبينما أنا وهو كذلك وما ردَّ عليّ شيئاً إذ لحق به ابنه جندل ، فرفع

---

(١) هو عبيد بن حصين ، ويكنى أبا جندل ، والراعي لقب غالب عليه لكثرة وصفه الإبل وجودة فنته إياها . (٢) هو جرير بن عطية الخطمي أشهر شعراء عصره ، وأصفاهم ديباجة ، عاش عمره كله يناضل الشعراء ويساجلهم ، وكان هجاء مرأ ، لم يثبت أمامه غير الفرزدق والأخطل مات سنة ١١٠ هـ . (٣) الأخوي : الذي يضرب إلى السواد من شدة خضرتة . ومحذوف

كرمانية<sup>(١)</sup> معه ، فضرب بها عَجَزَ بفلته ، ثم قال : إني لأراك واقفاً على كلب من بنى كليب كأنك تخشى منه شراً أو ترجو منه خيراً !

وضرب البغلة ضربةً فرَحَّحَتْنِي<sup>(٢)</sup> رَحْمَةً وَقَمْتُ مِنْهَا قَلْنُسُونِي ، فوالله لو عرَّج عليّ الراعي لقلت : سَفِيهٌ عَوِي - يعني جندلاً ابنة - ولكن لا والله ما عَاجَ<sup>(٣)</sup> عليّ ، فأخذتُ قَلْنُسُونِي فبسحتها ؟ ثم أَعْدَتَهَا على رأسي ، ثم سمعتُ الراعيَ قال لابنه : أما والله لقد طرحتَ قَلْنُسُونَتَهُ طَرَحَةً مَشْتُومَةً .

فانصرف جريرٌ غضبان حتى صَلَّى العشاءَ بمنزله في عِلْيَةٍ<sup>(٤)</sup> له ، ثم قال : ارفعوا إلیّ باطِيَةً<sup>(٥)</sup> من نبيذ وأسرْجُوا لی . فأسرْجُوا له ، وأتوه بباطِيَةٍ من نبيذ . فجعل يُهَمِّمُ<sup>(٦)</sup> ، فسمعتُ صوتهَ معجوز في الدار ، فأطلَمَتُ في الدرجة حتى نظرتُ إليه ، فإذا هو ينجبُو على الفراشِ عُرْيَانًا لما هو فيه ، فأنحدرتُ فقالت : ضيفكم تجنون ! رأيت منه كذا وكذا ! فقالوا لها : اذهبي لِطِيَّتِكَ ، نحن أعلم به وبما يُمارِس . فما زال كذلك حتى كان السَّحَرُ ، ثم إذا هو يكبِّرُ ، قد قالها ثمانين بيتاً في بنى نمير ، فلما ختمها بقوله :

فَفَضَّ الطَّرْفَ إِنْكَ مِنْ نَمِيرٍ فَلَآ كَقَبًا بَلْفَتٍ وَلَا كِلَابًا

كَبَّرَ ، ثم قال : أَخْزَيْتُهُ وَرَبَّ الكعبة . ثم أصبح ، حتى إذا عرف أن الناس قد جلسوا في مجالسهم بالمرْبَد ، وكان يعرف مجلسه ومجلس الفرزدق ، دعا بدهنٍ فادَّهَن ، وكفَّ<sup>(٧)</sup> رأسه - وكان حسن الشعر - ثم قال : يا غلام ؛ أسْرِج لي ،

(١) نوع من السباط (٢) رعبته : رفسته (٣) عاج : رجع وعاد (٤) العلية : الفرفة (٥) الباطية : الناجود ، وهو إناء الخمر (٦) المهمة والمهينة : الصوت الخفي (٧) كف شعره : جمعه وضم أطرافه .

فَأَسْرَجَ لَهُ حَصَانًا ثُمَّ قَصَدَ مَجْلِسَهُمْ ، حَتَّى إِذَا كَانَ بِمَوْضِعِ السَّلَامِ قَالَ : يَا غَلَامَ -  
وَلَمْ يَسْلَمْ - قُلْ لَعَبِيدَ (١) أَبَعَثْتُكَ نَسْوَتَكَ تُنْكِسِيَهُنَّ الْمَالَ بِالْعِرَاقِ ! أَمَا وَالَّذِي فَضَسَ  
جَرِيرَ يَدَيْهِ لَتَرْجَعَنَّ إِلَيْهِنَّ بِمَيْزٍ (٢) يُسَوِّهُنَّ وَلَا يَسْرُهُنَّ !  
\* ثُمَّ انْدَفَعَ فِيهَا فَأَنْشَدَهَا ، فَنَكَسَ الْفَرَزْدَقَ وَرَاعَى الْإِبِلَ ، وَأَرَمَ (٣) الْقَوْمَ ، حَتَّى  
إِذَا فَرَّغَ مِنْهَا سَارَ ، وَثَبَتَ رَاعَى الْإِبِلِ سَاعَةً ، ثُمَّ رَكِبَ بِنَفْلَتِهِ بِشَرٍّ وَعَرَّةً (٤) ،  
وَخَلَّى الْمَجْلِسَ حَتَّى تَزَقَّى إِلَى مَنْزِلِهِ الَّذِي يَنْزِلُهُ ، ثُمَّ قَالَ لِأَصْحَابِهِ : رَكَابَكُمْ رَكَابِكُمْ ،  
فَلَيْسَ لَكُمْ هَاهُنَا مَقَامٌ ، فَضَحَّكُمْ وَاللَّهِ جَرِيرًا ! فَقَالَ لَهُ بَعْضُ الْقَوْمِ : ذَاكَ شَوْثُكُمْ  
وَشَوْثُ ابْنِكَ . ثُمَّ رَحَلَ بَنُو نَمِيرٍ فَوَجَدُوا الْبَيْتَ قَدْ سَبَقَهُمْ .

---

(١) هو راعي الإبل (٢) الميرة : الطعام يتناوله الإنسان ، وقد مار ميراً (٣) أرم القوم :  
سكتوا . (٤) أصل البر : الجرب .

٩١ — لا أهجو شاعراً هذا شعره \*

هجا الأحوص<sup>(١)</sup> رَجُلاً من الأنصار من بنى حَرَام يقال له ابن بشير ،  
وكان كثير المال ؛ فغضب من ذلك ، وخرج حتى قَدِم على الفرزدق بالبصرة ،  
وأهدى إليه وألطفه<sup>(٢)</sup> فقبلَ منه ؛ ثم جلسا يتحدثان ، فقال الفرزدق :  
من أنت ؟ قال : من الأنصار ؛ قال : ما أقدمك ؟ قال : جئتُ مستجيراً بالله  
عز وجل ، ثم بك من رجلٍ هَجَانِي ؛ قال : قد أبارك الله منه وكفاك مَثُوتته ؛  
فأين أنت عن الأحوص ؟ قال : هو الذي هجاني ؛ فأطرق ساعة ثم قال : أليس  
هو الذي يقول :

أَلَا قِفْ بِرِسْمِ الدَّارِ فَاسْتَنْطِقِ الرَّسْمَا      فقد هاج أحزاني وذكرني نِعْمَا  
قال : بلى ؛ قال : والله لا أهجُوا رجلاً هذا شعرُهُ .

فخرج ابنُ بشير فاشتري أفضلَ من الشراء الأول من الهدايا ، فقدمَ بها  
على جرير ، فأخذها وقال له : ما أقدمك ؟ قال : جئتُ مستجيراً بالله وبك من  
رجل هجاني ؛ فقال : قد أبارك الله عز وجل منه وكفاك ، أين أنت عن ابنِ عمك  
الأحوص بن محمد ؟ قال : هو الذي هجاني ؛ فأطرق ساعة ثم قال : أليس هو  
الذي يقول :

\* الأغاني : ٤ : ٢٦٢

(١) هو عبد الله بن محمد بن عبد الله من الأوس ، وكان ميالا إلى الرضاء ، قليل الروية والدين  
مع ميل إلى هجو الناس ، إلا أنه كان شاعراً ذا ديباجة صافية ، وحلاوة وعدوية ، توفي سنة  
١٠٥ هـ (٢) ألطفه : أكرمه وبره بطرف التحف .

تَمْشِي بِشْتَمِي فِي أَكَارِيسِ<sup>(١)</sup> مَالِكِ      تُشِيدُ بِهِ كَالْكَلْبِ إِذْ يَنْبِجُ النَّجْمَا  
فَا أَنَا بِالْمَخْسُوسِ<sup>(٢)</sup> فِي جِذْمِ مَالِكِ<sup>(٣)</sup>      وَلَا بِالْمُسَمَى نَمَّ يَلْتَزِمُ الْإِسْمَا  
وَلَكِنْ يَبْتِي إِنْ سَأَلْتَ وَجَدْتَهُ      تَوْسَطَ مِنْهَا الْعِزَّ وَالْحَسْبَ الضَّخْمَا  
قَالَ : يَا وَاللَّهِ ؛ قَالَ : فَلَا وَاللَّهِ لَا أَهْجُو شَاعِرًا هَذَا شَعْرُهُ . فَاشْتَرَى أَفْضَلَ  
مِنْ تِلْكَ الْمَهْدَايَا ، وَقَدَّمَ عَلَى الْأَحْوَصِ ، فَأَهْدَاهَا إِلَيْهِ وَصَالَحَهُ .

---

(١) الأكاريس : جمع الكرس . وهو الجماعة من الناس . (٢) رجل مخسوس : مردول -  
(٣) الجذم : الأصل .

٩٢ — جارية \*

وفد الكُمَيْتِ<sup>(١)</sup> على يزيد<sup>(٢)</sup> بن عبد الملك ، فدخل عليه يوماً وقد اشترت له سلامة القس؛ فأدخلت إليه والكميت حاضر ، فقال له : هذه جارية تباع ، أفترى أن نبتاعها؟ قال : إي والله يا أمير المؤمنين ، وما أرى أن لها مثلاً في الدنيا فلا تفوتنك .

قال : فصفها لي في شعر حتى أقبل رأيك ، فقال :

هي شمسُ النهار في الحسنِ إلا أنها فضلت بقتل الظرافِ<sup>(٣)</sup>  
غصّة بضة رخيمٍ لعوبٍ وعنة<sup>(٤)</sup> المتن شخنة<sup>(٥)</sup> الأطراف  
زانها دلهما وثغرت نقي وحديث مرتل غير جاف  
خلقت فوق منية التمني فاقبل النصح يابن عبد مناف

فضحك يزيد وقال : قد قبلنا نصحك ومشورتك وأمر له بمجازرة سنية .

\* مذهب الأغاني : ٥ - ٢٠٧

- (١) هو الكميت بن زيد الأسدي ، كان شاعرا عالما بلغات العرب ؛ خبيراً بآياتها ، من شعراء مضر التمصبين على اليمن ، وكان مشهوراً بالتشيع لبني هاشم ، توفي سنة ١٢٦ هـ .  
(٢) من ملوك الدولة الأموية في الشام ، تولى الخلافة بعد وفاة عمر بن عبد العزيز سنة ١٠١ هـ ، ولم يطل عهده إذ توفي سنة ١٠٥ هـ .  
(٣) الظراف : جمع ظريف . (٤) امرأة وعنة : كثيرة اللحم ، كأن الأصابع تسوخ فيها من لينها وكثرة لحمها . وامرة وعنة الأرداف : لينتها . (٥) الشخت : الدقيق الضامر من الأصل لا هزالا .

٩٣ - فَضَحْتُ شَيْخًا مِنْ قُرَيْشٍ وَعَذَّبْتَنِي! \*

حدَّث مُصعب بن عبد الله عن أبيه قال : أتاني أبو السائب <sup>(١)</sup> الخزومي في ليلة بعد ما رَقَدَ السامِرُ <sup>(٢)</sup> فأشرفتُ عليه ، وقلت : هل مِن حاجة ؟ فقال : سَهَرْتُ الليلةَ فذَكَرْتُ أَخًا لِي أَسْتَمِعُ بِهِ ، فلم أجِدْ أَحَدًا سِوَاكَ ! فلو مَضِينَا إِلَى الْعَقِيقِ <sup>(٣)</sup> فتناشدنا وتحدِّثنا ! قلت : نعم ! فنزلتُ ؛ فما زال في حديثٍ إلى أن أنشدته في بعض ذلك يَتَيْنِ لِلرَّجِيِّ :

بَاتَا بِأَنعَمِ لَيْلَةٍ حَتَّى بَدَأَ صَبِيحٌ تَلَوَّحَ <sup>(٤)</sup> كَالأَغْرَالِ الشَّقْرِ  
فَتَلَازَمَا عِنْدَ الْفِرَاقِ صَبَابَةً أَخَذَ الْفَرِيمَ بِفَضْلِ ثَوْبِ الْمُعْسِرِ

فقال : أَعِدَّهُ عَلَيَّ ! فَأَعَدْتُهُ ! فقال : أَحْسَنُ وَاللَّهِ ، أَمْرَاتُهُ طَالِقٌ إِنْ نَطِقَ بِمَجْرَفٍ غَيْرِهِ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَى بَيْتِهِ .

فضينا فلقينا عبد الله بن حسن ، فلما صرنا إليه وقف بنا ، وهو منصرف يريد المدينة ، فسلم ، ثم قال : كيف أنت يا أبا السائب ؟ فقال له :  
فَتَلَازَمَا عِنْدَ الْفِرَاقِ صَبَابَةً أَخَذَ الْفَرِيمَ بِفَضْلِ ثَوْبِ الْمُعْسِرِ

\* الأغانى : ١ : ٣٩٨ ، ذيل زهر الآداب : ٣٨

(١) اسمه عبد الله ، وكان أشرف المدينة يقدمونه ويعظمونه لشرف منصبه وحلاوة طربه ، وغزارة أدبه ، وجماله يكنى أبا السائب أيضاً ، وكان خليصاً للنبي صلى الله عليه وسلم ، وأقبل الإسلام فكان النبي إذا ذكره يقول : نعم الخليص كان أبو السائب لا يدار ، ولا يمارى (٢) انسامر : السامر ، وهم القوم يسرون ، والسر : حديث الليل (٣) العقيق : موضع بالمدينة .  
(٤) تلوح : بان ووضح .

فالتفت إلى وقال : متى أنكرت عقلَ صاحبك ؟ قلت : منذ الليلة ! قال :  
إنا لله ! أى كهلٍ أصيبت به قريش !

ثم مَضِينَا فلقينا محمد بن عمران التيمي ، قاضي المدينة ، يريد مالاً على بغلة له ،  
وكان أنقل الناس جسماً ، ومعه غلام له على عنقه مَخْلَاةٌ فيها قيدُ البغلة ، فسلم عليه ،  
ثم قال : كيف أنت يا أبا السائب ؟ فقال :

فتلازما عند الفراق صباية أخذ الغريم بفضل ثوب المعسر

فالتفت إلى وقال : متى أنكرت عقلَ صاحبك ؟ قلت : آفأ ! فتركني  
وانصرف ، فقلت : أفتدعه هكذا ! ؟ ما آمنُ أن يهور<sup>(١)</sup> في بعض آبار العقيق ؛  
قال : صدقت ! يا غلام ؛ هات قيد البغلة ، فوضعه في رجليه ، وهو ينشدُ البيت  
ويشير بيديه إليه ، يُرى أنه يفهمُ عنه قصته ، ثم نزل الشيخُ عن البغلة ، وقال :  
يا غلام ؛ احمله على بغلتي ، وألحقه بأهله .

فلما كان بحيث علمتُ أنه قد فاته أخبرته الخبر ، فضحك وقال : قَبَّحَ اللهُ  
ماجناً ! فَصَحَّتْ شَيْحاً من قريش ، وعذبتني وأنا لا أقدرُ أنْ أنحرَكَ !

(١) يهور : يسقط .

٩٤ — في دار هشام بن عبد الملك \*

قال حمّاد<sup>(١)</sup> الراوية : كان انقطاعي إلى يزيد بن عبد الملك . فكان هشام<sup>(٢)</sup> يَجْفُونِي لذلك دون سائر أهله من بني أمية في أيام يزيد . فلما مات يزيد ، وأفضتِ الخلافةُ إلى هشام خِفْتَهُ ، فكنتُ في يدي سنةً لا أخرجُ إلا لمن أثنى به من إخواني سرّاً .

فلما لم أسمعُ أحداً يذكرني سنةً أمِنْتُ فخرجتُ فصلّيتُ الجمعة ، ثم جلستُ فإذا شُرَطيّان قد وقفا عليّ فقالا لي : يا حمّاد ؛ أجب الأمير يوسف بن عمر<sup>(٣)</sup> . قلتُ في نفسي : من هذا كنتُ أخذر ، ثم قلتُ للشَّرَطيّين : هل لكما أن تدعاني آتي أهلي فأودعهم وداع مَنْ لا ينصرف إليهم أبداً ، ثم أصير معكما إليه ؟ فقالا : ما إلى ذلك من سبيل .

فاستلمتُ في أيديهما وصرتُ إلى يوسف بن عمر وهو في الإيوان الأحمر<sup>(٤)</sup> . فسلمتُ عليه فرد عليّ السلام ، ورمى إليّ كتاباً فيه : « بسم الله الرحمن الرحيم . من عبد الله هشام أمير المؤمنين إلى يوسف بن عمر . أما بعد فإذا قرأتَ كتابي هذا فابعث إلى حماد الراوية مَنْ يأتيك به غيرَ مرّوعٍ ولا مُتَمَتِّعٍ<sup>(٥)</sup> ، وادفع إليه

\* ثمرات الأوراق : ١ : ١١٢ ، الأغاني : ٦ : ٧٥

(١) هو حماد بن ميسرة ، كان من أعلم الناس بأيام العرب وأخبارها وأشعارها وأنسابها ولغاتها ، وكانت ملوك بني أمية تقدمه وتؤثره وتستزيره ، فيسألونه ويجزلون صلته (٢) انظر صفحة ٤٥  
(٣) لم يكن يوسف بن عمر والياً على العراق بعد ولاية هشام بسنة ، وإنما كان الوالي عليها خالد القسري حتى سنة ١٢٠ هـ . ثم ولي يوسف بعده . (٤) الإيوان : البيت بيني طولا  
(٥) غير متمتع : من غير أن يصيبه أذى يقلقه وزججه .

خمسمائة دينار وجملاً مَهْرِيًّا<sup>(١)</sup> يسير عليه اثنتي عشرة ليلة إلى دِمَشْقِ .

فأخذت الخمسمائة الدينار ونظرت فإذا جل مَرْحُول<sup>(٢)</sup> ، فوضعتُ رجلي في العَرَزِ<sup>(٣)</sup> وسيرتُ اثنتي عشرة ليلة ، حتى وافيت بابَ هِشَامِ ، فاستأذنتُ فَأُذِنَ لِي ، فدخلتُ عليه في دار قَوْرَاءَ<sup>(٤)</sup> مفروشةٍ بالزُّخَامِ ، وهو في مجلس مفروش بالزُّخَامِ ، وبين كل رُخَامَتَيْنِ قضيبُ ذهبٍ ، وحيطانه كذلك ، وهشامٌ جالسٌ على طِنْفِسَةٍ حمراء ، وعليه ثياب خَزَّ حُمْرٍ ، وقد تَصَمَّحَ بالمسك والعنبر ، وبين يديه مسك مفتوت في أواني ذهبٍ يُقَلِّبُهُ بيده فتفوحُ روائحُه ، فسَلَّمْتُ فرد عليّ ، واستدنانِي فذنوت حتى قُبلتُ رِجْلَهُ ، وإذا جاريتان لم أرَ قبلهما مثلهما ، في أذُنَيَّ كلِّ واحدةٍ منهما حَلَقَتَانِ من ذهبٍ ، فيهما لؤلؤتان تتوقدان .

فقال لي : كيف أنت يا حَمَادُ؟ وكيف حالُك؟ فقلت : بخيرٍ يا أمير المؤمنين ؛ قال : أأدرى فيمِ بَمَثُ إِلَيْكَ؟ قلت : لا . قال : بعثتُ إِلَيْكَ لِيبتِ خَطَرَ بِيَالِي لَمْ أُذِرْ مَنْ قَالَهُ . قلت : وما هو؟ فقال :

فَدَعَوْا بِالصَّبُوحِ يَوْمًا فَجَاءَتْ قَيْنَةٌ فِي يَمِينِهَا إِبْرِيْقُ

قلت : هذا يقوله عَدِيٌّ بن زيد في قصيدةٍ له . قال فَأَنْشِدْنِيهَا ، فَأَنْشَدْتَهُ :

بَكَرَ الْعَاذِلُونَ فِي وَضْحِ الصُّبْحِ يَقُولُونَ لِي : أَلَا تَسْتَفِيْقُ

وَيَلْمُونَ فِيكَ يَا بِنْتَةَ عَبْدِ اللَّهِ وَالْقَلْبُ عِنْدَكُمْ مَوْهَقُ<sup>(٥)</sup>

لستُ أُدْرِي إِذَا كَثُرُوا الْعَذْلَ عِنْدِي أَعْدُوْا يَلْمُونِي أَمْ صَدِيقُ

(١) مهرة بن حيدان : أبو قبيلة ، وعم حمى عظيم ، وإبل مهربية : منسوبة إليهم (٢) مرحول : عليه الرحل - (٣) العرز : ركاب الرحل من جلد ، فإذا كان من خشب أو حديد فهو ركاب (٤) دار قوراء : واسمة (٥) الموهوق : الشدود بالوهق ، وهو الجبل .

زانها حسنُها وفرعٌ عميمٍ وأنيثٌ صلَّتُ الجبينِ أنيقُ (١)  
 وثنايَا مفلجَاتٌ عِذَابٌ لا قِصَارُ تُرَى ولا هُنَّ رُوقُ (٢)  
 فدعوا بالصَّبوحِ يوماً فجاءتْ قَيْنَةٌ في يمينِها إبريقُ  
 قَدَمتهِ على عُقارِ كعينِ الديكِ صَنَّى سلافَها الرَّاوقُ (٣)  
 مُرَّةٌ قبلَ مَرَجها، فإذا ما مُزجتْ لذَّ طعمُها مَنْ يَذوقُ  
 وطفتْ فوقَها فقائِعُ كالدِّ رَصِفَارُ يُثِيرُها التَّصْفِيقُ  
 ثم كانَ المِزاجُ ماءً سماءَ غَيرَ ما آجِنٍ ولا مَطْرُوقِ

فطرب ، ثم قال : أحسنتَ والله يا حماد . يا جارية ؛ اسقيه . فسقتني شربة ذهبت بثلك عَقْلِي . وقال : أَعِد . فأعدتُ فاستخفَّه الطرب ، حتى نزل عن فرشه .

ثم قال للجارية الأخرى : اسقيه . فسقتني شربة ذهبت بثلك : عَقْلِي . فقلت إن سقتني الثالثة انتضحت . فقال : سَلْ حواجِجِكَ . فقلت : كأنه ما كانت ؟ قال : نعم . قلت : إحدى الحاريتين ، فقال لي : هما جميعاً لك بما عليهما وما لهما . ثم قال للأولى : اسقيه . فسقتني شربة سقطت معها فلم أعقل حتى أصبحتُ فإذا بالجاريتين عند رأسي وإذا عِدَّة من الخدم مع كلِّ واحدٍ منهم بَدْرَةٌ ؛ فقال لي أحدهم : أميرُ المؤمنين يَقْرَأُ عليك السلام ويقول لك : خذ هذه فانتفع بها . فأخذتها والجاريتين وانصرفت .

(١) الفرع : الشعر ، والأنيث الكثير ، يطلق على الشعر وعلى البدن المتلىء باللحم ، وهو المراد هنا والصلت : الواضح (٢) روق : طوال (٣) الراوق : ناجود الشراب الذي يروق فيه .

٩٥ — هروب الكميته\*

كان حكيمُ بن عباس الأعمور الكندي ولما بهجاء مُضر ، فكانت شعراء  
مضر تهجوه ويُجيبهم ، وكان الكميته يقول : هو والله أشعرُ منكم ، قالوا :  
فأجب الرجل ؛ قال : إن خالدَ بن عبد الله القسريُّ مُحسنٌ إليَّ ، فلا أقدرُ أن  
أردُّ عليه . قالوا : فاسمعْ بأذنك ما يقول في بناتِ عمك وبناتِ خالك من الهجاء ،  
وأنشدوه ذلك ؛ فحَمَى الكميته لعشيرته ، وقال قصيدة هجاء فيها أهلَ البين ، وبلغ  
خالدًا خبرها فقال : لا أبالي ما لم يَجْرِ لعشيرتي ذِكْرٌ ، فأنشدوه القصيدةَ وفيها ذمُّ  
لعشيرة خالد ، فأحفظته<sup>(١)</sup> عليه ، ثم قال : فعلمها ، والله لأقتلنه !

ثم اشترى ثلاثين جارية بأغلى ثمن ، وتخيَّرهن نهايةً في حُسْنِ الوجوه والكمال  
والأدب ، فرواهن الهاشميات ودَسَّهنَ مع نخاسٍ إلى هشامِ بن عبد الملك ، فاشترهنَّ  
جميعًا ، فلما أنسَ بهنَّ استنطقهنَّ ، فرأى فصاحةً وأدبًا ، فاستقرأهنَّ القرآنَ  
فقرأنَ . واستنشدهنَّ الشعرَ فأنشدته قصائد الكميته الهاشميات ، فقال :  
ويلكن ! مَنْ قائلُ هذا الشعر ؟ قلن : الكميته بن زيد الأسدي ، قال : وفي أي  
بلد هو ؟ قلن : في العراق ، ثم بالكوفة .

فكتب إلى خالد — وهو عاملُه على العراق : ابعث إلى برأس الكميته بن  
زيد ، فبعث خالد إلى الكميته في الليل ، فأخذه وأودَّعه السجن ؛ ولما كان من

(١) الأغانى : ١٥ : ١١٠

(٢) أحفظته : أغضبه .

الغد أقرأ من حضره من مضر كتاب هشام ، واعتذر إليهم من قتله ، وأذنهم في إنفاذ الأمر فيه في غد .

ثم قال لأبان بن الوليد البجلي - وكان صديقاً للكيت : انظر ماورد في صديقك ، فقال : عزّ علىّ والله ذلك .

ثم قام أبان فبعث إلى الكيت بغلام على بغل وقال له : أنت حرٌّ إن لحقته والبغل لك ، وكتب إليه : « قد بلغني ماشرت إليه وهو القتل إلا أن يدفع الله عز وجل ، وأرى لك أن تبعث إلى حبي<sup>(١)</sup> ، فإذا دخلت إليك تنقبت بنقابها ، ولبست ثيابها وخرجت ، فإني أرجو ألا يؤوبه لك » .

فأرسل الكميت إلى أبي وضح حبيب بن بديل وإلى فتیان من بني عمه فدخل عليه حبيب ، فأخبره الخبر ، وشاوره فيه ، فسدد رأيه .

ثم بعث إلى حبي امرأته ، فقص عليها القصة وقال لها : أي ابنة عم ، إن الرأى لا يقدم عليك ، ولا يسلمك قومك ، ولو خفته عليك لما عرّضتُك له ؛ فألبسته ثيابها وإزارها وخرّته ، وقالت له : أقبل وأدبر ، ففعل ، فقالت : ما أنكر منك شيئاً إلا يبساً في كتفك ، فأخرج على اسم الله - وأخرجت معه جارية لها - فخرج وعلى ياب السجن أبو وضح ومعه فتیان من بني أسد ، فلم يؤوبه له ، ومشى والفتيان بين يديه ، فمرّ بمجلس من مجالس بني تميم ؛ فقال بعضهم : رجلٌ وربّ الكعبة ، وأمر غلامه فاتبعه ، فصاح به أبو وضح : يا كذا وكذا ، لا أراك تتبع هذه المرأة منذ منذ اليوم ! وأوماً إليه بنقله ، فولى العبد مُدبراً وأدخله أبو وضح منزله .

(١) حبي بنت نكيف : زوج الكيت ، وكانت ممن يتشع .

ولما طال على السجّان الأمر نادى الكميّ فلم يجبه ، فدخل ليعرف خبره ، فصاحت به المرأة : ورائك ! لا أم لك ! فشق ثوبه ومضى صارخاً إلى باب خالد ، فأخبره الخبر ؛ فأحضر حُبِّي ، وقال لها : يا عدوّة الله ؛ احتلتِ على أمير المؤمنين ، وأخرجت عدوّه ! لأمثلنَّ بكِ ، ولأصننَّ ولأفعلنَّ ! فاجتمعت بنو أسد وقالوا : ماسبيك على امرأة منا خدعتنا فخافهم ، وختلى سبيلها .

قال الراوى : وسقط غرابٌ على الحائط فنمب<sup>(١)</sup> ، فقال الكميّ لأبي وضاح : إني لمأخوذ ، وإن حائطك لساقط . فقال : سبحان الله ! هذا مالا يكون إن شاء الله . فقال له : لا بدّ من أن تُحوّلني<sup>(٢)</sup> فخرج به إلى بنى علقمة - وكانوا يتشيّعون - فأقام فيهم ، ولم يُصبح حتى سقط الحائط الذى وقع عليه الغراب .

وأقام الكميّ مدةً متوارياً حتى إذا أيقن أن الطلب قد خفّ عنه خرج ليلاً في جماعة من بنى أسد على خوفٍ ووجل ، وكان عالماً بالنجوم مهتدياً ، فلما صار سحيراً صاح بالفتيان هوّموا<sup>(٣)</sup> وقام هو يصلى . ثم رأى واحد منهم شخصاً ، فتضمّض<sup>(٤)</sup> له ، فقال الكميّ : مالك ؟ قال : أرى شيئاً مقبلاً ، فنظر إليه فقال : هو ذئب قد جاء يستطمعكم ، فجاء الذئب فربض ناحية ، فأطمموه يدَ جزور فتعرّقا<sup>(٥)</sup> ، ثم أهووا له بإناء فيه ماء فشرب منه ، وارتحلوا ، فجعل الذئب يعوى ، فقال الكميّ : ماله ؟ ويله ! ألم نطعمه ونسقيه ؟ وما أعرّفتني بما يريد ؛ هو يُعلمنا أنّا لسنا على الطريق ، تيامنوا يافتيان ، فتيامنوا . فسكن عواؤه !

(١) نمب : صاح (٢) تحول عنه : زال إلى غيره (٣) أصل التهويم والتهوم : هز الرأس من النهاس (٤) تضمض : خضع ودل (٥) تفرق العظم : أكل ما عليه من اللحم .

ولم يزل يسير حتى جاء إلى الشام ، وتواری فی بنی أسد وتمیم ، وأرسل إلى أشرف قريش - وكان سيدهم يومئذ عَنبَسَةَ بن سعيد بن العاص - فشت رجالات قريش بعضها إلى بعض ، وأتوا عَنبَسَةَ ، فقالوا : يا أبا خالد ؛ هذه مَكْرُمةٌ قد أتاك الله بها ؛ هذا الكُمَيْتُ بن زيد لسانُ مضر ، كتب أميرُ المؤمنين في قتله ، ففجأ حتى تخلص إليك وإلينا .

قال : فرؤوه أن يعودَ بقبر معاوية بن هشام ؛ فمضى الكُمَيْتُ ، فضرب فُسْطاطه عند قبره ، ومضى عَنبَسَةَ ، فأنى مَسَلَمَةَ بن هشام فقال له : يا أبا شاكر ؛ مَكْرُمةٌ أتيتك بها تبلغُ الثرياَ إن اعتقدتها<sup>(١)</sup> ، فإن علمت أنك تفي بها وإلا كتمتها . قال : وما هي ؟ فأخبره الخبر ، وقال : إنه قد مدحك بما لم يُسمع بمثله ، فقال : على خلاصه .

ودخل على أبيه هشام في غير وقت دخول - فقال له هشام : أجتت حاجة ؟ قال : نعم ، قال : هي مَقْضِيَةٌ إلا أن يكون الكُمَيْت ، فقال : ما أحبُّ أن تستنى عليَّ في حاجتي ، وما أنا والكَيْت ، فقالت أمه : والله لتقضينَ حاجته كأنه ما كانت . قال : قد قضيتها ولو أحاطت بما بين قُطْرَيْهَا<sup>(٢)</sup> ؛ قال : هي الكُمَيْت يا أمير المؤمنين ! وهو آمن بأمان الله عز وجل وأمانى ، وهو شاعر مضر ، وقد قال فينا قولاً لم يُقَلِّ مثله ، قال : قد أمنتته وأجزتُ أمانك له ، فاجلس له مجلساً ينشدك فيه ما قال فينا .

(١) اعتقد مالا وضعية : افتناهما .

(٢) القطر : الجانب والناحية .

فقد له ، فتكلم بخطبة ارتجلها ما سَمِعَ بِمثلها قط ، وامتدحه بقصيدته الرائية ،  
فضى فيها حتى انتهى إلى قوله :

ماذا عليك من الوقوف بها وإنك غيرُ صاغر  
دَرَجَتْ عَلَيْهَا العاديات الرأحَاتُ من الأَعَاصِرِ<sup>(١)</sup>

إلى أن قال :

فَالآنُ صرْتُ إلى أَمِيَّةِ والأُمُورُ إلى المصاير

وجعل هشامٌ يَغمزُ مسلماً بقضيبٍ في يده ، فيقول : اسمع ، اسمع ، ثم استأذنه  
في مرثية معاوية ، فأذن له ، فأنشده قوله :

سأبكيك للدينيا ولالدين إني رأيتُ يدَ المعروف بصدك شلتِ  
فدامت عليك بالسلام تحية ملائكة الله الكرام وصلت

فبكى هشام بكاءً شديداً ، فوثب الحاجب فسكته ، ثم جاء الكميث إلى منزله  
أمناً ، فحشدت له المضرية بالهدايا ، وأمر له مسلماً بعشرين ألف درهم ، وأمر له  
هشام بأربعين ألف درهم ، وكتب إلى خالد بأمانه وأمان أهل بيته ، وأنه لا سلطان  
له عليهم ، وجمعت له بنو أمية مالا كثيراً .

ولم يجمع من قصيدته تلك يومئذ إلا ما حفظه الناس منها ، وسئل عنها ، فقال :  
ما أحفظ منها شيئاً ، إنما هو كلام ارتجلته .

---

(١) الأعاصير : الأفايد .

٩٦ — وشاية \*

كان الوليد<sup>(١)</sup> بن يزيد يُكْرَم طُرُجِيحاً<sup>(٢)</sup>، وكانت له منه منزلةٌ قريبة ومكانة، وكان يُدْنِي مجلسته، وجَمَلَه أولَ داخلٍ وآخرَ خارجٍ، ولم يكن يُصْدِرُ إلا عن رأيه. فاستفرغ مديحه كلَّه وعامة شعره فيه، فحسده ناسٌ من أهل بيت الوليد، وقَدِمَ حمادُ الراوية على التَّفْتِةِ<sup>(٣)</sup> الشام، فشكَّوا ذلك إليه، وقالوا: والله لقد ذهب طُرُجِيحٌ بالأمير، فما نالنا منه ليلٌ ولا نهار؛ فقال حماد: ائتوني من يُنشد الأمير بيتين من شعر؛ فأسقطَ منزلته.

فطلبوا إلى الخادم الذي كان يقومُ على رأس الوليد، وجعلوا له عشرة آلاف درهم على أن يُنشدَها الأمير في خلوة. فإذا سأله من قولٍ من هذا؟ قال: من قولٍ طُرُجِيحٍ، فأجابهم الغلام إلى ذلك وعلموه البيتين.

فلما كان ذات يوم دخل طُرُجِيحٌ على الوليد، وفتَّح الباب وأذن للناس؛ فجلسوا طويلاً، ثم نهضوا، وبقي طُرُجِيح مع الوليد وهو وليُّ عهدٍ ثم دعا بغيره فتنفدًا جميعاً.

\* الأغانى : ٣ : ٣١٢

(١) كان الوليد قبل أن يلى الخلافة من فتيان بني أمية وظرافئهم وشعرائهم، ولما ولي الخلافة أنهمك في اللهو والشراب وسماع الفناء، مات مقتولا سنة ١٢٦ هـ. (٢) هو طُرُجِيح بن إسماعيل الثقفي، نشأ في دولة بني أمية، واستفرغ شعره في الوليد بن يزيد، وأدرك دولة بني العباس، ومات في أيام المهدي سنة ١٦٥ هـ. (٣) التفتة: الحين والزمان.

ثم إن طرّيجاً خرج وركب إلى منزله ، وترك الوليدَ في مجلسه ليس معه أحد..  
فاستلقى على فراشه ، واغتمم الغلامُ خَلْوَتَه ؛ فاندفع ينشد :

سِيرِي رِكَابِي إِلَى مَنْ تَسْعَدِينَ بِهِ      قَدِ أَقْتُ بَدَارَ الْهُونِ مَاصِلِحَا  
سِيرِي إِلَى سَيِّدٍ تَمْنَحُ خِلَافَتَهُ      ضَخْمِ الدَّسِيعَةِ<sup>(١)</sup> فَرَمٍ يَحْمِلُ الْمَدْحَا<sup>(٢)</sup>  
فَأَصْنَعِي الْوَلِيدَ إِلَى الْغَلَامِ بِسَمْعِهِ . وَأَعَادَ الْغَلَامُ غَيْرَ مَرَّةٍ . ثُمَّ قَالَ الْوَلِيدُ : وَيْحَكَ  
يَا غَلَامُ ! مِنْ قَوْلٍ مَنْ هَذَا ؟ قَالَ : مِنْ قَوْلِ طَرِّيجٍ .

فغضب الوليد حتى امتلأ غَيْظًا ، ثم قال : والهفا على أمِّ لم تَلِدْنِي إِنْ قَدْ جَعَلْتَهُ  
أَوْلَ دَاخِلٍ وَأَخْرَجَ خَارِجٍ ، ثُمَّ يَزْعُمُ أَنَّ هَشَامًا يَحْمِلُ الْمَدْحَ ؛ وَلَا أَحْمِلُهَا .  
ثم قال : عليّ بالحاجب ، فأنابه . فقال : لا أعلم أنك أذنتَ لطرّيج ؛ فإن  
حاورك في ذلك فاخطفه بالسيف .

فلما كان بالعشيّ وصُلِّيتِ الْعَصْرُ جَاءَ طَرِّيجٌ لِلسَّاعَةِ الَّتِي كَانَ يُؤَدِّنُ لَهَا فِيهَا ؛  
فَدَنَا مِنَ الْبَابِ لِيَدْخُلَ ؛ فَقَالَ لَهُ الْحَاجِبُ : وَرَاءَكَ إِنْ قَالَ : مَا لَكَ أَهْلٌ دَخَلَ عَلَيَّ  
وَلِيُّ الْعَهْدِ أَحَدٌ بَعْدِي . قَالَ : لَا أَلْسَنُ سَاعَةً وَلَيْتَ مِنْ عِنْدِهِ دَعَانِي فَأَمْرَنِي  
أَلَّا آذَنَ لَكَ ، وَإِنْ حَاوَرْتَنِي فِي ذَلِكَ خَطَفْتُكَ بِالسَّيْفِ .

فقال : لك عشرةُ آلافِ وأذِنَ لي في الدخولِ عليه . فقال له الحاجب :  
والله لو أعطيتني خراجَ العراقِ ما أذِنْتُ لك في ذلك ، وليس لك من خير في  
الدخولِ عليه فارجع . قال : ويحك ! هل تعلمُ من دَهَانِي عِنْدَهُ ؟ قَالَ الْحَاجِبُ :

---

(١) الدسيعة : العطية ، والقرم : السيد . (٢) يحمل المدح : يدخرها ويصرفها ويكافئ عليها  
من قوله تعالى : « وكأين من دابةٍ لا تحمل رزقها » .

لا والله، والله لقد دخلتُ عليه وما عنده أحد، ولكن الله يُحدث ما يشاء في الليل والنهار.

فرجع طريح، وأقام بباب الوليد سنة لا يَخْلُصُ إليه<sup>(١)</sup>، ولا يقدر على الدخول عليه، وأراد الرجوع إلى بلده وقومه. فقال: والله إن هذا لعجزٌ بي أن أرجع من غير أن ألقى وليَّ العهد، فأعلم من دهاني عنده؛ ورأى أناساً كانوا له أعداء قد فرحوا بما كان من أمره، فكانوا يدخلون على الوليد ويحدثونه، ويصدر عن رأيهم، فلم يزل يلطفُ بالحاجب ويمنيه حتى قال له الحاجب: أما إذ أطلتَ للمقام فإني أكره أن تنصرفَ على حالك هذه، ولكنَّ الأمير، إذا كان يوم كذا وكذا، دخل الحمام ثم أمر بسريره فأبرز، وليس عليه يومئذ حجاب، فإذا كان ذلك اليوم أعلمتُك؛ فتكون قد دخلتَ عليه وظفرتَ بماجتك، وأكون أنا على حال عذر.

فلما كان ذلك اليوم دخل الأمير الحمامَ وأمر بسريره فأبرز، وجلس عليه، وأذن للناس؛ فدخلوا عليه، والوليد ينظر إلى من أقبل. وبعث الحاجب إلى طريح فأقبل وقد تتامَّ الناس؛ فلما نظر الوليد إليه من بعيد صرف عنه وجهه، واستحياً أن يردَّه من بيت الناس؛ فدنا فسلم فلم يرد عليه السلام؛ فقال طريح يستعطفه ويتضرع إليه:

نام الخليلُ من الهموم وبات لي ليلٌ أكابِدُهُ وهمٌ مُضِلِّعٌ<sup>(٢)</sup>  
جزَّعاً لممتبِّةِ الوليد ولم أكن من قبلِ ذلك من الحوادث أجزعُ

(١) لا يخلص إليه: لا يصل إليه. (٢) مضلع: منقل.

يا بنِ اخللائفِ إنَّ سخطك لا مَرِيٍّ أنسيتَ عِصْمَتَهُ بِبِلاءِ مُقْطَبِ—  
فلا تُزِعَنَّ<sup>(١)</sup> عن الذي لم تهوهُ إن كان لي - ورأيتَ ذلكَ مَنزِعُ  
فاعطفِ فِداكَ أبي عليٍّ توسعاً وفضيلةً فعلى الفصيحة تُتْبِعُ  
فلقد كفاكَ وزاد ما قد نالني إن كنتَ لي ببِلاءِ ضُرِّ تَقَنَّعُ<sup>(٢)</sup>  
فقرَّبَهُ وأدناه وضحكٍ إليه وعاد إلى ما كان عليه .

(١) نزع عن الشيء من باب جلس : انتهى . (٢) القصيدة في الأغانى صفحة ٣١٥ ج ٤ .

٩٧ - أشعب يبلغ رسالة\*

بعث الوليدُ بن يزيد إلى أشعب<sup>(١)</sup> بعد ما طلق امرأته سعدة ، فقال له :  
يا أشعب ؛ لك عندي عشرةُ آلاف درهم ، على أن تُبَلِّغَ رسالتي سعدة ، فقال له :  
أحضِرُ المالَ أنظر إليه ، فأحضر الوليدُ بَدْرَةَ<sup>(٢)</sup> ، فوضعها أشعب على عنقه ، وقال :  
هاتِ رسالتك ، قال : قل لها يقول لك :

أسعدةُ هل إليكِ لناسيلُ ؟      وهل حتى القيامةِ من تلاقٍ ؟  
بلى ! ولعل دهرأ أن يُوَاني      بموتٍ من حليلك أو طلاقِ  
فأُصْبِحَ شامتاً وتقرَّ عيني      ويُجمَعُ شملنا بعد افتراقِ

فأتى أشعب الباب ، فأخبرتْ مكانه ، فأمرت ففرش لها فرش ، وجلست  
وأذنت له ، وكان نساء المدينة لا يَحْتَجِبْنَ عنه ، فدخل فأنشدها ، فلما أنشأ البيت  
الأول :

أسعدةُ هل إليكِ لناسيلُ ؟      وهل حتى القيامةِ من تلاقٍ ؟  
قالت : لا والله ، لا يكونُ ذلك أبداً ، فلما أنشد البيت الثاني :

بلى ! ولعل دهرأ أن يُوَاني      بموتٍ من حليلك أو طلاقِ  
قالت : كلاً إن شاء الله ، بل يفعل الله ذلك به ، فلما أنشد البيت الثالث :

\* المقد الفريد : ٣ : ١٨١ ، الأغاني : ٧ : ٢٧ ، نهاية الارب : ٤ - ٤١

(١) هو أشعب بن جبير ، من ظرفاء أهل المدينة ، كان مولد لـ الله بن الزبير ، وكان يجيد  
الفناء وضرب المثل بطلمه ، عمر طويلاً ، وتوفى سنة ١٥٤ هـ . (٢) البدره : كيس فيه  
عشرة آلاف درهم .

فأصبحَ شامتاً وتقرَّ عيني ويُجمَعُ شملنا بعد افتراقِ

قالت : بل تكون الشماتةُ به . ثم قالت لخدمها : خذوا الفاسق ، فقال :

يا سيدتي ؛ إنها عشرة آلاف درهم ، قالت : والله لأقتلنك أو تبلغه كما بلغتني ، قال :

وما تهيبين لي ؟ قالت : بساطي الذي تحتي ، قال : قومي عنه ، فقامت ، فطواه ، ثم

قال : هاتي رسالتك ، جعلتُ فداك ، قالت : قل له :

أتبكي على بُني وأنت تركتها فقد ذهبت بُني ؛ فما أنت صانع ؟

فأقبل أشعب حتى دخل على الوليد ، فأنشده البيت ، فقال : قَتَلْتَنِي وَاللَّهِ ؛

فما تراني صانماً بك ؟

اخترَ إما أن أدليكَ مُنكَّساً في بئر ، أو أزمي بك من فوق القصر منكَّساً ،

أو أضربَ رأسك بعمودي هذا ضربةً !

قال له : ما كنتَ فاعلاً بي شيئاً من ذلك ا قال : ولم ؟ قال : لأنك لم تكن

لتعذب عينين قد نظرنا إلى سعدة .

قال : صدقت !

٩٨ — رُعْتَنِي رَاعِكَ اللَّهُ \*

غَدَى أَشْعَبُ جَدِيًّا بَلْبِنِ أُمِّهِ وَغَيْرِهَا حَتَّى بَلَغَ غَايَةَ ، ثُمَّ قَالَ لَزَوْجَتِهِ : إِنِّي أَحَبُّ أَنْ تُرْضِعِيهِ بِأَبْنِكَ ، فَفَعَلْتَ .

ثُمَّ جَاءَ بِهِ إِلَى إِسْمَاعِيلِ بْنِ جَعْفَرٍ ، فَقَالَ : تَاللَّهِ إِنَّهُ لَابْنِي ، رَضِعَ بَلْبِنِ زَوْجَتِي ، قَدْ حَبَّبْتُهُ بِهِ ، وَلَمْ أَرِ أَحَدًا يَسْتَأْهِلُهُ <sup>(١)</sup> سِوَاكَ . فَنَظَرَ إِسْمَاعِيلُ إِلَيْهِ وَأَمَرَ بِهِ فَذُبْحَ ، فَأَقْبِلَ عَلَيْهِ أَشْعَبُ وَقَالَ : الْمَكَافَاةُ . فَقَالَ : مَا عِنْدِي وَاللَّهِ الْيَوْمَ شَيْءٌ ، وَنَحْنُ مَنْ نَعْرِفُ ، وَذَلِكَ غَيْرُ فَائِتِكَ .

فَلَمَّا يَبَسَّ أَشْعَبُ مِنْهُ قَامَ مِنْ عِنْدِهِ ، فَدَخَلَ عَلَى أَبِيهِ جَعْفَرٍ ، ثُمَّ انْدَفَعَ فَشَهَقَ حَتَّى التَّقَّتْ أَضْلَاعُهُ ، ثُمَّ قَالَ : أَخْلِنِي ، قَالَ : مَا مَعْنَى أَحَدٍ يَسْمَعُ ، وَلَا عَلَيْكَ عَيْنٌ ، قَالَ : وَثَبَ ابْنُكَ إِسْمَاعِيلُ عَلَى ابْنِي فَذَبَحَهُ ، وَأَنَا أَنْظُرُ إِلَيْهِ ؛ فَارْتَاعَ جَعْفَرُ وَصَاحَ ، وَيْلَكَ ! وَفِيمَ ؟ وَتَرِيدُ مَاذَا ؟ قَالَ : أُمَّمَا مَا أُرِيدُ ، فَوَاللَّهِ مَا لِي فِي إِسْمَاعِيلِ حِيلَةٌ وَلَا يَسْمَعُ هَذَا سَامِعٌ أَبَدًا بِمَدِكَ .

فَجَزَاهُ خَيْرًا ، وَأَدْخَلَهُ مَنْزِلَهُ ، وَأَخْرَجَ إِلَيْهِ مَائَتِي دِينَارٍ ، فَقَالَ : خُذْ هَذِهِ وَلَكِ عِنْدَنَا مَا تَحِبُّ .

وَخَرَجَ إِلَى إِسْمَاعِيلِ وَهُوَ لَا يُبْصِرُ مَا يَطُأُ عَلَيْهِ ، فِإِذَا بِهِ مُسْتَرْسِلٌ فِي مَجْلِسِهِ ، فَلَمَّا رَأَى إِسْمَاعِيلُ وَجْهَ أَبِيهِ أَنْكَرَهُ ، وَقَامَ إِلَيْهِ ، فَقَالَ : يَا إِسْمَاعِيلُ ؛ فَعَلْتَهَا بِأَشْعَبِ ! قَتَلْتَ وَلَدَهُ ؟ فَاسْتَضْحَكَ ، وَأَخْبَرَهُ الْخَبْرَ ، فَأَخْبَرَهُ أَبُوهُ بِمَا كَانَ مِنْهُ ؛ وَمَا صَارَ إِلَيْهِ .

\* نهاية الأرب : ٤ - ٢٨

(١) يستأمله : يستحقه .

فكان جعفر يقول لأشعب : رُعِنِي رَاعِكَ اللهُ ! فيقول : رَوْعَةُ ابْنِكَ بِنَا فِي  
الْجُدَى أَكْثَرُ مِنْ رَوْعَتِكَ بِالْمَائِي الدِينَارِ .

### ٩٩ — كَادَتْ تَمُوتُ فَرِحًا \*

قال أشعب : تَمَلَّقْتُ بِأَسْتَارِ الْكَمْبَةِ ، فَقُلْتُ : اللَّهُمَّ أَذْهَبْ مِنْي الْحِرْصَ  
وَالذَّلْبَ إِلَى النَّاسِ ، فَمَرَرْتُ بِالْقَرَشِيِّينَ وَغَيْرِهِمْ فَلَمْ يُعْطِنِي أَحَدٌ شَيْئًا ، فَجِئْتُ إِلَى  
أُمِّي ، فَقَالَتْ : مَا لَكَ قَدْ جِئْتَ خَائِبًا ؟ فَأَخْبَرْتُهَا بِذَلِكَ فَقَالَتْ : وَاللَّهِ لَا تَدْخُلُ حَتَّى  
تَرْجِعَ فَتَسْتَقِيلَ <sup>(١)</sup> رَبِّكَ ! فَرَجَمْتُ ، فَجَعَلْتُ أَقُولُ : يَا رَبَّ أَقْلِنِي ، ثُمَّ رَجَعْتُ ،  
فَمَا مَرَرْتُ بِمَجْلِسِ لَقْرِيشَ وَلَا غَيْرِهِمْ إِلَّا أَعْطَوْنِي !  
وَوُهَبَ لِي غَلَامٌ ؛ فَجِئْتُ إِلَى أُمِّي بِجَمَالٍ مُوقَرَةٍ <sup>(٢)</sup> مِنْ كُلِّ شَيْءٍ ، فَقَالَتْ :  
مَا هَذَا الْغَلَامُ ! فَخِيفْتُ أَنْ أَخْبِرَهَا فَتَمُوتُ فَرِحًا إِنْ قُلْتُ : وَهَبُوهُ لِي ، فَقَالَتْ :  
أَيُّ شَيْءٍ هَذَا ؟ فَقُلْتُ : غَيْنٌ ، قَالَتْ : أَيُّ شَيْءٍ ! قُلْتُ : لَامٌ ، قَالَتْ : أَيُّ شَيْءٍ ؟  
قُلْتُ : مِيمٌ ، قَالَتْ : أَيُّ مِيمٍ ؟ قُلْتُ : غَلَامٌ ؛ فَفَيْسِي عَلَيْهَا ، وَلَوْلَمْ أَقْطَعِ الْحُرُوفَ  
لَمَاتَ فَرِحًا .

\* نهاية الأرب : ٤ : ٢٨

(١) تطالب منه الإقالة : العفو . (٢) موقرة : محملة .

١٠٠ — هلمَّ إلىَّ حتى أُكَافِكَ \*

قال ابن زَبَّج : كان أبان بن عثمان من أهزل الناس ، فبينما نحن ذات يوم عنده ، وعنده أشعب ، إذ أقبل أعرابي ، معه جمل أشقر أزرق أزرع<sup>(١)</sup> يتلظى<sup>(٢)</sup> كأنه أفعى ، والشرُّ بيني ووجهه ، ما يدنو منه أحدٌ إلا شتمه ونهره ، فقال أبان : ادعوه لى ، فدعوه له ، وقيل : إن الأمير أبان بن عثمان يدعوك ؛ فاتاه فسلم عليه ، فسأله أبان بن عثمان عن نسبه فانتسب له ، فقال له أبان : حيَّاك الله يا خال ؛ اجلس ، فجلس .

فقال له : إني أطلبُ جملاً مثلَ جملِكَ هذا منذُ زمان فلم أجده كما أشتهى بهذه الصفة وهذه الهامة والصورة والورك والأخفاف ، والحمد لله الذى جعل ظفري به عند من أحبُّه ، أتبيمُنيه ؟ فقال : نعم أيها الأمير ! قال : فأبى قد بذلتُ لك به مائة دينار ؛ فطمع الأعرابي وسرَّ وانتفخ ، وبان الطمعُ فى وجهه .

فأقبل أبانُ على أشعب ، ثم قال له : ويلك يا أشعب ! إن خالى هذا من أهلك وأقاربك - يعنى فى الطمع - فأوسع له ممَّا عندك ، فقال : نعم ! بأبى أنت وزيادة ! فقال له أبان : يا خال ؛ إنما زدتك فى الثمن على بصيرة أن الجملَ يساوى ستين ديناراً ، ولكنى بذلتُ لك مائة دينار لقلة النقد عندنا ، وإنى معطيك

\* نهاية الأرب : ٤ : ٣٤

(١) الزعارة : الشراسة وسوء الخلق . (٢) يتلظى : يتقد من شدة الغضب .

عَرُوضاً<sup>(١)</sup> تساوى مائة دينار .

فزاد طمعُ الأعرابي ، وقال : قد قبِلت ذلك أيها الأمير ! وأسرَّ أبان إلى أشعب ؛ فأخرج شيئاً مغطىً ، فقال له : أخرج ما جئتَ به ، فأخرج عمامةً باليةً تساوى أربعة دراهم ، فقال له : قومها يا أشعب ، فقال : عمامةُ الأمير يشهدُ فيها الأعياد والجُمع ويأقَى فيها الخلفاء ! خسون ديناراً ، قال : ضَعَمها بين يديه .

قال ابن زَبَنَج : فقال لى : أثبت قيمتها ؛ فكتبت ذلك ، ووَضَعَت العمامة بين يدي الأعرابي ، فكادَ يدخلُ بعضُهُ فى بعض غيظاً ، ولم يقدر على الكلام .

قال أبان : هاتِ قَلَنْسُوتى ، فأخرج أشعب قَلَنْسُوتةً طويلةً باليةً قد علاها الوسخ والدُّهْن وتخرقت ، تساوى نصفَ درهمٍ قال : قوم ، فقال : قَلَنْسُوتةُ الأمير تَعْلُو هامته ، ويصلى فيها الصلواتِ الخمس ، ويجلسُ فيها للحُكْم ! ثلاثون ديناراً ، قال لى : أثبت ، فأثبتُ ذلك ، ووَضَعَت القَلَنْسُوتة بين يدي الأعرابي ؛ فأربدَّ وجهه ، وجَحَظَّتْ<sup>(٢)</sup> عيناه ، وهمَّ بالوثوب ، ثم تماسك .

ثم قال لأشعب : هاتِ ما عندك ! فأخرج خُفَيْنِ خَلَقَيْنِ قد نُفِيَا وتفسرا وتفتتَا فقال : قوم ، فقال : خُفَاُ الأمير يَطَأُ بهما الرُّوضَةَ ويعلو بهما منبرِ النبي صلى الله عليه وسلم ! أربعون ديناراً ، فقال : ضَعَمها بين يديه ، ثم قال للأعرابي : اضمم إليك متاعك وقال لبعض الأعوان : امضِ مع الأعرابي واقبضْ ما بقى لنا عليه من ثمن المتاع ، وهو عشرون ديناراً .

(١) العروض: كل ماسوى التقدين . (٢) جحظت عينه : عظمت مقلتها .

فوثب الأعرابي ، فأخذ القمّاشَ (١) ، فضرب به وجوهَ القوم لا يَأُلو

في الرّثمي .

ثم نهض كالجنون ، حتى أخذ برأسِ بعيره ؛ وضجك أبانُ حتى سقط ،  
وضحك من كان معه ، فكان الأعرابي بعد ذلك إذا لقي أشعبَ يقول له :  
هلمّ إليّ حتى أُكافئك على تقويمك المتاع ، يوم قوّمت ، فيهرب منه  
أشعب .

---

(١) الفهائس : جم قش ، وهو الرديء من كل شيء .

١٠١ -- بوزع \*

قال حماد : كان جعفر بن أبي جعفر المنصور <sup>(١)</sup> المعروف بابن الكردية بستخف مطيع بن إياس <sup>(٢)</sup> ويحبه ، وكان منقطعاً إليه ، وله معه منزلة حسنة ، فذكر له حماداً الراوية ، وكان صديقه ، وكان مطرحاً مجفواً في أيامهم ، فقال له :  
أنتنأ به لنراه .

فأتى مطيع حماداً فأخبره بذلك ، وأمره بالمسير معه إليه ، فقال له حماد :  
دعني فإن دولتي كانت مع بني أمية ، ومالي عند هؤلاء خير . فأبى مطيع إلا  
الذهاب إليه ، فاستعار حماداً سواداً وسيفاً ثم أتاه ، فمضى به مطيع إلى جعفر ، فلما  
دخل سلم عليه سلاماً حسناً ، وأثنى عليه ، وذكر فضله ، فردّ عليه ، وأمره  
بالجلوس فجلس .

قال جعفر : أنشدني ؛ فقال : لمن أيها الأمير ، الشاعر بعينه أم لمن حضر ؟  
قال : بل أنشدني لجريير .

قال حماد : فسلخ والله شعر جريير كله من قلبي إلا قوله :

بان الخليط برامتين <sup>(٣)</sup> فودّعوا أو كلما اعتموا لبين تجزع

\* الأغاني : ٦ : ٨١

(١) انظر صفحة ٥٥ (٢) مطيع بن إياس : شاعر من مخصوي الدولتين الأموية والعباسية ، كان ظريفاً مليح النادرة ماجناً ، مولده ومنشؤه بالكوفة ، انقطع في الدولة العباسية إلى جعفر بن المنصور فكان معه إلى أن مات وكان صديقاً لحماد ، وتوفي سنة ١٦٦ هـ .  
(٣) رامتين تثنية رامة ، ورامة : موضع في طريق البصرة إلى مكة ، وكثير من أسماء المواضع تثنى في الشعر للضرورة .

فاندفعت فأنشدته إياها ، حتى انتهت إلى قوله :

وتقول بَوَزَعُ : قد دبيتَ على المصا هلا هَزَّتِ بغيرنا يا بَوَزَعُ  
فقال لي جعفر : أَعِدْ هذا البيت ، فأعدته ، فقال : بَوَزَعُ أي شيء هو ؟  
فقلت : اسم امرأة ؛ فقال : امرأةٌ اسمها بوزع ! هو برىء من الله ورسوله ونفى <sup>(١)</sup>  
من العباس بن عبد المطلب إن كانت بَوَزَعُ إلا غولاً من الغيلان ! تركتني والله  
يا هذا لا أنام الليلة من فزع بَوَزَعُ ، يا غلمان ! قفاه ! فصُفِّت <sup>(٢)</sup> والله حتى لم أدرِ  
أين أنا ؛ ثم قال : جُرُّوا برجله ؛ فجرُّوا برجلي حتى أُخْرِجْتُ من بين يديه  
مسحوباً ، فتخرق السواد وانكسر جفنُ السيف ، ولقيت شراً عظيماً مما جرى علي ؛  
وكان أغلظ من ذلك كله وأشدَّ بلاءً من السواد وجفنِ السيف .

فلما انصرفتُ أناني مُطِيعُ بنِ إياس يتوجَّع لي ، فقلت له : ألمْ أخبرك أني  
لا أصيبُ منهم خيراً وأن حظِّي قد مضى مع بني أمية !

(١) نفى : منحى ومبعد . (٢) القفا : ما وراء النقب ، وهو مؤنث وقد يذكر .

١٠٢ - المنصور يطلب مَنْ يَسَلِّيهِ بالشعر \*

لما مات جعفر بن أبي جعفر المنصور مشى أبوه في جنازته من المدينة إلى مقابر قريش ، ومضى الناس أجمعون معه حتى دَفَنه ، ثم انصرف إلى قَصْره ، وأقبل على الربيع فقال : ياربيع ؛ انظر مَنْ في أهلي ينشدني :

\* أَمِنَ الْمُنُونِ وَرَيْبَهَا تَتَوَجَّعُ <sup>(١)</sup> \*

حتى أتسلى بها عن مصيبتى .

قال الربيع : فخرجتُ إلى بني هاشم وهم بأجمعهم حضور ، فسألتهم عنها ؛ فلم يكن فيهم أحدٌ يحفظها ؛ فرجعت فأخبرته . فقال : والله لَمُصِيبَتِي بأهل بيتي ألا يكون فيهم أحدٌ يحفظُ هذا ؛ لِقَلَّةِ رَغْبَتِهِمْ فِي الْأَدَبِ ، أعظمُ وأشدَّ على من مصيبتى يا بنى !

ثم قال : انظرْ هل في القوَّادِ والعوامِّ من الجندِ مَنْ يعرفها ؟ فإني أحب أن أسمعها من إنسان يُنشدُها ؛ فخرجت فاعترضت الناس ؛ فلم أجد أحداً ينشدها إلا شيخاً كبيراً مؤدِّباً قد انصرف من موضع تأديبه ؛ فسألته : هل تحفظ شيئاً من الشعر ؟ فقال : نعم ! شعر أبي ذؤيب <sup>(٢)</sup> ، فقلت : أنشدني ، فابتدأ القصيدة الميمنية

\* عصر المأمون : ١ : ١٧٥

(١) بقية البيت : \* والدمر ليس بعتب من يجزع \*

وهي نحو سبعين بيتاً أورد ابن رشيقي ألياناً منها في العمدة ، ورواها صاحب جهرة العرب في المرآة صفحة ٢٦٤ ، وهي لأبي ذؤيب الهذلي . في ديوان الهذليين ج ١ ص ١ - ٢١ طبع دارالكتب

(٢) هو خالد بن خويلد ، شاعر مجيد مخضرم قدم المدينة عند وفاة النبي صلى الله عليه وسلم ، فأسلم وحسن إسلامه ، وتولى في غزوة إفريقية مع ابن الزبير .

قلت له : أنت بُعَيْتِي ، ثم أوصلته إلى المنصور ، فاستنشدَه إياها ، فأنشد :

أَمِنَ النُّونَ <sup>(١)</sup> وَرَبِّهَا تَتَوَجَّعُ	والدهرُ ليس بمُعْتَبٍ من يَجْزَعُ
قَالَتْ أُمِّيَّةٌ : مَا لِحَسْبِكَ شَاخِبًا	منذ ابْتَدَلَتْ <sup>(٢)</sup> ، ومثلُ مالِكٍ يَنْفَعُ
أَمْ مَا لِحَسْبِكَ لَا يَلَامُ <sup>(٣)</sup> مَضْجَمًا	إِلَّا أَقْضَى عَلَيْكَ ذَاكَ الْمَضْجَعُ
فَأَجِبْتُهُمْ — : أَمَا لِحَسْبِي إِنَّهُ	أُودَى <sup>(٤)</sup> بَنِيَّ مِنَ الْبِلَادِ فَوَدَّعُوا
أُودَى بَنِيَّ فَأَعْقَبُونِي <sup>(٥)</sup> حَسْرَةً	بعد الرُّقَادِ وَعِزَّةً مَا تُقْلِعُ <sup>(٦)</sup>
سَبَقُوا هَوَىَّ وَأَعْتَقُوا <sup>(٧)</sup> لِهَوَاهُمْ	فَتَخَرَّمُوا <sup>(٨)</sup> ، ولكلِّ جَنْبٍ مَضْرَعُ
فَغَبَرْتُ بَعْدَهُمْ بَعِيثٌ نَاصِبٌ	وإِخَالٌ أَنِي لَاحِقٌ مُسْتَجْبَعُ
وَلَقَدْ حَرَّضْتُ بَأَنِ أَدَافِعَ عَنْهُمْ	وَإِذَا الْمَنِيَّةُ أَقْبَلَتْ لَا تُدْفَعُ
وَإِذَا الْمَنِيَّةُ أَنْشَبَتْ <sup>(٩)</sup> أَظْفَارَهَا	أَلْفَيْتَ كُلَّ تَمِيمَةٍ لَا تَنْفَعُ

حتى أتى على آخرها ، فأجازه بمائة درهم !

(١) النون : المنية ، وهي مؤنثة . (٢) ابتذلت : أي ابتذلت نفسك وأهنتها حسرة وأسى .  
(٣) لا يلام : لا يوافق . (٤) أودى بني : ملكوا . (٥) أعقبوني : خلفوا لي .  
(٦) ما تقلع : ما تنقلع . (٧) أعتقوا : أسرعوا . (٨) تخرموا : ماتوا .  
(٩) أنشبت : أعلقت ، والتميمة : التمويذة .

١٠٣ - صر إلى متى شئت\*

كان أزهر<sup>(١)</sup> السّتان صديقاً لأبي جعفر المنصور في أيام بني أمية ، وكانا قد سافرا جميعاً ، وسمعا الحديث ، وكان المنصور يَأْلُفُهُ ويَأْنَسُ إليه .

فلما أفضت الخلافة إليه شَخَّصَ<sup>(٢)</sup> إليه من البصرة ؛ فسأله المنصور عن زوجته وبناته - وكان يعرفهنَّ بأسمائهنَّ - وأظهر برّه وإكرامه ، ووصله بأربعة آلاف درهم ، وأمره ألا يَقْدَمَ إليه مُسْتَمِيحاً<sup>(٣)</sup> .

فلما كان بعدَ حَوْلٍ صار إليه فقال له : ألم أَمْرِكَ ألا تَصِيرَ إلى مُسْتَمِيحاً ! فقال له : ما صرتُ إليك إلا مسلماً ومجدّداً بك عهداً . قال : ما أرى الأمرَ كما ذكرتَ . وأمر له بأربعة آلاف درهم ، وأمره ألا يصير إليه مسلماً ولا مُسْتَمِيحاً .

فلما كان بعد سنة صار إليه ، فقال : إني لم أقدم عليكَ للأمرين اللذين نهيتني عنهما ، وإِنَّمَا بُلغني أَنَّ عِلَّةَ عَرَضتْ لأمير المؤمنين ؛ فأتيتُه عائداً ، فقال : ما أظنك أتيتَ إلا مُسْتَوْصِلاً ، وأمر له بأربعة آلاف درهم .

فلما كان بعد الحَوْلِ ألحَّ عليه بناته وزوجه ، وقلنَ له : أمير المؤمنين صديقك ، فارجع إليه ، فقال : ويحكُنَّ ، ماذا أقول له ، وقد قلتَ له : أتيتك مُسْتَمِيحاً ومسلماً وعائداً ، ماذا أقول في هذه المرة ؟ وبِمَ أَحْتَجِّجُ ! فأبين على الشيخ إلا الإلحاح .

\* السعدي : ٢ - ٢٣٧ . وثمرات الأوراق : ١ - ١٢٦

(١) هو أزهر بن سعد الباهلي ، عالم بالحديث من أهل البصرة كان يتردد على المنصور العباسي ، وله معه أخبار ، توفي سنة ٢٠٣ هـ . (٢) شخص من بلد إلى بلد : ذهب . (٣) الاستراحة : طلب العطاء .

فخرج فأتى المنصور ، وقال : لم آتكَ مُسْتَرِ فِدَاً<sup>(١)</sup> ولا زائراً ولا عائداً ، وإنما  
جئتُ لسماع حديث كُنَّا سَمِعْنَاهُ جَمِيعاً فِي بَلَدِ كَذَا مِنْ فُلَانٍ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ  
وَسَلَّمَ ، فِيهِ اسْمٌ مِنْ أَسْمَاءِ اللَّهِ تَعَالَى ، مَنْ سَأَلَ اللَّهَ بِهِ لَمْ يَرُدَّهُ . وَلَمْ يَحْيَبْ دَعْوَتَهُ .  
فَقَالَ لَهُ الْمَنْصُورُ : لَا تُرُدُّهُ فَإِنِّي قَدْ جَرَّبْتُهُ فَوَجَدْتَهُ غَيْرَ مُسْتَجَابٍ . وَذَلِكَ أَنِّي  
مِنذُ جِئْتَنِي أَسْأَلُ اللَّهَ بِهِ الْإِبْرَدَكَ إِلَىَّ ، وَأَنْتَ ذَا تَرْجِعُ ، لَا تَنْفَكُ تَقُولُ مُسْلِمًا  
أَوْ عَائِدًا أَوْ زَائِرًا . وَوَصَّلَهُ بِأَرْبَعَةِ آلَافِ دَرَاهِمٍ ، وَقَالَ لَهُ : قَدْ أَعَيْتَنِي فِيكَ الْحِيلَةَ ، فَصِرْ  
إِلَىَّ مَتَى شِئْتَ .

---

(١) المسترفد : طالب العطاء .

١٠٤ — أَتَذَكُرُ إِذْ لِحَافِكَ جِلْدَ شَاةٍ\*

تذاكر جماعةً فيما بينهم آثارَ معن<sup>(١)</sup> وأخبارَ كرمه ، معجبين بما هو عليه من التؤدة ووفرة<sup>(٢)</sup> الحلم ، ولين الجانب ، وغالوا في ذلك كثيراً ؛ فقام أعرابي ، وأخذ على نفسه أن يُقضيه . فأنكروا عليه ، ووعدوه مائة بعير ، إن هو فعل ذلك . فعمد<sup>(٣)</sup> الأعرابي إلى بعيرٍ فسَلَخه ، وارتدى بإهابه<sup>(٤)</sup> ، واحتذى<sup>(٥)</sup> ببعضه جاعلاً باطنه ظاهراً ، ودخل عليه بصورته تلك ، وأنشأ يقول :

أَتَذَكُرُ إِذْ لِحَافُكَ جِلْدَ شَاةٍ      وَإِذْ نَعْلَاكَ مِنْ جِلْدِ الْبَعِيرِ !

قال معن : أَذَكُرُهُ وَلَا أَنْسَاهُ ! فقال الأعرابي :

فَسَبْحَانَ الَّذِي أَعْطَاكَ مُلْكًا      وَعَلِمَكَ الْجُلُوسَ عَلَى السَّرِيرِ !

فقال معن : إِنْ اللَّهُ يُعِزُّ مِنْ بَشَاءٍ وَيَذِلُّ مِنْ بَشَاءٍ ، فقال الأعرابي .

فَلَسْتُ مُسْلِمًا إِنْ عَشْتُ دِهْرًا      عَلَى مَعْنٍ بِنَسِيلِمِ الْأَمِيرِ

فقال معن : السلام خير ، وليس في تركه ضير<sup>(٦)</sup> ، فقال الأعرابي :

سَأَرْحَلُ عَنْ بِلَادٍ أَنْتَ فِيهَا      وَلَوْ جَارَ الزَّمَانُ عَلَى الْفَقِيرِ

فقال معن : إِنْ جَاوَزْتَنَا فَرِحْنَا بِالإِقَامَةِ ، وَإِنْ جَاوَزْتَنَا فَمُصْحُوبًا بِالسَّلَامَةِ ،

فقال الأعرابي :

\* بحر الآداب : ٣ - ٢٦٣

(١) من أشهر أجداد العرب ، أدرك المصريين : الأموي والعباسي ، ولاء المنصور لإمارة سجستان ، فأقام بها ، ثم قتل بها غيلة سنة ١٥١ هـ (٢) كثرة . (٣) عمد إلى الشيء : قصد إليه (٤) الإهاب : الجلد ما لم يدبغ (٥) احتذى : اتحل (٦) الضير : الضرر .

فَجَدُّ لِي يَابِنٌ<sup>(١)</sup> نَاقِصَةٌ بِمَالٍ فَإِنِّي قَدْ عَزَمْتُ عَلَى السَّيْرِ  
فَقَالَ مَعْنُ : أَعْطَوْهُ أَلْفَ دِينَارٍ ، تَخَفُّفٌ عَنْهُ مَشَاقَّ الْأَسْفَارِ ، فَأَخَذَهَا وَقَالَ :

قَلِيلٌ مَا أَتَيْتَ بِهِ وَإِنِّي لِأَطْمَعُ مِنْكَ فِي الْمَالِ الْكَثِيرِ  
فَتَنُّ قَدْ أَتَاكَ الْمَلِكُ عَفْوًا بِلا عَقْلِ وَلَا رَأْيٍ مِنْ سِيرِ  
فَقَالَ مَعْنُ : أَعْطَوْهُ أَلْفًا ثَانِيًا ، كَمَا يَكُونُ عَنَّا رَاضِيًا . فَتَقَدَّمَ الْأَعْرَابِيُّ إِلَيْهِ ،  
وَقَبِلَ الْأَرْضَ بَيْنَ يَدَيْهِ وَقَالَ :

سَأَلْتُ اللَّهَ أَنْ يُبْقِيكَ دَهْرًا فَجَاءَكَ فِي الْبَرِيَّةِ مِنْ نَظِيرِ  
فَمِنْكَ الْجُودُ وَالْإِفْضَالُ حَقًّا وَفِيضُ يَدَيْكَ كَالْبَحْرِ الْغَزِيرِ  
فَقَالَ مَعْنُ : أَعْطَيْنَاهُ عَلَى هَجْرِنَا الْفَيْنِ ، فَلْيُعْطِ أَرْبَعَةً عَلَى مَدْحِنَا ،  
فَقَالَ الْأَعْرَابِيُّ : يَا أَبِي أَيُّهَا الْأَمِيرُ وَنَفْسِي ! فَأَنْتَ نَسِيحٌ وَحَدِّكَ فِي الْحِلْمِ ، وَنَادِرَةٌ  
دَهْرِكَ فِي الْجُودِ (وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ) . وَلَقَدْ كُنْتُ فِي صِفَاتِكَ بَيْنَ مُصَدِّقٍ  
وَمُكَذِّبٍ ، فَلَمَّا بَلَوْتُكَ صَفْرَ الْخَيْبِ<sup>(٢)</sup> الْخَيْبِ ، وَأَذْهَبَ ضَمْفَ الشُّكِّ قُوَّةَ الْيَقِينِ ،  
وَمَا بَعَثْنِي عَلَى مَا فَعَلْتُ إِلَّا مَائَةً بِعِيرِ جُمِلْتُ لِي عَلَى إِغْضَابِكَ .

فَقَالَ لَهُ الْأَمِيرُ : لَا تَتَرَبَّبْ<sup>(٣)</sup> عَلَيْكَ ! وَوَصَلَهُ بِمَائَتِي بِعِيرِ : نَصَفَهَا لِلرَّهَانِ  
وَالنَّصْفَ الْآخَرَ لَهُ ؛ فَانصَرَفَ الْأَعْرَابِيُّ دَاعِيًا لَهُ ، شَاكِرًا لِهَبَاتِهِ ، مُعْجَبًا بِأَنَاتِهِ .

(١) يابن ناقصة بدلا من قوله: ابن زائدة (٢) الخبير : الخبير

(٣) لا تتريب : لا لوم عليك .

١٠٥ — لقد كان ذلك الرجل شوّماً\*

خرج معنُ بنُ زائدة في جماعةٍ من خواصّه للصيد ، فاعترضهم قَطِيعٌ<sup>(١)</sup> ظِبَاءٍ ، فتنفروا في طلبه ، وانفردَ معنٌ خَلْفَ ظَبِيٍّ حتى انقطع عن أصحابه ، فلما خَفِرَ به نزل فذبجه ؛ فرأى شيخاً مُقْبِلاًً من البريةِ على حمار ؛ فركب فرسه ، واستقبله ؛ فسَلَّمَ عليه ؛ فقال : مِنْ أَيْنَ ؟ وإلى أين ؟ قال : أتيتُ من أرضٍ لها عشرون سنةً مجدبةً ، وقد أخضبتُ في هذه السنة ؛ فزرعتها مَقْتَأَةً<sup>(٢)</sup> فأخرجت القِثَاءَ في غير أوان ؛ لجمعتُ منها ما استَحْسَنْتُهُ ، وقصدتُ به معنَ بنَ زائدة لكرمه المشكور ، وفضله المشهور ، ومعروفه المأثور ، وإحسانه الموفور .

قال : وكَمِ أَمَلْتُ منه ؟ قال : ألفَ دينار ، قال : فإن قال لك : كثير ! قال : خمسمائة : قال : فإن قال لك : كثير ! قال : ثلثمائة ! قال : فإن قال لك : كثير ! قال : مائة . فما زال به حتى قال : لا أقل من الثلاثين ! قال : فإن قال لك : كثير قال : أدخل قوائم حماري في عينه ، وأرجع إلى أهلي خائباً .

فضحك معن ، وساقَ جواده حتى لحق بأصحابه ، ونزل في منزله ، وقال لحاجبه : إذا أتاك شيخ على حمار بقِثَاءٍ فادْخُلْ به عليّ .

فأتى الرجلُ بعد ساعة ، فلما دخل عليه لم يعرفه لهيبته وجلاله ، وكثرةِ حَشَمِهِ وخَدَمِهِ ، وهو مُتَّصِدِّرٌ في دَسْتِهِ<sup>(٣)</sup> ، والخدمُ قيامٌ عن يمينه وشماله وبين يديه .

\* المستطرف : ٢ - ٢٣٧ .

(١) القطيع من الظباء : الطائفة (٢) المقتاة : موضع زراعة القثاء (٣) الدست : صدر البيت .

فما سلم عليه قال : ما الذى أتى بك يا أخا العرب ؟ قال : أملتُ فضَلَ الأمير ،  
وأنتيتُه بقيَّاء في غير أوان . فقال : كم أملتَ فينا ؟ قال : ألف دينار . قال : كثير !  
فقال في نفسه : والله لقد كان ذلك الرجل شوْماً على . ثم قال : خمسمائة دينار . قال :  
كثير ، ثم ما زال به إلى أن قال : خمسين ديناراً ، فقال له : كثير . فقال : لأقل من  
الثلاثين ؛ فضحك ممن .

فلم الأعرابي أنه صاحبه ؛ فقال : ياسيدى ؛ إن لم تُجِبْ إلى الثلاثين فالجار  
مرهوط بالباب ، وهاهو ذا معن جالس . فضحك معن حتى استلقى على فراشه ،  
ثم دعا بوكيله ، فقال : أعطه ألفاً ، وخمسمائة ، وثلاثمائة ، ومائة ، وخمسين ، وثلاثين ،  
ودع الجار مكانه .

## ١٠٦ - حُبِسْتُ مَعَ الدَّجَاجِ \*

شرب أبو دُلَامَةَ<sup>(١)</sup> في الحَانَاتِ<sup>(٢)</sup> ؛ ففشى وهو يميل ؛ فلفِيهِ المَتَسَسُ  
فأخذوه فقيل له : من أنتَ ؟ وما دِينُكَ ؟ فقال :

دِينِي عَلَى دِينِ بَنِي العَبَّاسِ      مَاخُتَمَ الطِّينُ عَلَى القِرْطَاسِ  
إِذَا اصْطَبَحْتُ أُرْبَعًا بِالكَاسِ      فَقَدْ أَدَارَ شُرْبُهَا بِرَاسِي

\* فَهَلْ بِمَا قُلْتُ لَكُمْ مِنْ بَاسٍ \*

فأخذوه وخرقوا ثيابه وساجه<sup>(٣)</sup> ، وَأَتَيْتَنِي بِهِ إِلَى أَبِي جَعْفَرٍ فَأَمَرَ بِجَنْسِهِ مَعَ  
الدَّجَاجِ فِي بَيْتٍ ؛ فَلَمَّا أَفَاقَ جَعَلَ ينادي غلامه مرّة ، وجاريته أخرى ، فلا يجيبه  
أحد ؛ وهو مع ذلك يسمع صوت الدجاج ، ورُزْقَاءَ<sup>(٤)</sup> الدُّيُوكِ .

فَلَمَّا أَكْثَرَ قَالَ لَهُ السَّجَّانُ : مَا شَأْنُكَ ؟ قَالَ : وَبَيْتِكَ ! مَنْ أَنْتَ ؟ وَأَيْنَ أَنَا ؟  
قَالَ : أَنْتَ فِي الحَبْسِ ، وَأَنَا السَّجَّانُ . قَالَ : وَمَنْ حَبَسَنِي ؟ قَالَ : أَمِيرُ المُؤْمِنِينَ . قَالَ :  
وَمَنْ خَرَّقَ طَيِّلسَانِي ؟ قَالَ : الحُرَّاسُ .

فَطَلَبَ أَنْ يَأْتِيَهُ بِدَوَاةٍ وَقِرْطَاسٍ ، فَفَعَلَ ، فَكَتَبَ إِلَى أَبِي جَعْفَرِ النُّصُورِ

يقول :

أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ فَدَتَكَ      نَفْسِي      عَلامَ حَبَسْتَنِي وَخَرَقْتَ سَاجِي !

\* نهاية الأرب : ٤ - ٤٢ ، الأغاني : ١١٠ - ٢٥١ ، ( طبعة دار الكتب ) .

(١) هو زندي بن الجون شاعر مطبوع من أهل الظرف والدغابة ، أسود اللون ، نشأ في النكوفة  
واتصل بالخلفاء من بني العباس ، فكانوا يستلطفونه ، ويفدون عليه صلاتهم ، وأخباره كثيرة .  
توفي سنة ١٦٦ هـ (٢) الحانات : المواضع التي تباع فيها الخمر (٣) الساج : الطيلسان  
الأخضر أو الأسود (٤) رزقاء الديك : صياحه .

أمن صَهْبَاءَ<sup>(١)</sup> صَافِيَةَ الْمِرْجِ  
 وَقَدْ طُبِخَتْ بِنَارِ اللَّهِ حَتَّى  
 كَانَتْ شُعَاعَهَا لَهَبُ السَّرَاجِ  
 لَقَدْ صَارَتْ مِنَ النَّطْفِ<sup>(٢)</sup> النَّضَاجِ  
 إِذَا بَرَزَتْ تَرْتَرِّقُ فِي الزَّجَاجِ  
 تَهَشُّ لَهَا الْقُلُوبُ وَتَشْتَهِيهَا  
 أَقَادُ إِلَى السَّجُونِ نَغِيرِ جُرْمِ  
 كَأَنِّي بَعْضُ عَمَالِ الْخَرَاجِ  
 فَلَوْ مَعَهُمْ حُبِسْتُ لَكَانَ سَهْلًا  
 وَلَكِنِّي حُبِسْتُ مَعَ الدَّجَاجِ  
 وَقَدْ كَانَتْ تَحْبِرُنِي ذُنُوبِي  
 بِأَنِّي مِنْ عِقَابِكَ غَيْرُ نَاجِ  
 عَلَى أُنَى - وَإِنْ لَاقَيْتُ شَرًّا -  
 خَلِيرِكَ بِمَدِّ ذَاكَ الشَّرِّ رَاجِ

فاستدعاه المنصور ، وقال : أين حُبِسْتَ يَا أبا دَلَامَةَ ؟ قال : مع الدجاج !  
 قال : فما كنتَ تصنع ؟ قال : أُقَوِّ<sup>(٣)</sup> إِلَى الصَّبَاحِ . فضحك وخطَّ سبيله ،  
 وأسر له بِجَائِزَةٍ .

فلما خرج قال له الربيع : إنه شرب الخمر يا أمير المؤمنين ! أما سمعت قوله :  
 « وَقَدْ طُبِخَتْ بِنَارِ اللَّهِ » - يعنى الشمس - فأمر برده ، ثم قال : يا خبيث ! شربت الخمر ؟  
 قال : لا ، قال : أفلم تقل : طبخت بنار الله - تعنى الشمس ؟ قال : لا ، والله  
 ما عَنَيْتُ إِلَّا نَارَ اللَّهِ الْمَوْقَدَةَ الَّتِي تَطْلَعُ عَلَى فُوَادِ الرَّبِيعِ ! فضحك المنصور ، وقال :  
 خذها ياربيع ، ولا تُعاوِدِ التَّعَرُّضَ لَهُ .

(١) الصهباء : الخمر (٢) النطف : ج نطفة ، وهى الخمر (٣) أقوي : أصبح .

١٠٧ — ما ضرّه لو أن ذنوبَ العالمين على ظهري ؟!

قال أيوب المورياني لأبي جعفر - وكان يَشْنَأُ<sup>(١)</sup> أبا دُلَامَةَ : إن أبا دُلَامَةَ معتكف على الحجر، فما يحضرُ صلاة ولا مسجداً ؛ وقد أفسدَ فِتْيَانُ العسكر ، فلو أمرته بالصلاة معك لَأَجِزْتَ<sup>(٢)</sup> فيه وفي غيره من فتيان عسكرك بِقَطْعِهِ عنهم .

فلما دخل عليه أبو دُلَامَةَ قال له : ما هذا الجون الذي يبلغني عنك ؟ فقال : يا أمير المؤمنين ؛ ما أنا والجونَ ، وقد شارفتُ بابَ قبري ! قال : دَعْنِي من استكانتِكَ وتضرُّعك ، وإياك أن تفوتك صلاة الظهر والعصر في مسجدي ؛ فلئن فاتتاك لَأُحْسِنَنَّ أَدَبَكَ ولَأُطِيلَنَّ حَبْسَكَ .

فوقع في شرِّه ، ولزم المسجد أياماً ، ثم كتب قصته ودفعها إلى المهدي فأوصلها إلى أبيه ، وكان فيها :

لم تَعْلَمَا أن الخليفة لَزَنِي <sup>(٣)</sup>	بمسجده والقصرِ ، مالى وللقصرِ !
أصلِّي به الأولى جميعاً وعصرها	فويلي من الأولى وَوَيْلِي من العصرِ !
أصليهما بالكره في غير مسجدي	فما لي في الأولى ولا العصر من أجر
لقد كان في قومي مساجد جمة	ولم ينشرح يوماً لشيئانها صدرى <sup>(٤)</sup>
يكلفني من بعد ما شئتُ خطة <sup>(٥)</sup>	يحظ بها عنى الثقل من الوزر
وما ضره - والله يغفرُ ذنبه -	لو أن ذنوبَ العالمين على ظهري !

\* تهذب الأغاني : ٩ : ٣٣ ، الأغاني : ١٠ - ٢٤٦ ، ذيل زهر الآداب : ٩١  
 (١) يفضه ويكرهه (٢) نالك الأجر والثواب (٣) الزم : لزوم الشيء بالشئ  
 والزامه به (٤) الذهاب إليها (٥) الحطة : الأمر .

فقال : قد أعفيناك من هذه الحال على أن تصلّي في مسجد قبيلتك ، ولكن على ألا تدع القيامَ معنا في ليالي شهر رمضان فقد أظَلَّ<sup>(١)</sup> ؛ فقال : أفعل . قال : فإنك إن تأخرت لشرب الخمر علمتُ ذلك ، والله لئن فعلت لأحدنك<sup>(٢)</sup> . فقال أبو ذُلامة : البليّةُ في شهرٍ أخفُّ منها في طول الدهر ، سمعاً وطاعة !

فلما حضر شهرُ رمضان لزم المسجد ، وكان المهديُّ يبعثُ إليه في كل ليلة حرسياً يجي به ، فشقَّ ذلك عليه ، وفرع إلى الخيزران ، وإلى أبي عبيد الله<sup>(٣)</sup> ، وإلى كلِّ من يلوذ بالمهدي ليشفَعوا له في الإغفاء من القيام ، فلم يجبهم ، فقال له أبو عبيد الله : الدّالُّ على الخير كفاعله ، فكيف شكرك ؟ قال : أتم شكر ، قال : عليك برِيطة<sup>(٤)</sup> فإنه لا يخالفها . قال : صدقت ، ثم رفع إليها رُقعةً يقول فيها :

أبلغاً رِيطَةَ أني كنتُ عبداً لأبيها  
فضى يَرْحُهُ الله وأوصى بي إليها  
وأراها نسيني مثل نسيان أخيها  
جاء شهر الصوم يمشي مِشيّةً ما أشتهبها  
فأندأ لي ليلة القدرِ كأنّي أبتغيها  
ولقد عشتُ زماناً في فيافي وجبها  
في ليالي من شتاء كنت شيخاً اصطليها  
قاعدا أوقد ناراً لضبابٍ<sup>(٥)</sup> أشتويها

(١) أظَلَّ : قرب وأشرف (٢) حده : أقام عليه الحد (٣) هو أبو عبيد الله معاوية بن عبيد الله كان من رجالات المنصور ثم المهدي (٤) رِيطَة : هي ابنة الخليفة أبي العباس ، وزوج المهدي (٥) الضب : دويبة من الحشرات ، تحرس العرب على صيده وأكله ، وجمعه ضباب .

وَصَبُوحٍ وَغَبُوقٍ فِي عِلَابٍ <sup>(١)</sup> أَحْتَسِبُهَا  
 مَا أَبَالِي لَيْلَةَ الْقَدْرِ وَلَا تُسْمِعُنِيهَا  
 فَاغْلِبِي لِي فَرْجًا مِنْهَا وَأَجْرِي لَكَ فِيهَا

فلما قرأت الرقعة ضحكت ، وأرسلت إليه : يصطبر حتى تمضي ليلة القدر  
 فكتب إليها : إني لم أسألك أن تسكلمي في أعفائي عاماً قابلاً ، وإذا مضت ليلة  
 القدر فقد فني الشهر وكتب تحتها آياتاً

خَافِي إِلَهِكَ فِي نَفْسٍ قَدْ احْتَضِرَتْ قَامَتْ قِيَامَتَهَا بَيْنَ الْمُصَلِّينَا  
 مَا لَيْلَةَ الْقَدْرِ مِنْ هَمِّي فَأَطْلِبْهَا إِنْ أَخَافُ الْمُنَايَا قَبْلَ عَشْرِينَا  
 يَا لَيْلَةَ الْقَدْرِ قَدْ كَسَّرْتِ أَرْجَلَنَا يَا لَيْلَةَ الْقَدْرِ حَقًّا مَا تَمْنِينَا !  
 لَا بَارِكَ اللَّهُ فِي خَيْرِ أَوْمَلُهُ فِي لَيْلَةٍ بَعْدَ مَا قُنَا ثَلَاثِينَا

فلما قرأت الرقعة ضحكت ، ودخلت هلى المهدي ، فشفت له إليه ، وأنشدته  
 الأبيات ، فضحك حتى استلقى ، ودعا به وربطة معه في الحجلة <sup>(٢)</sup> ، فدخل فأخرج  
 رأسه إليه وقال : قد شفت ربطة فيك ، وأمرنا لك بسبعة آلاف درهم .

فقال : أما شفاعة سيدي في حتى أعفيتني فأعفاها الله من النار ، وأما السبعة  
 الآلاف فإما أن تتمها بثلاثة آلاف فتصير عشرة ، أو تنقصني منها ألفين فتصير  
 خمسة آلاف ؛ فإني لا أحسن حساب السبعة . فقال : قد جعلتها خمسة ، فقال :  
 أعيدك بالله أن تختار أذني الحالمين ، وأنت أنت ائتم تكلمت فيه ربطة فأتمها  
 له عشرة آلاف درهم .

(١) جمع علبه : وهي قلدح ضخم من جلد الإبل أو من خشب يجلب فيه (٢) الحجلة : بيت  
 يزين بالثياب والأسرة والستور .

١٠٨ — لو أن لي مُهَجَةً أُخْرَى لُجِدْتُ بِهَا\*

قال أبو دُلّامة : أنى بي إلى المنصور وأنا سكران ؛ فحلف ليُخْرِجَنِي في  
بِئْسِ حَرْبٍ ، فأخرجني مع رَوْحِ بنِ حاتم<sup>(١)</sup> المهلبِي لِقِتالِ الشُّراة<sup>(٢)</sup> . فلما التقى  
الجمان ، قلت لرَوْحِ : أما والله لو أن نَحْتِي فرسك ، ومعى سلاحك لأتُّرْتُ في عدوك  
اليوم أثراً ترتضيه .

فضحك وقال : والله لأدفعنَّ ذلك إليك ، ولأخذنك بالوفاء بشرطك ؛ ونزل  
عن فرسه ، ونزع سلاحه . ودفعهما إلى ودعا بغيرهما .

فلما حصل ذلك في يدي ، وزالت عني حلاوة الطمع ، قلت له : أيها الأمير ،  
هذا مقام العائذ بك ، وقد قلتُ بيتين فاسمعهما . قال : هات ، فأشدته :

إني استجرتك أن أقدمَّ في الوغى      لتطاعنٍ وتنازلٍ وضِرَابِ  
فهبِ السيوفَ رأيتُها مشهورةً      فتركُتها ومضيتُ في الهُرَابِ  
ماذا تقول لما يجيء وما يرمى      من واردات الموت في النَّشابِ<sup>(٣)</sup> !  
فقال : دَعَّ عنك هذا .

وبرز رجلٌ من الخوارج يدعو للبارزة . فقال : اخرج إليهِ يا أبا دُلّامة !  
فقلت : أنشدك الله أيها الأمير في دمي ! قال والله لتُخْرِجَنِي . فقلت : أيها الأمير ،

(١) هو روح بن حاتم بن قبيصة بن المهلب بن أبي صفرة ، ولي إفريقية والبصرة وغيرها ، وكان  
جليلاً شجاعاً (٢) الشراة : هم الخوارج ، وقد لزمهم هذا اللقب ، لأنهم زعموا أنهم شروا  
دينام بالآخرة ، أي باعوها (٣) النشاب : السهم .

فإنه أول يوم من الآخرة وآخر يوم من الدنيا ، وأنا والله جائع ماشبعت منى جارحةً من الجوع ، فمرّ لي بشيء آكله ثم أخرج .

فأمر لي برغيفين ودجاجة ، فأخذت ذلك وبرزتُ عن الصّف . فلما رأاني الشّاري<sup>(١)</sup> أقبل نحوي وعليه قرّوٌ قد أصابه المطر فابتلّ ، وأصابته الشمس فاقفعل<sup>(٢)</sup> ، وعيناه تقيّدان ، فأسرع إليّ . فقلت له : على رسلك<sup>(٣)</sup> يا هذا كما أنت ! فوقف .

فقلت : أنتقل من لا يُقاتلك ؟ قال لا . قلت : أنتقلُ رجلاً على دينك ؟ قال : لا . قلت : أفنستحلُّ ذلك قبل أن تدعو من تقاتله إلى دينك ؟ قال : لا ، قال : فاذهب عني إلى لعنة الله ! قلت : لا أفعل أو تسمع مني . قال : قل . قلت : هل كانت بيننا فطّة عداوةٍ أو تريّة<sup>(٤)</sup> ؛ أو تعرفني بحال تحفظك عليّ<sup>(٥)</sup> ! أو تعلم بين أهلي وأهلك وتراً ؟ قال : لا ، والله . قلت : ولا أنا والله لك إلا على جميل الرأي ، وإني لأهواك ، وأنتحلّ مذهبك ، وأدينُ دينك ، وأريدُ السوء لمن أراداه لك . قال : يا هذا ؛ جزائك الله خيراً فانصرفت .

قلت : إن معي زاداً أحبُّ أن آكله معك ، وأحبُّ مواكلك لتتأكد بمودة بيننا ، ويرى أهلُ العسكر هوانهم علينا : قال : فافعل . فتقدمت إليه حتى اختلقت أعناق دوابنا ، وجمعنا أرجلنا على معارفها ، والناس قد غلبوا ضحكاً ! فلما استوفينا ودّعني . ثم قلت له : إن هذا الجاهل - إن أقت - على طلب المبارزة - ندبني إليك فتتعبني وتمعب . فإن رأيت ألا تبرز اليوم فافعل - قال : قد فعلت . ثم انصرف وانصرفت .

(١) الحارجي (٢) اقفعل : تقبض (٣) تمهل (٤) نأر (٥) تفضيك .

فقلت لروح : أما أنا فقد كفيتك قرني ، فقل لغيري أن يكفيك قرنه كما  
كفيتك . فأمسك ! وخرج آخرُ يدعو إلى المبارزة فقال لي : اخرج إليه . فقلت :  
إني أعود بروح أن يقدمني إلى البراز<sup>(١)</sup> فتخزي بي بنو أسدِ  
إن البراز إلى الأقران أعلمه  
قد حالفتك المنايا إذ صمدت لها  
إن المهلب حُبَّ الموتِ أورثكم  
لو أن لي مهجةً أخرى لجدتُ بها  
فضحك وأعفاني .

وما يفرق بين الروح والجسدِ  
وأصبحتُ لجميع الخلق بالرَّصدِ  
وما ورثتُ اختيار الموتِ عن أحدِ  
لكنها خلقتُ فرداً فلم أجِدِ

١٠٩ — يهجو نفسه \*

دخل أبو دُلّامة على المهدي وعنده عيسى بن موسى ، والعبّاس بن محمد ،  
وجاعة من بنى هاشم ، فقال المهديّ : يا أبا دُلّامة . قال : لبيك يا أمير المؤمنين !  
قال : لئن لم تهنّج واحداً من في هذا المجلس لأقطعنّ لسانك . فنظر إلى القوم ،  
فكلّما نظر إلى واحدٍ منهم غزّه بأنّ عليه رضاه . فعمل أنه قد وقع ، وقال : أنا أحدٌ  
منّ بالمجلس ثمّ أنشد :

ألا أبلينّ إليك أبا دُلّامة      فليس من الكرام ولا كرامه  
إذا لبس العمامة كان قرداً      وخنزيراً إذا نزع العمامة  
جمعت دمامةً وجمعت لؤماً      كذلك اللؤم تتبعه الدمامة  
فإنّ تك قد أصبت نعيم دُنياً      فلا تفرّخ فقد دنت القيامة

فضحك المهديّ ومثّر القومُ إذ لم يسىء إلى أحدٍ منهم ، ثمّ قال له المهديّ :  
تَمَنَّ . فقال : يا أمير المؤمنين ؛ تأمر لي بكلب صَيِّد . فسبّه وقال : ما تصنعُ به ؟  
فقال : الحاجةُ لي أمّ لك ؛ فقال : صدّقت ؛ أعطوه كلباً . فأعطيه . فقال :  
يا أمير المؤمنين ؛ لا بد لهذا الكلب من كلاب (١) . فأمر له بغلام مملوك ؛ فقال :  
يا أمير المؤمنين ، أو يتهيّأ لي أن أصيدَ راجلاً ؟ فقال : أعطوه دابة . فقال : ومنّ  
يسوسُ الدّابة ؟ فقال : أعطوه غلاماً سائساً . فقال : ومن يَنَحْرُ الصيدَ ويصلحه ؟

\* ذيل زهر الآداب : ٨٩ ، ٩٠ . مهذب الأغاني : ٩ - ٢٠ ، المستطرف : ١ - ٨٦ ، المحاسن  
والساوى : ٢٨٧ ، طبع ليزج الأغاني : ١٠ - ٢٥٨  
(١) الكلاب : من يرعى الكلاب .

فقال : أعطوه طَبَّاحًا . فقال : ومن يَأُوْبِهِمْ ؟ فقال : أعطوه داراً .  
فبكى أبو دلامة وقال : ومن يَمُونُ هؤلاء كلَّهم ؟ فقال : يُكْتَبُ له بمائة  
جَرِيب <sup>(١)</sup> عامرة ، ومائتي جريب عامرة . فقال : وما الغَامِرَةُ ؟ قال : التي لا نَبَاتَ  
فيها . قال : فأبا أعطيك مائتي ألف جريب من فيافي بني أسد . فضحك وقال  
ما تريد ؟ قال : بيتَ المال . قال : عَلَى أَنْ أُخْرِجَ المالَ منه . قال : بصيرُ حينئذ  
غامراً ، فاستفرغَ ضَحِكًا <sup>(٢)</sup> وقال : اذهب فقد جعلتها لك كلها عامرة . فقال :  
يا أمير المؤمنين ، انذَنْ لِي أَنْ أُقِيلَ بِدُكِّكَ . قال : أَمَا هَذِهِ فَدَعَّهَا . فقال : والله  
ما تمنعُ عِيَالِي شيئاً أهونَ عليهم منها ! فناوله يَدَهُ فقبَّلها .

---

(١) الجريب : الزرعة (٢) بالغ في الضحك .

١١٠ — كلُّ امرئٍ يأكلُ زَادَهُ \*

خرج المهدي وعلی بن سلیمان إلى الصيد ، فسَنَحَ لهما <sup>(١)</sup> قطعاً من ظباء ، فأزسَلَت الكِلَابُ ، وأجريت الخيل ، فرمى المهدي سَهْمًا ، فصرع ظئبياً ، ورمى علی بن سلیمان فأصاب كلباً قتلَه ؛ فقال في ذلك أبو دلامة :

قد رمى المهديُّ ظئبياً شكاً بالسهم فُوَادَهُ  
وعلىُّ بن سلیمان رمى كلباً فصَادَهُ  
فهيننا لهما كلُّ امرئٍ يأكلُ زَادَهُ

فضحك المهدي حتى كاد يسقط عن سرجه ، وقال : صدق والله أبو دلامة ، وأمر له بجائزة ، ولُقِّبَ علی بن سلیمان بصائد الكلب ، فَعَلِقَ اللقب به .

\* معاهد التنصيص : ١ - ٢١٤ ، الأفغانى : ١٠ - ٢٥٨

(١) عرض لهما .

## ١١١ - حماد والمفضل \*

قال بعض الرواة :

كُنَّا فِي دَارِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ الْمَهْدِيِّ بَيْسَابَازَ <sup>(١)</sup> ، وَقَدْ اجْتَمَعَ فِيهَا عِدَّةٌ مِنَ الرُّوَاةِ وَالْعُلَمَاءِ بِأَيَّامِ الْعَرَبِ وَأَدَابِهَا وَأَشْعَارِهَا وَلُغَاتِهَا ، إِذْ خَرَجَ بَعْضُ أَصْحَابِ الْحَاجِبِ ، فَدَعَا بِالْمُفْضَلِ الضَّبِّيِّ الرَّوَايَةَ فَدَخَلَ ، فَكُتِبَ مَلِيًّا ، ثُمَّ خَرَجَ إِلَيْنَا وَمَعَهُ حَمَّادُ وَالْمُفْضَلُ <sup>(٢)</sup> جَمِيعًا ، وَقَدْ بَانَ فِي وَجْهِ حَمَّادِ الْإِنْكَسَارُ وَالنِّعْمُ ، وَفِي وَجْهِ الْمُفْضَلِ السَّرُورُ وَالنِّشَاطُ .

ثم خرج حسين الخادم بعدها ، فقال : يامعشر مَنْ حَضَرَ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ ؛ إِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ يُعَلِّمُكُمْ أَنَّهُ قَدْ وَصَلَ حَمَّادًا الشَّاعِرَ بَعَشْرِينَ أَلْفَ دَرَاهِمٍ ، لِحُودَةِ شَعْرِهِ ، وَأَبْطَلَ رِوَايَتَهُ لِزِيَادَتِهِ فِي أَشْعَارِ النَّاسِ مَا لَيْسَ مِنْهَا ، وَوَصَلَ لِلْمُفْضَلِ بِخَمْسِينَ أَلْفًا لَصِدْقِهِ وَصِحَّةِ رِوَايَتِهِ ؛ فَمَنْ أَرَادَ أَنْ يَسْمَعَ شِعْرًا جَيِّدًا مُحَدَّثًا فَلْيَسْمَعْ مِنْ حَمَّادٍ ، وَمَنْ أَرَادَ رِوَايَةً صَحِيحَةً فَلْيَأْخُذْهَا عَنِ الْمُفْضَلِ .

فَسَأَلْنَا عَنْ السَّبَبِ فَأَخْبَرْنَا أَنَّ الْمَهْدِيَّ قَالَ لِلْمُفْضَلِ لِمَا دَعَا بِهِ وَخَدَّاهُ : إِنِّي رَأَيْتُ زُهَيْرَ بْنَ أَبِي سُلَيْمَى افْتَتَحَ قَصِيدَتَهُ بِأَنَّ قَالَ :

دَعَا ذَا وَعَدَّ الْقَوْلَ فِي هَرَمٍ <sup>(٣)</sup>

\* الأغانى : ٦ - ٩٠

(١) عيساباذ : محلة كانت شرقي بغداد ، بنى بها المهدي قصره الذي سماه قصر السلام .

(٢) هو المفضل بن محمد بن يعلى الضبي ؛ راوية عالم بالأدب من أهل الكوفة ، لزم المهدي ،

وصنف له كتاب المفضليات ، توفي سنة ١٦٨ هـ (٣) هرم بن سنان : ممدوح زهير .

ولم يتقدم له قبل ذلك قول ، فما الذى أمر نفسه بتركه ؟ فقال له المفضل : ما سمعتُ  
 يا أمير المؤمنين فى هذا شيئاً إلا أنى توهمتُه كان يفكر فى قولِ يقوله ، أو يروى  
 فى أن يقول شعراً ، فعدّل عنه إلى مدح هرم وقال : « دَعْ ذَا . . . » أو كان  
 مفكراً فى شيء من شأنه فتركه وقال : « دَعْ ذَا ... » أى دَعْ مَا أَنْتَ فِيهِ مِنَ الْفِكْرِ  
 وَعَدُّ الْقَوْلِ فِي هَرَمٍ . فَأَمْسَكَ عَنْهُ .

ثم دعا حمّاداً فسأله عن مثل ما سأله عنه المفضل فقال : ليس هكذا قال زهير  
 يا أمير المؤمنين ؛ قال : فكيف قال ؟ فأنشده :

لَمِنَ الدِّيَارِ بَقْنَةَ <sup>(١)</sup> الْحِجْرِ أَقْوِينَ <sup>(٢)</sup> مُذْ حِجَجٍ وَمُذْ دَهْرٍ  
 قَفْرًا بِمُنْدَقِ النَّحَائِتِ مِنْ <sup>(٣)</sup> ضَفْوَى <sup>(٤)</sup> أُولَاتِ الضَّالِّ وَالسَّدْرِ <sup>(٥)</sup>  
 دَعَا وَعَدُّ الْقَوْلِ فِي هَرَمٍ خَيْرِ الْكُهُولِ وَسَيِّدِ الْخَضْرِ

فأطرق المهدي ساعة ، ثم أقبل على حمّادٍ فقال له : قد بلغ أمير المؤمنين عنك  
 خبراً لا بدّ من استخلافك عليه ، ثم استخلفه بأيمان البيعة وكلّ يمينٍ مُخرجة  
 ليصدقته عن كل ما يسأله عنه ، فحلف له بما توثق منه .

ثم قال له : اصدقنى عن حال هذه الأبياتِ ومن أضافها إلى زهير ؛ فأقر له  
 حينئذ أنه قالها ، فأمر فيه وفى المفضل بما أمر به من شهرة أمرها وكشفه .

(١) القنة : أعلى الجبل ، والحجر : موضع باليمامة  
 موضع معين (٤) ضفوى : مكان دون المدينة  
 (٢) أقفرن (٣) النحائت : آبار فى  
 (٥) الضال والسدر : نوعان من الشجر  
 (اللسان مادة نحت ) .

١١٢ — في خِباءِ الأعرابي \*

خرج المهديُّ يَتَصَيَّدُ؛ فَنَارَ<sup>(١)</sup> به فرسهُ ، حتى وقع في خِباءِ أعرابي ، فقال :  
يا أعرابي ؛ هل من قِرْمَى ؟ فأخرج له قُرْصَ شعير فأكله ؛ ثم أخرج له فَضْلَةً من  
لبن فسقاه ، ثم أتاه بنبيذ في رِكَوَةٍ<sup>(٢)</sup> فسقاه .

فلما شرب قال : أتدرى من أنا ؟ قال : لا ! قال : أنا من خَدَم أمير المؤمنين  
الخاصة . قال : بارك الله لك في موضعك ! ثم سقاه مرةً أخرى فَشَرِبَ ، فقال :  
يا أعرابي ؛ أتدرى مَنْ أنا ؟ قال : زعمتَ أنك من خَدَم أمير المؤمنين الخاصة .  
قال : لا ؛ أنا من قُوَاد أمير المؤمنين .

قال : رَحِبْتُ بلادك ، وطابَ مُرادك ! ثم سقاه الثالثة ، فلما فرغ قال :  
يا أعرابي ؛ أتدرى مَنْ أنا ؟ قال : زعمتَ أنك من قُوَاد أمير المؤمنين . قال : لا ؛  
ولكنني أميرُ المؤمنين ! فأخذ الأعرابي الرِّكَوَةَ فأوكأها<sup>(٣)</sup> . وقال : إليك عنى !  
فوالله لو شربتَ الرابعةَ لادَّعَيْتَ أَنَّكَ رَسُولُ اللهِ .

فضحك المهدي حتى غَشِيَ عليه . ثم أحالته به الخليل ، ونزلت به الأمراء  
والأشراف ؛ فطار قلبُ الأعرابي ؛ فقال له : لا بأس عليك ، ولا خوف ! ثم أمره له  
بِكُسوةٍ ، ومالٍ جزيل .

\* المستطرف : ٢ - ٢٣٣

(١) نار : أثنى النور ، وهو المطش من الأرض (٢) الرِّكَوَةُ : إناء صغير من جلد يشرب  
فيه الماء (٣) أوكأ على ما في سقائه : شدّه بالوكاء . والوكاء : ما يشد به رأس القربة ، والمراد  
ربطها وكف عن سقيه منها .

١١٣ — دَعَا بِفِرَاقٍ مِّنْ تَهْوَىٰ أَبَانَ\*١

قال أَبَان بن عبد الحميد : نزل في ظاهر البصرة قومٌ من أعراب قَيْسِ عَيْلان ، وكان فيهم بِيَان وفصاحة ، فكان بَشَّار يَأْتِيهِمْ ، وَيُنشِدُهُمْ أشعارَه التي يمدح بها قَيْسًا ؛ فَيُحِبُّونَه لذلك ، ويمعظِّمونَه ، وكان نساؤهن يجلسن معه ، ويتحدثن إليه ، وينشدهن أشعارَه في الغزل . وكنتُ كثيرًا ما آتَى في ذلك الموضع فأسمع منه ومنهم .

فَأْتَيْتُهُمْ يوماً فإذا هم قد ارتحلوا ، فَجِئْتُ إلى بَشَّار ؛ فقلت : يا أبا معاذ ؛ أعلتَ أن القومَ قد ارتحلوا ؟ قال : لا . قلت : فأعلم ، قال : قد علمتُ لا علمتُ ! ومضيت .

فلما كان بعد ذلك بأيامٍ سمعتُ الناسَ ينشدون :

دَعَا بِفِرَاقٍ مِّنْ تَهْوَىٰ أَبَانَ      ففاض الدمعُ واحترقَ الجَنَانُ  
كَأَنَّ شَرَارَةً وَقَعَتْ بِقَلْبِي      لها في مقلتي ودَمِي اسْتِنَانٌ<sup>(١)</sup>  
إِذَا أَنْشَدْتُ أَوْ نَسَمْتُ عَلَيْهَا      رياح الصيفِ هاجَ لها دخانُ

فعلتُ أنها لبشار ؛ فَأْتَيْتُهُ ، فقلت : يا أبا معاذ ؛ ما ذنبي إليك ! قال : ذنبي غُرَابُ البين . فقلت : هل ذكرتني بغير هذا ؟ قال : لا . قلت : أَنْشَدُكَ اللهُ أَلَّا تَزِيدَ ، فقال : امضِ لِسَانِكَ فقد تركتك .

\* عصر المأمون : ٢ - ٢٧٢

(١) استن الرجل : مضى على وجهه ، واستن السراب : اضطرب .

١١٤ — راوية أبي نواس والعتابي \*

كان كلثوم العتابي<sup>(١)</sup> يَضَعُ من قَدْرِ أبي نواس ، فقال له راوية أبي نواس يوماً : كيف تضع من قدرِ أبي نواس وهو الذي يقول :

إذا نحن أئذينا عليكِ بصالحِ فأنْتَ الذي نثني وقوقَ الذي نُثني

وإن جرتِ الألفاظُ منا بمدحِ لغيرِكِ إنساناً فأنْتَ الذي بَغني

قال العتابي : هذا سرِّقه ! قال : مِمَّنْ ؟ قال : من أبي دهبِل الجحى

حيث يقول :

وإذا يقال لبعضهم : نِعَمَ الفتى فابنُ المغيرة ذلك النعمُ

عَقِمَ النساءُ فلا يَجِنُّنَ بمثلهِ إن النساءَ بمثلهِ عَقِمُ

قال : لقد أحسن في قوله :

فتمشَّتْ في مفاصلهم كتمشى البرء في السقمِ

قال : سرِّقه أيضاً ! قال له : مِمَّنْ ؟ قال : من سوسة البقعسى حيث يقول :

إذا ما سَقِمَ حلَّ عنها وكاءها تصمَّدَ فيه برءها وتصوِّبا

وإن خالطتُ منه الحشى خِلتُ أنه على سالفِ الأيام لم يبق موهبا

قال : فقد أحسن في قوله :

\* السمودي : ٢ - ٢٧٤

(١) هو الحسن بن هانئ ، رحل إلى بغداد ، واتصل فيها بالخلفاء من بني العباس ، وهو أول من نهج للشعر طريقته الحضرية ، وأخرجه من اللهجة البدوية ، توفي سنة ١٩٢ هـ .

وما خُلِقَتْ إِلَّا لِبَدَلٍ أَوْ كُفُّهُمْ وَأَقْدَامُهُمْ إِلَّا لِأَعْوَادٍ مِنْ بَرِّ  
قال : قد سَرَقَهُ أَيْضًا ، قال : مَنَّنَ ؟ قال : من مروان بن أبي حفصة  
حيث يقول :

وما خُلِقَتْ إِلَّا لِبَدَلٍ أَوْ كُفُّهُمْ وَالسُّنُّهُمُ إِلَّا لِتَحْبِيرِ مَنْطِقِ  
قال : فسكت الراوية ، ولو أتى بِشَعْرِهِ كُلِّهِ لَقَالَ : سَرَقَهُ !

## ١١٥ — أَلَا مَوْتُ يُبَاعُ ! \*

كان للمهلبى قبل انصاله بالسلطان حالٌ ضعيفة ، فبينما هو فى بَعْضِ أَسْفَارِهِ مع رفيق له من أصحاب الحُرثِ <sup>(١)</sup> ، وأهل الأدب إذ أنشده :

أَلَا مَوْتُ يُبَاعُ فَأَشْتَرِيهِ      فهذا العيش مالا خير فيه

أَلَا رَحِمَ الْمُهْمِيِّينُ نَفْسَ حُرِّ      تصدَّقْ بالوفاةِ على أخيه

فرئى له رفيقه ، وأحضر له بدرهمٍ وما أَمَسَكَ رَمَقَهُ ، وحفظ البيتين وتفرقا .

ثم ترقى المهلبى إلى الوزارة ، وأُخِنى الدهر على ذلك الرجل ؛ فتوصل إلى إيصال

رقعة مكتوب فيها :

ألا قل للوزير - فدتهُ نفسى -      مقالا ذا كِرا ما قد نسيه

أتذكر إذ تقولُ لضعفِ عيشي :      ألا موتٌ يُباعُ فأشتريه ا

فلما قرأها تذكَّرَ ما كان ؛ وأمر له بسبعائة درهم ، ووقع تحت رقعته : ﴿ مَثَلُ

الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلٍ فِي كُلِّ

سُنْبُلَةٍ مِائَةٌ حَبَّةٌ ﴾ . ثم قلدهُ عملا يرزقُ منه .

\* المستطرف : ٢ - ٦٠

(١) الحُرث : الزرع .

١١٦ — قد وجدناك ممتعاً \*

قال الأصمعي<sup>(١)</sup> : تصرّفتُ بي الأسبابُ على باب الرشيد مؤملاً الظفرَ به ،  
والوصولَ إليه ؛ حتى إنى صرتُ لبعضِ حرّسه خديناً<sup>(٢)</sup> . فإني في ليلةٍ قد نثرتُ السعادةُ  
والتوفيقُ فيها الأرقَّ بين أجفان الرشيد ، إذ خرج خادم فقال : أما بالحضرة أحد  
يُحسِّنُ الشعرَ ؟ قلتُ : الله أكبر ! رَبِّ قَيْدٍ مُضَيِّقٍ قد حلّه التيسيرُ ! فقال لي  
الخادم : ادخل ، فلملها تكون ليلةً يُفْرَسُ في صباحها الفسخُ إن فزتَ بالخطوة  
عند أمير المؤمنين .

فدخلتُ فواجهتُ الرشيدُ في مجلسه ، والفضلُ بن يحيى إلى جانبه ؛ فوقف بي  
الخادم حيث يسمعُ التسليمَ ؛ فسلمتُ فردّ عليّ السلام ، ثم قال : يا غلام ؛ أريحهُ  
ليُفْرِخَ رُوعه<sup>(٣)</sup> إن كان وجد للروعة حساً !

فدنوتُ قليلاً ثم قلتُ : يا أمير المؤمنين ؛ إضاءةُ مجدك وبهاءُ كرمك مُجبران  
لمن نظر إليك من اعتراض أذية ! فقال : اذنُ . فدنوتُ ، فقال : أشاعرُ أم  
راوية ؟ قلتُ : راوية لِكُلِّ ذِي جِدِّ وهزَل ؛ بعد أن يكون محسناً ! فقال :  
تالله ما رأيتُ أدعاءً أعظمَ من هذا ! قلتُ : أنا على الليدان ؛ فأطلق من عناني  
يا أمير المؤمنين !

\* خزائن الأدب : ٤ - ٣٤٦ ، أمالي المرتضى : ٣ - ٩٦

(١) الأصمعي : عبد الملك بن قريب راوية العرب ، كان كثير التطواف في البوادي يقتبس علومها  
ويتلقى أخبارها ويتعف بها الخفاء ، توفي سنة ٢١٦ هـ .  
(٢) خليلاً وصديقاً (٣) يذهب خوفه .

فقال : أنصفَ القارة<sup>(١)</sup> من رَمَاهَا . ثم قال : ما المعنى في هذه الكلمة بديئاً ؟ فقلت : القارة هي الحرّة من الأرض ؛ وزعت الرواة أن القارة كانت رُمَاةً للتبابعة ، والمملكُ إذ ذاك أبو حسان ، فوافق<sup>(٢)</sup> عسكرُه عسكر السغد<sup>(٣)</sup> ، فخرج فارس من السغد ، قد وضع سهمه في كبد قوسه فقال : أين رماةُ العرب ؟ فقالت العرب ؛ قد أنصفَ القارة من رَمَاهَا . فقال لي الرشيد : أصبّت .

ثم قال : أتروى لرؤبة بنِ العجاجِ والمعجاجِ شيئاً ؟ فقلت : ها شاهدان لك بالقوافي وإن غيباً بالأشخاص ، فأخرج من ثنّى فرشه رقعة ثم قال : أنشدني :

\* أرتقى طارقُ همَّ طرقياً \*

فضيتُ فيها مضى الجواد في سننِ ميدانه تَهْدِرُ بها أشدائي ، فلما صرتُ إلى مديحه لبني أمية ، ثنيتُ لسانى إلى امتداحه لأبي العباس في قوله :

\* قلتُ لزيدٍ لم تَصِلْهُ مَرِيْمُهُ \*

فلما رآنى قد عدلتُ من أرجوزة إلى غيرها قال : أعن حَيْرَةَ أم عن عند ؟ قلت : عن عند ، تركتُ كذبه إلى صِدْقِهِ فيما وصف به جدّك من مجده ! فقال

---

(١) في اللسان : زعموا أن رجلين التقيا ، أحدهما فارى ( والقارة قبيلة ) ، والآخر أسدى ، فقال : إن شئت صارعتك ، وإن شئت سابتك ، وإن شئت راميتك ، فقال الفارى : قد أنصفتنى وأنشد :

قد أنصف القارة من راماهَا إنا إذا ما فسة نلقاهَا

فرد أولاهَا على أخراهَا

(٢) الموافقة : أن تقف معه ويقف معك في حرب أو خصومه (٣) السغد : بساين ترهه وأما كن مشرة بسرند .

الفضل : أحسنت ، بارك الله فيك ! مثلك يؤهل لمثل هذا المجلس ! فلما أتيتُ على آخرها قال لي الرشيد : أنروى كلمة عدى بن الرقاع :

\* عَرَفَ الدِّيَّارَ تَوَهُّمًا فاعْتَادَهَا \*

قلت : نعم . قال : هات ! فضيت فيها حتى إذا صرتُ إلى وصف الجمل قال لي الفضل : ناشدتك الله أن لا تقطعَ علينا ما أمتعنا به من السهر في ليلتنا هذه بصفة جمل أجرب . فقال له الرشيد : اسكت فالإبل هي التي أخرجتك من دارك ، واستلّبت تاج ملكك ، ثم ماتت وعملت جلودها سياطاً ضربتُ بها أنت وقومك !

فقال الفضل : لقد عوقبتُ على غير ذنب ، والحمد لله ! فقال الرشيد : أخطأت ، الحمد لله على النعم ، ولو قلت : أستغفر الله كنت مُصيباً . ثم قال لي : امض في أمرك ، فأنشدته ، حتى بلغتُ إلى قوله :

\* تَزَجِي أُغْنِ كَأَنَّ إبْرَةَ رَوْقِهِ <sup>(١)</sup> ! \*

استوى جالساً ثم قال : أنحفظ في هذا ذكراً ؟ قلت : نعم ذكرت الرواة أن الفرزدق قال : كنتُ في المجلس ، وجريتُ إلى جاني ، فلما ابتداء عدى في قصيدته قلت لجرير مُسِرّاً إليه : هلمْ نسخر من هذا الشامي ، فلما ذقنا كلامه ينسنا منه ، فلما قال :

\* تَزَجِي أُغْنِ كَأَنَّ إبْرَةَ رَوْقِهِ \*

---

(١) الروق : القرن ، والأغن من الغزلان : الذي في صوته غنة .

- وعدى كالمستريح - قال جرير : أما تراه يستلب بها مثلاً ؟ فقال الفرزدق :

يألكم ، إنه يقول :

✽ قَلْمٌ أَصَابَ مِنَ الدَّوَاةِ مِدَادَهَا ✽

فقال عدى : قلم أصاب من الدواة مدادها .

فقال جرير : أكان سمعك مخبوءاً في قلبه ؛ فقال له : اسكت ، شغلني سببك

عن جيد الكلام ! فلما بلغت إلى قوله :

ولقد أراد الله إذ ولأكها من أمةٍ إصلاحها ورشادها

قال الرشيد : ما تراه حين أنشده هذا البيت ؟ قلت : قال كذلك أراد الله .

فقال الرشيد : ما كان في جلالته ليقولَ هذا ، أحسبه قال : ما شاء الله ! قلت : وكذا

جاءت رواية ؛ فلما أتيت على آخرها قال : أتروى لذى الرثمة شيئاً ؟ قلت : الأكثر ،

قال : فما أراد بقوله :

مُمرٌ أمّرت فتله أسديّةٌ ذراعيّةٌ حلالةٌ بالمصانع

قلت : وصف حمار وحشٍ أسمنه بقل روضةٍ تواشجت أصوله ، وتشابكت

فروعه من مطر سحابة كانت بنوء الأسد ثم في الذراع من ذلك ، فقال الرشيد :

أرح ، فقد وجدناك مُمتعاً ، وعرفناك محسنًا .

ثم قال : أجدُ مَلالةً - ونهض - فأخذ الخادم يصلح عقب النعل في رجله -

وكانت عربية - فقال الرشيد : عمّرتنى يا غلام ! فقال الفضل : قاتل الله الأعاجم !

أما إنها لو كانت سنديّة لما احتجبت إلى هذه الكلفة ، فقال الرشيد : هذه نعلى

ونعل آباءى ، كم تعارضُ فلا تُترك من جواب ممض .

ثم قال : يا غلام ، يُؤمر صالح الخادم بتعجيل ثلاثين ألف درهم على هذا الرجل ، في ليلته هذه ، ولا يحجب في المستأنف ، فقال الفضل : لولا أنه مجلس أمير المؤمنين ، ولا يأمر فيه غيره ، لأمرت لك بمثل ما أمر لك ، وقد أمرتُ لك به إلا ألف درهم ، فتلق الخادم صباحاً .

قال الأصمعيّ : فما صلّيتُ من غدٍ إلا وفي منزلي تسعة وخمسون ألف

درهم .

١١٧ — نَمَوَّدْتُ حَسَنَ الصَّبْرِ حَتَّى أَلْفَيْتَهُ \*

قال أبو العتاهية : حبسني الرشيد لتركى الشعر ، وَغَلَّقَتْ عَلَيَّ الأَبْوَابَ ، فَبَقِيتُ دَهْشًا كَمَا يَدَّهَشُ مِثْلِي لَتَلِكِ الحَالِ ؛ فَنظَرْتُ إِذَا رَجُلٌ جَالِسٌ فِي جَانِبِ السِّجْنِ وَهُوَ مَقِيدٌ ، فَجَمَلْتُ أَنْظُرُ إِلَيْهِ سَاعَةً ، فَنَمَثَلُ بِقَوْلِهِ :

نَمَوَّدْتُ حَسَنَ الصَّبْرِ حَتَّى أَلْفَيْتَهُ      فَأَسَلَنِي حَسَنُ العِزَاءِ إِلَى الصَّبْرِ  
وَصَبَّرَنِي بِأَمْرِي مِنَ النَّاسِ رَاجِعًا      لِحَسَنِ صَنِيعِ اللَّهِ مِنْ حَيْثُ لَا أَدْرِي

قلت له : أَعِدْ - أَعِزَّكَ اللَّهُ - هَذَيْنِ البَيْتَيْنِ ، فقال لى : وَيْلَكَ يَا أبا العتاهية ! مَا أَسْوَأَ أَدَبِكَ ! وَأَقْلَبَ عَقْلَكَ ! دَخَلْتَ عَلَى السِّجْنِ فَاسَلَمْتَ تَسْلِيمَ المُسْلِمِ عَلَى المُسْلِمِ ، وَلَا سَأَلْتَ مَسْأَلَةَ الحُرِّ لِلحُرِّ ، وَلَا تَوَجَّعْتَ تَوَجُّعَ المُبْتَلَى لِلْمُبْتَلَى ، حَتَّى إِذَا سَمِعْتَ يَبْتِنِ مِنَ الشَّعْرِ الَّذِي لَا فَضِيلَةَ فِيكَ سِوَاهُ لَمْ تَصْبِرْ عَنِ اسْتِعَادَتِهِمَا ، وَلَمْ تُقَدِّمْ قَبْلَ مَسْأَلَتِكَ عَنْهُمَا عُذْرًا لِنَفْسِكَ فِي طَلِبِهِمَا !

قلت : يَا أُخِي ؛ إِنِّي دَهَشْتُ مِنْ هَذِهِ الحَالِ فَلَا تَعْذِلْنِي وَاعْذُرْنِي مُتَفَضِّلًا ، فقال : أَنَا وَاللَّهِ بِالدَّهَشِ وَالخَيْرَةِ أَوْلَى مِنْكَ ؛ لِأَنَّكَ حُبِسْتَ عَلَى أَنْ تَقُولَ الشَّعْرَ الَّذِي بِهِ ارْتَفَعْتَ وَبَلَغْتَ مَا بَلَغْتَ ، وَإِذَا قُلْتَهُ أَمِنْتَ ، وَأَنَا حُبِسْتُ عَلَى أَنْ أَدُلَّ عَلَى ابْنِ رَسُولِ اللَّهِ لِيُقْتَلَ أَوْ أُقْتَلَ دُونَهُ ، وَوَاللَّهِ لَا أَدُلُّ عَلَيْهِ أَبَدًا ، وَالسَّاعَةَ يُدْعَى بِي فَأُقْتَلُ ، فَأَيُّنَا أَحَقُّ بِالدَّهَشِ ؟

فقلت : أنت والله أولى ، سلمك الله وكفاك ! ولو علمتُ أن هذه حالك  
ماسألتك ، فقال : إذن لا أبخل عليك ، ثم أعادَ على البيتين حتى حفظتهما ،  
وأجزتهما بقولي :

إذا أنا لم أقبل من الدهر كل ما تَكَرَّهتُ منه طالَ عَتْبِي على الدهر  
ثم سأله عن اسمه ، فقال : أنا أبو حاضرة ، داعية عيسى بن زيد وابنه أحمد .  
ولم نلبث إلا قليلاً حتى سمعنا صوت الأفعال ، فقام ، فسكب عليه ماءً من جرةٍ  
كانت عنده ، ولبس ثوباً نظيفاً ، ودخل الحرسُ ومعهم الشموع ، فأخرجونا جميعاً ،  
وقدّم قبلي إلى الرشيد ، فسأله عن أحمد بن عيسى ، فقال : لا تسألني عنه ، وافعل  
ما بدّ لك ، فلو أنه تحت ثوبي ما كشفتُ عنه ؛ فأمر به فُضِرَبَتْ عنقه . ثم قال  
لي : أظنُّك يا أبا إسماعيل ارتفعت ، فقلت : دون ما رأيتَه تسيلُ منه النفوس ! فقال :  
ردّوه إلى محبسه ، فردّوني .

١١٨ — مَلَّ كِتَابَهُ إِحْصَاءَ مَا يَهَبُ \*

خرج الفضل<sup>(١)</sup> بن يحيى للصيد والقنص، ويديما هو في موكبهِ إذ رأى أعرابيا على ناقَةٍ قد أقبل من صدرِ البرِّيَّةِ، يركضُ في سيره، فقال: هذا يقصدني فلا يكلمه أحدٌ غيري.

فلما دنا الأعرابي، ورأى المضاربَ تُضربُ، والخيامُ تُنصبُ، والمسكراكثير والجَمِّ الغفير، وسمع النوغاءَ والضجَّةَ، ظن أنه أمير المؤمنين؛ فنزل وعقلَ راحِلَتَه، وتقدَّم إليه، وقال: السلامُ عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته. قال: اخفِضْ عليك ماتقول. فقال: السلام عليك أيها الأمير، قال: الآن قاربتَ؛ اجلس، فجلس الأعرابي.

فقال له الفضل: من أين أقبلتَ يا أخا العرب؟ قال: من قُصَاعَةَ، قال: من أذناها أو من أقصاها؟ قال: من أقصاها. فقال: يا أخا العرب؛ منلك من يقصدُ من ثمانمائة فرسخ لأى شيء؟ قال: قصدتُ هؤلاء الأماجدَ الأنجاد، الذين قد اشتهر معروفهم في البلاد، قال: من منم؟ قال: البرامكة!

قال الفضل: يا أخا العرب؛ إن البرامكةَ خلقتُ كثير، وفيهم جليلٌ وخَطِيرٌ، ولكل منهم خاصَّةٌ وعامةٌ؛ فهل أفردتَ لنفسك منهم من اخترتَ وأتيتَه

\* المختار من نوادر الأخبار — مخطوط.

(١) وزير الرشيد، كان من أجود الناس، وله في هذا أخبار كثيرة، سجن في نكبة البرامكة،

وتوفى في سجنه بالرقعة سنة ١٩٣ هـ.

لحاجتك؟ قال: أجل، أطولهم باعاً، وأسمحهم كفاً. قال: من هو؟ قال: الفضل بن يحيى.

قال له الفضل: يا أبا العرب؛ إن الفضلَ جليلُ القدرِ عظيمُ الخطرِ، إذا جلس للناسِ مجلساً عامّاً لم يحضرْ مجلسه إلا العلماءُ والفقهاءُ، والأدباءُ والشعراءُ، والكتّابُ والمناظرون للعلم. أعلم أنت؟ قال: لا. قال: أفأديب أنت؟ قال: لا. قال: أعارف أنت بأيام العرب وأشعارها؟ قال: لا. قال: ورَدتَ على الفضلِ بكتابٍ وسيلة؟ قال: لا. فقال: يا أبا العرب غرتك نفسك؛ مثلك يقصد الفضل بن يحيى، وهو ما عرفتك عنه من الجلالة! بأى ذريعة أو وسيلة تقدم عليه؟

قال: والله يا أمير؛ ما قصدته إلا لإحسانه المعروف، وكرمه الموصوف، وبيتين من الشعر قلتها فيه. فقال الفضل: يا أبا العرب؛ أنشدني البيتين، فإن كانا يصلحان أن تلقاهما بهما أشرتُ عليك بلقائه، وإن كانا لا يصلحان أن تلقاهما بهما بررتُك بشيء من مالي، ورجعت إلى باديتك، وإن كنت لم تستحق بشعرك شيئاً. قال: أففعل أيها الأمير؟ قال: نعم. قال: فإني أقول:

ألم ترَ أنَّ الجودَ من عهدِ آدمٍ      تحدّرَ حتى صارَ يمتصُّ الفضلُ  
ولو أن أمّاً مسها جوعُ طفلِها      غذتهُ بِاسمِ الفضلِ لا غدّاً الطُفْلُ

قال: أحسنت يا أبا العرب، فإن قال لك: هذان البيتان قد مدحنا بهما شاعر، وأخذ الجائزة عليهما فأنشدني غيرها فما تقول؟ قال: أقول:

قد كان آدمُ حينَ حانَ وفاتهُ      أو صاك وهو يجود بالحوباء<sup>(١)</sup>  
ببنيه أن ترعاهم فرعتهم      وكفيت آدمَ عولة الأبناء

(١) الحوباء: النفس.

قال : أحسنت يا أبا العرب ؛ فإن قال لك الفضلُ - ممتحنًا : هذان البيتان  
أخذتَهُمَا من أفواه الناس ، فأنشدني غيرهما ، فما تقولُ وقد رمتك الأدباء بالأبصار ،  
وامتدتِ الأعناقُ إليك ، وأنت تحتاجُ أن تناضلَ عن نفسك ؛ قال : إذن أقول :  
مَلَّتْ جَهَابِدُ<sup>(١)</sup> فَضْلٍ وَزَنَ نَائِلِهِ وَمَلَّ كُتَّابُهُ إِحْصَاءَ مَا يَهَبُ  
وَاللَّهِ لَوْلَاكَ لَمْ يُمْدَحْ بِمَكْرُمَةٍ خَلَقَ وَلَمْ يَرْتَفِعْ بِحُجْدٍ وَلَا حَسَبُ  
قال : أحسنت يا أبا العرب ! فإن قال لك الفضلُ : هذان البيتان مسروقان ،  
أنشدني غيرهما ، فما تقول ؟ قال : إذن أقول :

ولو قيل للمعروف نادِ أخا المَلَا لنادى بأعلى الصوت يافضلُ يافضلُ  
ولو أنفقت جدواك من رملِ عالج<sup>(٢)</sup> لأصبح من جدواك قد نفذ الرملُ

قال : أحسنت يا أبا العرب ؛ فإن قال لك الفضل : هذان البيتان مسروقان  
أيضًا : أنشدني غيرهما فما تقول ؟ قال : أقول :

وما الناس إلا أئنان صبُّ و باذلُ وإني لَدَاكَ الصَّبُّ ، والباذلُ الفضلُ  
على أن لي مثلًا إذا ذُكِرَ الوَرَى وليسَ لِفَضْلٍ في سماحته مثلُ

قال : أحسنت يا أبا العرب ! فإن قال لك الفضلُ : أنشدني غيرهما فما تقول ؟  
قال : أقول أيها الأمير :

حكي الفضلُ عن يحيى سماحة خالدٍ فقامت به التَّقْوَى وقام به العدلُ  
وقام به المعروفُ شرقيًا ومغربًا ولم يكُ للمعروفِ بعدُ ولا قبيلُ

قال : أحسنت ؛ فإن قال لك : قد ضجرتنا من الفاضل والمفضول ، أنشدني  
بيتين على الكنية لا على الاسم ، فما تقول ؟ قال : إذن أقول :

(١) جهابذ جمع جهبذ : وهو القناد الخبير (٢) موضع به رمل .

ألا يا أبا العباس يا واحدَ الورى      ويملكاً خدَّ الملوكِ له نعلُ  
إليك تسيّرُ الناسُ شرقاً ومغرباً      فرأدى وأزواجاً كأنهم نملُ

قال : أحسنت يا أبا العرب ؛ فإن قال لك الفضل : أنشدنا غير الاسم والكنية .  
قال : والله لئن زادني الفضل ، وامتنحني بعد هذا لأقولن أربعة أبيات ما سبقني  
إليها عربيٌّ ولا عجمي ، ولئن زادني بعدها لأجمعن قوائم نائتي هذه وأجعلها في فيه ،  
ولأرجعن إلى قضاة خاسراً ولا أبالي .

فكس الفضل رأسه ، وقال للأعرابي : يا أبا العرب ؛ أئمنني الأبيات  
الأربعة ، قال : أقول :

ولأئمةٍ لأمّتك يا فضلُ في الندى      فقلت لها : هل يقدحُ اللومُ في البحرُ ؟  
أنتهين فضلاً عن عطاياه للورى      فمن ذا الذي ينهى السحاب عن القطرِ  
كان نوالَ الفضلِ في كلِّ بلدةٍ      تحدرُ ماء المزنِ في مَهْمِه قفَرِ  
كان وفودَ الناسِ في كلِّ وِجْهَةٍ      إلى الفضلِ لاقوا عنده ليلة القدرِ

فأمسك الفضل ثم سقط على وجهه ضاحكاً ! ثم رفع رأسه وقال :  
يا أبا العرب ؛ أنا والله الفضل بن يحيى ، سل ما شئت ؛ فقال : سألتك بالله أيها  
الأمير إنك لهو ! قال : نعم . قال له : فأقلني ، قال : أقالك الله ، إذ كرت حاجتك .  
قال : عشرة آلاف درهم . قال الفضل : ازدريت بنا وبنفسك يا أبا العرب ،  
تعطى عشرة آلاف في عشرة آلاف ، وأمر بدفع المال .

فلما صار المال إليه ، حسده بعض أتباع الفضل ، وقال : يامولاي ؛ هذا إسراف ،  
يأتيك جلفٌ من أجلاف العرب بأبياتٍ استرقها من أشعار العرب ، فتجزيه بهذا  
المال ! قال : استحقه بحضوره إلينا من أرض قضاة .

قال : أفسمتُ عليك إلا أخذتَ سَهْمًا من كِنَانَتِكَ ، ورَكِبْتَهُ في كَيْدِ قَوْسِكَ  
وأومأت به إلى الأعرابي ، فإن ردَّ عن نفسه بيتٍ من الشعر ، وإلا كان له في  
بعضِ المالِ كفاية .

فأخذ الفضلُ سَهْمًا ، وركبه في كَيْدِ قَوْسِهِ ، وأومأً به إلى الأعرابي وقال له :  
وَدَّ سَهْمِي بَيْتٍ من الشعر ، فأنشأ يقول :

لقوسك قوسُ الجودِ والوترُ الندى      وسَهْمُكَ سَهْمُ العزِّ فارمُ بهِ فقري  
فضحك الفضل ، وأنشأ يقول :

إذا مَلَكَتْ كَفِّيَ مَنَالًا ولمْ أُنَلْ      فلا انبَسَطَتْ كَفِّيَ ولا نهضتْ رِجْلِي  
عَلَى اللهِ إِخْلَافُ الذي قد بذلتهُ      فلا يُبْقِي لِي بُخْلِي ولا مُتَلَفِي بَدْلِي  
أروني بِمُخِيَلًا نالَ مَجْدًا يَبْخُلُهُ      وهاتوا كَرِيمًا ماتَ من كَثْرَةِ البَدْلِ

ثم قال الفضل لتابعه : أعطِ الأعرابي مائة ألف درهم لقصدِهِ وشعره ، ومائة ألف  
ليكفينا شرَّ قوائمِ ناقته .

فأخذ الأعرابي المال وانصرف وهو يبكي ، فقال له الفضل : مم بكأوك يا أعرابي ؟  
أستقللاً للمال الذي أعطيناك ؟ قال : لا ، ولكني أبكي على مثلك يا سكله التراب  
وتواريه الأرض ، وتذكَّرت قول الشاعر :

لعمرك ما الرزيةُ فقدُ مالٍ      ولا فرسٌ يموتُ ولا بعيرُ  
ولكنَّ الرزيةَ فقدُ حرِّ      يموتُ لموتهِ خلقٌ كثيرُ

ثم انصرف الأعرابي .

١١٩ — اسمي مشتق من اسمك \*

قال عبد الله بن منصور : كنت يوماً في مجلس الفضل بن يحيى فأتاه الحاجب ، فقال : إنَّ بالباب رجلاً قد أكثر في طلب الإذن ، وزعم أن له يداً يمتُّ بها ، فقال : أدخله .

فدخل رجل جميل رث الثياب ، فسلم وأحسن ؛ فأوما الفضل إليه بالجلوس فجلس ، فلما علم أنه قد انطلق وأمكَّنه الكلام ، قال له : ما حاجتُك ؟ قال له : قد أعربتُ عنها رثاً هينتي ، ووضعتُ طاقتي ! قال : أجل ! فما الذي تمتُّ به ؟ قال : ولادة تقرب من ولادتك ، وجوار يدنو من جوارك ، واسمٌ مشتق من اسمك !

قال : أما الجوار فقد يمكن أن يكون كما قلت ، وقد يوافق الاسمُ الاسمَ ، ولكن ما علمك بالولادة ؟ قال : أعلمتني أمي أنها لما وضعتني ، قيل : إنه ولد الليلة ليحيى بن خالد غلام ، وسمي الفضل ، فسمتني فضيلاً ، إعظماً لاسمك أن تلحقني بك ؛ فتبسم الفضل ، وقال : كم أتى عليك من السنين ؟ قال : خمس وثلاثون . قال : صدقت ! هذا المقدار الذي أتيتُ عليه ، فما فعلتُ أمك ؟ قال : توفيت ، رحماً لله ! قال : فما منعك عن اللحاق بنا فيما مضى ؟ قال : لم أرض نفسي للقائك في حدائثي تُعقدني عن لقاء الملوك ! قال : يا غلام ؛ أعطه لكل عام من سنين ألفاً ، وأعطه من كسوتنا ومراكبنا ما يصلحُ له !

١٢٠ — بديهة قينة \*

اعترض هارون الرشيد قينة فننت :

ما نَقَمُوا من بنى أمية إلا أنهم يَحْمَلُونَ إن غَضِبُوا  
فلما ابتدأتُ به تغيّر وجهُ الرشيد ، وعلمت أنها قد غلِطت ، وأنها إن مرّت  
فيه قُتِلت ، فننت :

ما نَقَمُوا من بنى أمية إلا أنهم يَجْهَلُونَ إن غَضِبُوا  
وأنهم معدِنُ النِّفاقِ فما تَفْسُدُ إلا عليهمُ العربُ<sup>(١)</sup>  
فقال الرشيد ليحيى بن خالد - وكان حاضراً : أسمعيتَ يا أبا على ؟ فقال :  
يا أمير المؤمنين ؛ تبتاع ، وأسنى<sup>(٢)</sup> لها الجائزة ، ويعجل لها الإذن ليسكنَ قلبها ؛  
قال : ذلك جزاؤها ، قومي فأنت منى بحيث تحبين . فقال يحيى :  
جُزيتَ أميرَ المؤمنين بِأمنِها من الله جناتٍ تفوزُ بِعدنِها

\* الأغانى : ٥ : ٨٥ .

(١) والشعر في الأصل :

ما نَقَمُوا من بنى أمية إلا أنهم يَحْمَلُونَ إن غَضِبُوا  
وأنهم سادة الملوك فما تصلح إلا عليهم العرب

(٢) نسي الجائزة : تجزّل حتى تكون سفية .

## ١٢١ — لا أذوق المدام إلا شميما\*

حبس أبو نؤاس في شرب الخمر ، وكان للفضل بن الربيع خال يستعرض أهل السجن ويتعاهدهم ويتفقدهم ، ودخل في حبس الزنادقة ؛ فرأى فيه أبا نؤاس — ولم يكن يعرفه — فقال له : يا شاب ؛ أنت مع الزنادقة ! قال : ممآذ الله ! قال : فلعلك ممن يعبد الكبش ؟ قال : أنا آكل الكبش بصوفه ! قال : فلعلك ممن يعبد الشمس ؛ قال : إني لأتجنب القمود فيها بفضأ لها ! قال : فباى جرّم حبست ؟ قال : حبست بتهمة أنا منها برى ! قال : ليس إلا هذا ! قال : والله لقد صدقتك .

فجاء إلى الفضل فقال له : يا هذا ؛ أئحبس الناس بالثمة ! قال : وما ذاك ؟ فأخبره بما ادعى من جرّمه . فتبسم الفضل ، ودخل على محمد الأمين فأخبره بذلك ، فدعأ به ، وتقدّم إليه أن يجتنب الخمر والسكر . فقال : نعم ، قيل له : فبعهد الله ! قال : نعم ! فأخرج .

فبعث إليه فتیان من قريش ، فقال لهم : إني لا أشرب . قالوا : وإن لم تشرب فآنسنا بجديثك . فأجاب ، فلما دارت الكأس بينهم قالوا : ألم ترنح لها ؟ قال : لا سبيل والله إلى شربها ، وأنشأ يقول :

أَيُّهَا الرَّائِحَانُ بِاللَّوْمِ لَوْمًا      لَا أُذُوقُ الْمُدَامَ إِلَّا شَمِيمًا  
نَاثِنِي بِالْمَلَامِ فِيهَا إِمَامٌ      لَا أَرَى لِي خِلَافَهُ مُسْتَقِيمًا  
فَاصِرٍ فَاهَا إِلَى سِوَايَ فَإِنِّي      لَسْتُ إِلَّا عَلَى الْحَدِيثِ نَدِيمًا  
كَبْرُ حِظِّي مِنْهَا إِذَا هِيَ دَارَتْ      أَنْ أَرَاهَا وَأَنْ أَشْمَّ النَّسِيمًا  
فَكَأَنِّي وَمَا أَحْسَنُ مِنْهَا      قَمَدِي<sup>(١)</sup> يُزِينُ التَّحْكِيمًا  
كَلَّ عَنْ حَمْلِهِ السَّلَاحَ إِلَى الْحَرِّ      بِفَأَوْصَى الْمُطِيقَ أَلَّا يُقِيمًا

---

(١) القمدى من الحوارج : الذى يرى رأى القعدة الذين يرون التحكيم حقا ؛ غير أنهم قمدوا عن الخروج على الناس .

١٢٢ — إن بَعْدَ الْعُسْرِ يَسْرًا\*

قال مسلم بن الوليد<sup>(١)</sup> : كنتُ جالساً عند خياط يازاء منزلي ؛ فرّ بي إنسانٌ أعرفه ، فقامتُ إليه وسلمت عليه ، وجئت به إلى منزلي لأُضيّفه<sup>(٢)</sup> ، وليس معي درهم ، بل كان عندي زوج أخفاف فأرسلتهما مع جاريتين لبعض معارفى ، فباعهما بتسعة دراهم ، واشترى بهما الخبز واللحم .

فجلسنا نأكل ، وإذ بالباب يُطرق ، فنظرت من شقّ الباب ، وإذا بإنسان يسأل : هذا منزل فلان ؟ ففتحت الباب وخرجت ، فقال : أنت مسلم بن الوليد ؟ قلت : نعم ، فأخرج لى كتاباً ، وقال : هذا من الأمير<sup>(٣)</sup> ؛ فإذا فيه :

قد بعثناك بعشرة آلاف درهم لتسكونَ فى منزلك ، وثلاثة آلاف درهم تتجملّ بها لتقدمك علينا .

فأدخَلتُهُ إلى دارى وزدت فى الطعام ، واشترتُ فاكهة ؛ وجلسنا فأكلنا ، ثم وهبتُ لضيّفى شيئاً يشتري به هديةً لأهله .

وتوجهنا إلى الأمير بالرقّة<sup>(٤)</sup> ، فوجدناه فى الحمام ، فلما خرج استؤذِن لى عليه ، فدخلتُ فإذا هو جالس على كرمى ، ويده مُسْط ، يسرّح به لحيته ،

\* المستطرف : ٢ - ٧٠

(١) أحد الشعراء البدعين ، اتصل بالرشيد ، وعد من شعرائه ، ومدح البرامكة وحسن رأيهم فيه ثم قرّبه الفضل بن سهل ، ومات سنة ٢٠٨ هـ بجزان (٢) أضاف الرجل : أنزله ضيفاً (٣) هو يزيد بن يزيد الشيبانى قائد الرشيد (٤) الرقة : بلد على الفرات واسطة ديار ربيعة وبلد آخر غزنى ببغداد .

فسلمت عليه فردّ أحسن ردّ ، وقال : ما الذى أعمدك عنا ؟ قلت : قلة ذات اليد ،  
وأشدته قصيدة مدحته بها . قال : أتدرى لم أحضرتك ؟ قلت : لا أدرى ،  
كنت عند الرشيد منذ ليالٍ أحادثه ، فقال لى : يا يزيد ؛ من القائل فيك :

سَلَّ الخليفةُ سيفاً من بنى مُضَرٍ يمضى فيخترقُ الأجسامَ والهَامَا<sup>(١)</sup>  
كالدهرِ لا ينثنى عما يهْمُ به قد أوسع الناس إنعاماً وإزغاماً

فقلت : والله لا أدرى يا أمير المؤمنين ! فقال : سبحان الله ! أيقال فيك مثله  
هذا ولا تدرى من قاله ؟ فسألت ؛ فقيل لى : هو مسلم بن الوليد !

فأرسلت إليك ، فانهض بنا إلى الرشيد . فسرنا إليه ، واستوذن لنا ، فدخلنا  
عليه ، فقبلت الأرض بين يديه ، وسلمت فرد على السلام ، فأشدته مالى فيه من شعر ،  
فأمر لى بمائتى ألف درهم ، وأمر لى يزيد بمائة وتسعين ألف درهم ، وقال : ما ينبغي  
أن أسأوى أمير المؤمنين فى العطاء .

---

(١) الهامة : الرأس ، والجمع هام .

١٢٣ — رَاوِيَةَ مُسْلِمِ بْنِ الْوَلِيدِ\*

كان داودُ بنُ يزيدِ بنِ حاتمِ المهلبِي (١) يجلسُ للشعراءِ في السنةِ يجلساً واحداً ، فيقصدهُ لذلِكَ اليومِ ويُدشِدُونهُ ، فوجّهَ إليه مسلمٌ رَاوِيَتَهُ بقصيدته التي أولها :  
لا تدعُ بي الشوقَ إلى غيرِ مَعْمُودٍ      نهَى النهيَ عن هَوَى الهيفِ الرَّعادي (٢)  
فقدِمَ عليه يومَ جلوسه للشعراءِ ولحقه عقبُ خروجه عنه ، فتقدم إلى الحاجبِ وحسَرَ لثامه عن وجهه ، ثم قال : استأذن لي على الأميرِ ؛ قال : ومن أنت ؟ قال : شاعر ، قال : قد انصرَمَ وقتكَ وانصرف الشعراءُ وهو على القيام .

فقال له : ويحك ! إني قد وفدتُ على الأميرِ بشعري ما قالت العربُ مثله ، وكان مع الحاجبِ أدبٌ يفهمُ به ما يسمع ، فقال : هاتِ حتى أسمع ، فإن كان الأمرُ كما ذكرتُ أو صلّتكُ إليه ؛ فأنشده بعضَ القصيدة ، فسمع شيئاً يقصرُ عنه الوصف ؛ فدخل على داود فقال له : قدِمَ على الأميرِ شاعرٌ يشعُرُ ما قالت العربُ مثله ، فقال : أدخلْ قائله ! فلما مثل بين يديه سلم ، وقال : قدمتُ على الأميرِ - أعزّه الله - بمدحٍ يسمعه ، فيعلم تقدمي على غيري يمّن امتدّحه ؛ فقال : هات !

فلما افتتح القصيدة وقال : « لا تدعُ بي الشوق .. » استوى جالساً ، وأطرق حتى

\* عصر المأمون : ٢-٣٨١

(١) أمير من الشجعان القلاء ولاة الرشيد السند فانتسقت له أمورها واستمر إلى أن توفي فيها سنة ٢٠٥ هـ (٢) أي لا تدعني مشتاقاً ، وسأله دعبل عن معنى ذلك ، فقال : لاتدعني صريع النوان ، فلت كنتك ، وكان لهذا اللقب كارماً . والممود : المنخوف عشقاً . والهيف : الضامرات المحصور . وامرأة رعديدة : يترجرج لهما من نعمتها . وكذلك الرخصة الناعمة .

أنى الرجل على آخر الشعر ، ثم رفع رأسه إليه ، فقال : أهذا شعرك ؟ قال : نعم  
أيها الأمير ! قال : فى كم قلته يافتى ؟ قال : فى أربعة أشهر أبقاك الله . قال : لوقلته  
فى ثمانية أشهر لكنت محسناً ، وقد اتهمتك ، لجودة شعرك وخمول ذكرك ، فإن  
كنت قائل هذا الشعر فقد أنظرتك أربعة أشهر فى مثله ، وأمرت بالإجراء عليك ،  
فإن جئنا بمثل هذا الشعر وهبت لك مائة ألف درهم وإلا جرمتك .

فقال : أو الإقالة - أعز الله الأمير . قال : قد أقتك ، قال : الشعر لمسلم بن  
الوليد وأنا راويته والوafd عليك بشعره . فقال : أنا ابن حاتم ! إنك لما افتتحت  
شعره فقلت : « لا تدع بى الشوق إنى غير معمود<sup>(١)</sup> » سمعت كلام مسلم ينادى بى ،  
فأجبت نداه واستويت جالساً ، ثم قال : يا غلام ، أعطه عشرة آلاف درهم ،  
واحمل الساعة إلى مسلم مائة ألف درهم .

---

(١) انظر القصيدة فى عصر المأمون : ٢ : ٢٨٢

١٢٤ — لَبَاقَةٌ\*

قال محمد بن أيوب : كان بالبصرة رجلٌ من بني تميم ، وكان شاعراً ظريفاً ،  
خيثاً ما كراً ، وكنْتُ أنا والى البصرة ، آنس به وأستحليه<sup>(١)</sup> ، فأردت أن  
أخذه ؛ فقلت له : أنت شاعر ظريف ، والمأمون أجودُّ من السحاب الحافل<sup>(٢)</sup>  
والريح العاصف ، فما يمنعك منه ؟

قال : ما عندي ما يُقَلِّني<sup>(٣)</sup> . قلت : فأنا أعطيك نجيباً<sup>(٤)</sup> فارهاً ، ونفقةً  
سابقةً ، وتخرجُ إليه وقد امتدحتَه ، فإنك إن حطيتَ بلفظائه صرْتَ إلى  
أمنيتك .

قال : والله أيها الأمير ، ما إخالك أبعدتَ ، فأعدِّ لي ما ذكرت . فدعوت له  
بنَجيبٍ فارِهِ ، وقلت له : شأنك به فامتطِه ، قال : هذه إحدى الحسينين ، فما بال  
الأخرى ؟ فدعوتُ له بثلاثمائة درهم ، وقلت : هذه نفقتك ، قال . أحسبك أيها الأمير  
قصرتَ في النفقة ، قلت : لا ، هي كافية إن قصرتَ<sup>(٥)</sup> عن السرف ، قال : ومتى  
رأيتَ في أكبر سعد سرفاً حتى تراه في أصاغرها !

فأخذ النجيب والنفقة ، ثم عمل أرجوزةً ليست بالطويلة ، فأنشدَ فيها وحذف  
منها ذِكْرِي والثناء على ، وكان ماردًا<sup>(٦)</sup> ، فقلت له : ما صنعتَ شيئاً ، قال .

\* الطبرى : ١٠ : ٢٩٧

(١) أستحليه : أستخفه (٢) السحاب الحافل : كثير الماء (٣) أقله : حمله (٤) النجيب  
من الإبل : القوى الحقيق السريع ؛ فارهاً : نشيطاً حاداً قويا (٥) قصر عن السرف : امتنع  
عن الإسراف (٦) المارد من الرجال : العاقب الشديد .

وكيف؟ قلت: تأتي الخليفة ولا تُثني على أميرك! قال: أيها الأمير؛ أردت أن تجدني فوجدتني خداعاً! أما والله ما ليكرامتي حملتني على نجيبك، ولا جدت لي بمالك الذي ما رامه أحدٌ قطَّ إلا جعل الله خدّه الأسفل، ولكن لأذكرك في شمري، وأمدحك عند الخليفة.

قلت: قد صدقت؛ فقال: أما إذا أبديت ما في ضميرك، فقد ذكرتك وأثيتُ عليك؛ قلت: فأنشدني ما قلت، فأنشدنيه، فقلت: أحسنت، ثم ودّعني وخرج.

وأني الشام وإذا للأمون بسلموس.

قال: فأخبرني، قال: بينا أنا في غزاة قرّة، قد ركبتُ نجيبِي ذاك، ولبستُ مُقَطَّاتِي<sup>(١)</sup>، وأنا أرمومُ العسكر، إذا أنا بكهليل على بغلٍ فارِه، ما يقرُّ قراره، ولا تدرك خطاه؛ فتلقاني مكافحةً<sup>(٢)</sup> ومواجهة، وأنا أرددُ نشيد أرجوزتي، فقال: سلامٌ عليكم، بكلام جهوري ولسان بصيل؛ فقلت: وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته! قال: فف إن شئت، فوقف، فتضوّعتُ منه رائحة العنبر واللسك الأذفر، فقال: ما أولئك! قلت: رجل من مضر، قال: ونحن من مضر. قال: ثم ماذا؟ قلت: رجل من بني تميم. قال: وما بمد تميم؟ قلت: من بني سَعد، قال: هيه! فما أقدمك هذا البلد؟ قال: قصدتُ هذا الملك الذي ما سمعتُ بمثله أُندي رائحةً، ولا أوسع راحةً، ولا أطول باعاً، ولا أمدَّ يفاعاً<sup>(٣)</sup>!

(١) المقطعات: التصار من الثياب  
(٢) الكافحة: مصادفة الوجه بالوجه مفاجأة  
(٣) البفاع في الأصل: المشرف من الأرض والجبل.

قال : فما الذى قصدته به ؟ قلت : شعرت طيب يلد على الأفواه ، وتقتفيه الرواة ، ويحلو في آذان المستمعين ؛ قال : فأشدني ، ففضبت وقلت : يا ريك (١) ! أخبرتك أنى قصدت الخليفة بشعر قلته ، ومدح خبرته ، تقول : أشدني ! فتأفل والله عنها ، وتظامن لها .

قال : وما الذى تأمل منه ؟ قلت : إن كان على ما ذكر لي عنه فألف دينار ، قال : فأنا أعطيك ألف دينار إن رأيت الشعر جيداً والكلام عذبا ؛ وأضع عنك العناء ، وطول التردد ، ومتى تصل إلى الخليفة ، وبينك وبينه عشرة آلاف راح وقايل (٢) !

قلت : فلي الله عليك أن تفعل ! قال : نعم ، لك الله على أن أفضل ؛ قلت : ومعك الساعة مال ؟ قال : هذا بلى ، وهو خير من ألف دينار ، أنزل لك عن ظهره .

ففضبت أيضاً ، وعارضني نزي سعد وخيفة أحلامها ، فقلت : ما يساوى هذا البغل النجيب ! قال : فدع عنك البغل ، ولك الله على أن أعطيك الساعة ألف دينار ! فأشدته :

مأمون إذاً المن الشريف	وصاحب المرتبة المنيفه (٣)
وقائد الكتبية (٤) الكثيفة	هل لك في أرجوزة ظريفه ؟
أظرف من فقه أبي حنيفة	لا والذى أنت له خليفة
ماظلمت في أرضنا ضعيفة	أميرنا مؤنته خفيفة

(١) الريك من الرجال : الضيف في عقله ورأيه (٢) الراح : ذو الراح ، والنابل : صاحب النبل ، وهى السهام (٣) الليفة : العالبة المرتفعة (٤) الكتبية : الجبش .

وما اجتبى شيئاً سوى الوظيفة فالذئبُ والنعجةُ في سقيفة

\* واللصُّ والتاجرُ في قطيفة<sup>(١)</sup> \*

فوالله ما عدا أن أنشدته، فإذا زهأه<sup>(٢)</sup> عشرة آلاف فارس قد سدوا الأفق،  
يقولون: السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته! فأخذني أفكلك<sup>(٣)</sup>،  
ونظر إلى بتلك الحالة، فقال: لا بأس عليك أي أخي؛ قلت: يا أمير المؤمنين؛  
جعلني الله فداءك! أتعرف لغات العرب؟ قال: إى لعمر الله! قلت، فن جعل  
الكاف منه مكان القاف<sup>(٤)</sup>؟ قال: هذه حمير؛ فقلت: لعننا الله ولعن من  
استعمل هذه اللغة بعد اليوم!

فضحك المأمون وعلم ما أردت، والتفت إلى خدامٍ إلى جانبه، فقال: أعطه  
بامعك، فأخرج إلى كيساً فيه ثلاثة آلاف دينار، فقال: هاك، ثم قال:  
السلام عليك ومضى، فكان آخر المهدي به!

---

(١) أصل القطيفة: دثار محمد (٢) زهأه: قدر (٣) أفكلك كاحد: رعدة وقشعريرة  
(٤) يشير إلى قوله له أولاً: ياركك.

١٢٥ — لولا حمقه وحمق صاحبه لمت جوعاً\*

قال المأمون يوماً لأحمد بن أبي خالد<sup>(١)</sup> : اغدُ عليّ باكرًا لأخذ القمص التي عندك ، فإنها قد كثرت لنقطع في أمور أصحابها ، فقد طال انتظارهم إياها .  
فبكر ، وقعد له المأمون ، فجعل يعرضها عليه ويوقع عليها ، إلى أن سرَّ بقصة رجل من البزيديين يقال له فلان البزیدی؛ فصَحَّفَ<sup>(٢)</sup> وكان جائعاً فقال : الثريدی؛ فضحك المأمون ، وقال يا غلام ، تريدُ ضخمة لأبي العباس ، فإنه أصبح جائعاً ! فضجل أحمد ، وقال : ما أنا بجائع يا أمير المؤمنين ، ولكنَّ صاحبَ هذه القصة أحقُّ ، وضع فوق نسبته ثلاث نقط ، قال : دَعُ هذا عنك ، فالجوعُ أضرُّ بك حتى ذكرت الثريد ؛ فجاءوه بصحفة عظيمة ، كثيرة العروق والودك<sup>(٣)</sup> ؛ فاحتشم أحمد ، فقال المأمون : بحياتي عليك ، لما عدلتَ نحوها . فوضع القمص ومال إلى الثريد ، فأكل حتى انتهى والمأمون ينظر إليه ، فلما فرغ دعا بطستٍ ففصل يده ، ورجع إلى القمص ، فترت به قصة فلان الحمصی فقال : فلان الخبيصی ، فضحك المأمون وقال : يا غلام ، جاماً<sup>(٤)</sup> فيه خبيص ، فإن غداء أبي العباس كان مبتوراً<sup>(٥)</sup>

\* عصر المأمون : ١ - ٣٠٦

(١) أحمد بن أبي خالد وزير المأمون بعد الفضل بن سهل وكان شرها (٢) المصحف : الذي يروى الخطأ عن قراءة الصحف بأشباه الحروف - مولدة (٣) الودك : الدم ، والعراق جمع عرق : وهو القطعة من اللحم (٤) الجام : إناء من فضة . الخبيص : المعمول من التمر والسن (٥) بتره : قطعه قبل الإتمام .

فخجل أحمد وقال : يا أمير المؤمنين ؛ صاحبُ هذه القصة أحق ، فتح الميم فصارت كأنها سنتان ، قال : دَعْ عنك هذا ، فلولا حقه وحقُّ صاحبه لمتَّ جوعاً ، فجاءوه بجم خبيص ، فخجل ، فقال له المأمون : بحياتي عليك إلامتَ إليها ! فانحرف فانثنى عليه ، وغسل يده ، ثم عاد إلى القصص ، فما أسقط حرفاً حتى أتى على آخرها .

١٢٦ — إذا لم يكن للمرء في دولة امرئ

نصيبٌ ولا حظٌ تنى زوالها\*

أشرف المأمون يوماً على قصره فرأى رجلاً يكتب بفتحمةٍ على حائط قصره . فقال المأمون لبعض خدَميه : اذهب إلى ذلك الرجل ، فانظر ما كتب وأنتني به - فبادر الخادم إلى الرجل مسرعاً ، وقبض عليه ، وقال له : ما كتبتَ ؟ فإذا هو قد كتب هذا البيت :

يا قصرُ جَمَعَ فيك الشؤمُ واللؤمُ متى يُعشَّشُ في أركانك البؤمُ !

ثم إن الخادم قال له : أجب أمير المؤمنين . فقال الرجل : سألتك بالله لا تذهب بي إليه ، فقال الخادم : لا بد من ذلك ، ثم ذهب به .

فلما مَثَلَ بين يدي أمير المؤمنين ، وأُعلِمَ بما كتب ، قال له المأمون : ويحك ! ما حَمَلَكَ على هذا ؟ فقال : يا أمير المؤمنين ؛ إنه لا يخفى عليك ما حوَّاه قصرُك هذا ؛

من خزائن الأموال والحلى والحلل ، والطعام والشراب والفُرُش والأواني ، والأمتعة  
والجوارى ، والخدم وغير ذلك ، مما يقصُرُ عنه وصفي ، ويعجزُ عنه فهيمى . وإني  
قد مررتُ عليه الآن وأنا في غاية من الجوع والفاقة ؛ فوفقتُ مُفكرأ في أمرى ،  
وقلتُ في نفسى : هذا القصر عامر عال ، وأنا جائع ، ولا فائدة لي فيه فلو كان خراباً  
ومررت به لم أعدم رُخامةً أو خشبةً أو مسباراً أبيعهُ وأتقوتُ بشمنه ؛ أو ما عَلِمَ أميرُ  
المؤمنين رِعه الله قولَ الشاعر :

إذا لم يكن للمرء في دولةٍ امرئٌ نصيبٌ ولا حظٌ تمنى زوالها  
وما ذاك من بُغضٍ لها غيرَ أنه يَرَجى سواها ، فهو يهوى انتقامها  
فقال المأمون : يا غلام ؛ أعطه ألفَ درهم . ثم قال : هي لك في كل سنة ،  
مادام قصرُنا عامراً بأهله مسروراً بدولته .

## ١٢٧ — خُلِقَ دِعْبِلُ \*

قال محمد بن موسى الضَّبِّي ، وكان نديماً لعبد الله بن طاهر : بينا نحن عند عبد الله بن طاهر ذات ليلة ، يُذاكرنا بالأدب وأهله ، وشعراء الجاهلية ، إذ بلغ إلى ذكرِ المحدثين حتى انتهى إلى ذِكْرِ دِعْبِلِ <sup>(١)</sup> فقال : وَيَنحَاك يابِضِي ! إني أريد أن أحدثك بشيء على أن تسترّه طولَ حياتي ؛ فقلت له : أصلحك الله ، أنا عندك في موضع ظِنَّة ؟ قال : لا ، ولكن أَطِيبُ لِنَفْسِي أن توثِّق لي بالأيمان ؛ لأرْكَنَ إليها ، ويسكن قلبي عندها ، فأحدثك حينئذ .

قلت : إن كنتُ عند الأمير في هذه الحال فلا حاجةَ به إلى إفشاء سره إلى ، واستمفئته سراراً فلم يعفني ؛ فاستحييتُ من مراجعته ، وقلت : فليَرَ الأميرُ رأيه ؛ فقال لي : يابِضِي ؛ قل : والله ، قلت : والله ، فأمرها على غَمُوساً <sup>(٢)</sup> مؤكدةً بالبئيمة والطلاق وكلُّ ما يَحِلْفُ به مسلم .

ثم قال : أشعرت أن دِعْبِلًا مَدْخُولُ النَّسَبِ ؟ وأمسك ، فقلت : أعزَّ الله الأمير ، أفي هذا أخذتَ اليهود والموثيق ومقلَّظَ الأيمان ! قال : إى والله ، فقلتُ : ولم ؟ قال : لأنني رجلٌ لي في نفسي حاجة ، ودعبل رجلٌ قد حَمَلَ نفسه على المهالك ، وحمل جِدْعَهُ على عنقه ، فليس يجد مَنْ يَصْلُبُهُ عليه ، وأخاف إن بلغه أن يقول

\* الأغاني : ١٧ - ٥٦ .

(١) هو دعبل بن علي بن رزين ؛ شاعر مطبوع هجاء ، لم يسلم من لسانه أحد من عاصره من الخلفاء والوزراء والولاة ، ولا ذى نباهة ، أحسن إليه أو لم يحسن ، توفي سنة ٢٤٦ هـ .  
(٢) اليمين الغموس : التي تمس صاحبها في الإثم .

فَمَا يَبْقَى عَلَى عَارِهِ عَلَى الدَّهْرِ ، وَقَصَّارَايَ إِنْ ظَفَرْتُ بِهِ ، وَأَسْلَمْتَهُ الْيَمِينَ - وَمَا  
أَرَاهَا تَفْعَلُ ؛ لِأَنَّهُ الْيَوْمَ شَاعِرُهَا ، وَالذَّابُّ عَنْهَا ، وَالْحَامِي لَهَا دُونَهَا - أَنْ أَضْرِبَهُ  
مِائَةَ سَوْطٍ ، وَأَتَقَلَّهُ حَدِيدًا ؛ وَبَلَسَ فِي ذَلِكَ عِوَضًا عَلَى مِمَّا سَارَ فِي مِنَ الْمَجَاءِ وَفِي  
عَقْبِي مِنْ بَعْدِي .

قُلْتُ : مَا أَرَاهُ يَفْعَلُ وَيُقَدِّمُ عَلَيْكَ ، فَسَالَ لِي : يَا عَاجِزُ ؛ أَتَرَاهُ أَقْدَمَ عَلَى  
الرَّشِيدِ وَالْأَمِينِ وَالْمَأْمُونِ وَعَلَى أَبِي وَلَا يُقَدِّمُ عَلَى الْإِقْلَتِ : فَإِذَا كَانَ الْأَمْرُ كَذَلِكَ  
قَدَّ وَفَّقَ الْأَمِيرُ فِيمَا أَخَذَهُ عَلَى .

وَكَانَ دَعْبِلُ صَدِيقًا لِي ، قُلْتُ : هَذَا شَيْءٌ قَدْ عَرَفْتَهُ ، فَمَنْ أَيْنَ قَالَ الْأَمِيرُ  
إِنَّهُ مَدْخُولُ النَّسَبِ ، وَهُوَ فِي الْبَيْتِ الرَّفِيعِ مِنْ خُرَازْمِةَ ؟ فَقَالَ : اسْمِعْ ، إِنَّهُ كَانَ أَيَّامَ  
تَرَعْرَعِ خَامِلًا لَا يُؤَبِّهَ لَهُ ، وَكَانَ يَنَامُ هُوَ وَمُسْلِمُ بْنُ الْوَلِيدِ فِي إِزَارٍ وَاحِدٍ لَا يَمْلِكُكَانَ  
غَيْرَهُ ، وَمُسْلِمُ أَسْتَاذُهُ ، وَهُوَ غَلَامُهُ يَخْدُمُهُ ، وَدَعْبِلُ حِينَئِذٍ لَا يَقُولُ شَيْئًا يَفْكَرُ فِيهِ ،  
حَتَّى قَالَ :

لَا تَعْجِبِي يَا سَلْمُ مِنْ رَجُلٍ ضَحِكَ الْمَشِيبَ بِرَأْسِهِ فَبَكَى

وَعَنَى فِيهِ بَعْضُ الْمَغْنِينِ وَشَاعٍ ، فَغَنَّى بِهِ بَيْنَ يَدَيْ الرَّشِيدِ ، فَطَرِبَ ، وَسَأَلَ  
عَنْ قَائِلِ الشَّعْرِ ، فَقِيلَ لَهُ : دَعْبِلُ بْنُ عَلِيٍّ ، وَهُوَ غَلَامٌ نَشَأَ مِنْ خُرَازْمِةَ ، فَأَمَرَ  
يَأْحِضَارَ عَشْرَةَ آلَافِ دَرَاهِمٍ وَخِلْعَةً مِنْ ثِيَابِهِ ، فَأَحْضَرَ ذَلِكَ ، فَدَفَعَهُ مَعَ خَادِمٍ مِنْ  
خَاصَتِهِ ، وَقَالَ لَهُ : اذْهَبْ بِهَذَا إِلَى خُرَازْمِةَ ، فَاسْأَلْ عَنِ دَعْبِلِ بْنِ عَلِيٍّ ، فَإِذَا  
دُلَّتْ عَلَيْهِ فَأَعْطِهِ هَذَا ، وَقُلْ لَهُ : لِيَحْضُرَ إِنْ شَاءَ ، وَإِنْ لَمْ يُحِبَّ ذَلِكَ فَدَعَهُ ،  
وَأَمَرَ لِلْمَغْنِيِّ بِجَائِزَةٍ .

فسار الغلام إلى دِعْبِل ، وأعطاه الجائزة ، وأشار عليه بالمسير إليه . فلما دخل عليه وسلم أمره بالجلوس لجلس ، واستنشده الشعر فأنشده إياه فاستحسنه ، وأمره بملازمته ، وأجرى عليه رزقاً سنياً ، فكان أولَ مَنْ حَرَّضَهُ على قول الشعر ؛ فوالله ما بلغه أن الرشيد مات حتى كافأه على ما فعله من العطاء السنِّي\* ، والغنى بعد الفقر ، والرفعة بعد الخمول بأقبح مكافأة ، وقال فيه من قصيدة مدح بها أهل البيت وهجا الرشيد :

ليس حتى من الأحياء نعلمه	من ذى يمان ومن بكرٍ ومن مُضَرٍ
إلا وهم شركاء في دماهم	كما تشارك أيساراً على جزر <sup>(١)</sup>
قتل وأسرٌ وتحريقٌ ومنهبةٌ	فعل الغزاة بأرض الروم والجزر <sup>(٢)</sup>
أرى أميةً معذورين إن قتلوا	ولا أرى لبنى العباس من عُذِرٍ
أربع بطوس على قبر الزكي إذا	ما كنت ترنع من دين على وطر <sup>(٣)</sup>
قبران في طوس : خيرُ الناس كلهم	وقبرٌ شرهم ؛ هذا من المبرأ
ما ينع الرّجس من قرب الزكي ولا	على الزكي بقرب الرّجس من صرر
هيئات كل امرئ رهن بما كسبت	له يدها فخذ ما شئت أو قدر

فهذه واحدة ، وأما الثانية فإنّ المأمون لم يزل يطلبه وهو طائر على وجهه حتى

دس إليه قوله :

(١) أيسار : جمع ياسر ، وهو الذي يلي قسمة الجزور ، والجزور : نوق تزدح وتقسم أقساماً للقمارة (٢) الجزر : جبل من الترك ، ببلاد شمال فارس . (٣) طوس : مدينة عظيمة بخراسان تعرف الآن بمشهد ، دفن بها الرشيد وعلي بن موسى الرضا . واربعم : أقم . والوطر : الحاجة .

أَنَّى يَكُونُ وَلَيْسَ ذَاكَ بِكَائِنٍ يَرِثُ الْخِلَافَةَ فَاسِقٌ عَنِ فَاسِقٍ  
إِنْ كَانَ إِبْرَاهِيمَ <sup>(١)</sup> مُضْطَلَمًا بِهَا فَلتَصْلَحَنَّ مِنْ بَعْدِهِ لِمُحَارِقِ <sup>(٢)</sup>

فلما قرأها للمؤمن ضحك وقال : قد صنعتُ عن كل ما هجانا به ؛ إذ قرن  
إبراهيمَ بمخارق في الخلافة ، وولاهَ عهده وكتب إلى أئمة أن يكتبه بالأمان ،  
ويحمل إليه مالا ، وإب شاء أن يقيمَ عنده أو يصيرَ إلى حيث شاء فليفعل .  
فكتب إليه أبى بذلك ، وكان واقفاً به ، فصار إليه ، فحمله وخلع عليه ، وأجازه  
وأعطاه المال ، وأشار عليه بقصد المؤمن ففعل ، فلما دخل وسلم عليه تبسم في وجهه ،  
ثم قال : أنشدنى <sup>(٣)</sup> :

مدارسُ آياتِ خلتُ من تلاوةٍ ومنزلُ وحيٍ مُقْفِرِ العَرَصَاتِ <sup>(٤)</sup>  
فجزع ، فقال له : لك الأمان فلا تخف ، وقد رويتها ولكنى أحب سماعها  
من فيك ، فأنشده :

مدارسُ آياتِ خلتُ من تلاوةٍ ومنزلُ وحيٍ مُقْفِرِ العَرَصَاتِ  
لآلِ رسولِ اللهِ بالخَيْفِ مِنْ مَنِيٍّ وبالركنِ والتعريفِ والجَمَرَاتِ <sup>(٥)</sup>  
ديارُ عليٍّ والحسينِ وجعفرِ وحزرةِ والسَّجَادِ ذِي الشَّفَنَاتِ <sup>(٦)</sup>  
ديارُ عَفَاها <sup>(٧)</sup> كلُّ جَوْنٍ مُبَادِرِ <sup>(٨)</sup> ولم تَعْفُ لِلأَيَّامِ والسَّنَوَاتِ

(١) يريد إبراهيم بن المهدي ، وهو عم المؤمن ، وقد اشتهر بالفناء وأنتس من قدره .  
(٢) محارق : مفن معروف (٣) من القوائد المشهورة في مدح آل البيت (٤) المقفر :  
المخالي من الناس ، والعراصات : ساحات الدار (٥) أسماء مواضع بمكة (٦) الشفنة : الركبة  
ومجتمع الساق والنخذ ، والسجاد ذو الشففات : علي بن الحسين لأن طول السجود أثر في ثفانته  
(٧) عفاها : معاها (٨) الجون المبادر : السحاب الماطر .

فقا نسأل الدار التي خَفَّ أهلها متى عهدُها بالصوم والصلواتِ !  
 وأين الألى شَطَّتْ بهم غُرْبَةُ النوى أفانين<sup>(١)</sup> في الآفاقِ مُفترقاتِ  
 وما الناسُ إلا حاسدٌ ومكذَّبٌ ومُضْطَفِنٌ<sup>(٢)</sup> ذو إحنَةٍ وتِرَاتِ  
 ومضى فيها حتى أتى على آخرها .

والمأمون يبكي حتى اخضَلَّتْ لحيته بدمعه . فوالله ما شعرنا به إلا وقد شاعت له  
 أبياتٌ يهجو بها المأمون بعد إحسانه إليه وأنسه به ، حتى كان أول داخل وآخر  
 خارج من عنده<sup>(٣)</sup> .

(١) الأفانين : الأنواع أو الأحوال (٢) مضطفن : حقد ، والإحنة : العداوة والحقد ،  
 والترات : جمع ترة : النار (٣) كان مما قاله في المأمون :

أيسومني المأمون خطة جاهل أوما رأى بالأمس رأس محمد  
 لاني من القوم الذين سيوفهم قتلت أخاك وشرفتك بمقعد  
 شادوا يذكرك بمد طول خوله واستنقذك من الحضيض الأوهد

وكان المأمون إذا أنشد هذه الأبيات يقول :

قبح الله دعبلًا ، فأوقعه ! كيف يقول عنى هذا ، وقد ولدت في جبر الخلافة ، ورضعت  
 ثديها ، وربيت في مهدها .

١٢٨ -- دِيكُ دِعْبِلُ \*

قال أحمد بن خالد : كنا يوماً بدار صالح بن علي ببغداد ، ومعنا جماعة من أصحابنا ، فسقط على سطح البيت ديك طار من بيت دِعْبِل ، فلما رأيناه قلنا : هذا صيدنا ، فأخذناه .

قال صالح : ما نضنع به ؟ قلنا : نذبجه ، فذبجناه وشويناَه . وخرج دِعْبِل فسأل عن الديك فعرف أنه سقط في دار صالح ، فطلبه منا فجدناه ؛ وشربنا يومنا ، فلما كان من الغد خرج دِعْبِل ، فصلى الغداة ، ثم جلس في المسجد ، وكان ذلك المسجد يجمع الناس يجتمع فيه جماعة من العلماء ، وينتابهم الناس . وقال :

أَسْرَ الْمُؤَذِّنَ صَالِحٍ وَضِيوفُهُ      أَسْرَ الْكَمِيِّ هَفَا خِلَالَ الْمَاقِطِ<sup>(١)</sup>  
بَمَثُوا إِلَيْهِ بَنِيهِمْ وَبَنَاتِهِمْ      مِنْ بَيْنِ نَاتِفَةٍ وَأَخْرَسَامِطِ<sup>(٢)</sup>  
يَنْتَازِعُونَ كَأَنَّهُمْ قَدِ أَوْتَقُوا      خَاقَانَ أَوْ هَزَمُوا قِبَائِلَ نَاعِطِ<sup>(٣)</sup>  
نَهْشَوُهُ فَانْتَزَعَتْ لَهُ أَسْنَانَهُمْ      وَتَهَشَّمَتْ أَقْفَاؤُهُمْ بِالْحَائِطِ

فكتبها الناس عنه ومضوا ، فقال لي أبي - وقد رجع إلى البيت - ويحك ! ضاقت عليكم المآكل فلم تجدوا شيئاً تأكلونه سوى ديك دِعْبِل ، ثم أنشد الشعر وقال : لا تدع ديكاً ولا دجاجة تقدر عليه إلا اشتريته ، وبعثت به إليه وإلا وقعنا في لسانه ، ففعلتُ ذلك !

\* مهذب الأغاني ٢ : ٢٥٥

(٢) سمطه : قناه مما عليه من الريش .

(٢) المآط : موضع القتال ، والكمي : الشجاع

(٣) ناعط : قبيلة من همدان .

١٢٩ — بين البادية والحضر\* ١

قدم على\* بن الجهم<sup>(١)</sup> على المتوكل - وكان بدويًا جافياً - فأنشده قصيدةً  
قال فيها :

أنت كالكلب في حِفَاظِكَ لِلوُدِّ وَكَالتَّيْسِ فِي قِرَاعِ الخُطُوبِ  
أنت كالذَّلْوِ لَا عَدِمْنَاكَ دَلْوًا مِنْ كِبَارِ الدَّلَالِ كَثِيرِ الذَّنُوبِ<sup>(٢)</sup>

فعرف المتوكل قوته ، ورِقَّةَ مقصده ، وخشونة لفظه ، وأنه ما رأى سوى  
ماشبه به لعدم المخالطة وملازمة البادية ، فأمر له بدارٍ حسنة على شاطئ دجلة ،  
فيها بستانٌ حسن ، يتخلله نيسم لطيف ينفذ الأرواح ، والجسرُ قريب منه ،  
فيخرج إلى محلات بغداد ، فيرى حركة الناس ومظاهر مدنيتهم ويرجع  
إلى بيته .

فأقام ستة أشهر على ذلك ، والأدباء والفضلاء يتعاهدون مجالسته ومحاضراته ،  
ثم استدعاه الخليفة بعد مدة لينشده ؛ فحضر وأنشد :

عيونَ المها بين الرُّصَافَةِ<sup>(٣)</sup> والجسرِ جَبَّزْنَ الهوى من حيث أدرى ولا أدرى

فقال المتوكل : لقد خشيتُ عليه أن يذوب رِقَّةً وطاقةً .

\* محاضرات الأبرار : ٢ - ٣

(١) هو عربي قرشي شاعر فصيح مطبوع ، خص بالمتوكل حتى صار من جلسائه ، ثم أبغضه به  
ذلك ونفاه إلى خراسان بعد أن حبسه مدة ، وذلك لكثرة سعايته بندمائه ، مات سنة ٢٤٩ هـ .

(٢) يطلق الذنوب على ما في الدلو من الماء (٣) الرصافة : محلة ببغداد .

١٣٠ — الجاحظ في مرضه \*

قال بعض البرامكة : كنت أتقلد السند ؛ فاتصل بي أن صُرفتُ عنها وكنت كسبتُ ثلاثين ألف دينار. ؛ فحُفَّت أن يَفجأَ بي الصارف ، ويُسَمَى إليه بالمال ؛ فصُفِّتُهُ عشرة آلاف إهليلجَةٍ<sup>(١)</sup> ، في كل أهليلجة ثلاثة مثاقيل ، وجعلتها في رَحلي ، ولم أبعد أن جاء الصارف ؛ فركبتُ البحر ، وانحدرت إلى البصرة ، فخرتُ أن بها الجاحظ<sup>(٢)</sup> وأنه عليل .

فأحببت أن أراه قبل وفاته ، فصرت إليه ، فأفضيت إلى باب دار لطيف فصرعته ؛ فخرجت إلى خادم صفراء ؛ فقالت : من أنت ؟ قلت : رجل غريب ، يحبُّ أن يدخلَ إلى الشيخ ، فيسرَّ بالنظر إليه !

فأدت ما قلت - وكانت المسافة قريبةً لصغر الدهليز والحجرة - فسمعته يقول : قولي له : وما تصنع بشقِّ مائل ، ولُباب سائل ، ولون حائل<sup>(٣)</sup> ! فأخبرتني ، قلت : لا بدَّ من الوصول إليه . فقال : هذا رجل قد اجتازَ البصرة ؛ فسمع بي وبعثني ؛ فقال : أراه قبل موته ؟ ليقول قد رأيت الجاحظ !

ثم دخلت فسلمت ؛ فردَّ ردًّا جميلاً ، واستدناني ، وقال : من تكون أعزك الله ! فانتسبت له ، فقال : رحم الله أباك وقومك الأسخياء الأجواد الكرام الأعمجاء

\* زهر الآداب : ٢ - ١٨٦ ، ذيل زهر الآداب : ١٦٥

(١) الإهليلج : ثمر ، والواحدة بهاء ، ويظهر أنه صاغها على شكل هذا الثمر (٢) هو عمرو بن بحر ، والجاحظ لقبه ، كبير أئمة الأدب ورئيس الفرقة الجاحظية من المعتزلة ، ألف كثيراً ، وعاش طويلاً ، وتوفي سنة ٢٥٥ هـ (٣) حال لونه : تفرير .

فقد كانت أيامهم رَوْضَ الأزمنة ، ولقد انجبرَ بهم قوم كثير ، فسقياً لهم  
ورعياً<sup>(١)</sup> ! فدعوت له ، وقلت : أنا أسأل الشيخ أن ينشدني شيئاً من الشعر ؛  
أذكره به ، فأنشدني :

لئن قَدِّمْتُ قبلي رجالٌ فظالما مشيت على رِسْلِي فكنت المقدِّماً<sup>(٢)</sup>  
ولكنَّ هذا الدهر تَأْتِي صروفه فَتَبْرِمُ منقوضاً وتَنْقُضُ مُبرِّماً  
ثم نهضت ، فلما قاربت الدهليز صاح بي فقال : يا فتى ؛ أرايت مفلوجاً ينفعه  
الإهليلج ؟ فقلت : لا ! قال : فأنا ينفعني الإهليلج الذي معك ! فأهد لنا منه ،  
فقلت : السمع والطاعة .

وخرجت مُفرطَ التعجب من وقوعه على خبري ، حتى كان بعض أحبائي كاتبه  
بخبري حين صغته ، وأنفذتُ إليه مائة إهليلجة .

---

(١) سقياً لهم ورعياً : دعاء لهم بالخير (٢) رِسْلِي : مهلى .

١٣١ - ظبي مذبوح ، ورجل ميت جريح ، وفتاة ميتة\*

قال موسى بن هارون : كنت عند عُبيد الله بن عبد الله بن طاهر وقد جاءه الزبير بن بَكَار<sup>(١)</sup> فأعلمه أن المعتز<sup>(٢)</sup> بعث إلى أخيه محمد بن عبد الله بن طاهر يأمر بإحضاره وتقليده القضاء . فقال له الزبير بن بَكَار : قد بلغت هذه السن وأتولى القضاء! أو بعد ما رويت أن من ولي القضاء فقد ذبح بفيرسكين! فقال له : فتلحق بأمر المؤمنين بسر<sup>(٣)</sup> من رأى ، فقال له : أفعل .

فأمر له بمال يُنفقه ، وبظهيرٍ يحمله ويحمل ثقله . ثم قال له : إن رأيت يا أبا عبد الله أن تُفيدنا شيئاً قبل أن نفترق ؟ قال : نعم! انصرفت من عمرة المحرم ، فيبدا أنا بأثابة العرج ، إذا أنا بجماعة مجتمعة ، فأقبلت إليهم وإذا رجل كان يقنص الأطباء ، وقد وقع ظبي في حبالته فذبجه ، فانتفض في يده فضرب بقرنه صدره ، فنسب القرن فيه فمات . وأقبلت فتاة كلهاة ، فلما رأت زوجها ميتاً شهقت ثم قالت :

يا حُسنُ لو بطلتُ لكنه أجلُّ      على الأثابة ما أودى به البطلُ  
يا حُسنُ جمع أحشائي وأقلقتها      وذاك يا حُسنُ لولا غيره جَلُّ

\* الأغانى ٩ - ٤٢ ، معجم الأدباء : ١١ - ١٦٢

(١) الزبير بن بكار ، كان علامة نسابه إخبارياً ، ثقة ، توفي سنة ٢٥٦ هـ

(٢) جمع أحشائي : جعلها منضمة إلى بعضها ، وجلل : يسر ، إذ المراد أن الأمر الذى كان يسير لولا غيره مما هو مترتب عليه من الظالم .

أضحت فتاة بني نَهْدٍ عَلَانِيَةً<sup>(١)</sup> وبعلمها بين أيدي القوم محتَمَلُ  
ثم شهقت فماتت ، فما رأيتُ أعجبَ من السلاثة : الطَّيِّبِ مذبوح ، والرجل  
جريح ميت والفتاة ميتة .

فأمره عبيد الله بـمالٍ آخر . ثم أقبل إلى أخيه محمد بن عبد الله بعد خروج  
الزبير ، فقال : إن الذي أخذناه من الفائدة في خبره أكثرُ عندي مما أعطينا من  
الحِباءِ<sup>(٢)</sup> والصلة .

---

(١) علانية : ظاهرة (٢) الحِباء : العطاء .

١٣٢ — جوائزُه الصَّلَاةُ\*

كان ابن المدبر إذا مدحه شاعر فلم يرضَ شعره قال لفلانم : امض به إلى المسجد الجامع ، فلا تفارقه حتى يصلّى مائة ركعة اثم خله .  
فتحاماه الشعراء إلا الأفراد المجيدين ، فجاءه أبو عبد الله الحسين بن عبد السلام المصرى ، فاستأذنه فى النشيد ، فقال : قد عرفتَ الشرط ؟ قال : نعم ! وأنشده :

أردنا فى أبى حسنٍ مديحاً      كما بالمديحِ يُنتَجَعُ الولاةُ  
فقلنا : أكرمُ الثقلين طراً      ومن كَفَاهُ دجلةُ والقراتُ<sup>(٢)</sup>  
فقلوا : يَقْبَلُ المديحَاتِ لِيَكُنْ      جوائزُهُ عليهن الصَّلَاةُ  
فقلتُ لهم : وما تُفْنِي صَلَاتِي      عِيَالِي ، إِنَّمَا الشَّانُ الزَّكَاةُ  
فيأمر لى بكسر الصاد منها      فتصبح لى الصَّلَاةُ هى الصَّلَاتُ

فضحك واستظرفه ، وقال : من أين أخذت هذا ؟ قال . من قول أبى تمام الطائى :

هذا الحمام فإن كسرت عيافة<sup>(٣)</sup>      من حائهن فإيهن حمام<sup>(٤)</sup>

فأحسن صلته .

\* زهر الآداب : ٢ - ١٨١

(١) اتجم فلاناً : أتاه يطلب معروفه (٢) الثقلين : الإنس والجن (٢) عفت الطير عيافة : زجرتها ، وهو أن تعبر بأسمائها ومساقطها وأنوائها فتسعد أو تتشام . (٤) الحمام : الموت.

كان رجل ببغداد يعرف بابن المغازلى يتكلم على الطريق ، ويقص على الناس أخباراً ونوادير ومضاحك ، وكان فى نهاية الحدق لا يستطيع من يراه ويسمع كلامه إلا بضحك .

قال : وقتت يوماً فى خلافة المعتضد<sup>(١)</sup> على باب الخاصة ، فحضر حلقتى بعضُ خدم المعتضد ، فأخذت فى حكاية الخدم ، فأعجب خادم بحكايتى وشغف بنوادى ثم انصرف عنى .

فلم يلبث أن عاد إلى وأخذ بيدي ، وقال : إني لما انصرفت عن حلقتك دخلت : فوقفتُ بين يدي المعتضد أمير المؤمنين ، فذكرت حكايتك ، وما جرى من نوادر فاستضحكت ، فرآنى أمير المؤمنين ، فأنكر ذلك منى ، وقال : ويلك ، مالك ! فقلت : يا أمير المؤمنين ؛ على الباب رجل يعرف بابن المغازلى يضحك ويحاكى ، ولا يدع حكاية أعرابى وتركى ومكئى ونحوى وزنجى وخادم إلا حكاها ، ويخلط ذلك بنوادير تضحك التأكل ونصبي الحلیم ، وقد أمرنى بإحضارك ، ولى نصف جائزتك . فقلت له ، وقد طمعت فى الجائزة السنية : يا سيدى ؛ أنا ضعيف وفقير ، وقد من الله على بك ، فما عليك إن أخذت بعضها ؛

\* السعوى : ٢ - ٢٤٤

(١) بوبع بالخلافة بعد وفاة عمه المعتضد سنة ٢٧٩ هـ ، وظهر بمظهر الخلفاء العاملين ، وكان عارفاً بالأدب موصوفاً بالحلم ، توفى سنة ٢٨٩ هـ .

سُدَّسَهَا أَوْ رَبَّمَا ، فَأَبَى إِلَّا نَصْفَهَا ، فَطَمَعْتُ فِي النِّصْفِ ، وَقَنَعْتُ بِهِ .

فَأَخَذَ بِيَدِي وَأَدْخَلَنِي عَلَيْهِ فَسَلَّمْتُ وَأَحْسَنْتُ ، وَوَقَفْتُ فِي الْمَوْضِعِ الَّذِي أَوْقَفْتُ فِيهِ ، فَرَدَّ عَلَيَّ السَّلَامَ ، وَقَدْ كَانَ يَنْظُرُ فِي كِتَابٍ ، فَلَمَّا نَظَرَ فِي أَكْثَرِهِ أَطْبَقَهُ ، ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ إِلَيَّ ، وَقَالَ : أَنْتَ ابْنُ الْمَغَازِلِيِّ ؟ قُلْتُ : نَعَمْ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، قَالَ : قَدْ بَلَغَنِي أَنَّكَ تَحْكِي وَتُضْحِكُ ، تَأْتِي بِحِكَايَاتٍ عَجِيبَةٍ وَنَوَادِرٍ ظَرِيفَةٍ ، قُلْتُ : نَعَمْ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ؛ الْحَاجَةُ تَفْتَقِرُ الْحِيلَةَ ؛ أَجْمَعُ بِهَا النَّاسَ ، وَأَتَقَرَّبُ إِلَى قُلُوبِهِمْ بِحِكَايَتِهَا أَلْتَمِسُ بِرَّهْمٍ ، وَأَعِيشُ بِمَا أَنَالُهُ مِنْهُمْ ، قَالَ : فَهَاتِ مَا عِنْدَكَ ، وَخُذِي فِي فَنَّاكَ ، فَإِنْ أَضْحَكْتَنِي أَجْرَتُكَ بِخِصْمَانَةِ دَرَاهِمٍ ، وَإِنْ لَمْ أَضْحَكْ فَسَالِي عَلَيْكَ ؟ قُلْتُ : مَامَعِي إِلَّا قَفَائِي ، فَاصْفَعْنِي مَا أَحْبَبْتَ ، وَكَمْ سَنَتْ وَبِمَا سَنَتْ ! فَقَالَ لِي : قَدْ أَنْصَفْتَ ؛ إِنْ ضَحِكْتُ فَلَكَ مَا ضَمَنْتَ ، وَإِنْ أَنَا لَمْ أَضْحَكْ صَفَعْتُكَ بِهَذَا الْجِرَابِ عَشْرَ صَفَعَاتٍ .

قُلْتُ فِي نَفْسِي : مَلِكٌ لَا يَصْفَعُ إِلَّا بِشَيْءٍ يَسِيرٍ خَفِيفٍ هَيْنَ ؛ ثُمَّ التَفْتُ ، وَإِذَا أَنَا بِجِرَابِ أَدَمٍ نَاعِمٍ فِي زَاوِيَةِ الْبَيْتِ . قُلْتُ فِي نَفْسِي : مَا أَخْطَأَ حَزْرِي (١) وَلَا أَخْلَفَ ظَنِّي ، وَمَا عَسَى أَنْ يَكُونَ مِنْ جِرَابٍ فِيهِ رِيحٌ ! إِنْ أَضْحَكْتَهُ رَجَحْتُ ، وَإِنْ أَنَا لَمْ أَضْحَكْ فَأَمْرٌ عَشْرَ صَفَعَاتٍ بِجِرَابٍ مَنْفُوخٍ هَيْنَ .

ثُمَّ أَخَذْتُ فِي النَّوَادِرِ وَالْحِكَايَاتِ ، فَلَمْ أَدْعُ حِكَايَةَ أَعْرَابِيٍّ وَلَا نَحْوِيٍّ وَلَا قَاضٍ ، وَلَا عِبَارَةَ وَلَا نَادِرَةَ ، وَلَا حِكَايَةَ ، إِلَّا أَحْضَرْتُهَا ، وَأَتَيْتُ بِهَا حَتَّى نَفِدَ جَمِيعُ مَا عِنْدِي ، وَتَصَدَّعَ رَأْسِي ، وَلَمْ يَبْقَ وَرَائِي خَادِمٌ إِلَّا هَرَبَ ، وَلَا غِلَامٌ إِلَّا ذَهَبَ لَمَّا اسْتَفْرَزْتُهُمُ الضَّحْكَ .

(١) الحزر : التقدير والظن .

قلت : قد نَفِدَ - والله يا أمير المؤمنين - مامى ، وتصدّع رأسى ، وذهب معاشى ، وما رأيتُ قطّ مثلك ، وما بقيت لى إلا نادرة واحدة ، قال : هاتها اقلقت : يا أمير المؤمنين ؛ وعدتني أن تصفنى عشراً ، وجعلتها مكان الجائزة ؛ فأسألك أن تضعف الجائزة ، وتضيف إليها عشراً ؛ فأراد أن يضحك ، فاستمسك ، ثم قال : نفعل . يا غلام ؛ خذْ بيده ، فأخذ بيدي ، ومددتُ قفاى ؛ فصفت بالجراب صفقة ، فكأنما سقطَ على قفاى قلمة ، وإذا فيه حصى مدور ، كأنه صنجات ، فصفّعت به عشرا ، كادت أن تنفصل رقبتي ، وينكسر عنقي ، وطمّنتُ أذناى ، وقدح الشماع من عيني .

فلما استوفيت العشرة صحّحت : ياسيدى ؛ نصيحة ، فرفع الصفع عنى ، فقال : مانصيحتك؟ قلت : ياسيدى ؛ إنه ليس فى الدنيا أحسنُ من الأمانة ، ولا أقيحُ من الخيانة ، وقد ضمنت للخادم الذى أدخلنى عليك نصفَ هذه الجائزة على قلتها أو كثرتها . وأميرُ المؤمنين - أطال الله بقاءه - بفضلِه وكرمه قد أضفّتها ؛ وقد استوفيتَ نصفها ، وبقى لخادمتك نصفها .

فضحك حتى استلقى ، واستفرّجه ما كان قد سمعه منى أولاً ، وتحامل له ، وصبر عليه ؛ فما زال يضرب برجليه ، ويمسك بمرّاق<sup>(١)</sup> بطنه ، حتى إذا سكن ضحكُه ، ورجعت إليه نفسه قال : علىّ بفلان الخادم ، فأتى به - وكان طوّالاً - فأمر بصفّعة ، فقال : يا أمير المؤمنين ، أى شيء قضيتى ؟ وأى جناية جنّيتى ؟ قلت له : هذه جائزتى ، وأنت شريكى ، وقد استوفيت نصفها ، وبقى نصيبك منها ، فلما أخذه

---

(١) المرّاق : مارق من أسفل البطن ولان ، ولا واحد لها ، أو جهر مرق .

الصَّعْغُ ، وطرقَ قَفَاهُ الصَّافِعَ أَقْبَلْتُ عَلَيْهِ أَقُولُ لَهُ : أَقُولُ لَكَ : إِنِّي ضَعِيفٌ فَقِيرٌ ،  
وَشَكْوَتُكَ إِلَيْكَ الْحَاجَةُ وَالْمَسْكِنَةُ ، وَقُلْتُ لَكَ : يَا سَيْدِي ؛ لَا تَأْخُذْ نِصْفَهَا ، لَكَ  
سُدْسُهَا ، لَكَ رُبْعُهَا ، وَأَنْتَ تَقُولُ : مَا آخُذُ إِلَّا نِصْفَهَا ، وَلَوْ عَلِمْتُ أَنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ -  
أَطَالَ اللَّهُ بَقَاءَهُ - جَوَائِزُهُ صَفْعٌ ، وَهَبْتُهُ لَكَ كُلَّهَا ؛ فَعَادَ إِلَى الضَّحْكَ .

فَلَمَّا اسْتَوَى صَفْعَهُ ، وَسَكَنَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ ضَحْكَهَ أَخْرَجَ صُرَّةً كَانَتْ قَدْ أَعَدَّتْهَا  
خِيَمًا خَمْسًا مِائَةَ دَرَاهِمٍ ، ثُمَّ قَالَ لَهُ - وَقَدْ أَرَادَ الْإِنْصِرَافَ - قِفْ ، هَذِهِ كُنْتُ أَعَدَدْتُهَا  
لَكَ ، فَلَمْ يَدْعُكَ فَضُولِكَ حَتَّى أَحْضَرْتَ لَكَ شَرِيكَاً فِيهَا ، فَقُلْتُ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ،  
وَأَيْنَ الْأَمَانَةُ ؟ وَوَدِدْتُ أَنْكَ تَدْفَعُهَا كُلَّهَا إِلَيْهِ وَتَصْفَعُهُ مَعَ الْعَشْرَةِ عَشْرَةَ أُخْرَى ،  
وَتَدْفَعُ لَهُ الْخَمْسَ مِائَةَ الدَّرَاهِمِ . فَحَسَمَ الدَّرَاهِمَ بَيْنَنَا وَانْصَرَفْنَا .

١٣٤ — قد شفى منه صدورنا\*

قال أبو علي الحاتمي<sup>(١)</sup> : كان أبو الطيب المتنبي<sup>(٢)</sup> عند وروده مدينة السلام  
التحف رداء الكبر ، وأذال<sup>(٣)</sup> ذبول التيه ، وصمر خده ، ونأى بجانبه ؛ وكان  
لا يلقى أحداً إلا نافضاً<sup>(٤)</sup> مذرّويه ، رافلا من التيه في بُرديه . يخيلُ إليه أن  
العلم مقصورٌ عليه ، وأن الشعر بحرٌ لم يعترف نبيراً مائه غيره ، وروضٌ لم يزرع  
فواره سواه ، فدلّ بذلك مُدبّدةً أجرته رَسَن<sup>(٥)</sup> الجهل فيها ، فظلَّ يبرحُ في  
تَنبئِهِ . حتى تخيلَ أنه التريع<sup>(٦)</sup> الذي لا يُقارع ، والنزيع<sup>(٧)</sup> الذي لا يُجارى ولا  
يُنازع ، وأنه ربُّ القلب وما لك القصب ، وتقلت وطأته على أهل الأدب  
بمدينة السلام .

فطأطأ كثيرٌ منهم رأسه ، وخفض جناحه ، وطأمن على التسليم له جأشه<sup>(٨)</sup> ،  
وتخيلَ أبو محمد المهلبى أن أحداً لا يقدرُ على مُساجلتِهِ ومُجارَاتِهِ ، ولا يقوم  
لتَنبئِهِ بشيء من مطاعِنِهِ ، وساء مُعزُّ الدولة أن يردَّ عن حضرة عدوّه رجلٌ ،

\* معجم الأدباء : ١٨ - ١٥٩

(١) هو محمد بن الحسن بن المظفر الحاتمي من أهل اللغة والأدب . مات سنة ثمان وثمانين وثلاثمائة  
(٢) هو أحمد بن الحسين ، أشهر شعراء المحدثين ، وصاحب الشعر الحكيم والمعاني الدقيقة والمختصرة ،  
ولد بالكوفة ونشأ بها ، وتأدب بفصاحة أهل البدو ، ومدح سيف الدولة من أهل الشام ، ومدح  
كافوراً بمصر ، ومدح عضد الدولة أعظم ملوك بني بويه ووزيره ابن العميد ، وقتل قرب بغداد  
سنة ٣٥٤ هـ (٣) أذال : تبخر ، وجر ذيله على الأرض تيهياً (٤) نافضاً : محرّكاً ،  
والذرّوان : ناحيتا الرأس (٥) الرسن : الحبل (٦) القريم : الذي يقارعك ، والمفارقة :  
المضاربة بالسيف (٧) التريع : الشريف من القوم الذي نزع إلى عرق كريم (٨) الجأش :  
الخص ، وقيل القلب .

فلا يكون في مملكته أحدٌ يماثلُهُ في صناعته ، ويُساويه في منزلتِهِ .

فنهَدتُ<sup>(١)</sup> حينئذٍ مُتَبِعًا عُوَارَه ، ومتمقِّبًا آثَارَه ، ومُطْفِئًا نَارَه ، ومُهْتَكًا  
أستاره ، ومقلماً أظفَارَه ، وناشراً مطاويَه ، وممزقًا جلبابَ مساويَه ، متحِينًا أن  
تجمعنا دارُ ، فأجرى أنا وهو في مِضْمَارٍ يُرْفُ فيه السابقُ من المسبوق ؛ حتى إذا  
لم أجد ذلك قصدتُ موضعه الذي كان يُحِلُّهُ في رَبَضٍ مُحمِدٍ<sup>(٢)</sup> .

فوافقَ مَصِيرِي إليه حضورَ جماعةٍ تقرأ شيئًا من شعره عليه ، فحين أُوزِنَ  
بمحضوري ؛ واستُوذِنَ عليه لدخولي نهضَ عن مجلسه مُسرِّعًا ، ووارى شخصه عني  
مُسْتَخْفِيًا ؛ فنزلتُ عن بغلَةٍ كانت تحتي ، وهو يراني نازلاً عنها ؛ لاتبهائي بها إلى  
أن حاذَيْتُهُ ، فجلستُ في موضعه ، وإذا تحته قطعة من « زيلو »<sup>(٣)</sup> مُخلَّقة ، قد  
أكلتها الأيامُ ، وتعاوَرَتْهَا السنون ؛ فهي رسومُ خافية ، وسلوكٌ<sup>(٤)</sup> بادية ، حتى إذا  
خرج إلى نهضتُ إليه فوفيته حق السلامِ ، غير مُشَاحٍ<sup>(٥)</sup> له في القيام ؛ لأنه إنما  
اعتمدَ بنهوضه ألا ينهض لي عند مُوافقِي .

وإذا هو قد لبس سبعة أقبية ؛ كلَّ قَبَاءٍ<sup>(٦)</sup> منها لون ، وكان الوقتُ آخر أيام  
الصيف ، وأخلَقَهَا بتخفيف اللبَسِ ؛ فجلستُ وجلس ، وأعرَضَ عني ساعة  
لا يُعِيرُنِي فيها طَرْفَه ، ولا يسألُنِي عما قصدتُ له ، وقد كِدْتُ أتميزُ<sup>(٧)</sup> غيظًا ،  
وأقبلتُ أُسَخِّفُ رأبي في قَصْدِهِ ، وأفندُ نفسي في التوجُّهِ نحو مثله ، ولَوَى عِدَارَه  
عني مقبلًا على تلك الزَعْنَفَةِ<sup>(٨)</sup> التي بين يديه ، كلَّ واحدٍ يومئذٍ إليه ، ويوحى

(١) نهد : نهض ، وعواره : عيبه (٢) ربض حميد : موضع (٣) زيلو : معناها لحاف بالفارسية .  
(٤) السلوك : جمع جمع لسلكة ، وهي الحيط الذي يخاط به الثوب (٥) المشاح : (٦) القباء :  
نوب يلبس فوق الثياب (٧) أتميز : أتقطع (٨) الزعنفة : الطائفة من القبيلة تنفرد أو تنضم  
إلى غيرها ، وكل جماعة ليس أصلهم واحدًا .

بطرفه ، ويشير إلى مكانى بيده ، ويوقظه من سِنَّةٍ جهلِهِ ؛ وهو يَأبَى إلا اِزْوَرَاراً  
ونفَاراً ، وجرياً على شاكلةٍ خُلِقَ المشكلة .

ثم رأى أن يثني رأسه إلى<sup>١</sup> ؛ فوالله ما زادنى على أن قال : أى شيء خبرك ؟  
قلت : أنا بخير ، لولا ما جنيتُ على نفسى من قَصْدِكَ ، وكَلَّفْتُ قَدَمِيَّ فى المصير  
إلى مثلك ؛ ثم تحدّرتُ عليه تحدّرتُ السيلِ إلى القَرَارِ ، وقلتُ له : أَيْنَ لى -  
عافاك الله - عمَّ تيهك وخيلاؤك وعُجْبُك ؟ وما الذى يوجبُ ما أنتَ عليه من  
التجبرِ والتنمر<sup>(١)</sup> ؟ أنسبَ فرَعَتَ سماءِ المجدِ به ! أم علمٌ أصبحتَ علماً يقعُ الإيماءُ  
إليك فيه ! هل أنتَ إلا وتَدْبُقُ بَقَاعَ<sup>(٢)</sup> فى شرِّ البقاع ؟ وجفَاءً<sup>(٣)</sup> سيلٍ دَفَاعٍ !  
يا لله ! استنَّتِ النِصَالُ حتى القرعى<sup>(٤)</sup> ؛ وإنى لأسمعُ جَمْعَةً<sup>(٥)</sup> ولا  
أرى طِحْنًا .

فامتدحَ لونه عند سماعِ كلامى ، وعَصِبَ<sup>(٦)</sup> ريقه ، وجَحَظَتْ عيناه ، وسُطِطَ  
فى يده ، وجمل يلينُ فى الاعتذار لينا ، كاد يَمُطِفُ عليه عِظْفَ صَفْحِي عنه .  
ثم قلت : يا هذا ؛ إن جاءك رجلٌ شريفٌ فى نسبه تجاهلتَ نسبه ، أو عظيمٌ  
فى أدبه صغرتَ أدبه ، أو مُتَقَدِّمٌ عند سلطانِهِ لم تَعْرِفْ موضعه ؛ فهل العِزُّ تُرَاثٌ  
لك دون غيرك ؟ كلا والله ؛ لكنك مددتَ الكِبَرَ سِتْرًا على نَقْصِكَ وضربتهُ  
رِوَاقًا دون جَهْلِكَ .

فعاد إلى الاعتذار ، وأخذتِ الجماعةُ فى تليينِ جانبى ، والرغبةِ إلىّ فى قبولِ

(١) التنمر : التشبه بالتمر ، والتمر لا يلقى إلا متكرراً غضبان (٢) القاع : أرض سهلة مطمئنة  
(٣) ما فاه السيل من الزبد (٤) مثل يضرب للرجل يدخل نفسه فى قوم ليس منهم ، والقرعى  
من الفصال : التى أصابها قرع ، وهو يتر ، والاستنان : النشاط (٥) مثل يضرب للذى يكثر  
الكلام ولا يعمل ، وللذى يمد ولا ينى ، والجمعة : صوت الرحن ونحوها ، والطحن : الدقيق -  
(٦) عصب : جف .

عُذره ، واعتماد مَيَّاسِرَتِهِ ، وأنا آبَى إِلا اسْتِشْرَاءً<sup>(١)</sup> واجترأ ، وهو يُوَكِّدُ الأقسام ويواصلها أنه لم يعرفني ؛ فأقول له : يا هذا ؛ ألم يُسْتَأْذَنَ لِي عَلَيْكَ بِاسْمِي وَنَسْبِي ! أما في هذه العصابة مِنْ يَمْرُوكَ بِي لوكنتَ جَهْلِيَنِي ! وهَبْ ذَلِكَ كَذَلِكَ ؛ ألم تَرِنِي مُمْتَطِيًا بَغْلَةً رَائِعَةً يعلوها مَرَكَبٌ ثَقِيلٌ ، وبين يَدَيَّ عِدَّةٌ مِنَ الفلمان ؟ أما شاهدتَ لِبَاسِي ؟ أما شممتَ نَشْرَ عَطْرِي ؟ أما رَاعَكَ شَيْءٌ مِنْ أَمْرِي أَمَيَّرُ بِهِ فِي نَفْسِكَ عَنْ غَيْرِي ؟ وهو في أثناء ما أَكَلَهُ يقول : خَفَضَ عَلَيْكَ ، ارفُقْ ، اسْتَأْنِ<sup>(٢)</sup> ؛ فَأَصْحَبَ<sup>(٣)</sup> جانبي بعضَ الإصحابِ ، ولانَ شِمَاسِي<sup>(٤)</sup> بعضَ اللَّيَّانِ ؛ وأقبلَ عَلَيَّ ، وأقبلتُ عَلَيْهِ ساعة .

ثم قلت : أشياء تَمْتَلِجُ فِي صَدْرِي مِنْ شِعْرِكَ أَحَبُّ أَنْ أَرَا جَمْعَكَ فِيهَا ، قال : وما هي ؟ قلت : خَبَّرْتَنِي عَنْ قَوْلِكَ :

فإن كان بعضُ الناسِ سِيفًا لدولةٍ      ففي الناسِ بوقاتُ لها وطُبولُ  
أهكذا يمدحُ الملوكُ ! وعن قولك :

ولا مَنْ فِي جَنَازِهَا تِجَارَةٌ      يكونُ وداعها نَفْضُ النِّعَالِ  
أهكذا تُؤَيِّنُ أخواتُ الملوكِ<sup>(٥)</sup> ! والله لو كان هذا في أدنى عبيدها لكان قبيحًا .

وأخبرني عن قولك :

خَفَّ اللهُ وَاسْتُرَتْ ذَا الجِمالِ بِبُرُوعٍ      فإن لُحْتَ ذَابَتْ فِي الخُدُورِ العِواتِقُ<sup>(٦)</sup>

(١) استشراء : لاجئة وعنادا (٢) استأن : لا تعجل (٣) أصحب جانبي : انقاد  
(٤) شماسي : امتناعي وإبائي (٥) المعروف أن هذا البيت من قصيدة المتنبي في رثاء والده سيف الدولة وأولها :  
نعد المشرفية والمرالى      وتقتلنا المنون بلا قتال  
(٦) العواتق ، جمع عاتقة : الجارية أول ما أدركت ، والخدور : الستور .

أهكذا تنسبُ بالحبوبين ! وعن قولك :

وإذا أشار محدثاً فكانه قَرْدٌ يُقَهِّفه أو عجوزٌ تَلْطِمُ

أما كان لك في أفانين الهجاء التي تصرفت فيها الشعراء مندوحةً عن هذا

الكلام الرذّل الذي ينفّر عنه كلُّ طبع ، وبمجه كلُّ سمع ! وعن قولك :

وضاقت الأرضُ حتى كانَ هاربُهُم إذا رأى غيرَ شيءٍ ظنه رَجُلاً

أفتعلمُ مرثياً يتناولُه النظرُ لا يقعُ عليه اسمُ شيءٍ ! وما أراك نظرت إلا إلى

قول جرير :

مازلتَ تحسبُ كلَّ شيءٍ بدمهمُ خَيْلاً تَكُرُّ عليهمُ ورجالاً

فأحلتَ المعنى عن جهته ، وعبرتَ عنه بغيرِ عبارته ؛ وعن قولك :

أليس عجيباً أنَّ وصفك مُعْجِزٌ وأنَّ ظنونى فى معاليك بَطْلَعُ<sup>(١)</sup>

فاستمرت الظلّع لظنونك ، وهى استعارةٌ قبيحةٌ ! وتعجبتَ من غيرِ متعجبٍ ،

لأنَّ من أعجزَ وصفه لم يُسْتَنَكِرْ قصورُ الظنون وتخيُّرها فى معاليه ، وإنما قلته

وأنشدته من قول أبى تمام :

ترقتُ مناهُ طودَ عِزِّ لو ارتقتُ به الريحُ فقرأ<sup>(٢)</sup> لا نثنتَ وهى ظالمُ

وعن قولك تمدحُ كافتوراً :

فإن نلتُ ما أمّلتُ منك فربما شربتُ بماءِ يُعْجِزُ الطيرَ ورْدُهُ

إنها مدحٌ أو ذمٌ ! قال : مدح ! قلت : إنك جعلتهُ بخيلاً لا يوصلُك إلى خيرِه

من جهته ، وشبّهتَ نفسك فى وصولك إلى ما وصلتَ إليه منه بشرِ بك من ماءِ

يُعْجِزُ الطيرَ ورْدُهُ لبعده وترابى موضعه .

(١) الظلّع : الغمز فى المشى (٢) الفتر : ما بين طرف الإبهام وطرف المشيرة .

وأخبرني أيضا عن قولك في صفة كلبٍ وظبي :

وصارَ ما في جلدهِ في المرَجَلِ فلم يَضِرْنَا معه فَقَدْ الأَجْدَلُ (١)

فأى شيء أعجبك من هذا الوصف؟ أعضوية عبارته؟ أم لطف معناه؟ أما قرات رَجَز (٢) ابن هاني وطَرَد (٣) ابن المعتز؟ أما كان هناك من المعاني التي ابتدعها هذا الشاعران وغرر المعاني التي اقتنصاها ما تتشاكل به عن بُنَيَات صدرِك هذه؟ وألا اقتصرت على ما في أرجوزتك هذه من الكلام السليم، ولم تُسِف إلى هذه الألفاظ القليلة والأوصاف المختلفة!

فأقبل علىّ، ثم قال: أين أنت من قولي:

كأن الهَام (٤) في الهيجا عيونٌ وقد طبعت سيفُك من رُقَادٍ  
وقد صُفّت الأَسِنَّة من هُمومٍ فما يخطرُن إلا في الفؤادِ

وأين أنت من قولي في صفة جيش:

في فيلقٍ (٥) من حديدٍ لورميت به صرفَ الزمانِ لما دارت دوائرُهُ  
وأين أنت من قولي:

لو تَمَقَّلُ الشجرُ التي قابلتها مدت محييةً إليك الأغصنا

وأين أنت من قولي:

---

(١) الضمير في جلده للظبي، والمرجل: القدر من النحاس، والضمير في معه للكلب، والأجدل: الصقر (٢) الرجز: ضرب من الشعر ووزنه مستعملن ست مرات (٣) الطرد: مزاولة الصيد، وهو يريد ما قيل فيه من الشعر (٤) الهام: جمع هامة، والهيجاء من أسماء الحرب، وطبع السيف: طرقة (٥) الفيلق: الجيش. وجملة من حديد لكثرة ما عليه من الدروع، وصرف الزمان: حدثانه ..

أَيَقْدَحُ<sup>(١)</sup> فِي الْخَيْمَةِ الْعُدْلُ      وَتَشْمَلُ مِنْ دَهْرَهَا يَشْمَلُ !  
وَمَا اعْتَمَدَ اللَّهُ تَقْوِيضَهَا<sup>(٢)</sup>      وَلَكِنْ أَشَارَ بِمَا تَفْعَلُ

وَفِيهَا أَصْفُ كِتَابَةٍ :

وَمَلُومَةٌ<sup>(٣)</sup> زَرَدٌ ثَوْبُهَا      وَلَكِنَّهُ بِالْقَنَا مُخْمَلُ

وَأَيْنَ أَنْتَ عَن قَوْلِي :

النَّاسُ مَا لَمْ يَرَوْكَ أَشْبَاهُ      وَالدهرُ لَفْظٌ وَأَنْتَ مَعْنَاهُ  
وَالجُودُ عَيْنٌ وَأَنْتَ نَاطِرُهَا      وَالبأسُ بَاعٌ وَأَنْتَ يُمْنَاهُ

أَمَا يُبْلِيهِكَ إِحْسَانِي فِي هَذِهِ عَن إِسَاءَتِي فِي تِلْكَ !

قلت : ما أعرفُ لك إِحْسَانًا فِي جَمِيعِ مَا ذَكَرْتَهُ ؛ إِنَّمَا أَنْتَ سَارِقٌ مُتَّبِعٌ ،  
وَأَخَذْتُ مَقْصَرٌ ، وَفِيهَا تَقَدَّمَ مِنْ هَذِهِ الْمَعَانِي الَّتِي ابْتَكَرَهَا أَصْحَابُهَا مَنْدُوحَةٌ عَن  
التَّشَاغُلِ بِقَوْلِكَ . فَأَمَّا قَوْلِكَ :

كَأَنَّ الْهَامَ فِي الْهَيْجَا عَيُونٌ      وَقَدْ طُبِعَتْ سَيُوفُكَ مِنْ رُقَادٍ

فَهُوَ مَنقُولٌ مِنْ بَيْتِ مَنْصُورِ التَّمِيمِيِّ :

فَكَأَنَّهَا وَقَعُ الْخُطَامُ بِهَايِهِ      خَدَرَ الْمَنِيَّةِ أَوْ نَعَاسُ الْهَاجِعِ

وَأَمَّا قَوْلِكَ :

فِي فَيْلَقِيٍّ مِنْ حَدِيدٍ لَوْ رَمَيْتَ بِهِ      صَرَفَ الزَّمَانَ لِمَا دَارَتْ دَوَائِرُهُ

فَنَقْلَتَهُ نَقْلًا لَمْ تُحْسِنْ فِيهِ ، مِنْ قَوْلِ النَّاجِمِ :

(١) ضربت خيمة لسيف الدولة فسقطت من ريع هبت (٢) تقويضها : هدمها ، واعتمد  
الأمر : قصدته (٣) ملومة : مجموعة مضمونة . والمخمل : ما جعل له خل ، وهو هذب التظيفة ونحوها .

ولى فى حامدٍ أَمَلٌ بِمَيْدٍ      ومدحٌ قد مدحتُ به طريفُ  
مدحٌ لو مدحتُ به الليالى      لما دارتُ علىٰ لها صروفُ

والناجمُ إنما نظمه من قول أرسطَ أليس ، قد تكلمت بكلام لو مدحتُ به الدهر  
لما دارتُ علىٰ صروفه :  
وأما قولك :

لو تعقلُ الشجرُ التى قابلتها      مدتُ محييةً إليك الأغصنا  
فهذا معنى متداول ، تساجلته <sup>(١)</sup> الشعراء ، وأكثرت فيه ؛ فمن ذلك قول  
الفرزدق :

يكاد يُمسِكُه عرفان راحته      ركنُ الحطيم إذا ماجاء يستلمُ  
ثم تكرَّرَ فى أفواه الشعراء ، إلى أن قال أبو تمام :  
لو سعت بقعةٌ لإعظامٍ أخرى      لَسَعَىٰ نحوها المكانُ الجديبُ  
وأخذهُ البحترىُّ فقال :

لو أنْ مُشتاقًا تكلفَ فوق ما      فى وسعِهِ لمشىٰ إليك المنبرُ  
وأما قولك :

وما اعتمد الله تقويصها      ولكنْ أشار بما تفعلُ  
فقد نظرت فيه إلى قول رجلٍ مدح بعض الأسماء بالموصل ، وقد كان عزم على  
السَّيرِ فاندق لَوَاؤُهُ ، فقال :

ما كان مُندقَ اللواء لريبةٍ      تُخشى ولا أمرٍ يكون مزبلاً <sup>(٢)</sup>

(١) تساجلته : تبارت فيه (٢) زبله : فرقه .

لَكُنْ لَأَنَّ الْعُودَ ضَعْفَ مَتْنَهُ صِفَرُ الْوَلَايَةِ فَاسْتَقَلَّ الْمُؤَصِّلَا  
وَأَمَّا قَوْلُكَ :

وملومة زردة ثوبها ولكنه بالقنا محمل  
فمن قول أبي نواس .

أَمَامَ خَيْسٍ<sup>(١)</sup> أَرْجُوَانٍ كَأَنَّهُ قَيْصٌ مَحْوُوكٌ مِنْ قَنَاءٍ وَجِيَادٍ<sup>(٢)</sup>  
وَأَمَّا قَوْلُكَ :

الناس مالم يروك أشباهه والدهر لفظ وأنت ممنابه  
فمن قول علي بن نصر بن بسام في عبيد الله بن سليمان يرثيه :

قد استوى الناس ومات الكمال وصاح صرف الدهر : أين الرجال !  
هذا أبو القاسم في نفسه قوموا انظروا كيف نزول الجبال !

فقوله : « قد استوى الناس ومات الكمال » هو قولك : « الناس مالم يروك

أشباهه » .

فقال بعض الحاضرين : ما أحسن قوله ! « قوموا وانظروا كيف نزول الجبال ! »

فقال أبو الطيب : اسكت ؛ ما فيه من حسن ، ألم يسرقه من قول

الناطقة الذيباني :

يقولون حسن ثم تأبى نفوسهم وكيف بحسن الجبال جنوحا

قال الحاتمي : قلت : قد سرقه الناطقة من أوس حين قال :

ألم تكسف الشمس شمسها ر والبدر للقمر الواجب<sup>(٣)</sup>

لقد فضالة لا يستوي إلا قومود ولا خلة الذهب  
ثم قلت : والله لئن كان أخذه فقد أحسن ، وأخفى الأخذ .

فقال الرجل : أجل ، فقال المنبي : يا محسد ؛ خذ بيده ، وأخرجه - يريد  
بمحسد ابنه - فراجعه إلى أن ترآكه ، ثم قلت له : وأما قولك : « والدهر لفظ  
وأنت معناه » فنقول من قول الأخطل - إن كان البيت له - في عبد الملك بن مروان :

وإن أمير المؤمنين وفعله لكالدهر ، لا عار بما فعل الدهر  
وقد قال جرير :

أنا الدهر يفنى الموت والدهر خالد  
لجئني بمثل الدهر شيئاً تطاوله  
حين قال له الفرزدق :

فإني أنا الموت الذي هو نازل  
بنفسك فانظر كيف أنت تحاوله  
أفترى أن جريراً أخذ قوله : « يفنى الموت » من أحد ؟ وأن أحداً شمركه  
في إفناء الموت ؟ ففكر طويلاً ، ثم قال : لا ! قلت : بلى ، عمران بن حطان  
حيث يقول :

لن يعجز الموت شياً دون خالقه  
والموت فإن إذا ما ناله الأجل  
وكل كروب أمام الموت متضع  
بالموت والموت فيما بعده مجل  
فأمات الموت ، وأحياه ، وما سبقه إلى ذلك أحد .

ثم قلت له : أترى أن البيت المتقدم ، الذي يقول فيه :

وإن أمير المؤمنين وفعله لكالدهر لا عار بما فعل الدهر  
مأخوذ من أحد ؟ فأطرق هنيهة ، ثم قال : وما تصنع بهذا ؟ قلت : يستدل

على موضعك ، ومواضع أمثالك من سرقة الشعر ! فقال : الله المستعان ؛ أساء سمعاً  
خاساء إجابة ! ما أردتُ ما ذهبتَ إليه . قلت : فإنه أخذه من قول النابغة ، وهو  
أول من ابتكره :

وَعَيَّرْتَنِي بِنُو ذُبْيَانَ خَشِيَّتَهُ      وما على بآن أخشاك من عار  
ثم أخذه أبو تمام فأحسنَ بقوله :

خسعوا لَصَوْلَتِكَ التي هي فيهمُ      كالموتِ يأتي ليس فيه يُعَارُ  
قال : ومنَ أبو تمام ؟ قلت : الذي سرقتَ شِعْرَهُ ، فأشددته . قال : هذه  
خلائقُ السُّفَهَاءِ ، لا خلائقُ العلماء . قلت : أجل ، أنت سفهتَ رأبي ولم يكنْ  
سفيهاً ، ألسنتُ القائل :

ذِي الْمَعَالِي فَلْيُفْلِحُونَ مَنْ تَعَالَى      هكذا هكذا وإلا فلا لا  
شرفٌ ينطحُ الثريا بِرَوْقِهِ      <sup>(١)</sup> وَفَرٌّ يُقَلِّقُ الْأَجْبَالَ  
قال : بلى ، قلت : فإنَّكَ أَخَذْتَ الْبَيْتَ الْأَوَّلَ مِنْ بَيْتِ بَكْرِ بْنِ النَّطَّاحِ :  
يَتَلَقَّى النَّدَى بِوَجْهِ حَيٍّ      وَصُدُورَ الْقَنَا بِوَجْهِ وَقَاحِ  
هكذا هكذا تكونُ المعالي      طُرُقُ الْجِدِّ غَيْرُ طُرُقِ الْمَزَاحِ  
وأخذتَ الْبَيْتَ فَأَشَدَّتَهُ مِنْ قَوْلِ أَبِي تَمَامٍ :

هَمَّةٌ تَنْطَحُ الثُّرَيَّا وَجَدُّ      آفِئَةٌ لِلْحَضِيضِ فَهَوَ حَضِيضُ  
قال : وبأى شيء أفسدته ؟ قلت : بأن جملتَ للشرف قرناً . قال : وأتى لك  
بذلك ؛ قلت : ألم تقل : ينطحُ السماء بِرَوْقِهِ ، والروقان : القرنان ؟ قال : أجل !  
إنما هي استعارة . قلت : نعم ، هي استعارة خبيثة .

(١) الروتان : القرنان .

قال : أقسمتُ غيرُ مُخْرَجٍ في قسَمي إني لم أقرأ شعراً قطُّ لأبي تمامكم هذا !  
قلت : هذه سوءةٌ لو سترتها كان أولى ! قال : السوءةُ قراءةُ شعرٍ مثله ؛  
أليس هو القائلُ :

خَشُنْتُ عَلَيْهِ أختَ بني خَشِينِ وَأُنَجِّحَ فِيكَ قولُ العاذِلِينَ  
والذي يقول :

لمعري ، لقد حرَّرتُ يومَ لَمِيقتهُ لو انَّ القضاءَ وحده لم يُبرِّدِ  
والذي يقول :

تَكَادُ عطاياهُ يَجْنُ جُنُونُهَا إذا لم يُعوِّذها<sup>(١)</sup> بِنِعْمَةِ طَالِبِ  
والذي يقول :

تَسْمَعُونَ ألقاً كَأَسَادِ الشَّرَى<sup>(٢)</sup> نَضِجَتْ أعمارُهم قبلَ نَضِجِ التينِ والعنَبِ  
والذي يقول :

ولِي ولم يَظَلِّمْ وهل ظَلَمَ امرؤُ حثَّ النَّجَاءَ<sup>(٣)</sup> وخَلَفَهُ التَّنِينُ  
والذي يقول :

كانوا رِداءَ زمانِهِم فتصدَّعوا فكأنما لَبَسَ الزمانُ الصوفاً  
والذي يقول :

أقول قَرُحانٍ مِنَ البينِ لم يُصِبْ رَسِيسَ<sup>(٤)</sup> الهوى بين الحشا والترايبِ  
ما قَرُحانُ البينِ ؟ أحرَمَ اللهُ لِسَانَهُ ! فأحفظني<sup>(٥)</sup> ذلك وقلت : يا هذا ؛ مِنْ

---

(١) يموزما : يحفظها (٢) الشرى : مأسدة جانب الفرات يضرب بها المثل (٣) النجاء :  
السرعة في المشي (٤) رسيس الهوى : بيبته وأثره (٥) فأحفظني : فأغضبني .

أَدَلَّ الدَّلِيلِ عَلَى أَنَّكَ قَرَأْتَ شِعْرَ هَذَا الرَّجُلِ تَتَّبِعُكَ مَسَاوِيهِ ؛ فَهَلْ فِي الدَّلَالَةِ عَلَى  
اخْتِلَاقِكَ إِسْكَارَهُ أَوْضَحُ مِمَّا ذَكَرْتَهُ ؟ وَهَلْ يَصِمُ أَبَا تَمَامٍ أَوْ يَسْمُهُ بِمِيسَمِ  
النَّقِيصَةِ مَا عَدَدْتَهُ مِنْ سَقَطَاتِهِ ، وَتَحْوَنَتَيْهِ <sup>(١)</sup> مِنْ أَيْبَاتِهِ ، وَهُوَ الَّذِي يَقُولُ فِي  
النُّونِيَّةِ :

نَوَالِكُ رَدِّ حُسَادَى فُلُولًا وَأُصْلَحَ بَيْنَ أَيْبَايَ وَيُنِي  
فَهَلَّا اغْتَفَرْتَ الْأَوَّلَ لِهَذَا الْبَيْتِ الَّذِي لَا يَسْتَطِيعُ أَحَدٌ أَنْ يَأْتِيَ بِمِثْلِهِ !  
وَأَمَّا قَوْلُهُ :

تَسْمَعُونَ أَلْفًا كَأَسَادِ الشَّرَى نَضِجَتْ أَعْمَارُهُمْ قَبْلَ نَضِجِ التَّيْنِ وَالْعَنْبِ <sup>(٢)</sup>  
فَلِهَذَا الْبَيْتِ خَبِيرٌ لَوْ اسْتَفْرَيْتَ صُحُفَهُ لِأَقْصَرْتَ عَمَّا تَنَاوَلْتَهُ بِالطَّعْنِ فِيهِ .  
ثُمَّ قَصَصْتُ الْخَبَرَ ، وَقُلْتُ : فِي هَذِهِ الْقَصِيدَةِ مَا لَا يَسْتَطِيعُ أَحَدٌ مِنْ مُتَقَدِّمِي  
الشُّعْرَاءِ وَأَمْرَاءِ الْكَلَامِ وَأَرْبَابِ الصَّنَاعَةِ أَنْ يَأْتِيَ بِمِثْلِهِ .

قَالَ : وَمَا هُوَ ؟ قُلْتُ : لَوْ قَالَ قَائِلٌ : إِنْ أَحَدًا لَمْ يَبْتَدِئْ بِأَوْجَزٍ وَلَا أَحْسَنَ  
وَلَا أَخْصَرَ مِنْ قَوْلِهِ :

السِّيفُ أَصْدَقُ أَنْبَاءٍ مِنَ الْكُتُبِ فِي حَدِّهِ الْحَدُّ بَيْنَ الْجِدِّ وَاللَّعِبِ  
لَمَّا عُنْفَ فِي ذَلِكَ ، وَفِيهَا يَقُولُ :

---

(١) تحوته : تنقصته (٢) أى أن جيش العدو كان تسعين ألفاً حل أجلهم قبل أن ينضج  
التين والعنب ، وفي هذا تهكم بالمنجمين والبيت من قصيدته التي ابتدأها بقوله :  
السيفُ أصدقُ أنباءٍ من الكتبِ في حده الحد بين الجد واللعب  
وقد حكوا أن المنجمين كانوا حنقوا المتصم فتح عمورية في هذا الأوان ، وقالوا : إنا نجد في  
الكتب أنها لا تفتح إلا في وقت نضج التين والعنب فلم يسمع المتصم لقولهم ، وسار بجيشه  
فتفتحها .

رمى بك الله بُرْجِيهَا فَهَدَمَهَا      ولورمى بك غيرُ الله لم يُصِبْ  
وفيها يقول :

فَتَمَحُّ تَفْتَحُ أَبْوَابُ السَّمَاءِ لَهُ      وتبرزُ الأرضُ في أبوابها القُشْبِ  
وفيها يقول :

يَكْرَهُنَّ مَا افْتَرَعَتْهَا كَفَّ حَادِثَةٍ      ولا تَرَقَّتْ إِلَيْهَا هَمَةُ الثُّوبِ  
وفيها يقول :

غَادَرَتْ فِيهَا بِهِمَ اللَّيْلِ وَهُوَ ضُحَى      يشلُّه (١) وَسَطَهَا صُبْحٌ مِنَ اللَّهَبِ  
حتى كأن جلايب الدُّجَى رَغَبَتْ      عن لونها ، وكانَ الشمس لم تَقِبْ  
وفيها يقول :

أَجْنَبْتَهُ (٢) مَمْلِنًا بِالسَّيْفِ مُنْصَلِتًا      ولو أَجَبْتَ بغيرِ السَّيْفِ لم تجب  
وأما قوله :

أقول لقرحانٍ من البين . . . فإنه يريد رجلاً لم يَقْطَعَهُ أَحِبَابُهُ ، ولم يَبِينُوا  
عنه قبل ذلك ، إذا كانت حاله كذلك كان موقعُ البين أشدَّ عليه ، وأفت في  
عضده ، والأصلُ في هذا : أن القُرْحَانَ الذي لم يُجَدِّرْ (٣) قط ، وقد  
قال جرير :

\* وكنْتُ من زَفَرَاتِ البينِ قُرْحَانًا \*

وفي هذه القصيدة من المعاني الرائعة ، والتشبيهات الواقعة ، والاستعارات

(١) يشله : يطرده ، يقول : إن الليل المظلم صار نهراً باشتعال النيران التي كانت تطارد الظلام

(٢) المراد صوت المرأة التي استغاثت به (٣) يجدر : يصب بالجدرى .

البارعة ما يفتنرُ معه هذا البيتُ وأمثاله . على أنا أبتنا عن صحة معناه وعن أمثاله ،  
فن ذلك :

إذا العيسُ لاقَتْ بي أبا دُلْفٍ فقد      تقطَّعَ ما بيني وبينَ النَّوَابِ  
يرى أقبِحَ الأشياءِ أُوْبَةَ آمِلٍ      كَسَبَهُ يَدُ المَأْمُولِ حُلَّةَ خَائِبِ  
وأحسنُ من نَوْرِ يَفْتِجُهُ النَّسْدَى      يياضُ العطايا في سَوَادِ المَطالِبِ  
ولو كان يَفْنَى الشعرُ أفناه ما قَرَّتْ<sup>(١)</sup>      حياضُك منه في العصورِ النَّواهِبِ  
ولكنه فيضُ المَقُولِ إذا انجَلَّتْ      سحائبُ جُودٍ أُعْجِبَتْ بِسحائبِ

فبهه ما أوردته وقصرَ عنانِ عبارته ، وحبسَ بُنياتِ صدره ، وعقلَ عن  
الإجابة لسانه ، وكاد يشغبُ<sup>(٢)</sup> لولا ما تخوفهُ من عاقبةِ شغبِهِ ، وما عرفهُ من  
مكانى فى تلك الأيام ، وأن ذلك لا يتمُّ له ، فإزاد على أن قال : قد أكرتَ فى  
أبى تمامٍ ، لا قدسَ اللهَ أبا تمامٍ وذويه ا

قلت : ولا قدسَ السارقَ منه والواقعَ فيه ا ثم قلت له : ما الفرقُ فى كلام  
العرب بين التقديسِ والقدّاسِ والقدّاسِ والقادسِ ؟ فقال : وأىَ شىءٍ غرضُك فى  
هذا ؟ فقلت : المذاكرة . فقال : بل المهارة<sup>(٣)</sup> ا ثم قال : التقديسُ : التطهيرُ فى  
كلامِ العرب ؛ ولذلك سُمِّيَ القُدُسُ قُدُسا ، لأنه يشتمل على الذى به الطهور ، وكل  
هذه الأحرفُ تزول إليه .

قلت : ما أحسبك أنمتَ النظرَ فى شىءٍ من علومِ العرب ، ولو تقدّمتُ  
منك مطالعةٌ لما ا استجزرتَ أن تجمعَ بين معانى هذه الكلمات مع تباينها ،

(١) ماقرت : ماجمت (٢) يشغب : يهيج العر (٣) المهارة : المسابة بالبيع من القول .

وذلك لأن «القدّاس» بتشديد الدال : حجرٌ يُلقَى في البئر يُعَلِّمُ به غزارةٌ ما بها من قَلْبِهِ ، حكى ذلك ابنُ الأعرابي . والقدّاس ، الجمانُ ، حكى ذلك الخليل ، و « القادس » : السفينة ، قال الشاعر يصف ناقه :

وَتَهْفُو بِهَادٍ لَهَا مُتَلِيعٍ <sup>(١)</sup> كَمَا اقْتَحَمَ الْقَادِسَ الْأَزْدَمُونَ <sup>(٢)</sup>

فلما علوته بالكلام قال : يا هذا ، مسلمةٌ إليك اللغمة . قلت : وكيف تسلّمها ، وأنت أبو عذرها <sup>(٣)</sup> وأولى الناس بالتحقّق بها والتوشّع في اشتقاقها ، والكلام على أفانينها ! وما أحدٌ أولى بأن يُسأل عن لغتِه منك . فشرّعت الجماعة الحاضرة في إعفائه وقبولِ عذره ، والتواطؤِ <sup>(٤)</sup> له ، وقال كلٌّ منهم : أنت أولى بالراجعة واللياسرة لمثل هذا الرجل من كل أحد .

وكنتُ قد بلغتُ شفاءَ نفسي ، وعلمتُ أن الزيادة على الحدّ الذي اتهمتُ إليه ضربٌ من البغْي لا أراه في مذهبي ، ورأيت له حقّ القَدَمَةِ <sup>(٥)</sup> في صناعته ، فطأطأت له كَتْفِي ، واستأنفتُ جَمِيلاً من وصفه ، ونهضتُ .

فنهض لي مشيماً إلى الباب ، حتى ركبت ، وأقسمتُ عليه أن يمودَ إلى مكانه ، وتشاغلتُ بقية يومٍ بشغلٍ عن لي ، تأخرتُ معه عن حضرةِ المهلب ، وانتهى إليه الخبرُ ، وأتتني رسلةٌ ليلاً ، فأتبته ، فأخبرتهُ بالقصة ؛ فكان من سروره وابتهاجه بما جرى ما بعثه على مباركةٍ مُعزِّ الدَوْلَةِ ، قائلاً له : أعلمتَ ما كان من فلان والمعنبي ؟ قال : نعم ، قد شَفَى منه صُدُورنا !

(١) من أتلع فلان : مد عنقه متطاولاً (٢) الأزدمون . جمع أزدم : وهو الملاح الماخق  
(٣) أبو عذرها : يريد محمد سيبلها (٤) أي موافقته (٥) القدمة : التميم .

١٣٦ — نقد شعر امرئ القيس \*

وصل إلى حَضْرَةِ سيف الدولة رجل من أهل بغداد ، وَكَانَ يَنْقُرُ<sup>(١)</sup> العلماء والشعراء بما لم يَدْفَعُهُ . وَلَا يَنْكُرُهُ الْوَهْمُ .  
فَلَقَاهُ سَيْفُ الدَّوْلَةِ بِالْمِيزَانِ ، وَأَعْجَبَ بِهِ إِعْجَابًا شَدِيدًا ، فَقَالَ يَوْمًا : أَخْطَأَ لِهَرْمُ الْقَيْسِ فِي قَوْلِهِ :

كَأَنِّي لَمْ أَزْكَبْ جَوَادًا لِلذَّةِ      وَلَمْ أُتَبَطِّنْ كَاعِبًا<sup>(٢)</sup> ذَاتَ خَلْخَالِ  
وَلَمْ أُسَبِّأْ<sup>(٣)</sup> الزُّقَّ<sup>(٤)</sup> الرَّوِيَّ<sup>(٥)</sup> وَلَمْ أَقْلِ      خَلِيلِي كَرْمِي كَرَّةً بَعْدَ إِجْفَالِ<sup>(٦)</sup>  
وهذا معدول عن وجهه ، وَلَا شَكَّ فِيهِ .

فقيل : وكيف ذلك ؟ إنما سبيله أن يقول :

كَأَنِّي لَمْ أَرْكَبْ جَوَادًا وَلَمْ أَقْلِ      خَلِيلِي كَرْمِي كَرَّةً بَعْدَ إِجْفَالِ  
وَلَمْ أُسَبِّأْ الزُّقَّ الرَّوِيَّ لِلذَّةِ      وَلَمْ أُتَبَطِّنْ كَاعِبًا ذَاتَ خَلْخَالِ  
فيقترن ذكر الخيل بما يشاكلها في البيت كله ، ويقترن ذكر الشراب واللهاو بالنساء ، ويكون قوله : « للذة » في الشراب أطبع منه في الركوب .

فبُهِتَ الْحَاضِرُونَ ، وَاهْتَزَّ سَيْفُ الدَّوْلَةِ ، وَقَالَ : هَذَا التَّهْدِيُّ وَحَقُّ أَبِي !  
فَقَالَ لَهُ بَعْضُ الْحَاضِرِينَ مِنَ الْعُلَمَاءِ : أَنْتَ أَخْطَأْتَ وَطَعَنْتَ فِي الْقُرْآنِ إِنْ كُنْتَ تَعَمَّدْتَ .

\* ذيل زهر الآداب : ٢٥٩ .

(١) قر الرجل : عابه (٢) الكاعب : من نهد ندياما (٣) سبأ الخمر : شراها  
(٤) الزق : السقاء (٥) الروي : المروي (٦) أجفل : أسرع وذهب .

فقال سيف الدولة : وكيف ذلك ؟ فقال : قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ لَكَ أَلَّا  
تَجْمُوعَ فِيهَا وَلَا تَمْرَى ، وَأَنَّكَ لَا تَنْظُمُ فِيهَا وَلَا تَضْحَى ﴾ ، وعلى قياسه يجب أن  
يكون : وإن لك أَلَّا تجموع فيها ولا تظماً ، ولا تمرى فيها ولا تضحى ! وإنما عطفه  
بامرؤ القيس بالواو التي لا توجب تعقيماً ، ولا ترتبُ ترتيباً <sup>(١)</sup> .  
فجبل وانقطع !

---

(١) روى مثل هذا عن النبي مع سيف الدولة إذ أنشده قصيدته التي مطلعها :  
على قدر أهل العزم تأتي العزائم      وتأتي على قدر الكرام المكارم  
إلى أن قال :

وقفت وما في الموت شك لواقف      كأنك في جفن الردى وهو نائم  
تمر بك الأبطال كلهم مزعجة      ووجهك وضاح وثورك باسم  
فأنكر عليه سيف الدولة تطبيق عجزيهما على صدريهما ، وقال : ينبغي أن تطبق عجز الثاني على  
الأول ، وعجز الأول على الثاني ، وأنت في ذلك مثل امرئ القيس في قوله :  
كأنى لم أركب . . . . . الخ

فقال له أبو الطيب : أدام الله عز مولانا ! إن صح أن الذى استدرك هذا على شعر امرئ القيس  
أعلم منه بالشعر فقد أخطأ امرؤ القيس ، وأخطأت أنا ، ومولانا يعرف أن البراز لا يعرف الثوب  
معرفة الحائك . . . . . وإنما قرن امرؤ القيس لذة النساء بلذة الركوب للصيد ، وقرن الساحة في  
شراء الحر للأضياف بالشجاعة في منازلة الأعداء ، وأنا لما ذكرت الموت في أول البيت أتبعته  
بذكر الردى ليجانسه ، ولما كان وجه المهزم لا يخلو من أن يكون عبوساً ، وعينه من أن تكون  
باكية قلت : « ووجهك وضاح » ؛ لأجمع بين الأضداد في المعنى . فأعجب سيف الدولة ووصله  
بخمسة دنانير .

١٣٥ — لا وَصَلَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ ابْنُ مَعْمَرٍ \*

قال الرياشي: اشتري بصرى جارية على أرفع ماتكون من الجمال والصباحة، فكلف بها - وكان مؤثرياً - فأنفق عليها ما في يده حتى أملك<sup>(١)</sup>؛ فأشارت عليه ببيعها شفقة عليه .

فلما حَضَرَ بها السوق أُخِذَتْ إِلَى ابْنِ مَعْمَرٍ - وكان عاملاً على البصرة - فأشترها بمائة ألف درهم ، فلما قبض المال ومَّ بالانصراف أنشدت :

هنيئاً لك المالُ الذي قد حويته      ولم يبق في كَفِّيْ غَيْرُ التذَكُّرِ  
أقولُ لنفسي وهيَ في غَشِي كُرْبَةٍ      أَقَلُّ فَقَدْ بَانَ الحَيْبُ أَوْ اكْتَرَى  
إذا لم يكن للأمرِ عندي حيلةٌ      ولم تجدى شيئاً سوى الصَّبْرِ فاصْبِرِي  
فاشْتَدَّ بَكَاءُ مولاها ، وأنشد :

فلولا قعودُ الدهرِ بي عنكِ لم يكنْ      يفرقنا شيءٌ سوى الموتِ فاصْبِرِي  
أرواحُ بهمٍ في الفوائدِ مبرِّج      أناجى به قلباً طويلَ التفكُّرِ  
عليك سلامٌ لا زيارةَ بيننا      ولا واصلَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ ابْنُ مَعْمَرٍ

فقال ابن معمر: قد شئت ، خذها ولك المال ، فاندمر فاشدين ، فوالله

لا كنتُ سيباً لفرقة محبين !

\* تزيين الأسواق : ١٣١

(١) أملك : افتقر .

١٣٦ - الشعر بضاعة تجدى \*

قال إبراهيم السويقي مولى المهالبة : تتابعت على سنون ضيقة ، وألح على الصمُر وكثرة العيال وقلة ذات اليد ؛ وكنت مُشْتَهراً بالشعر أقصدُ به الإخوان وأهل الأقدار وغيرهم ، حتى جفاني كلُّ صديق ؛ وملني من كنت أقصدُه ، فأضرتني ذلك جدا .

فبينما أنا جالس مع امرأتى في يوم شديد البرد ، إذ قالت : يا هذا ؛ قد طال علينا الفقرُ ، وأضرت بنا الجهد<sup>(١)</sup> ، وقد بقيت في بيتي كأنك زمن<sup>(٢)</sup> ؛ هذا مع كثرة الولد ؛ فأخرج عنى واكفني نفسك ، ودعنى مع هؤلاء الصبيان ، أقوم بهم مرّة ، وأقعدُ بهم أخرى ؛ ثم ألتح على في الخصومة ، وقالت : يا مشنوم تعلمت صناعة لا تجدى عليك شيئاً .

قال : فضجرتُ منها ومن قولها ، وخرجتُ على وجهى في ذلك البرد والريح ، وليس على إلا فروٌ خلق ، ليس فوقه دثار ، ولا تحته شعار ، وعلى عنفى إزار ، لو قد جاءت ريح شديدة ذهبت به من بلاه وكثرة رقاعه ؛ فخرجتُ متحيراً لا أدرى أين أقصد ، ولا حيث أذهب .

فبينما أنا أجيل الفكرة إذ أخذتني سماءٍ بقطرٍ متدارك ، فدفعت<sup>(٣)</sup> إلى دار

\* المقد الفريد : ٤ -

(١) الجهد : المشقة (٢) الزمن : المبتلى (٣) دفعت إلى مكان كذا : انتهت إليه .

على بابها رَوْشَنٌ<sup>(١)</sup> مُطَلٌّ ، ودكان<sup>(٢)</sup> لطيف ، وليس عليه أحد ، فقلت : أَسْتَجِرُّ  
بالرَوْشَنِ إلى أن يسكن المطر .

فقصدت قَصَدَ الدار فإذا بجارية قاعدة ، قد جلست على باب الدار كالحافظة  
عليه ، فقالت لي : إليك يا شيخُ عن بابنا ، فقلت : أنا - ويحك ! لستُ بسائلٌ ،  
ولا أنا ممن تُتَخَوَّفُ نَاحِيَتَهُ . فجلست على الدُّكَّانِ ، فلما سكنتُ نفسي سمعت  
نعمة رخيمة من وراء الباب تدلُّ على نعمة امرأة فأصغيتُ ، فإذا بكلام يدلُّ على  
عتاب ، ثم سمعت نعمة أخرى مثل ذلك وهي تقول : فعلتِ وفعلتِ ، والأخرى  
تقول : بل أنت فعلتِ وفعلتِ ، إلى أن قالت إحداها : أنا - جعلتُ فداك - إن  
كنتُ أسأتُ فاغفري ، واحفظي بيتين لمولانا إبراهيم السويقي ، فقالت الأخرى :  
وما قال ؟ فإنه يبلغني عنه أشعارٌ ظريفة ، فأشدتها تقول :

هيني يا مَعْدُوبَتِي أسأتُ وبالهِجْرَانِ قبلِكُمْ بدأتُ  
فأين الفضلُ منك ، فدَتَكِ نفسي على إذا أسأتِ كما أسأتُ !  
فقلت : ظَرُفٌ والله وأحسن .

قال إبراهيم : فلما سمعتُ ذكري ، وذكر مولانا ، علتُ أنهما من بمض نساء  
المهالبة ، فلم أتمالك أن دفعت الباب ، وهجمتُ عليهما فصاحتا : وراءك يا شيخ عتَا  
حتى تستر . وتوهمتا أني من أهل الدار ، فقلت لهما : جعلتُ فداكما لا تحشما  
مني ، فإني أنا إبراهيم السويقي ، ثم قلت لإحداها : بحق حرمتي إلا شفقتني فيها ،  
ووهبت لي ذنبها ، واسمعي مني ، فأنا الذي أقول :

(١) الروشن : الرف ، والمراد الظلة (٢) الدكان : الدكة المبنية للجلوس عليها .

خذى بيدي من الحزن<sup>(١)</sup> الطويل فقد يعفو الخليل عن الخليل

فقال: قد فعلتُ، وصفحتُ عن زلتها؛ ثم قالت: يا أبا إسحاق؛ مالي أراك بهذه الهيئة الرثة، والبرّة الخلق<sup>(٢)</sup>! فقلت: يا مولائي، تعدى على الدهر، ولم ينصفني الزمان، وجفاني الإخوان، وكسدت بضاعتي، فقالت: عزّ على ذلك! وأومات إلى الأخرى، فضربت بيدها على كعها، فسلت دُمُجًا<sup>(٣)</sup> من ساعدها، ثم نثت باليد الأخرى فسلت منها دُمُجًا آخر، فقالت: يا أبا إسحاق؛ خذ هذا، واقعد على الباب مكانك وانتظر الجارية حتى تأتيك، ثم قالت: يا جارية، سكن المطر؟ قالت: نعم، فقامتا.

وخرجت وقعدت مكاني، فما شعرت إلا والجارية قد وافت بمديل فيه خمسة أثواب، وصرّة فيها ألف درهم، وقالت: تقول لك مولائي: أنفق هذه فإذا احتجت فصرّ إلينا حتى نزيدك إن شاء الله.

فأخذت ذلك ووثمت، وقلت في نفسي: إن ذهبت بالدُمُجيين إلى امرأتي قالت: هذا لبنائي وكأثرتي<sup>(٤)</sup> عليهما، فدخلت السوق، فبعتهما بخمسين ديناراً، وأقبلت.

فلما فتحت الباب صاحت امرأتي وقالت: قد جئت أيضاً بشوئمك، فطرحت الدنانير والدرهم بين يديها والثياب، فقالت: من أين لك هذا؟ قلت: من الذي تشاءمت به، وزعمت أنه بضاعتي التي لا تجدي، فقالت: قد كانت عندي في غاية الشؤم، وهي اليوم في غاية البركة!

(١) الحزن: ضد السرور (٢) يستوى فيه المذكر والمؤنث (٣) الدمج: ما على الساعد من الحلى (٤) كآثره: غلبه بالكثرة.

١٣٧ — حديث جويرية\*

قال متم العبدى : خرجتُ من مكة زائراً قبر النبي صلى الله عليه وسلم  
فإني لبسوق الجحفة<sup>(١)</sup> إذا جويرية<sup>(٢)</sup> نسوق بعيراً ، وتترنم بصوتٍ مَلِيحٍ طيِّبٍ  
حُلُو في هذا الشعر :

ألا أيُّها البيتُ الذي حِيلَ دونه      بنا أنت من بيتٍ وأهلك من أهل  
بنا أنت من بيتٍ وحولك لذة      وظلك لَوْ يسطاع بالبارد السَّهلِ  
ثلاثة آياتٍ : فبيتٌ أجيبُهُ ،      وبيتان لِنِساءٍ من هَوَاىَ ولا شكلي  
فقلت : لمن هذا الشعر يا جويرية ؟ قالت : أما ترى تلك الكوة الموقاة  
بالكلَّة<sup>(٣)</sup> الجراء ! قلت : أراها ، قالت : من هناك نهض هذا الشعر ؛ قلت :  
أو قائله في الأحياء ؟ قالت : هيهات ! لو أن لميت أن يرجع لطول غيبته لكان ذلك ؛  
فأعجبتني فصاحة لسانها ، ورقَّة ألفاظها : فقلت لها : ألك أبوان ؟ فقالت : فقَدْتُ  
خيرَهما وأجملَهما . ولى أم ، قلت : وأين أمُّك ؟ قالت : منك بمرأى ومَسْمَع .  
فنظرتُ فإذا امرأة تَبِيعُ الحَرَزَّ على ظهر الطريق بالجحفة ، فأتيتها فقلت :  
يا أمَّاه ، استمعى منى ، فقالت لها : يا أمه ، فاستمعى من عمى ما يلقىه إليك ،  
فقلت : حيَّاك الله اِهيه ، هل من خَبَرٍ ؟ قلت : أهذه ابنتك ؟ قالت :  
كذا كان يقول أبوها ، قلت : أقزوجينها لى ؟ قالت : أعلَّة رغبتَ فيها ! والله  
ما عندها جمال ولا لها مال ، قلت : لحلاوة لسانها ، وحسن عَقْلِها ، فقالت :

\* الأغانى : ٢٠ - ٦

(١) الجحفة : قرية على اتنين وعمانين ميلاً من مكة (٢) جويرية : تصغير جارية (٣) الكلة :  
الستر الرقيق .

أيتنا أملكُ بها ، أنا أم هي بنفسها ؟ قلت : بل هي بنفسها . قالت : فإيتاها فخطب ، قلت : لعلها أن تستحي من الجواب في مثل هذا ! فقالت : ما ذاك عندها ، أنا أخبرُ بها . فقلت : يا جارية ، أما تستمعين ما تقول أمك ؟ قالت : قد سمعت . قلت : فما عندك ؟ قالت : أو ليس حسبك أن قلت : إني أستحي من الجواب في مثل هذا ؟ فإن كنت أستحي من شيء فلم أفعله ؟ أتريد أن يكون سلطانك على ؟ لا والله ، لا يشدّ على رجل حواء<sup>(١)</sup> وأنا أجد مذقة<sup>(٢)</sup> لبن أو بقلّة ألين بها معاً .

فورد علىّ والله أعجبُ كلام على وجه الأرض ، قلت : أنزوّجك والإذن فيه إليك ؛ وأعطى الله عهداً ألا أصدر في أمرك شيئاً إلا عن إرادتك ، قالت : إذن والله لا تكون لي في هذا إرادةٌ أبداً ولا بعد الأبد إن كان بعده بعد ! قلت : فقد رضيت بذلك ، وتزوجتها وحمّلتها وأمها معي إلى العراق . وأقامت معي حتى فارقت الدنيا .

(١) الحواء اسم المكان الذي يحوى الشيء ويحميه (٢) مذق اللب : خلطه ، والمذقة : الطائفة

من اللب المذوق .

١٣٨ — أحلف وأنا في هذه السن \* ١

باع مَزِيدَ المَدِينِي دَابَّةً ، فلما كان من الغد أتاه النخاسون <sup>(١)</sup> طمعاً ، فلما نظر إليهم قد أقبلوا نحوه قام يصلي ، فأطال الصلاة ، فقالوا له ؛ وهُمُ لا يعرفونه : يا عبدَ الله ؛ قد ذهب يؤمنا - وأطمعهم طولُ قيامه ، وكان أحسنَ الناس سَمْتًا ، وأظهرهم هَدْيًا - فانتقل <sup>(٢)</sup> عن صَلَاتِهِ ، وقال : ما بالكم ؟ قد قطعتم عليَّ صَلَاتِي !

فقالوا له : قد ظهر بالدابة عيب ، قال : وما عيبه <sup>(٣)</sup> ؟ قالوا : يخلع الرِّسَن <sup>(٤)</sup> ! قال : لا أعرفه بهذه الصفة ؛ فماذا تريدون ؟ قالوا : خصلة من ثلاث : إما الحَظِيطة <sup>(٥)</sup> ، وإما رُدُّ الثمن وأخذ الدابة ، وإما اليمين بالله إنك ما تعرف هذا فيه .

فقال : أما الثمنُ فقد فرقناه ، وأما الحَظِيطةُ فما تمكِّنتنا ، وأما اليمينُ فإني ما حلفت قطُّ على حقٍّ ولا على باطلٍ ؛ فأغفوني منها ، فإنها أصعبُ الخَطَطِ <sup>(٦)</sup> عندي . قالوا : ما من ذلك بدِّ ؛ فانطلقوا بنا إلى الوالي .

فقام معهم ، فلما بصر به الوالي ضحك ، وقال : ما جاء بك يا أبا إسحاق؟ فقصَّ عليه القصة ، فقال : قد أنصفك القوم : فقال : أعزَّ الله الأمير ، أحلف وأنا في هذه السن

\* ذيل زهر الآداب : ١٥٧

(١) النخاس : بائع الدواب (٢) انتقل عن صلاته : انصرف (٣) الدابة تقع على المذكر أيضاً (٤) الرسن : الحبل ، وما كان من زمام على أنف (٥) الحَظِيطة : ما يحيط من الثمن (٦) الحطة : الطريقة .

السن ا وضرب يده على لحيته وبكى ! وقال : ما حلفتُ على حقٍ ولا على باطل والتوى <sup>(١)</sup> .

قال : لا بد ! فالتوى ساعة ، ثم قال ، أصلح الله الأمير ؛ فإن حملتُ نفسى على اليمين وحلفتُ وأَعْتَتُونِي <sup>(٢)</sup> بعد ! قال : أُوجِعُهُمْ ضرباً وأَجْبِسُهُمْ !  
فلما سمع ذلك استقبل القبلة ، وأقسم بأعظ الأيمان . وقال : لقد كان عندي دواب كلها تَخْلَعُ أَرْسَانَهَا ، فكان الحمار يقوم فيعيدها عليها ، ويصلحها بضمه قليلاً قليلاً ؛ فضحك الوالى حتى فَحَصَ الأرض برجليه ، وبُهِتَ الناخسون وعجبوا منه ؛  
وانصرفوا عنه !

---

(١) التوى : تناقل ولم يفعل (٢) الإعنت : تكايف غير الطاعة .

١٣٩ - ضربتان \*

تزوج رجل امرأة جديدة على امرأة قديمة ، فكانت جارية الجديدة تمر على بيت القديمة ، فتقول :

وما يستوى الرجلان رجلٌ صحيحه وأخرى رى فيها الزمان فشلتِ  
ثم تعود فتقول :

وما يستوى الثوبان ثوبٌ به البلى وثوبٌ بأيدى البائعين جديد  
فمرت جارية القديمة على باب الجديدة يوماً وقالت :

نقل فؤادك ما استطعت من الهوى ما الحبُّ إلا للحيب الأول  
كم منزلٍ فى الأرض يألفه الفتى وحينئذٍ أبدأ لأول منزلٍ أ

١٤٠ — من كذب الأعراب \*

تكاذب أعرابيان ؛ فقال أحدهما : خرجت مرة على فرس لي ، فإذا بظلمة شديدة فيمتمتها<sup>(١)</sup> حتى وصلت إليها ، فإذا قطعة من الليل لم تنتبه<sup>(٢)</sup> ، فما زلتُ أجمل بفرسي عليها حتى أنبتها ؛ فأنجابت<sup>(٣)</sup> .

فقال الآخر : لقد رميتُ ظبياً مرةً بسهمٍ ، فعدل الظبيُ يمتنه ، فعدل السهمُ خَلَفَهُ فتياسر<sup>(٤)</sup> الظبيُ ، فتياسر السهمُ خَلَفَهُ ، ثم علا ، فعلا السهم خلفه ، وانحدر فانحدر خلفه ، حتى أخذه !

\* الكامل : ١ - ٣٥٧

(١) قصدها (٢) لم تدبظ (٣) انجابت : انكسفت (٤) تياسر : سار يساراً .

## ١٤١ - قَسَمَ فَأَحْسَنَ الْقِسْمَةَ\*

حدَّثَ أَعْرَابِيٌّ أَنَّهُ نَزَلَ بِالْبَصْرَةِ قَالَ : قَدِمَ أَعْرَابِيٌّ مِنَ الْبَادِيَةِ ، فَأَنْزَلَتْهُ وَكَانَ عِنْدِي دَجَاجٌ كَثِيرٌ ، وَوَلِي امْرَأً ، وَابْنَانِ وَابْنَتَانِ مِنْهَا ، فَقُلْتُ لِامْرَأَتِي : بَادِرِي وَاشْوِي لَنَا دَجَاجَةً وَقَدِّمِيهَا إِلَيْنَا نَتَغَدَّى .

فَلَمَّا حَضَرَ الْعَدَاءُ جَلَسْنَا جَمِيعًا أَنَا وَامْرَأَتِي وَابْنَايَ وَابْنَتَايَ وَالْأَعْرَابِيَّ فَدَفَعْنَا إِلَيْهِ الدَّجَاجَةَ ، وَقُلْنَا لَهُ : اقْسِمِي بَيْنَنَا - نُرِيدُ أَنْ نَضْحَكَ مِنْهُ - فَقَالَ : لَا أَحْسِنُ الْقِسْمَةَ ؛ فَإِنْ رَضِيْتُمْ بِقِسْمَتِي بَيْنَكُمْ ، قُلْنَا : فَإِنَّا نَرْضَى ، فَأَخَذَ رَأْسَ الدَّجَاجَةَ فَقَطَعَهَا فَنَاقَلْنَاهُ ، وَقَالَ : الرَّأْسُ لِلرَّأْسِ - وَقَطَعَ الْجَنَاحَيْنِ - وَقَالَ : الْجَنَاحَانِ لِلْإِبْنَيْنِ - ثُمَّ قَطَعَ السَّاقَيْنِ - فَقَالَ : السَّاقَانِ لِلْإِبْنَتَيْنِ ، ثُمَّ قَطَعَ الزِّمِكِيَّ<sup>(١)</sup> وَقَالَ : الْعَجْزُ لِلْعَجُوزِ ؛ وَقَالَ : الزُّورُ لِلزَّائِرِ ، وَأَخَذَ الدَّجَاجَةَ بِأَسْرِهَا وَسَخَّرَ بِنَا .

فَلَمَّا كَانَ مِنَ الْعَدِّ قُلْتُ لِامْرَأَتِي : اشْوِي لَنَا خَمْسَ دَجَاجَاتٍ ، فَلَمَّا حَضَرَ الْعَدَاءُ قُلْتُ : اقْسِمِي بَيْنَنَا . قَالَ : إِنِّي أَظُنُّ أَنَّكُمْ وَجَدْتُمْ<sup>(٢)</sup> فِي أَنْفُسِكُمْ ، قُلْنَا : لَا ، لَمْ نَجِدْ فِي أَنْفُسِنَا ؛ فَاقْسِمِي ! قَالَ : اقْسِمِي شَقْمًا أَوْ وَتْرًا<sup>(٣)</sup> ؟ قُلْنَا : اقْسِمِي وَتْرًا ، قَالَ : أَنْتِ وَامْرَأَتُكَ وَدَجَاجَةٌ ثَلَاثَةٌ ، وَرُمِي إِلَيْنَا بِدَجَاجَةٍ ، ثُمَّ قَالَ : وَابْنَاكَ وَدَجَاجَةٌ ثَلَاثَةٌ ، وَرُمِي إِلَيْهِمَا بِدَجَاجَةٍ ، ثُمَّ قَالَ : وَابْنَتَاكَ وَدَجَاجَةٌ ثَلَاثَةٌ ، وَرُمِي إِلَيْهِمَا بِدَجَاجَةٍ ، ثُمَّ قَالَ : أَنَا وَدَجَاجَتَانِ ثَلَاثَةٌ ، وَأَخَذَ دَجَاجَتَيْنِ ، وَسَخَّرَ بِنَا !

\* نهاية الأرب : ١ - ١٧ ، الحيوان : ٢ - ١٣٠

(١) الزمكي : ذنب الطائر (٢) وجد : جرن (٣) الوتر : الفرد ، والشفع ضده .

ثم رأنا ونحن ننظر إلى دجاجتيه ؛ فقال : ما تنظرون ؟ لعلكم كرهتم قسمة  
الوتر ، لا يجيء إلا هكذا ؛ فهل لكم في قسمة للشنع ؟ قلنا : نعم ؛ فضمن إليه  
ثم قال : أنت وابنك ودجاجة أربعة ، ورمى إلينا بدجاجة ، ثم قال : والمجوز  
وابنتها ودجاجة أربعة ، ورمى إليهن بدجاجة ، ثم قال : أنا وثلاث دجاجات  
أربعة ، وضم إليه الثلاث ، ورفع يديه إلى السماء وقال : اللهم لك الحمد أنت  
فهمتنيها !

١٤٢ — زهد وأدب \*

قال محدث : قصدت منزل ابن بَكَّار المرواني في أُشْبُونَةَ (١) ونفرت الباب، فزادى : مَنْ هذا ؟ فقلت : رجلٌ ممن يتوسلُ لرؤياك بقَرَابَةِ ، فقال : لا قرابةَ إلا بالتَّقَى ؛ فإن كنتَ من أهله فادخل ، وإلا فتنحَ عني .

فقلت : أرجو في الاجتماع بك والاعتباسِ منك أن أكون من أهل التَّقَى ، فقال : ادخلْ ، فدخلت عليه ، فإذا به في مُصَلَّاه ، وَسُبْحَةَ أَمامه ، وهو يعدُّ حُجُوبها ويسبح ، فقال لي : أمهلي حتى أتمَ وظيفتي من هذا التسبيح ، ثم أفضى حَتَّكَ ؛ ففعدت إلى أن فرغ .

فلما قضى شغله عطف عليّ ، وقال : ما القرابة التي بيني وبينك ؟ فانتسبت له فعرف أبي ، وترحم عليه ، وقال لي : لقد كان نِعَمَ الرجل ، وكان لديه أدبٌ ومعرفة ، فهل لديك أنتَ مما كان لديه شيءٌ ؟ فقلت له : إنه كان يأخذني بالقراءة وتعلّم الأدب ، وقد تعلقتُ من ذلك بما أتميزُ به ، فقال لي : هل تنظم شيئاً ؟ قلت : نعم ! وقد أُلجأتني الدهر إلى أن أرتزقَ به . فقال : يا ولدي ، إنه بشما يُرتزقُ به ، ونعم ما يَتَحَلَّى به إذا كان على غير هذا الوجه ، ولكن تَحِلُّ المَيْتَةُ عند الضرورة ! فأنشدني - أصلحك الله - مما على ذِكرك من شعرك .

\* فتح الطيب : ٢ : ١١٢

(١) أُشْبُونَةُ : بلد بالمغرب .

فطلبتُ بخاطري شيئاً أقابله به مما يوافق حاله ، فواقع لي إلا فيما لا يوافقه من مجون ووصف خمر وما أشبه ذلك . فأطرقتُ قليلاً ، فقال : لعلك تنظم ! فقلتُ : لا ، ولكنني أفكرُ فيما أقابلكُ به ، فتقولني أكثره فيما حملني عليه الصبا والشحف ، وهو غيرُ لائقٍ بمجلسك .

فقال : أنشدني ما وقع لك غير متكلف ، فلم يمدني خاطري إلا بشعر أئجُن<sup>(١)</sup> فيه ، فقال : أما كان في نظمك أظهرُ من هذا ؟ فقلت له : ما وُفِّقتُ لغيره<sup>(٢)</sup> ، فقال : لا بأسَ عليك ، فأنشدني غيره ، ففكرت إلى أن أنشدته قولي :

ولما وفتتُ على رَبِّهمْ	تجرَّعتُ وَجدي بالأجرع <sup>(٣)</sup>
وأرسلَ دَمي شِرَارَ الدُموع	لنارٍ تَأججُ في الأضلع
فقام عدولي لَمَـارأى	بكأني وَقفاً على الأدمع
فقلت له : هذه سنَّة	لمن حفظ العهد في الأزرع <sup>(٤)</sup>

فرايت الشيخ قد اختلط ، وجعل يحى ويذهب ؛ ثم أفاق ، وقال : أعدتُ بحقَّ آبائك الكرام . فأعدتُ فأعاد ما كان فيه ، وجعل يردد . فقلت له : لو علمتُ أن هذا يجرِّكك ما أنشدتُك إياه ، فقال : وهل حرَّك مني إلا خيراً وعِظَةً ! يا بُني ؛ إن هذه القلوب الخلالة لله كالأوراق التي جفت ، وهي مستعدةٌ لهبوبِ الرياح ، فإن هبَّ عليها أقلُّ ریح لعب بها كيف شاء ، وصادف منها طوعه .

(١) من باب قعد : هزل .

(٢) راجع هذا الشعر في صفحة ١١٢ من الجزء الثاني من فتح الطيب ، وقد حذفناه لما فيه من

المجون (٣) الأجرع : الأرض ذات المزونة تشاكل الرمل (٤) الأربع ، جمع ربيع : الدار بعينها .

فأهيجني مزعه ، وتأنستُ به ، ولم أر عنده ما يُعتَادُ من هؤلاء المتدينين  
من الانكماش ؛ بل ما زال يحدثني بأخبارٍ فيها هزلٌ ، ويذكر لي من تاريخ بني  
أمية وملوكها ما أرتاحُ له ، ولا أعلم أكثره .

فلما كثرتْ تأتسي به ، أهويتُ إلى يده كي أقبلها ، فضمها بسرعة ، وقال :  
ما شأنك ؟ قلت : أرغب في أن تنشدني شيئاً من نظمك ؛ فقال : أما نظمي في  
زمان الصبا فكان له وقتٌ ذهب ، ويجب للنظم أن يذهبَ معه ، وأما نظمي في  
هذا الوقت فهو فيما أنا بسبيله ؛ وهو يتقل عليك ، قلت له : إن أنصفَ سيدي  
أنشدني من نظم صباه ، ومن نظم شيخوخته ، فيأخذُ كلانا بحظه . فضحك ، وقال :  
ما أعصيك وأنت ضيفٌ ، ولك حرمةُ أدب ، ووسيلةُ قصد ، ثم أنشدني وقد بدا  
عليه الخشوع وخفتته العترة :

ثم بالذي سواك من	عدمٍ فإبك من عدمٍ
وانظر لنفسك قبل قرء	ع السن من قرط الندم
واحذر- وقيت- من الوري	واضحهم أعمى أصم
قد كنتُ في تيهٍ إلى	أن لاح لي أهدي علم
فاقتدتُ نحو ضيائه	حتى خرجتُ من الظلم
لكن قناديلُ المسوى	في نور رشدي كالحجم <sup>(١)</sup>

فو الله لقد أذكرني فوق ما أذكرُك ، وغلب على خاطري بما سمعت من هذه  
الآيات ، وفعلتُ بي من الموعظة غاية لم أجد منها التخلص إلا بعد حين ، فقال لي  
الشيخ : إن هذه يقظة يرجى معها خيرك ، والله مرشدك ومتقذك ، ثم قال لي :

(١) اللحم : الرمان والضم ، وكل ما احترق من النار .

يَابِتِي ؛ هَذَا مَا نَحْنُ بِسَبِيلِهِ الْآنَ ، فَاسْمَعِ مَا قَلْتَهُ فَيَا مَضَى ، وَاللَّهِ وَلِيُّ الْمَغْفِرَةِ ،  
وَأَشَدُّ :

أَطَلَّ عِدَارًا عَلَى خَدِّهِ فَظَنُوا سُؤْيَىَ عَنِ مَذْهَبِ  
وَقَالُوا : غَرَابُ لَوْشِكِ النَّوَى قُلْتُ : اكَتَسَى الْبَدْرُ بِالْفَيْهَبِ (١)  
وَنَادَيْتُ قَلْبِي : أَيْنَ الْمَسِيرُ وَبَدْرُ الدُّجَى حَلَّ بِالْمَقْرَبِ (٢)  
فَقَالَ : وَلَوْ رُمْتَ عَن حَبِّهِ رَحِيلاً عَصِيَّتَ وَلَمْ أَذْهَبِ

فسمعت منه ما يقصر عنه صدور الشعراء ، وشهدت له بالتقدم ، وقلت له :  
لم أر أحسن من نظمك في جدِّ ولا هزل . ثم قلت له : أرويه عنك ؟ فقال : نعم ؛  
ما أرى فيه بأساً بعد اطلاع من يعلم السرار على ما في الضمائر ، فقلت له : فاز  
أصبحت على النعمة بزيادة شيء من هذا الفن فملت ما تملك به قلبي آخر الدهر .  
فقال يابتي ؛ لا مَلَكَ قلبك غير حبِّ الله تعالى ، ثم قال : ولا أجمع عليك ردَّ قول  
ومنعاً ، ثم أشد :

أَيُّهَا الشَادِنُ الَّذِي حُسْنُهُ فِي الْوَرَى غَرِيبُ  
لِحْظُ ذَاكَ الْجَمَالِ يُطَا فِي مَا بِي مِنَ الْهَيْبِ  
وَعَلَيْهِ أَحُومُ دَهْ رِي وَلَكِنِّي أَخِيْبُ  
كَلَّمَارُمْتُ زَوْرَةَ قَيْضِ اللَّهِ لِي رَقِيبُ

فما زَجَّ قلبي من الرقة واللطافة لهذا الشعر ما أعجزُ عن التعبير عنه ، فقلت له :  
زدني زادك الله خيراً ، فأنشدني :

مَا كَانَ قَلْبِي يَدْرِي قَدْرَ حُبِّكُمْ حَتَّى بَعْدْتُمْ فَلَمْ يَقْدِرْ عَلَى الْجَلْدِ

(١) الفيهب : الطامة (٢) المقرب : برج في السماء

وكنت أحسب أنى لا أضيف به ذرعاً فما حان حتى فت في عضدى  
ثم استمرت على كره مَرِيرَتُهُ<sup>(١)</sup> فكاد يفرق بين الروح والجسد  
صاكن أن تلافوا باللقا رَمَقِي فليس لى مهجة تقوى على الكمد

ثم قال : حسبك ، وإن كلفتنى زيادة ، فإله حسبك ، فقلت له : قد وكلفتنى  
إلى كريم غفور ، فبالله إلا مازدتنى ؛ وأكبت لأقبل رجليه ، فضمهما وأنشدنى  
شعراً رقيقاً ؛ ملاً سمى مجائب ، وبسط أنسى ، وكتبت كل ما أنشدنى ، ثم قلت  
له : لولا خوفى من التثقيب عليك لم أزل أستدعى منك الإنشاد حتى لا تجرد  
ما تنشده . فقال : إن عدت إلى هنا تذكرت وأنشدتك ، فما عندى مما أضيفك به  
غير ما سمعته وما تراه .

ثم قام وجاء من بيت آخر فى داره بصحفة فيها حساً<sup>(٢)</sup> من دقيق وكسور  
باردة ، فجعل يفت فيها ، ثم أشار إلى أن أشرب ، فشربت ، ثم شرب إلى أن  
أتينا على آخرها ، ثم قال : هذا غداء عمك نهاره ، وإنه لنعمة من الله تعالى ، أستديم  
بشكرها اتصالها .

فقلت له : يا عم ؛ ومن أين عيشك ؟ فقال : يا بنى ؛ عيشتى بتلك الشبكة أصطاد  
بها فى سواحل البحر ما أفتأت به ، ولى زوجة وبنت يعود من غزلها مع ذلك ما نجد  
به معونة ؛ وهذا مع العافية والاستغناء عن الناس خير كثير .

فتركته ، وفى نيتى أن أعود إلى زيارته بعد أيام خوف التثقيب ، فعدت إليه  
بعد ثلاثة أيام ، ففقرت الباب ، فكلمتني المرأة بلسان عليه أثر الحزن ، وقالت :  
إن الشيخ قد خرج إلى العزو ، وذلك بعد انفصالك عنه بيوم ، ناله كالجنون ،

(١) المريرة : القوة (٢) الحسا : الرق .

فقلت له : ما شأنك ؟ فقال : إني أريد أن أموت شهيداً وهؤلاء جيران لي قد عزموا على الغزو ، وأنا ماضٍ معهم ! ثم احتال في سيف ورمح ، وتوجه معهم ، وقال : نفسي هي التي قتلتني بهواها ، أفلا أقتصُّ منها فأقتلها ! فقلت لها : من خَلَّفَ للنظر في شأنكم ؟ فقالت : ليس ذلك لك ؛ فالذي خلفنا له لا نحتاج معه إلى غيره ، فأدركني من جوابها روعة ، وعلمتُ أنها مثله زهداً وصلاحاً .

فقلت : إني قريبه ، ويجب عليّ أن أنظرَ في حالكم بعده ؛ فقالت : يا هذا ؛ إنك لستَ بذى محرم ، ولنا من العجائز من ينظرُ لنا ، ويبيع غزُلنا ، ويتفقد أحوالنا ؛ فجزاك الله عنا خيراً . انصرف عنا مشكوراً !

فقلت لها : هذه دراهم خذوها لتستعينوا بها ، فقالت : ما اعتدنا أن نأخذ من غير الله ، وما كان لنا أن نخلَّ بالعادة .

فانصرفت نادماً على ما فاتني من الاستكثار من شعر الشيخ . ثم عدت بعد ذلك لداره سائلاً عنه ، فقالت لي المرأة : إنه قد قبله الله تعالى ؛ فعلت أنه قتل ؛ فقلت لها : أقتل ؟ فقرات : ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْواتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴾ .

فانصرفتُ معتبراً من حاله .

١٤٣ — تشابه خاطرين\*

قال ابنُ خالفر : صِرْنَا فِي بَعْضِ الْعَشَايَا عَلَى الْبَسَاتِينِ ، فَرَأَيْنَا فِيهَا بَثْرًا عَلَيْهَا  
 دَوْلَابَانَ مَتَحَازِيَانِ ، وَهِيَ يَثْنَانِ أَنْيْنَ الْأَشْوَاقِ ، وَيَفِيضَانِ مَاءً أَغْزَرَ مِنْ دَمُوعِ  
 الْعَشَّاقِ ، وَالرُّوْحُ قَدْ جَلَا لِلْأَعْيُنِ زَيْرَ جَدِّهِ ، وَالْأَصِيلُ قَدْ رَاقَهُ حَسَنُهُ ، فَفَنَرَ عَلَيْهِ  
 عَسَجَدَهُ ، وَالزَّهْرُ قَدْ نَظَّمَ جَوَاهِرَهُ فِي أَجْيَادِ الْفُصُونِ ، وَالسَّوَاقِ قَدْ أَرَاكَ مِنْ  
 سَلْسَلِ فِضَّتِيهَا كُلِّ مَصُونٍ ، وَالنَّبَاتُ قَدْ اخْضَرَ شَارِبُهُ وَعَارِضُهُ ، وَطَرَفُ النَّسِيمِ  
 قَدْ رَكُضَهُ فِي مِيَادِينِ الزَّهْرِ رَاكُضُهُ ، وَرُضَابِ الْغَيْثِ قَدْ اسْتَقَرَّ مِنَ الطَّيْنِ فِي  
 لَمَى ، وَحَيَاتِ الْمَجَارِي حَائِثَةٌ تَخَافُ مِنْ زَمْرِدِ النَّبَاتِ أَنْ يَدْرِكَهَا الْعَمَى ، وَالْبَحْرُ قَدْ  
 صَقَلَ النَّسِيمُ دِرْعَهُ ، وَزَعْفَرَانُ الْعَشَى قَدْ أَلْقَى فِي ذَيْلِ الْجَوْءِ دِرْعَهُ ؛ فَأَوْسَعَ ذَلِكَ  
 الْمَكَانَ قُلُوبَنَا اسْتِحْوَاذًا ، وَمَلَأَ أَبْصَارَنَا وَأَسْمَاعَنَا مَسْرَّةً وَالتَّذَاذَا ، وَجَلَسْنَا تَتَذَاكِرُ  
 مَا فِي تَرْكِيْبِ الدَّوَالِيْبِ مِنَ الْأَعَاجِيْبِ ، وَتَتَنَاشَدُ مَا وَصَفَتْ بِهِ مِنَ الْأَشْعَارِ الْغَالِيَةِ  
 الْأَسْعَارِ ، فَأَفْضَى بِنَا الْحَدِيثَ الَّذِي هُوَ ذُو شَجُونٍ إِلَى ذِكْرِ قَوْلِ الْأَعْمَى <sup>(١)</sup> الطَّلِيْطَلِيْ  
 فِي أَسَدٍ نَحَاسٍ يَقْذِفُ الْمَاءَ :

أَسَدٌ وَلَوْ أَنِّي أَنَا قَشَهُ الْحِسَابِ لَقَلْتُ : صَخْرَةٌ  
 فَكَأَنَّهُ أَسَدُ السَّمَاءِ يَمِيْجُ مِنْ فِيهِ الْمَجْرَةُ

\* نفع الطيب : ٢ - ٢٩٢

(١) هو أبو جعفر الأعمى الطليطلي ، وقال عنه في مطمح الأنس : له ذهن يكشف الغامض الذي يخفى ، ويعرف رسم المشكل ، وإن كان قد عفا ، . . . من ٢٨٥ من مطمح الأنس .

فقال القاضي أبو الحسن على بن المؤيد : يتولد من هذا في الدولاب معنى يأخذ بمجامع السامع ويُطربُ الرائي والسامع ؛ فتأملت ما قاله بعين بصيرتي البصيرة ، واستمددت مادة غَرَبْتِي الغزيرة ؛ فظهر لي معنى ملائني إطراباً ، وأوسعني إعجاباً ؛ وأطرق كلُّ منا ينظّم ماخاش به مدُّ محره ، وأنباه به شيطان فكره ، فلم يكن إلا كنفرة العصفور ، الخائف من الناطور<sup>(١)</sup> ، حتى كل ما أردناه من غير أن يقف واحدٌ منا على ما صنعه الآخرُ ، فكان الذي قال :

حَبِّذا ساعة العشاء والدُّو      لابُّ يُهْدِي إلى النفوسِ المسرَّة  
أذهمٌ لا يزال يعدو ولكنُّ      ليس يعدو مكانه قدر ذرَّة  
ذو عيونٍ من القوادين يبكي      كل عين من فائضِ الدَّمعِ ثرَّة  
فَلَكٌ دائرٌ يرينا نجومًا      كلُّ نَجْمٍ يُبْدِي لنا المجرَّة  
وكان الذي قلت :

ودولابٍ يئنُّ أنينَ نكلى      ولا فقداً شكاه ولا مضرَّة  
تري الأزهارَ في ضحكٍ إذا ما      بكي بدموعِ عينٍ منه ثرَّة  
حكى فلَكاً تدورُ به نجومٌ      تؤثر في سرائرنا للسرَّة  
يظلُّ النجمُ يُشرقُ بعد نجم      ويضربُ بعد ما تجرى المجرَّة  
فعجبنا من اتفاقنا ، وقضى العجبَ منه سائرُ رفاقنا .

(١) الناطور : حافظ الكرم .

١٤٤ — إنا توجـد في قـمـر البحـار الفـصـوص \*

ألف أبو العلاء صاعدٌ كتابَ الفصوص ، واتفق أن أبا العلاء دفعه - حين  
كَمَل - لـغلام له يحمله بين يديه ، وعبر النهر - نهرَ قرطبةَ - فخانَت الغلامَ رجلُهُ ؛  
فسقط في النهر هو والكتاب !

فقال في ذلك بعضُ الشعراءِ بيتاً بحضرة المنصور هو :

قد غاص في البحر كتاب الفصوصُ      وهكذا كل ثقيـلٍ يـغوصُ  
فضحك المنصور والحاضرون .

فلم يرُعْ ذلك صاعداً ، ولا هالاً ، وقال مرتجلاً مجيباً :

عاد إلى مَعْدنـه إنا      توجـد في قـمـر البحـار الفـصـوصُ !

## الباب الرابع

---

في القصص التي تؤرّخ مذكورا أيامهم وتفصّل مشهور  
وقائعهم، ومقتل كبرائهم، ونصف الحروب والمنازعات التي  
كانت تدور بين قبائلهم أخذاً بالنار، أو حماية للذمار.

[ اقتصرنا في هذا الباب على القصص الأدبي ، أما تفصيل الأيام وتاريخها فقد  
أفردنا لها كتابي « أيام العرب في الجاهلية » و « أيام العرب في الإسلام » ]

١٤٥ — كأن لم يكن بين الحجون إلى الصفا

أنيسٌ ولم يسمر بمكة سامرٌ\*

حدث بعض أهل العلم ، أن سيلاً جاء فدخل البيت فأنهدم ، فأعادته جُرمهم  
على بناء إبراهيم ، ثم استخفت جرم بحق البيت ، وارتكبوا فيه أموراً عظيماً ،  
وأحدثوا فيه أحداثاً قبيحة ، وكانت للبيت خزانة ، وهي بئر في بطنه يلتقي فيها المتاع  
الذي يهدى له ، وهو يومئذ لا سقفَ عليه ، فتواعد خمسة من جُرم أن يسرقوا  
كل ما فيها ، فقام على كل زاوية من البيت رجلٌ منهم ، واقحم الخماس ، فجعل  
الله عز وجل أعلاه أسفله ، وسقط منكساً فهلك ، وفر الأربعة الآخرون .

فلما كثر بغي جُرم بمكة قام فيهم مضاض بن عمرو فقال : يا قوم ؛ احذروا  
البغي فإنه لا بقاء لأهله ، وقد رأيتم من كان قبلكم من العالقي استخفوا بالحرم ،  
ولم يعظموه ، وتنازعوا بينهم ، واختلفوا حتى سلطكم الله عليهم فاجتحتموم ، فتفرقوا  
في البلاد ، فلا تستخفوا بحق الحرم وحرمة بيت الله ، ولا تظلموا من دخله ، وجاءه  
معظماً لحرُماته ، أو خائفاً ورغب في جواره ، فإنكم إن فعلتم ذلكم تخوفت أن  
تخرجوا منه خروج ذلٍ وصغار ، حتى لا يقدر أحدٌ منكم أن يصل إلى الحرم ، ولا  
إلى زيارة البيت الذي هو لكم حرزٌ وأمن ، والطيرُ تأمن فيه .

فقال قائل منهم : ومن الذى يُخرجنا منه ؟ ألسنا أعزّ العرب وا كثر مالا وسلاحاً ! فقال مُضاض : إذا جاء الأمر بطل ما تَدّكرون ، فقد رأيتم ما صنع الله بالماليق ... بَعَثَ فى الحرم فسَلَطَ اللهُ عليهم الذَّرَّ<sup>(١)</sup> فأخرجهم منه ، ثم رُموا بالجدب من خلفهم حتى رَدَمَ اللهُ إلى مساقط رهوسهم . ثم أرسَلَ عليهم الطوفان .

فلما رأى مُضاض بن عمرو بَنِيهم ومقامهم عليه عَمِدَ إلى كنوز الكعبة وهى غَزَالان من ذهب ، وأسياف قَلَعِيَّة<sup>(٢)</sup> فحفر لها ليلاً فى موضع زمزم ودقها .

فبيناهم على ذلك إذ سارت القبائل من أهل مَأْرِب ، وعليهم مُزَيقياء ، وهو عمرو بن عاصر ، فلما انتهوا إلى مكة وأهلها أرسل إليهم ابنته ثعلبة فقالت لهم : يا قوم ؛ إنا قد خرجنا من بلادنا ، فلم نزل بلدة إلا أنسخ أهلها لنا ، فنقيم معهم حتى نرسل رُوَاداً فيرتادوا لنا بلداً يحملنا . فانسحوا لنا فى بلادكم حتى نقيم قَدْر ما نستريح ، ورسَل رُوَاداً إلى الشام وإلى الشرق فخيماً بلننا أنه أمثل لَحِقْنَا به ، وأرجو أن يكون مقامنا معكم يسيراً .

فأبَتْ ذلك جُرْهم إباءً شديداً ؛ واستكبروا فى أنفسهم ، وقالوا : لا والله ، ما نحب أن ينزلوا فيضيقوا علينا مراتبنا ومواردنا ، فارتحلوا عنا حيث أحببتهم ، فلا حاجة لنا بجواركم .

فأرسل إليهم : أنه لا بد من المقام بهذا البلد حولاً حتى ترجع إلى رُسُلِي التى

(١) الذر : ضئيل النمل (٢) قلعية : نسبة إلى قلعة ، وهى بلد بالهند ، إليها ينسب الرصاص والسيوف .

أرسلت ، فإن أنزلتموني طَوْعًا نزلت وحدثتكم وآسيتكم<sup>(١)</sup> في الزغى والماء ، وإن أبيتُم أمت على كُرْهِكم ، ثم لم ترعوا معي إلا فضلًا ، ولا تشربوا إلا رَنَقًا<sup>(٢)</sup> ، وإن قاتلتُموني قاتلتكم ، ثم إن ظهرتُ عليكم سبيتُ النساء ، وقتلتُ الرجال ، ولم أترك منكم أحدًا ينزل الحرم أبدًا .

فَأَبَتْ جُرْمُ أَنْ تُنْزِلَهُ طَوْعًا ، وَتَهَيَّأَتْ لِقِتَالِهِ ، فَاقْتَتَلُوا ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ أَفْرَغَ عَلَيْهِمْ فِيهَا الصَّبْرَ ، وَمُنِعُوا النَّصْرَ ، ثُمَّ انْهَزِمَتْ جُرْمُ ، فَلَمْ يُقَلِّتْ مِنْهُمْ إِلَّا الشَّدِيدَ ، وَكَانَ مُضَاضُ بْنُ عَمْرٍو قَدْ اعْتَزَلَ حَرْبَهُمْ ، وَلَمْ يَعْضَمْ فِي ذَلِكَ وَقَالَ : قَدْ كَفْتُ أَحْذَرَكُمْ هَذَا .

ثم رحل هو وولده وأهل بيته حتى نزلوا قنَوِي<sup>(٣)</sup> وما حوله .

فلما حازت خُزَاعَةُ أَمْرَ مَكَّةَ ، وَصَارُوا أَهْلَهَا جَاءَهُمْ بَنُو إِسْمَاعِيلَ - وَقَدْ كَانُوا اعْتَزَلُوا حَرْبَ جُرْمٍ وَخُزَاعَةَ ، فَلَمْ يَدْخُلُوا فِي ذَلِكَ - فَسَأَلُوهُمُ الشُّكْنَى مَعَهُمْ وَحَوْلَهُمْ ، فَأَذِنُوا لَهُمْ ، فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ مُضَاضُ - وَقَدْ كَانَ أَصَابَهُ مِنَ الصَّبَابَةِ إِلَى مَكَّةَ أَمْرَ عَظِيمٍ - أَرْسَلَ إِلَى خُزَاعَةَ بِسَتَائِمِهَا ، وَمَتَّ إِلَيْهِمْ بِرَأْيِهِ وَتَوَزَّعَهُ<sup>(٤)</sup> قَوْمَهُ عَنِ الْقِتَالِ ، وَسُوءِ الْمِشْرَةِ فِي الْحَرَمِ ، وَاعْتَزَلَهُ الْحَرْبَ ، فَلَبَّتْ خُزَاعَةُ أَنْ يُقْرِئُوهُمْ وَنَفَّوهُمْ عَنِ الْحَرَمِ وَقَالُوا : مَنْ دَخَلَ مِنْهُمْ فِدْمُهُ هَدْرٌ<sup>(٥)</sup> .

فَزَعَتْ بِلَ لِمُضَاضٍ مِنْ قَنَوِي تَرِيدُ مَكَّةَ ، فَخَرَجَ فِي طَلِبِهَا حَتَّى وَجَدَهَا قَدْ دَخَلَتْ مَكَّةَ ، فَمَضَى إِلَى الْجِبَالِ نَحْوِ أُجْيَادٍ حَتَّى ظَهَرَ عَلَى أَبِي قُبَيْسٍ يَتَبَصَّرُ

(١) آسيتكم : شاركتكم  
في البحر في أوائل أرض اليمن  
فيه قود .  
(٢) الرنق : الكدر من الماء  
(٣) قنوي : واد يصب  
في البحر في أوائل أرض اليمن  
(٤) التوزيع : السكف عن الشيء  
(٥) أي باطل ليس

الإبل في بطن وادي مكة ، فأبصر الإبل تُنَحَّر وتؤكل لا سبيل له إليها ، فخاف إن هبط الوادي أن يُقتل ، فوَّلى منصرفاً إلى أهله وأنشأ يقول :

كأن لم يكن بين الحجون إلى الصفا      أنيسٌ ولم يسمر بمكةَ سامرٌ  
ولم يتربعُ واسطاً فجنوبه      إلى المنحنى من ذى الأراكه حاصرٌ  
بلى نحنُ كنفًا أهلها فأبادنا      صروفُ الليالي والجدودُ<sup>(١)</sup> العوائرُ  
وأبدلناربي بهادارَ غربةٍ      بها الذئبُ يعوى والعدوُّ المخامرُ  
أقول إذا نام الخلى ولم أتم      أذا العرش لا يبعد سهيلٌ وعامرُ<sup>(٢)</sup>  
وبدلتُ منهم أوجهًا لا أريدها      وحيدٌ قد بدلتها واليُحابرُ<sup>(٣)</sup>

\*\*\*

فهل فرج أتِ بشيء تمجبه      وهل جزع منجيك مما تحاذرُ!

(١) الجدود : المخطوط (٢) أذا العرش : أى إذا العرش (٣) يحابر : اسم قبيلة .

١٤٦ -- ألا من يشتري سَهراً بنوم \*

تفرقت حَمِيرٌ على ملكها حَسَنان ، وخالفت أَمْرَهُ ؛ لسوء سيرته فيهم ، ومآلوا إلى أخيه عمرو ، وحلوه على قَتْلِ حَسان ، وأشاروا عليه بذلك ، ورغبوه في الملك ، ووعدوه حسنَ الطاعة والمُوازرة ، فنهاه ذورُعَيْن من بين حمير عن قتل أخيه ، وعلم أنه إن قَتَلَ أخاه نَدِمَ وفَرَّ عنه النوم ، وانتَقَضَتْ عليه أموره ، وأنه سِمْأَقِبُ الذي أشار عليه بذلك ، ويعرف غِشْمَهُ له .

فلما رأى ذورُعَيْن أنه لا يقبل ذلك منه ، وخشى العواقب قال :

ألا من يشتري سَهراً بنومٍ سعيدٌ من بيتِ قريرةِ عَيْنٍ  
فإنما حميرٌ غدرت وخانتُ فعدرةُ الإلهِ لذي رُعيْنِ

ثم كتب البيتين في صحيفة ، وختم عليها بخاتم عمرو ، وقال : هذه ودبمةٌ لي عندك إلى أن أطلبها منك ؛ فأخذها عمرو ودفعها إلى خازِنه ، وأمره برفعها إلى الخزانة ، والاحتفاظ بها إلى أن يسأل عنها :

فلما قتل أخاه ، وجلس مكانه في الملك مُنِعَ منه النوم ، وسلط عليه السهر ؛ فلما اشتد ذلك عليه ، لم يدع باليمن طيبياً ولا كاهناً ، ولا مُنَجِّماً ، ولا عرافاً ولا عاتفاً ، إلا جمعهم ، ثم أخبرهم بقصته ، وشكا إليهم ما به . فقالوا له : ما قتلَ رجلٌ أخاه أو ذا رحمٍ منه على نحو ما قتلتَ أخاك إلا أصابه السهر ، ومُنِعَ منه النوم !

فلما قالوا له ذلك أقبل على مَنْ كان أشار عليه بقتل أخيه وساعده عليه من أقبال حَيْرَ ، فقتلهم وأفْنَامَ .

فلما وصل إلى ذى رَعِين قال له : أيُّها الملك ؛ إنَّ لى عندك براءة مما تريد أن تصنع بى . قال : وما براءتُك وأمانك ؟ قال : مُرْ خازِنك أن يُخرج الصحيفة التى استودعتكها يوم كذا وكذا .

فأمر خازِنه فأخرجها ، فنظر إلى خاتمه عليها ثم فضَّها ، فإذا فيها البيتان :

\* ألا من يشتري سهرأ بنوم <sup>(١)</sup> \*

ثم قال له : أيُّها الملك ؛ قد نهيتك عن قتل أخيك ، وعلتُ أنك إن فعلتَ ذلك أصابك الذى قد أصابك ، فكُتبتُ هذين البيتين براءة لى عندك مما علمتُ أنك تصنع بمن أشار عليك بقتل أخيك !  
فقبل ذلك منه وعفا عنه ، وأحْسَنَ جائزته .

---

(١) ذهب مثلا ، ويضرب لمن غمط النعمة وكره العافية .

١٤٧ — غُثْكَ خَيْرٌ مِنْ سَمِينِ غَيْرِكَ \*

كانت بين مذحج وحي من أحياء العرب حربٌ شديدة ، فرَّ مَعْنُ بن عطية المذحجي في حَمَلَةٍ حملها برجل من أعدائهم صريماً ؛ فاستغاثه وقال :  
امْنُنْ عَلَيَّ كَفَيْتَ البلاء ! فأقامه مَعْنُ ، وسار به حتى بلغ مأمنه ، ثم عطف أولئك القوم على مذحج فهزموهم وأسروا مَعْنًا وأخاه له يقال له : روق ، وكان يُصَفِّفُ وَيُحَمِّقُ (١) .

فما انصرفوا إذا صاحبُ مَعْنِ الذي نجاه أخو رئيس القوم ، فناداه  
معن وقال :

يا خَيْرَ جازٍ بِيَدِ أوليتها نَجِّ مُنْجِيكَ  
هل من جزاء عندك اليوم لمن ردَّ عواديك

فعرفه صاحبه ، فقال لأخيه : هذا المانُّ عليّ ، ومُنْقِذِي بعد ما أشرفتُ على الموت فهبته لي . فوهبه له : فخلني سبيله ، وقال : إني أحبُّ أن أضعف لك الجزاء ، فاختر أسيراً آخر ؛ فاختر مَعْنُ أخاه رَوْقًا ، ولم يلتفت إلى سيِّدِ مَذْحِجٍ وهو في الأسارى .

ثم انطلق مَعْنُ وأخوه راجعَيْنِ ، فرَّ بأسارى قومهما ، فسألوا مَعْنًا عن حال

\* بجمع الأمثال : ٢ - ٤ .

(١) حمقه : نسبه إلى الحق . وضعفه : عده ضعيفا .

سيدهم ، فأخبرهم الخبر ، فقالوا لمن : قبحك الله تدعُ سيدَ قومك وشاعرهم  
لا تفكّه ، وتفكّ أخاك هذا الأنوك<sup>(١)</sup> الفسل<sup>(٢)</sup> الرذل<sup>(٣)</sup> . فوالله مانكاً جرحاً  
ولا أعمل رجماً ، ولا ذعرَ سرحاً<sup>(٤)</sup> ؛ وإنه لقبيحُ المنظرِ سيِّئِ الخبر ، لثيم : فقال  
معن : « غنُّك خيرٌ من سمينِ غيرك<sup>(٥)</sup> » .

---

(١) الأنوك : الأحمق (٢) الفسل : الرذل الذي لا مروءة له (٣) الرذل : العون  
الحسيس . (٤) السرح : المال السأم (٥) ذهبت مثلاً .

١٤٨ — مقتل كليب \*

كان كليب<sup>(١)</sup> قد عزَّ وساد في ربيعة؛ فبغى أنفاً شديداً، وكان هو الذي ينزلهم منازلهم ويرحلهم، ولا ينزلون ولا يرحلون إلا بأمره؛ فضرب به المثل في العز؛ فقيل: أعزُّ من كليب وائل! وكان لا يجبر أحد من بكر وتغلب إلا بإذنه، ولا يجمعى حتى إلا بأمره، وكان إذا حى حى لا يقرب.

وكان لمرّة بن ذهل بن شيبان عشرة بنين، جساس أصغرهم، وكانت أختهم عند كليب.

وكان لجساس<sup>(٢)</sup> خالة تُعرف بالبسوس؛ فجاءت فزلت على ابن أختها جساس، فكانت جارة لبني مرة، ومعها ابن لها، ولها ناقة خوّارة<sup>(٣)</sup>، ومعها فصيل، فرأى كليب الناقة فأنكرها، فقال: لمن هذه؟ قالوا: لخالة جساس، قال: أو قد بلغ من أمر ابن السعدية أن يجبر على بغير إذني الزم ضرعها يا غلام، فأخذ القوس فرمى ضرع الناقة، فاختلط دمها بلبنها.

وراحت الرعاة على جساس فأخبروه بالأمر، فقال: احلبوا لها مكياتي لبن، ولا تذكروا لها من هذا شيئاً.

\* الأغاني: ٥ - ٣٤، الأمثال: ١ - ٣٤١، العقد الفريد: ٣ - ٣٤٨، نهاية الأرب:

٥ - ٢١٤، الكامل لابن الأثير: ١ - ٣١٢

(١) كليب بن ربيعة، سيد الحيين: بكر وتغلب في الجاهلية، ومن الشجمان الأبطال وقتل نحو سنة ١٣٥ ق. هـ (٢) جساس بن مرة من بني بكر بن وائل، شجاع شاعر من أمراء العرب في الجاهلية، وقتل في أواخر الحرب نحو ٨٥ ق. هـ (٣) ناقة خوّارة: رقيقة حسنة.

وسكت جتاس ثم مرّت بَكَرٍ عَلَى نَهْيٍ<sup>(١)</sup> يقال له : شَبَيْثُ ، فنفاهم كليب عنه ، وقال : لا يذوقون منه قطرة . ثم مروا على نَهْيٍ آخِرٍ يقال له : الأَحْصَى ، فنفاهم عنه ، ثم مروا على تَطْنِ الْجُرَيْبِ<sup>(٢)</sup> فننعمهم إياه ، حتى نزلوا الذَّنَابُ<sup>(٣)</sup> ، وتبعهم كليبٌ وحيه حتى نزلوا عليه

ثم مرّ عليه جتاس وهو واقف على غدير الذَّنَابِ ، فقال : طردت أهلنا عن المياه حتى كِدْتَ تَقْتُلُهُمْ عَطْشًا ! فقال كليب : ما منعمناهم من ماء إلا ونحن له شاغلون . فقال له جتاس : هذا كفعلك بناقة خالتي ! فقال له : أَوْقَدْ ذَكَرَتَهَا ! أما إني لو وجدتها في غير إبلٍ مرّةٍ لاستحلتُ تلك الإبلَ بها !

فعطف عليه جتاس فرسه ، فطعنه برُمحٍ فَأَنْفَذَ حِضْنِيهِ<sup>(٤)</sup> ، فلما تَدَاءَمَهُ<sup>(٥)</sup> الموتُ قال : يا جتاسُ ! استغنى من الماء ، قال : ما عَقَلْتَ اسدءماءك الماء منذ ولدتك أمك إلا ساعتك هذه ! ثم أمال يده بالفرس حتى انتهى إلى أهله .

فقال أخته - حين رآه - لأبيها : إن ذا جتاسُ ! أنى خارجه ركبته ، قال : والله ما خرّجت ركبته إلا لأمرٍ عظيم .

فلما جاء قال : ما وراءك يا بني ؟ قال : ورأى أتي قد طعنت طعنةً لتُشغَلَنَّ بها شيوخٌ وائلٌ زيمناً ؟ قال : أقتلت كليباً ؟ قال : نعم ! قال : ودِدْتُ أنك وإخوتك كنتم مئمّ قبل هذا ، ماى إلا أن تَتَشَاءَمَ بى أبناء وائل ! فقال جتاس :  
تاهبٌ عنك أهبة ذى امتناعٍ فَإِنَّ الأَمْرَ جَلَّ عَنِ التَّلَاحِي<sup>(٦)</sup>

(١) النهى : الغدير (٢) الجرب : واد عظيم (٣) الذناب : موضع بنجد (٤) الحضن : مادون الإبط إلى الكشح (٥) تداومه الأمر : تراكم عليه (٦) التلاحي : النازعة .

فإني قد جنيتُ عليك حرباً      تُفصِّرُ الشيخَ بالماءِ القَرَّاحِ  
فأجابه أبوه :

فإنَّ تكُّ قد جنيتَ عليَّ حرباً      فلا وانٍ ولا رثَّ السلاحِ  
سألِبسُ ثوبها وأذُبُّ عني      بها يوم المذلةِ والفضاحِ<sup>(١)</sup>

وكان هَمَّام<sup>(٢)</sup> بنُ مُرَّةَ آخى مهلهلاً<sup>(٣)</sup> وعاقده ألا يكتمه شيئاً ، فجاءت  
أمةٌ له فأسرَّت إليه قتلَ جساسِ كليباً ، فقال له مهلهل : ما قالت ؟ فلم يخبره ، فذكره  
المهد بينهما ، فقال : أخبرتني أن جساساً قُتِلَ كليباً ، فلم يصدق مهلهل الخبر .

واجتمع نساء الحى للماتم ، فقلن لأخت كليب : رحلى جلييلة - زوج كليب وأخت  
جساس - عن ماتمك ؛ فإن قيامها فيه شماتةٌ وعارٌ علينا عند العرب ، فقالت لها : يا هذه ؛  
أخرجى عن ماتمنا ؛ فأنتِ أختُ وائرنا وشقيقةُ قاتلنا . فخرجت وهي تجرُّ أعطافها ،  
فلقيها أبوها مُرَّةَ فقال : ما وراءك يا جلييلة ؟ فقالت تُكَلُّ العدد وحرزُ الأبد ،  
وفقد خليل ، وقتل أخٌ عن قليل ، وبين ذَيْنُ غَرَسُ الأحقاد ، وتفتت الأكباد .  
فقال لها : أويكفُ ذلك كرمُ الصفح وإغلاء الدِّيَّات ؟ فقالت جلييلة : أُمْنِيَّةُ  
مخدوعٍ ورب الكعبة ! أبا البُذْنِ<sup>(٤)</sup> تدعُ لك تغلبُ دمَ ربهَا ! .

ولما رحلت جلييلة قالت أخت كليب : رِحْلَةُ المعتدى ، وفراق الشامت ! ويلٌ  
غداً لآلِ مُرَّةَ ، من الكرَّةَ بعد الكرَّةَ . فبلغ قولها جلييلة ، فقالت : وكيف تَشَمَّتِ  
الحرَّةَ بهتِكِ سِتْرِهَا وتَرَفُّبِ وترها ! أسعد الله جدَّ أختي ، أفلا قالت : نفرة الحياه ،  
وخوف الاعتداء ! ثم أنشأت تقول :

(١) فضحه : كشف مساوئه ، والاسم الفضح ، وفي الاغانى : إن هذا الشعر لأخيه نضلة  
(٢) همَّام : أخو جساس (٣) مهلهل : أخو كليب (٤) المراد الإبل .

يا ابنة الأرقام إن شئتِ فلا  
فإذا أنت تبينتِ الذي  
إن تكن أختُ امرئٍ ليمتِ عليَّ  
جلٌّ عندِي فعلُ جَسَّاسٍ فيا  
فعلُ جَسَّاسٍ عليَّ وجدي به  
لو بعينٍ فُقيتُ عيني سوى  
تمحل العينُ قَدَى العينِ كما  
يا قتيلاً قَوْضَ الدهرُ به  
هدمَ البيتَ الذي استحدثته  
ورماني قتله من كُتِبِ (٢)  
يا نسائي دونكنَّ اليومَ قد  
خصني قتلاً كليبٍ بلظي  
ليس من يبكي ليومينِ كمن  
يشتهي المدركُ بالنَّارِ وفي  
ليته كان دمي فاحتلوا  
إنني قاتلةٌ مقتولةٌ

تفجَّلي باللومِ حتى تسأى  
يوجبُ اللومَ قَلومِي واعدلِي  
شفقٍ منها عَليهِ فأفعلِي  
حَسرتِي عما انجَلَّتْ أو تنجَلِي  
قَاطِعُ ظَهري ومُدنٍ أَجَلِي  
أختيها فانفقاتُ لم أحفل  
تمحل الأمُّ أَدَى ما تفتلي (١)  
سَفَّ بيتيَّ جميعاً من عَـلِ  
واثنِي في هدمِ بيتي الأولِ  
رميةً المصمى (٣) به المُستأصِلِ  
خصني الدهرُ برزءٍ مُعضلِ  
من ورائي ولظي مُستغفلي  
إمما يبكي ليومٍ ينجلي  
دركي ثأري تُكَلُّ المُشكَلِ (٤)  
بدلاً منه دما من أكلِي (٥)  
ولعلَّ الله أن يرتاحَ لي أ

(١) تفجلى : تربي  
(٢) كتب : قرب  
(٣) أصاه : قتله في مكانه (٤) المشكل :  
(٥) الأكل : عرق في الذراع يفصد .  
التي لازمها الحزن

ثم قال بنو تَغْلِبَ بعضهم لبعض : لا تَعَجَلُوا على إخوانكم حتى تُعَذِّروا<sup>(١)</sup> بَيْنَكُمْ وبينهم ، فأطلق رَهْطٌ من أشرفهم وذوى أَسنانهم حتى أتوا مُرَّةَ بن ذُهَل ، فعظَّموا ما بينهم وبينه وقالوا : اختَرْنَا مَنَّا خِصَالًا : إما أن تَدْفَعَ إلينا جَسَاسَ فَنَتَلَّه بِصَاحِبِنَا ؛ فلم يَظَلِّمْ من قتل قَاتِلَه ، وإما أن تَدْفَعَ إلينا هَمَّامًا ، وإما أن تُقَيِّدَ نَا من نَفْسِكَ .

فسكت وقد حضرته وجوهُ بنى بكر بن وائل ، فقآوا : تكلمْ غيرَ مُخَذولٍ ، فقال : أمَّا جَسَاسٌ ففلامٌ حديثُ السنِّ ركب رأسه ، فهرب حين خاف ، فلا عِلْمَ لى به ؛ وأمَّا هَمَّامٌ فأبو عَشْرَةَ ، وأخو عَشْرَةَ ، ولو دَفَعْتُهُ إليكم لصَيِّحٌ<sup>(٢)</sup> بنوه فى وجهى ، وقالوا : دَفَعْتَ أَبَانَا لِلْقَتْلِ بِجَرِيرَةِ غَيْرِهِ ؟ وأمَّا أَنَا فلا أُنَعِّجُ الموت ، وهل تَزِيدُ الخليلَ على أن تَجُولَ جَوَالَةً فَأَكُونَ أولَ قَتِيلٍ .

ولكن هل لكم فى غير ذلك ؟ هؤلاء بَنِيّ ، فدوَنَكُم أَحَدَهُم فاقْتلوه به ، وإن شِئْتُمْ فلَكُم ألف نَاقَةٍ تَضُمُّنَهَا لَكُم بَكْرُ بنِ وائِلٍ ، فغَضِبُوا وقالوا : إنا لم نَأْتِكَ لِنُرْدِلَ<sup>(٣)</sup> لنا بَنِيكَ ، ولا لتسومَنَا اللبن ؛ ففترقوا ووقعت الحرب .

(١) تعذروا : أى عملوا على ألا يكون بينكم وبينهم ما يوجب الاعتذار (٢) صييح : صاح .

(٣) لردل لابنيك : أى تعطينا رذال بنيك .

١٤٩ - الهجرس بن كليب يثأر لأبيه \*

ولدت جلييلة زوج كليب غلاماً فسمته الهجرس ، ورباه خاله جساس ، فكان لا يعرف أباً غيره ، وزوجه ابنته . فوقع بين الهجرس وبين رجل من بني بكر بن وائل كلامٌ ؛ فقال له البكري : ما أنت ممنته حتى نلحفك بأبيك ! فأمسك عنه ودخل على أمه كئيباً ، فسألته عما به ، فأخبرها الخبر .

فلما أوى إلى فراشه ، ونام إلى جنب امرأته وضع أنفه بين ثديها ، فتنفس تنفساً تنفطاً<sup>(١)</sup> ما بين ثديها من حرارتها ، فقامت الجارية فرعةً ، قد أقلتها رعدةٌ حتى دخلت على أبيها ، فقصت عليه قصة الهجرس ، فقال جساس : نائرٌ ورب الكعبة !

وبات جساسٌ على مثل الرضف<sup>(٢)</sup> حتى أصبح ، فأرسل إلى الهجرس فأتاه فقال له : إنما أنت ولدي ومتى بالمكان الذي قد علمت ، وقد زوّجتك ابنتي ، وأنت معي ، وقد كانت الحربُ في أيبك زماناً طويلاً حتى كدنا نتناو ، وقد اصطلحنا وتماجزنا ، وقد رأيتُ أن تدخلَ فيما دخل الناس فيه من الصلح ، وأن تنطلق حتى نأخذَ عليك مثل ما أخذَ علينا وعلى قومنا .

فقال الهجرس : أنا فاعل ؛ ولكنّ مثلي لا يأتي قومه إلا بلامته وفرسه ، فعمله جساس على فرسه وأعطاه لأمةً<sup>(٣)</sup> ودرعاً ، فخرجا حتى أتيا جماعةً من

\* الأغانى ٥١ - ٦١

(١) تنفط : قرح

(٢) الرضف : الحجارة التي حبت بالشمس أو النار يسخن بها اللبن ،

(٣) الأمانة : السلاح .

واحدتها رضفة

قومهما . فقصّ عليهم جسّاس ما كانوا فيه من البلاء وما صاروا إليه من العافية ،  
ثم قال : وهذا الفتى ابن أختي قد جاء ليدخلَ فيما دخلتم فيه ويَعْقِدَ ما عقدتم . فلما  
قَرَّبوا<sup>(١)</sup> الدمّ ، وقاموا إلى العَقْد أخذ المجرسُ بوسَطِ رُحْمِهِ ، ثم قال : وفرسى  
وأذُنِيهِ ، ورحمى ونَصْلِيهِ ، وسيفى وغَرَّيْنِيهِ<sup>(٢)</sup> ، لا يترك الرجل قاتل أبيه وهو  
ينظر إليه ، ثم طعن جسّاساً فقتله ، ولحق بقومه ، فكان آخز قتيل في  
بكر بن وائل .

---

(١) كان من عادة العرب أن يحضروا في جفنة طيباً أو دماً أو رماداً فيدخلوا فيه أيديهم عند  
التحالف ليم عقدهم باشتراكهم في شيء واحد . (٢) غر السيف : حده ، وكذلك غراره .

١٥٠ - قرّباً مَرِبَطُ النعمامة منى \*

لما قَتَلَ جَسَّاسُ الْبِكْرِيِّ كَلِيبًا التَّغْلَبِيَّ ، وَهَاجَتِ الْحَرْبُ بَيْنَ بَكْرِ وَتَغْلَبِ  
ابْنِي وَائِلٍ - وَهِيَ حَرْبُ الْبَسُوسِ - اعْتَزَلَهُمَا الْحَارِثُ بْنُ عَبَّادٍ <sup>(١)</sup> وَقَالَ : هَذَا أَسْرُ  
لَا نَاقَةَ لِي فِيهِ وَلَا جَمَلَ ؛ فَقَالَ سَعْدُ بْنُ مَالِكٍ مَعْرُضًا بِهِ :

يَا بُوْسَ لِلْحَرْبِ الَّتِي وَضَعْتَ <sup>(٢)</sup> أَرَاهَطَ فَاسْتَرَا حُوا  
وَالْحَرْبُ لَا يَسْتَقِي لِحَا جِهَا <sup>(٣)</sup> التَّخْيِيلُ وَالْمِرَاحُ  
إِلَّا الْفَتَى الصَّبَّارُ فِي النَّجْدَاتِ وَالْفَرَسُ الْوَفَّاحُ <sup>(٤)</sup>  
يُنْسُ الْخِلَافُ بَعْدَنَا أَوْلَادُ يَشْكُرُ وَالْقَاحُ <sup>(٥)</sup>  
مَنْ صَدَّ عَنْ نِيرَانِهِمَا فَأَنَا ابْنُ قَيْسٍ لَا يِرَاحُ <sup>(٦)</sup>  
الْمَوْتُ غَايَتُنَا فَلَا قَصْرَ <sup>(٧)</sup> وَلَا عَنْهُ جِحَاحُ <sup>(٨)</sup>  
وَكَأَنَّمَا وِرْدُ الْمَيْتَةِ عِنْدَنَا مَاءٌ وَرَاحُ

\* الأمثال : ١ - ٣٤١ العقد : ٣ - ٣٤٨ ، خزنة الأدب : ١ - ٤٢٣ ، الكامل لابن

الأمير : ١ - ٣٢٣

(١) الحارث بن عباد : من بكر ، حكيم جاهلي ، كان شجاعاً من السادات ، شاعراً ، وانتهت  
إليه لمرّة بني ضبيعة وهو شاب مات نحو سنة ٥٠٠ ق . هـ . (٢) وضعت : حطت وأسقطت ،  
وأراهط : جمع أراهط الذي هو جمع رهط ، والرهط : عددي يجمع من ثلاثة إلى عشرة (٣) جاحها :  
مشيرها وموقدها ، والتخييل : التكبر من الخيلاء ، والمراح : النشاط والبطر ، أي أن الحرب  
تكف خدة البطر النشيط ، وهو تعريض بالحارث (٤) الصبار : مبالغة صابر ، والنجدة :  
الشدّة ، والوفّاح : الفرس الذي حافره صلب شديد (٥) أي إذا ذهبنا وبقيت يشكر وحنيفة  
فبئس الخلائف هم منا ، لا يجمعون حريماً ، ولا يأبون ضيماً ، وكانت بنو حنيفة تلقب : القحاح لأنهم  
لم يدينوا لملك ، وهو يذم الحيين لعودهما عن بكر في حروبهم (٦) لا يراح : لا يرب .  
(٧) القصر : الحبس (٨) الجحاح : الهروب .

ولكن الحارث لم يحفل بذلك ، وتتنحى بأهله وولده وولد إخوته وأقاربه ، ولم يزَلْ مُعْتَزِلاً ، حتى إذا كان في آخر وقائعهم خرج ابنُ أخيه بُجَيْرٌ<sup>(١)</sup> بن عمرو ابن عُبَادِ في إثر إبلٍ له نَدَّتْ يَطْلُبُهَا ، فعرض له مُهْلَهْلٌ في جماعة يطلبون غِرَّةَ بكر بن وائل . فقال لمهلل امرؤ القيس بنُ أبان - وكان من أشرف بني تغلب ، وكان على مُقَدِّمَتِهِمْ زماناً طويلاً : لا تفعل ؛ فوالله لئن قتلتَه لِيُقْتَلَنَّ به منكم كَبِشٌ لا يُسألُ عن خاله : من هو ! وإياك أن تحمِرَ البغى ؛ فإن عاقبتَه وخيمة ، وقد اعترلنا عمُّه وأبوه وأهلُ بيته وقومه . فأبى مهلهل إلا قتلَه ، فطعنَه بالرمح فقتله وقال : « بُوَيْشِئِشِ نَعْلِ كَلِيبِ<sup>(٢)</sup> » .

فبلغ فعلُ مهلهل عمَّ بُجَيْرٍ - وكان من أحلم أهل زمانه ، وأشدَّهم بأساً - فقال الحارث : نعم القتل قتل أصلح بين ابني وائل ! فقيل له : إنما قتله بِشِئِشِ نَعْلِ كَلِيبِ ، فلم يقبل ذلك ، وأرسل إلى مهلهل : إن كنت قتلت بيجراً بكَلِيبِ ، وانقطعت الحربُ بينكم وبين إخوانكم فقد طابت نفسى بذلك . فأرسل إليه مهلهل : إنما قتلتَه بِشِئِشِ نَعْلِ كَلِيبِ ! فغضب الحارث ، ودعا بفرسه - وكانت تسمى النعامة - فجزَّ ناصيتها . وهَلَبَ<sup>(٣)</sup> ذَنبَهَا ، وقال :

قَرَّباً مِرْبَطٌ<sup>(٤)</sup> النعامة منى لِقِحَتْ<sup>(٥)</sup> حربُ وائل عن حِيَالِ

(١) قيل هو ابن الحارث (٢) يقال : أبأت فلاناً بفلان فبأه به : إذا قتلتَه به ، ولا يكاد يستعمل هذا إلا والثاني كفاء له ، والشسم : السير الذي يدخل بين الإصبعين (٣) هلب الذنب : تفت شعره ، ويقولون : إن الحارث هو أول من فعل ذلك (٤) المربط : ما ربطت به الدابة ، والنعامة : اسم فرس كانت للحارث بن عباد (٥) لقحت : حملت ، وعن بمعنى بعد ، والحيال : أن يضرب الفحل الناقة فلا تحمل ، وهذا مثل ضربه ، وإنما يعظم أمر الحرب لما تولد عنها من الأمور التي لم تكن تحتسب ، والمراد أن حرب وائل هاجت بعد سكون .

لا يجيرُ أغنى قتيلا ولا رهطُ كليب تزأجروا عن ضلال  
لم أكن من جُناتها علم اللّهُ وإني بجرّها اليومَ صالي  
قرباً مِرْبَط النعمامة مني إن قتلَ الغلامَ بالشَّع غالي

ثم ارتحل الحارثُ مع قومه حتى نزل مع جماعة بكر بن وائل ، وعليهم يومئذ الحارثُ بن همام بن مرّة ، فقال الحارثُ بن عباد له : إن القوم مستقلون قومك ، وذلك زادهم جراءة عليكم ، فقَاتِلْهم بالنساء ، قال له الحارثُ بن همام : وكيف قتالُ النساء ! قال : قلّد كل امرأة إداوةً من ماء ؛ وأَعْطِها هِرَاوَة ؛ واجعل جمعهنّ من ورائكم ؛ فإنّ ذلك يزيدكم اجتهاداً ؛ وعلمّوا أنفسكم بعلامات يَمْرُقنها ؛ فإذا مرّت امرأة على صريع منكم عرفته بعلامته ، فسقته من الماء ونمّشتهُ ، وإذا مرّت على رجل من غيركم ضربته بالهراوة فقتلته ، وأتتُ عليه .

فأطاعوه ، وحلقت بنو بكر يومئذ رهوسها استنبسالا للموت ، وجملوا ذلك علامةً بينهم وبين نساءهم ، واقتتل الفرسان قتالا شديداً ، وانهمزت بنو تغلب ، ولحقت بالظعن بقية يومها وليلتها ، وأتبعهم سرعان<sup>(١)</sup> بكر بن وائل ، وتخلف الحارثُ بن عباد ، فقال لسعد بن مالك : أتراني ممن وَضَعْتَهُ<sup>(٢)</sup> ؟ قال : لا ، ولكن لا محباً لِعِطْرِ بعد عروس<sup>(٣)</sup> .

ثم إن الحارثُ بن عباد أسر مهلهلا ، وهو لا يعرفه ، فقال له : دُلّني على

(١) سرعان الناس : أوائلهم السبقون إلى الأمر (٢) يشيع إلى قوله :

يا بؤس للحرب التي وضعت أراهم فاستراحوا

(٣) يريد : إن لم تنصر قومك الآن ، فلن تدخر نصرك ؟

المهلهل ؛ قال : ولي دمي ؟ قال : ولك دمك ؛ قال : ولي ذمتك وذمة أبيك ؟ قال :  
نعم ذلك لك . قال : فأنا مهلهل . قال : دلّني على كفة لبجير ، قال : لا أعلمه إلا  
امراً القيس بن أبان ، هناك أعلمه ؛ فجزّ ناصيته ، وقصد قصد امرئ القيس فشدّ  
عليه فقتله ، وقال الحارث في ذلك :

لَهَفَ نَفْسِي عَلَى عَدِيٍّ وَلَمْ أَعْرِفْ عَدِيًّا إِذْ أَمَكَّنْتَنِي الْيَدَانِ  
طُلٌّ<sup>(١)</sup> مِنْ طُلٍّ فِي الْحُرُوبِ وَلَمْ أُؤْتِرْ بِجَيْرٍ أَبَاتِهِ<sup>(٢)</sup> ابْنِ أَبَانَ  
فَارِسٌ يُضْرَبُ الْكُتَيْبَةَ بِالسِّيَةِ فِ تَسْمُو أَمَامَهُ الْعَيْنَانَ

---

(١) طل دمه : ذهب . امرأ  
(٢) أباء القنيل بالقنيل : قتله به .

١٥١ — ضَيْعَنِي صَغِيرًا، وَحَمَانِي دَمَهُ كَبِيرًا \*

كان حُجْرٌ فِي بَنِي أَسَدٍ، وَكَانَتْ لَهُ عَلَيْهِمْ إِتَاوَةٌ فِي كُلِّ سَنَةٍ مُؤَقَّتَةً، فَفَبَرَ<sup>(١)</sup> ذَلِكَ دَهْرًا، ثُمَّ بَعَثَ إِلَيْهِمْ جَابِيَةً الَّتِي كَانَتْ يَجْبِيهِمْ، فَمَنَعُوهُ ذَلِكَ — وَحُجْرٌ يَوْمَئِذٍ بِتِهَامَةَ — وَضَرَبُوا رَسْلَهُ، وَضَرَبُوا جُومَهُ<sup>(٢)</sup> ضَرْبًا شَدِيدًا قَبِيحًا.

فَبَلَغَ ذَلِكَ حُجْرًا فَسَارَ إِلَيْهِمْ بِمَجْدٍ مِنْ رِبِيعَةٍ وَقَيْسٍ وَكِنَانَةَ، فَأَتَاهُمْ وَأَخَذَ سَرَائِمَهُمْ، فَجَعَلَ يَقْتُلُهُمْ<sup>(٣)</sup> بِالْعَصَا، وَأَبَاحَ الْأَمْوَالَ، وَصَيَّرَهُمْ إِلَى تِهَامَةَ، وَأَلَى بِاللَّهِ أَلَا يُسَاكِنُوهُمْ فِي بَلَدٍ أَبَدًا، وَحَبَسَ مِنْهُمْ عَمْرُو بْنُ مَسْعُودِ الْأَسَدِيِّ، وَكَانَ سَيِّدًا وَعَبِيدُ بْنُ الْأَبْرَصِ الشَّاعِرُ، فَسَارَتْ بَنُو أَسَدٍ ثَلَاثًا.

ثُمَّ إِنْ عَبِيدُ بْنُ الْأَبْرَصِ قَامَ فَقَالَ: أَيُّهَا الْمَلِكُ؛ أَسْمِعْ مَقَالَتِي:

يَا عَيْنُ فَايَسِكِي مَا بَنِي	أَسَدٍ فَهَمْ أَهْلُ النَّدَامَةِ
أَهْلُ الْقَبَابِ الْحَرِّ وَالذِّ	هَمِّ الْمَوْبِلِ <sup>(٤)</sup> وَالْمَدَامَةِ
وَذَوِي الْجِيَادِ الْجُرْدِ وَالْ	أَسَلِ الْمُتَقَفَّةِ الْمُقَامَةِ
حِلا <sup>(٥)</sup> أَيُّبِتِ اللَّعْنَ حِلا	إِنْ فِيمَا قَلْتَ آمَةَ <sup>(٦)</sup>
فِي كُلِّ وَادٍ بَيْنَ يَدَيْهِ	رَبِّ فَالْقَصُورِ إِلَى الْيَمَامَةِ
تَطْرِبُ عَانٍ أَوْ صِيَا	حِ مَحْرَقِي أَوْ صَوْتُ هَامَةَ

\* الأغانى : ٩ - ٨٧

(١) غبر : لبث وبقى (٢) ضرجه : أدماه (٣) سموا لذلك عبيد العصا (٤) الموبل المفتى (٥) حلا : أى تحلل من يمينك (٦) الأمة : العيب .

ومنتهم نجداً فقد حلوا على وجلي تهمته  
 برمت بنو أسد كما برمت بيضتها الحمامة  
 جعلت لها عودين من نشم وآخر من نمامة<sup>(١)</sup>  
 إما تركت تركت عفة وأ أو قتلت فلا ملامة  
 أنت اللليك عليهم وهم العبيد إلى القيامة  
 ذلوا السوطك مثل ما ذل الأشيقير<sup>(٢)</sup> ذوا الحزامه

فرق لهم حُجْرٌ حين سمع قوله ؛ فبعث في أثرهم فأقبلوا ، حتى إذا كانوا على مسيرة يوم من تهامة تكهن كاهنهم<sup>(٣)</sup> فقال لبي أسد : من الملك الأصهب ، الغلاب غير المغلب ، في الإبل كأنها الربرب<sup>(٤)</sup> ، لا يملق رأسه الصخب ! هذا دمه ينشعب<sup>(٥)</sup> ، وهذا غداً أول من يسلب .

قالوا : من هو ؟ قال : لولا أن تجيش نفس جاشية ، لأخبرتكم أنه حُجْرٌ ضاحية .

فركبوا كل صعب وذلول ، فما أشرق لهم النهار حتى أتوا على عسكر حُجْرٍ فجمعوا على قبته ، وهزموا أصحابه وأسروه فحبسوه ، وتشاور القوم في قتله ؛ فقال لهم كاهن من كاهنهم بعد أن حسوه ليروا رأيهم فيه : أى قوم ! لا تعجلوا بقتل الرجل حتى أزجر لكم .

فانصرف عن القوم لينظر لهم في قتله ؛ فلما رأى ذلك علباء بن الحارث

(١) النشم : شجر جبلي تتخذ منه القسي ، والنمامة : نبت بالبادية (٢) الأشيقير : تصغير الأشقر : الأحمر من الدواب ، والحزامه : حلقة من شعر تجعل في وترة أفت العير يشد بها الزمام (٣) هو عوف بن ربيعة (٤) الربرب : القطيع من بقر الوحش (٥) ينشعب : يجرى .

الكاهليّ خشى أن يتوّأكلوا في قتله ، فدعا غلاماً من بني كاهل - وكان ابن أخته (١) - فقال : يا بنيّ ؛ أعندك خير فتأّر بأبيك ، وتفعل شرف الدهر ، وإن قومك لن يقتلوك !

فلم يزل بالغلام حتى حرّبه (٢) ، ودفع إليه حديدة قد شحذها ، وقال : ادخلْ عليه مع قومك ، ثم اطمنه في مَقْتَلِهِ .

فعمد الغلامُ إلى الحديدة فخبأها ، ثم دخل على حُجْرٍ في قَبْتِهِ التي حُبِسَ فيها . فلما رأى الغلام غَفْلَةً وثب عليه فقتله ، فوثب القوم على الغلام فقالت بنو كاهل : ثأرنا وفي أيدينا !

فقال الغلام : إنما ثأرتُ بأبي ، فخلّوا عنه .

وأقبل كاهنهم المزدجِر فقال : أي قوم ! قتلتموه املك شهر ، وذلّ دهر ، أما والله لا تحظون عند الملوك بعده أبدا .

ولما طعن الغلام حُجْرًا ولم يجهز عليه أوصى ودفع كتابه إلى رجل وقال له : انطلق إلى ابني نافع - وكان أكبر ولده - فإن بكى وجزع فأنه عنه ، واستقرهم واحداً واحداً ، حتى تأتي امرأة القيس (٣) - وكان أصغرهم - فأبهم لم يجزع ، فادفع إليه سلاحه وخيلى وقُدُورى ووصيتي ، وبين في وصيته مَنْ قتلته ، وكيف كان خبره .

فانطلق الرجلُ بوصيته إلى نافع ابنه ، فأخذ التراب فوضعه على رأسه ، ثم

---

(١) كان حجر قد قتل أبا زوج أخت علباء ، وقبيل بل كان حجر قتل أبا علباء نفسه .

(٢) حرّبه : حرشه (٣) أشهر شمراء العرب ، وكان أبوه ملك أسد وغطفان ، وقال الشعر

وهو غلام ، وجل يشب وبلهو ويعاشر صمالك العرب ، ومات سنة ٨٠ ق . ه .

استَقْرَأَهُمْ واحداً واحداً ، فَكَلَّمَهُمْ فَعَلْ ذَلِكَ ، حَتَّى آتَى امْرَأَ الْقَيْسِ فَوَجَدَهُ مَعَ نَدِيمٍ لَهُ يَشْرَبُ الْحَمْرَ وَيُلَاعِبُهُ بِالزُّدِّ ؛ فَقَالَ لَهُ : قُتِلَ حُجْرٌ ؛ فَلَمْ يَلْتَفِتْ إِلَى قَوْلِهِ ، وَأَمْسَكَ نَدِيمَهُ . فَقَالَ لَهُ امْرؤُ الْقَيْسِ : اضْرِبْ فَضْرَبَ ، حَتَّى إِذَا فَرَّغَ قَالَ : مَا كُنْتُ لِأَفْسِدَ عَلَيْكَ دَسْتِكَ .

ثُمَّ سَأَلَ الرَّسُولَ عَنِ امْرِئِيهِ كُلِّهِ ، فَأَخْبَرَهُ ، فَقَالَ : الْحَمْرُ عَلَى وَالنِّسَاءِ حَرَامٌ ، حَتَّى أَقْتَلَ مِنْ بَنِي أَسَدٍ مِائَةً وَأَجْرُ<sup>(١)</sup> نَوَاصِي مِائَةٍ .

وَكَانَ امْرؤُ الْقَيْسِ قَدْ طَرَدَهُ أَبُوهُ حُجْرٌ ، وَآلِي آلِ الْيَقِيمِ مَعَهُ أَنْفَةً مِنْ قَوْلِهِ الشُّعْرَ . وَكَانَتْ الْمَلُوكُ تَأْتِي مِنْ ذَلِكَ - فَكَانَ يَسِيرُ فِي أَحْيَاءِ الْعَرَبِ وَمَعَهُ أَخْلَاطٌ مِنْ شُدَّاذٍ<sup>(٢)</sup> الْعَرَبِ ، مِنْ طَيْئِ وَكَلْبِ وَبَكْرِ بْنِ وَاثِلِ ؛ فَإِذَا صَادَفَ غَدِيرًا أَوْ رَوْضَةً أَوْ مَوْضِعَ صَيْدٍ أَقَامَ فَيُذْبِحُ لِمَنْ مَعَهُ فِي كُلِّ يَوْمٍ ، وَخَرَجَ إِلَى الصَّيْدِ فَيَصِيدُ فَأَكَلَ وَأَكَلُوا مَعَهُ ، وَشَرَبَ الْحَمْرَ وَسَقَاهُمْ وَغَنَّتْهُ قِيَانُهُ .

وَلَا يَزَالُ كَذَلِكَ حَتَّى يَنْفَدَ مَاءُ ذَلِكَ الْغَدِيرِ ، ثُمَّ يَنْتَقِلُ عَنْهُ إِلَى غَيْرِهِ . فَأَبَاتَهُ خَبْرُ أَبِيهِ وَمَقْتَلُهُ وَهُوَ بَدْمُونٌ مِنْ أَرْضِ الْيَمِينِ ، فَقَالَ :

تَطَاوَلَ اللَّيْلُ عَلَى دَمُونٍ دَمُونٌ إِنَّا مَعْشَرٌ يَمَانُونُ

\* وَإِنَّا لِأَهْلِنَا مُجْبُونُ \*

ثُمَّ قَالَ : ضِعْفِي صَغِيرًا ، وَحَمَلَنِي دَمَهُ كَبِيرًا . لَا صَحْوَةَ الْيَوْمِ ، وَلَا سُكْرَ غَدَاً ، الْيَوْمَ خَمْرٌ ، وَغَدَاً<sup>(٣)</sup> أَمْرٌ . ثُمَّ قَالَ :

خَلِيلِي لَا فِي الْيَوْمِ مَصْحَى لِشَارِبٍ وَلَا فِي غَدٍ إِذَا كَانَ مَكَانٌ يُشْرَبُ

(١) يريد حتى أقتل منهم مائة وآسر مائة

(٢) شذاذ العرب : الذين لم يكونوا في حبيهم ومنازلهم

(٣) ذهب مثلًا .

ثم شرب سَبَبًا ، فلما صحَّ آلى الأَّ يَأْكُلَ لِحْمًا ، ولا يشربَ خمرًا ، ولا  
يَدَّهِنُ بَدَنَهُ ، ولا يصيبَ امرأةً حتى يُدْرِكَ بئاره ؛ فلما جنه الليل رأى  
برقًا ، فقال :

أرقتُ لبرقٍ بليلى أهلٌ      بضى سنأه بأعلى الجليلِ  
أتانى حديثٌ فكذبتهُ      بأمر تزغزع<sup>(١)</sup> منه القلَلِ  
بقتل بنى أسدٍ ربهم      ألا كلُّ شيءٍ سِواه جَلَلِ<sup>(٢)</sup>  
فأين ربيعةُ عن ربها      وأين تميمٌ وأين الخولِ<sup>(٣)</sup>  
ألا يحضرون لدى بابه      كما يحضرون إذا ما أكلِ

وارتحل امرؤ القيس حتى نزل بكرًا وتغلب ، فسألم النصر، وبعث العيون  
على بنى أسد ، فلما كان الليل قال لهم علباه : يامعشر بنى أسد ، تعلمون والله أن  
عيون امرئ القيس قد أتكم ، ورجعت إليه بخبركم ، فارحلوا بليلى ولا تعلموا  
بني كنانة . ففعلوا .

وأقبل امرؤ القيس بمن معه من بكر وتغلب ، حتى انتهى إلى بني كنانة ، وهو  
يحسبهم بنى أسد ، فوضع السلاح فيهم ، وقال : يالثرات الملك ! يالثرات الهمام !  
فخرجت إليه عجوز من بني كنانة فقالت : أبيت اللعن ! لسنا لك بئار ، نحن من  
كنانة ، فدونك نأرك فاطلهم ، فإن القوم ساروا بالأمس .  
فتبع بنى أسد ، فقاتوه ليلتهم تلك ، فقال :

(١) أسله : تزغزع : جمع خولى : وهو الراعى الحسن

(٢) جلال : هين

(٣) الخول : جمع خولى : وهو الراعى الحسن

القيام على المال

أَلَا يَا لَهْفَ هِنْدٍ إِثْرَ قَوْمٍ      هُمْ كَانُوا الشِّفَاءَ فَلَمْ يُصَابُوا  
وَقَامَ جَدُّهُمْ بَيْنَ أَبِيهِمْ      وَالْأَشْقَيْنِ (١) مَا كَانَ الْعِقَابُ  
وَأَفْلَتَهُنَّ عِلْبَاءَ جَرِيضًا (٢)      لَوْ أَدْرَكْنَهُ صَفِرُ الْوِطَابِ (٣)

وأدرکهم ظهراً ، وقد نطعت خيله ، وقطع أغناقهم المطس ، وبنو أسد  
جامون (٤) على المساء ، فهد إليهم فقاتلهم ، حتى كثرت الجرحى والقتلى فيهم ،  
وحجز الليل بينهم ، وهربت بنو أسد .

فلما أصبحت بكر وتغلب أبوا أن يتبعوم ، وقالوا له : قد أصبت ثارك . قال :  
والله ما فعلت ولا أصبت من بني كاهل ولا من غيرهم من بني أسد أحداً . قالوا :  
بلى ، ولكنك رجل مشثوم ، وكرهوا قتالهم ، وانصرفوا عنه ، فمضى هارباً لوجهه  
حتى لحق بجميز .

فاسعأجر من قبائل العرب رجلاً ، فسار بهم إلى بني أسد ، ومرت بتبالة (٥) ،  
وبها صنم للعرب تُعظمه ، فاستقسم (٦) عنده بمدياحه ، وهي ثلاثة : الأمر ، والنهي  
والتربص . فأجالها فخرج الناهي ، ثم أجالها فخرج الناهي ، فجمعها فكسرها وضرب  
بها وجه الصنم ، وقال : لو أبوك قتل ما عقتني ، ثم خرج فظفر ببني أسد .

وألح المنذر (٧) في طلب امرئ القيس ، ووجه الجيوش في طلبه من إباد

---

(١) الجد : الحظ ، والأشقين : جمع أشقي ، ويقصد بهم بني كنانة (٢) أى بمد جهد ومشقة  
والضمير «أفلهن» و«أدركنه» للتخيل التي كروا بها عليهم (٣) صفر الوطاب ، أى لو أدر كوه  
قلوه وساقوا لإبله فصفرت وطابه من اللبن (٤) أى مجتمعون مستريحون (٥) موضع بين مكة  
واليمن على مسيرة سبع ليال من مكة (٦) الاستقسام : طلب معرفة ما قسم للمرء مما لم يقسم  
(٧) كانت في نفس المنذر موجدة على آل امرئ القيس ؛ لأن الحارث جد امرئ القيس زاحم  
الناذرة ملوك الحيرة عند كسرى في النيابة عنه على ملك الحيرة ، وقت أن شجر الخلاف بين الناذرة  
وكسرى قباز .

وبهزاء وتنوخ ، وأمدّه أنوشروان بجيشٍ من الأساورة فسرحهم في طلبه ، فلم يكن لامرئ القيس بهم طاقةٌ ، وتفرقت حمير ومن كان معه عنه ، فنجّا في عصبيةٍ من بني آكل المرار ، ونزل ببعض رؤساء القبائل يستجبرُ بهم ، وصار يتحول عنهم إلى غيرهم ، حتى نزل برجل من بني فزارة ، يقال له : عمرو بن جابر ابن مازن ، فطلب منه الجوار ، حتى يرى ذات عيبيه <sup>(١)</sup> .

فقال له الفزاريّ : يا ابن حجر ، إني أراك في خَلَلٍ من قومك ، وأنا أنفَسُ <sup>(٢)</sup> مثلك من أهل الشرف ، وقد كِدت بالأمس تُؤكّل في دار طيبي ، وأهلُ البادية أهلُ وبر ، لا أهلُ حصون تمنعهم ، وبينك وبين أهل اليمن ذُؤبانٌ من قيس ، أفلا أدلّك على بلدٍ ! فقد جئتُ قيصرَ ، وجئتُ النعمانَ ؛ فلم أرَ لضيفٍ نازل ولا لِحجّدي <sup>(٣)</sup> مثله ولا مثلَ صاحبه .

قال : من هو وأين منزله ؟ قال : السموءل بِنِمْماء ، هو يمنع ضَعْفَكَ حتى ترى ذات عيبك ، وهو في حصن حصين وحسبٍ كبير .

فقال له امرؤ القيس : وكيف لي به ؟ قال : أوصلك إلى من يوصلك إليه .

فصحبته إلى رَجُلٍ من بني فزارة يقال له : الربيع بن ضبُع الفزاريّ ، ممن يأتي السموءل فيجملُه ويمطيه .

فلما صار إليه قال له الفزاريّ : إن السموءل يُعجبهُ الشعر ، فتعالَ نتناشد له أشعاراً ؛ فقال امرؤ القيس : قل حتى أقول . فقال الربيع :

---

(١) أي ينظر في أمره ، ويصلح من شأنه (٢) أنفَس بك : أضن بك (٣) طالب عطاء .

قل للنبيّة أمتٍ حينٍ نلتقى      بفناء بيتك في الحضيض المزلق<sup>(١)</sup>  
ولقد أتيتُ بني المصاضِ مفاخرًا      وإلى السموءل زُرته بالأبلاقِ<sup>(٢)</sup>  
فأتيتُ أفضلَ مَنْ تحمل حاجةً      إن جئته في غارمٍ أو مرهقِ  
عرفتُ له الأقومُ كلَّ فضيلة      وحوى المكارم سابقًا لم يسبق  
فقال امرؤ القيس :

طَرَقْتَكْ هَندٌ بعد طول تجنّبٍ      وهنّا ولم تكْ قبل ذلك تَطْرُقِ<sup>(٣)</sup>

ثم مضى القومُ حتى قدموا على السموءل ، فأنشده الشعر ، وعرف لهم حقهم ،  
ثم إنه طلب إليه أن يكتب له إلى الحارث بن أبي شمر النّسائي ليوصله  
إلى قيصر .

ومضى حتى انتهى إلى قيصر ، فقَبِلَهُ وأكرمه ، وكانت له عنده منزلة .

ثم إن قيصر ضمّ إليه جيشًا كثيرًا ، فيه جماعةٌ من أبناء الملوك ، فلما فصل<sup>(٤)</sup>  
قال لقيصر قومٌ من أصحابه : إن العرب قومٌ غدر ، ولا تأمنُ أن يظفروا بما يريد ،  
ثم يغزوك بمن بعثَ معه .

فبعث إليه حينئذٍ بحمّلةٍ وشيٍ مسمومٍ منسوجةٍ بالذهب ، وقال له : إني  
أرسلتُ إليك بحمّلتى التى كنت ألبسها تكريمًا لك ؛ فإذا وصلت إليك فآلبسها  
باليمن والبركة ، واكتب إلى بخبرك من منزلٍ منزل .

فلما وصلت إليه لبسها ، واشتدّ سروره بها ؛ فأسرع فيه السّمّ وسقط جلدُه

فقال :

(١) المزلق : الموضع الذى لا تثبت عليه قدم (٢) الأبلق : حصن السموءل (٣) يقرئ  
صاحب الأغاني : أظن أن هذه القصيدة منحوّلة (٤) فصل : رحل .

لقد طمَحَ الطَّمَّاحُ من بُعدِ أرضه      لِيَلْبِسَنِي مِمَّا يَلْبَسُ أَبُو سَامَا  
فلو أنها نفسٌ تموتُ سَوِيَّةً      ولكنها نفسٌ تساقطُ أنفُسَا

فلما صار إلى بلدةٍ من بلاد الروم تدعى أنقرة احتضرت بها فقال :

رب جفنةٍ مُثَعْنَجِرَةٍ (١)      وطعنةٍ مُسْحَنَفِرَةٍ (٢)

تبقى غداً بأنقرة \* \*

ورأى قَبْرَ امرأةٍ من أبناء الملوك ماتت هناك ، فدُفِنَتْ في سفح جبلٍ يقال له :  
عَسِيب ، فسأل عنها ، فأخبرَ بقصتها ، فقال :

أجارتنا إنَّ المزارَ قريبُ      وإني مقيمٌ ما أقام عَسِيبُ  
أجارتنا إنا غريبان ها هنا      وكلُّ غريبٍ للغريبِ نَسِيبُ

ثم مات فدُفن هناك .

(٢) مسحفرة : متسعة .

(١) الثعنجرة من الجفان : التي يفيض ودكها

١٥٢ — ما كان لولا غيرة الليل يُغلب \*

ورد شأس بن زهير من عند النعمان بن المنذر ، وقد حباه أفضل الحبوّة :  
مِسْكَ وَكُسا وَقُطْفًا <sup>(١)</sup> وَطَنَافِس ؛ فَأَنَاخ نَاقَتَهُ فِي يَوْمِ شَمَالٍ <sup>(٢)</sup> وَقَرَّ <sup>(٣)</sup> عَلَى  
رَدْهَةٍ <sup>(٤)</sup> فِي جَبَلِ رِيَاحِ بِنِ الْأَسْكَ الْغَنَوَى ، وَلَيْسَ عَلَى الرَّدْهَةِ غَيْرُ بَيْتِهِ بِالْجَبَلِ ،  
فَأَلْقَى ثِيَابَهُ بِفَنَائِهِ ، ثُمَّ قَعَدَ يُهْرِيقُ <sup>(٥)</sup> عَلَيْهِ الْمَاءَ ، وَامْرَأَةٌ رِيَاحٌ قَرِيبَةٌ مِنْهُ ، وَإِذَا هُوَ  
مِثْلُ الثَّوْرِ الْأَبْيَضِ ، فَسَالَ رِيَاحٌ لِامْرَأَتِهِ : أُعْطِنِي قَوْمِي ، فَمَدَّتْ إِلَيْهِ قَوْسَهُ  
وَمَهْمًا ، وَانْتَزَعَتِ الْمَرْأَةُ نَصْلَهُ لِثَلَايِقَتِهِ ، فَأَهْوَى عَجْلَانًا إِلَيْهِ ، وَوَضَعَ السِّهْمَ فِي  
مُسْتَدَقِ الصُّلْبِ ، بَيْنَ فِقَارَتَيْنِ <sup>(٦)</sup> فَفَصَلَّهْمَا ، وَخَرَّ سَاقِطًا ، وَحَفَرَ لَهُ خَفْرًا ، فَهَدَمَهُ  
عَلَيْهِ ، وَنَحَرَ جَمْلَهُ وَأَكَلَهُ ، وَأَدْخَلَ مَتَاعَهُ فِي بَيْتِهِ .

وَقَعْدَ شَأْسِ ، وَقَصَّ آثَرَهُ وَنَشَدَ : وَرَكَبُوا إِلَى الْمَلِكِ ، فَسَأَلُوهُ عَنْ حَالِهِ ، فَقَالَ لَهُمْ :  
حَبِيبَتِهِ وَسِرِّخَتِهِ . فَقَالُوا : وَمَا مَتَمَّتَ <sup>(٧)</sup> بِهِ ؟ قَالَ : مَسِكَ وَنَطُوعَ وَقُطْفٍ ،  
فَأَقْبَلُوا بِقَصْوَنِ آثَرِهِ ، فَلَمْ تَتَّضِحْ لَهُ سَبِيلُهُ ، فَكَثَبُوا كَذَلِكَ مَا شَاءَ اللَّهُ ، حَتَّى  
انْقَطَعَ ذِكْرُهُ .

\* الأغانى : ٨ - ١٠ ، ابن الأثير : ١ - ٣٣٧ ، مهذب الأغانى : ٢ - ٨

- (١) القطفية : دثار مخمل ، جمعه قطف (بضمين) (٢) الشمال : الريح التي تهب بين مطلع  
الشمس وبنات نعل ، ويكون اسما وصفة (٣) القر : البرد (٤) الردهة : النقرة مجتمع  
فيها ماء السماء (٥) هراق الماء : أراقه (٦) الفقرة والفقارة : ما انتضد من عظام الصلب  
(٧) منع الرجل : جاد .

قال الراوى : ثم إن الناس أصابتهم جائحةٌ وجوع ، ففخر زهير<sup>(١)</sup> بن جذيمة - أبو شأس - ناقته ، فأعطى امرأةً من شحمها وسنامها ، وقال : اشترى لى الهدب والطيب ، فخرجت بذلك الشحم والسنام تبعه حتى دفعت إلى امرأة رباح ، فقالت : إن معى شحماً أبيعهُ فى الهدب والطيب ، فاشتريت المرأةً منها ، ثم أتت المرأة زهيراً بذلك ، فمرف الهدب ، وذهب إلى غنى ، فقالوا : نعم ، قتله رباح بن الأسك ونحن برآء منه ، وقد لحق بخاله من بنى الطمّاح .

ولما تبين زهير أن رباحاً ثأره قال يرثى شاساً :

بماء غنىٍ آخِرَ الليلِ يُسَلِّبُ	بكيتُ لشأسٍ حينَ خَبَرْتُ أَنَّهُ
وما كان لولا غيرةُ الليلِ يُقَلِّبُ	لقد كان مأتاه الرِّدَاةَ <sup>(٢)</sup> لِحَنَفِهِ
كذلك لعمري الحينُ <sup>(٣)</sup> للمرءِ يُجَلِّبُ	قتيل غنىٍ ليس شكلٌ كَشَكْلِهِ
وحقّ لشأسٍ عَبرةٌ حينَ نَسَبُ	سأبكى عليه إن بكيت بعبرةٍ
على مثل ضوءِ البدرِ أو هو أَعْجَبُ	وحزنٌ عليه ما حيتُ وَعَوَلَةٌ
وكان لدى الهيجاءِ <sup>(٤)</sup> يُنْحَشِي وَيُرْهَبُ	إذا سيمَ ضيماً كان للضَّئيمِ مُنْكَرًا
أجاب لما يدعُو له حينَ يَكْرَبُ	وإن صوتَ الداعى إلى الخيرِ مرّةً
فقلبي عليه لو بدا القلبُ مُتَلَبُّ	ففرَّجَ عنه ثم كان وليّهُ

ثم انصرف إلى قومهِ من بنى عَبَس ، فكان لا يقدر على غنوىٍ إلا قتله .

(١) هو زهير بن جذيمة بن رواحة العبسى ، أمير عبس ، وأحد سادات العرب الممدودين فى الجاهلية ، قتله خالد بن جعفر العامرى نحو سنة ٥٠ ق . هـ (٢) الرداة : الصخرة (٣) الحين : الهلاك (٤) الهيجاء : الحرب .

وتجهَّز بنو عَبَسَ لَعَزُو غَنَى قَبْلَ أَنْ يَطْلُبُوا قَوْدًا أَوْ دِيَّةً، وَتَوَلَّى رِيَاثَتَهُمُ الْحَصِينُ  
ابن زهير، أخو شأس، والحصينُ بن أسيد بن جذيمة، ابن أخي زهير، فقيل ذلك  
لغنى، فقالت لرياح: انجُ لعلنا نصلح على شيء أو نرضيهم بديَّةٍ وفداء.

فخرج رياحٌ رديفًا<sup>(١)</sup> لرجل من بني كلاب، فبينما هما سائران إذاهما بالقوم  
أدنى ظلام<sup>(٢)</sup>، وقد كانا يظنان أنهما خالفًا وجهة القوم، قال صاحب رياح:  
أذهب فإني آتي القوم أشاغلمهم عنك، وأحدثهم حتى تمعجزم، ثم أنا ماضٍ إن  
تركوني. فانحدر رياح عن عجز الجمل فأخذ أذراجه، وعدا إثر الراحة حتى أتى  
صففة، فاحتفر تحتها مثل مكان الأرنب، فوآج فيه، ثم أخذ نعليه، فجعل إحداها  
على سرتة، والأخرى على صفته<sup>(٣)</sup>، ثم شدَّ عليهما العمامة، ومضى صاحبه حتى  
لحق القوم، فسألوه، فحدثهم، وقال: هذه غنى كاملة، وقد دنوتُ منهم،  
فصدقوه وخلوا سربته<sup>(٤)</sup>.

فلما ولي رأوا مرگب الرجل خلفه، فقالوا: من هذا الذي كان خلفك؟ قال:  
لا مكذبة! ذلك رياح في الأول من السمرات، فقال الحصينان لمن معهما: قفوا  
علينا حتى نعلم علمه، فقد أمكنا الله من نارنا ولم يريد أن يشركهما فيه أحد،  
فمضيا ووقف القوم عنهما، فلما رأها رياح رمى الأول منهما فبتر صلبه، وطعنه الآخر  
قبل أن يرميه، وأراد الشرة فأصاب الرَبلة<sup>(٥)</sup>، ومرَّ الفرس يهوى به، فاستدبره  
رياح بسهم رشق به صلبه فانقر منحنى الأوصال، وندت فرسهما فلحقتهما بالقوم،  
وانطلق رياح حتى ورد رذمة، عليها بيت أنمار بن بغيض، وفيه امرأة، ولها ابنان

(١) الرديف: الذي تحمله خلفك على ظهر الدابة (٢) أدنى ظلام: أدنى شيء (٣) الصنف:  
وعاء الخصية (٤) خلوا سربه: أى طريقه (٥) الربلة: أصل الفخذ.

قريبان منها ، وجعل لها راتع في الجبل ، وقد مات رِيّاح عطشاً ، فلما رأته يستدني (١)  
طمعت فيه ، ورجت أن يأتيها ابناها ، فقالت له : استأسر ، فقال لها : دعيني  
- ويحك - أشرب ! فأبت ، فأخذ حديدة فجذّم بها رواهشها (٢) ، وعبّ في  
الماء حتى نهل ، ثم قال فيها وفي الحصينين :

قالت لي استأسر لتكنفني (٣)  
ولأنت أجراً من أسامة أو  
حيناً ويم لو قولها قولي  
مني غداة وقت للخيل  
إذ الحصين لدى الحصين كما  
عدّل الرّجّازة (٤) جانب الميل

---

(١) استدنى الرجل : طأطأ رأسه يقطر منه الدم (٢) جذم : قطع . الرواهش : عروق ظاهر الكف (٣) كنفه : أحاط به وآواه (٤) الرّجّازة : شيء يكون مع المرأة في هودجها فإذا مال أحد الجانبين وضعت في الناحية الأخرى ليعتدل .

١٥٣ — لَأَقْتُلَنَّهٗ وَلَوْ كَانَ فِي حِجْرِ النِّعْمَانِ \*

لما قتل خالدُ بن جعفر بن كلاب زهيرَ بن جذيمة العبسي ضاقت به الأرضُ ،  
وعلم أن غطفانَ غيرُ تاركيه ؛ فخرج حتى أتى النعمانَ فاستجار به فأجاره ، ومعه  
أخوه عتبةُ بن جعفر .

ونهب قيس بن زهير فتهمياً لمحاربة بني عامر ، وهجم الشتاء ؛ فقال الحارثُ  
ابن ظالم : يا قيسُ ؛ أتم أعلم وحر بكم ، وأنا راحلٌ إلى خالد حتى أقتله ، قال قيس :  
قد أجاره النعمان ، قال الحارثُ : لَأَقْتُلَنَّهٗ وَلَوْ كَانَ فِي حِجْرِهٖ !  
وكان النعمان قد ضرب على خالد وأخيه قبةً ، وأمرهما بحضور طعامه  
ومدأيه (١) .

فأقبل الحارثُ ومعه تابعٌ له من بني محارب فأتى بابَ النعمان ، فاستأذن فأذن له  
النعمان وفرح به . فدخل الحارثُ ، وكان من أحسن الناس وجهاً وحديثاً ، وأعلم  
الناس بأيام العرب ؛ فأقبل النعمانُ عليه بوجهه يمدُّه ، وبين أيديهم تمرٌ يأكلونه .  
فلما رأى خالدٌ إقبالَ النعمانِ على الحارثِ غاظه ذلك ، فقال : يا أبا ليلى ؛ ألا  
تشكرني ! قال : علام ؟ قال : قتلتُ زهيراً فصيرتَ بعده سيِّدَ غطفان - وفي يد  
الحارثِ تمراتٌ ؛ فاضطربت يده ، وجعل يُرعدُ ويقول : أنت قتلتَه .! والتمرُ يسقط  
من يده .

\* الأمثال : ٢ - ٢٣٤ ، عيون الأخبار : ١ - ١٨٣  
(١) الدمام : الخمر .

ونظر النعمان إلى مابه من الزمّع<sup>(١)</sup> ، فنخس خالداً بعصاه ، وقال : هذا يقتلك ! فقال : أبيت اللعن ! فوالله لو كنت نائماً ما أيقظني ! وافترق القوم ، وبقي الحارثُ عند النعمان ، وأشرَج<sup>(٢)</sup> خالدٌ قُبْتَه عليه وعلى أخيه ونائماً .

وانصرف الحارثُ إلى رَحْلِهِ ، فلَمَّا هَدَاتِ العيون خرج بسيفه حتى أتى قُبَةَ خالدٍ فَهَتَكَ شَرَجَهَا<sup>(٣)</sup> بسيفه ، فدخل فرأى خالداً نائماً وأخوه إلى جنبه ، فابقظ خالداً فاستوى قائماً ، فقال له الحارثُ : يا خالد ؛ أظننت أن دم زهير كان سائماً لك ! وعَلَاه بسيفه حتى قتله . واندبَه عُتْبَةَ ، فقال له الحارثُ : لئن نَبَسْتَ<sup>(٤)</sup> لأُحِقِّنَكَ به !

وانصرف الحارثُ ، وركب فرسه ومضى على وجهه ، وخرج عُتْبَةُ صارخاً حتى أتى باب النعمان ، فنادى : ياسوء جواراه ! فأجيب : لأرْوِع عليك ! فقال : دخل الحارثُ على خالد فقتله ، وأخْفَرَ<sup>(٥)</sup> الملك .

فوجه النعمانُ فوارسَ في طلبه فلحقوه سَحَرًا ، فمَطَفَ<sup>(٦)</sup> عليهم ، فقتل جماعةً منهم وگُزُوا عليه ، فجل لا يقصد جماعة إلا فرَّقها ، ولا لفارس إلا قَتَلَه . فارتدع القوم عنه ، وانصرفوا إلى النعمان .

فقال عمرو بن الإطنابة :

عَلَّلَانِي وَعَلَّلَا صَاحِبِيَا      وَاسْقِيَانِي مِنَ الْمُرَوِّقِ رِيَا  
إِنَّ فِينَا الْقِيَانَ يَعْزِفْنَ بِالضَّرِّ      بَ لِفَتْيَانِنَا وَعَيْشًا رَضِيًّا  
يَنْهَاهِينَ فِي النِّعَمِ وَيَضُرُّ      نَ خِلَالَ الْقُرُونِ مِسْكَاذَ كِيًّا

(١) الزمّع : شبه الرعدة تأخذ الإنسان (٢) أشرج الحيمة : أدخل بعض عراها في بعض بين أشرجها (٣) الشرج : عرا الحيمة (٤) نبس : أقل الكلام (٥) أخفر الملك : قض عهده وغدره . (٦) عطف : مال .

أَبْلَغًا الْحَارِثَ بْنِ ظَلَمِ الرَّءِ (١) دِيدَ وَالنَّادِرَ النَّذُورَ عَلِيًّا :  
 إِنَّمَا تَقْتُلُ النَّيِّمَ وَلَا تَقْتُلُ مِثْلَ يَقْظَانَ ذَا سِلَاحٍ كَمِيًّا (٢)  
 وَكَانَ عَمْرُو قَدْ آلَى (٣) أَلَّا يَدْعُوهُ رَجُلٌ بَلِيلٌ إِلَّا أَجَابَهُ ، وَلَا يَسْأَلُهُ عَنْ اسْمِهِ .  
 فَأَتَاهُ الْحَارِثُ لِيَلَا فَهْتَفَ بِهِ ، فَخَرَجَ إِلَيْهِ ، فَقَالَ : مَا تَرِيدُ ؟ قَالَ : أَعِنِّي عَلَى إِبْلِ  
 لِبْنِي فَلَانَ ، وَهُوَ مِنْكَ غَيْرُ بَعِيدٍ ، فَإِنَّهَا غَنِيمَةٌ بَارِدَةٌ !

فَدَعَا عَمْرُو بِفَرَسِهِ ، وَأَرَادَ أَنْ يَرْكَبَ حَاسِرًا ، فَقَالَ لَهُ : الْبَسْ عَلَيْكَ سِلَاحَكَ ،  
 فَإِنِّي لَا أَمْنُ امْتِنَاعَ الْقَوْمِ ، فَاسْتَلَّامٌ (٤) وَخَرَجَ مَعَهُ ، حَتَّى إِذَا بَرَزَا قَالَ لَهُ الْحَارِثُ :  
 أَنَا أَبُو لِبْلَى فَخُذْ حِذْرَكَ يَا عَمْرُو ، فَقَالَ لَهُ : أَمُنُّنُ عَلَى . فَجَزَّ نَاصِبَتَهُ ، وَقَالَ :

عَلَّلَانِي بِلَدَّتِي قَتَيْتَنِيًّا      قَبْلَ أَنْ تَبْكِيَ الْعَيُونَ عَلَيًّا  
 قَبْلَ أَنْ تَذْكَرَ الْعَوَازِلُ أُنِي      كُنْتُ قَدِمًا لِأَمْرَهِنَّ عَصِيًّا  
 مَا أَبَالِي إِذَا اصْطَبَحْتُ ثَلَاثًا      أَرْشِيدًا دَعَوْتَنِي أُمَّ غَوِبًا  
 غَيْرَ أَلَا أُسِرَّ لِلَّهِ إِثْمًا      فِي حَيَاتِي وَلَا أُخَوِّنَ صَفِيًّا  
 بَلَفْتَنِي مَقَالَةَ الرُّءِ عَمْرُو      بَلَفْتَنِي وَكَانَ ذَاكَ بَدِيًّا  
 فَرَجْنَا لِمَوْعِدٍ فَالْتَقَيْنَا      فَوَجَدْنَاهُ ذَا سِلَاحٍ كَمِيًّا  
 غَيْرَ مَا نَأْمُرُ بِرُؤُوعٍ بِاللَّيْلِ      مُعِدًّا بِكُفِّهِ مَشْرِفِيًّا  
 فَرَجْنَا بِالْمَنْ مَنَّا عَلَيْهِ      بَمَدِّ مَا كَانَ مِنْهُ مِنَّا بَدِيًّا

(١) الرعيدي : الجبان (٢) الكمي : الشجاع (٣) آلى : حاف (٤) استلام : لبس  
 الامة : الدرع .

١٥٤ — وفاء وغدر\*

سار المنذر بن ماء السماء ملك العرب بالحيرة في معدٍ كلها حتى نزل بمين أباغ، وأرسل إلى الحارث<sup>(١)</sup> بن أبي شمر ملك العرب بالشام، وقال له: إما أن تُعطيني الفدية فأصرفَ عنك بجنودي، وإما أن تأذن بحرب.

فأرسل إليه الحارث: أنظرنا ننظر في أمرنا. وجمع عساكره، وسار نحو المنذر، وأرسل إليه يقول له: إنا شيخان فلا تمهلك جنودي وجنودك، ولكن يخرج ولدٌ من ولدي ورجل من ولدك فمن قتل خراج عيوضه آخر، وإذا فني أولادنا خرجتُ أنا إليك، فمن قتل صاحبه ذهب بالملك، فتعاهدا على ذلك.

فعمد المنذر إلى رجل من شجعان أصحابه، فأمره أن يخرج فيقف بين الصفيين، ويظهر أنه ابن المنذر، فلما خرج أخرج إليه الحارث ابنه أبا كرب، فلما رآه رجع إلى أبيه، وقال: إن هذا ليس بابن المنذر، إنما هو عبده أو بعض شجعان أصحابه، فقال: يا بني، أجزعت من الموت! ما كان الشيخ ليغدر<sup>(٢)</sup>! فعاد إليه وقتاله فقتله الفارس، وألقى رأسه بين يدي المنذر وعاد.

\* الكامل لابن الأثير: ١ - ٣٢٦

(١) في كتاب الأعلام للزركلي أن الحارث لقب عام ملوك الفسانيين، كقيصر عند الروم، وكسرى عند الفرس؛ وهو أشهر ملوك غسان ذكراً، وكان جواداً كثير الهبات دام ملكه نحو ٣٠ عاماً، ومات نحو سنة ٤٠ ق. هـ (٢) يغدر: ينقض العهد.

فأمر الحارث ابناً له آخر بقتاله والطلبِ بثأر أخيه ، فخرج إليه ، فلما واقفه <sup>(١)</sup> رجع إلى أبيه ؛ وقال : يا أبت ؛ هذا والله عبدُ المنذر ، فقال : يا بني ؛ ما كان الشيخ ليغدر ! فعاد إليه ، فشدّ عليه فقتله .

فلما رأى ذلك شمر بن عمر ، وكانت أمه غسانية وهو مع المنذر ، قال : أيُّها الملك ؛ إن الغدرَ ليس من شيمِ الملوك ولا السكّرام ، وقد غدرتَ بابن عمك دفعتين ، فغضبَ المنذر ، وأمر بإخراجه ، فلحق بمسكّر الحارث فأخبره ، فقال له : سلّ حاجتك ، فقال له : حلّتك وخلّتك .

فلما كان الندعي الجارث أصحابه وحرّضهم ، وكانوا في أربعين ألفاً واصطفوا للقتال ، فاقتتلوا قتالاً شديداً ؛ فقتلَ المنذر وهُزمت جيوشه ، فأمر الحارث بابنيه القتيلين فحُمِلَا على بعير بمنزلة العدلين ، وجُمِلَ المنذر فوقهما فردا ، وقال : « يَا لِعَلَاوَةٍ <sup>(٢)</sup> دُونَ الْعِدْلَيْنِ ! » وسار إلى الحيرة فَأَنهَبَهَا <sup>(٣)</sup> وأحرقها ، ودفن ابنيه بها ، وفي ذلك يقول الشاعر :

كم تركنا بالعين عَين أبايغ من ملوك وسوقة أ كفاء  
أمطرهم سحاب الموت تترى إن في الموت راحة الأشقياء  
ليس من مات فاستراح بميت إمّا الميتُ ميتُ الأحياء

(١) الموافقة : أن تقف معه ويقف معك في حرب أو خصومة (٢) العلاوة : ما يحمل على البعير وغيره ، وهو ما وضع بين العدلين (٣) أنهبها : أباحها لمن شاء .

١٥٥ — يثأر لأبيه وجدّه \*

كان من حديث قيس بن الخطيم<sup>(١)</sup> أن جدّه عدى بن عمرو قتله رجل من بني عمرو بن عامر يقال له : مالك ، وقتل أباه الخطيم بن عدى رجل من عبد قيس من يسكن هجر ، وكان قيس يوم قتل أبوه صبيّاً صغيراً ، وقتل الخطيم قبل أن يثأر بأبيه عدى ، فخشيت أم قيس على ابنها أن يخرج فيطلب بثأر أبيه وجدّه قتهلك .

فعمدت إلى كومة من تراب عند باب الدار ، فوضعت عليها أحجاراً وجعلت تقول لقيس : هذا قبر أبيك وجدك ، فكان قيس لا يشك في ذلك .

ونشأ أيداً<sup>(٢)</sup> شديد الساعدين ؛ فنازع يوماً فتى من فتيان بني ظفر ؛ فقال له ذلك الفتى : والله لو جعلت شدة ساعديك على قاتل أبيك وجدك لكان خيراً لك من أن تُخرجها على ؛ فقال : ومن قاتل أبي وجدى ؟ قال : سل أمك تخبرك .

فأخذ السيف ووضع قائمه على الأرض ، وذبابه<sup>(٣)</sup> بين ثديه ؛ وقال لأمه :

أخبريني من قتل أبي وجدى ؟ قالت : ماتا كما يموت الناس ، وهذان قبراهما بالفناء . فقال : والله لتُخبريني من قتلها ، أو لأتحمأكن على هذا السيف حتى يخرج من ظهري ! فقالت : أما جدك فقتله رجل من بني عمرو بن عامر بن ربيعة يقال له : مالك ، وأما أبوك فقتله رجل من عبد قيس ممن يسكن هجر .

\* الأغاني : ٣ - ٣

(١) قيس بن الخطيم : شاعر الأوس ، وأحد صناديدها في الجاهلية ، أدرك الإسلام وتريث في قبوله ، ثم قتل قبل أن يدخل فيه نحو سنة ٢ ق . هـ (٢) أيدا : شديداً قويا (٣) ذباب السيف : طرفه الذى يضرب به .

فقال : والله لا أنتهي حتى أقتل قاتلَ أبي وجدّي ؛ فقالت : يا بني ؛ إن مالكاً قاتلَ جدّك من قوم خِدَاشِ بنِ زُهَير ، ولأبيك عند خِدَاشِ نعمةٌ هو لها شاكر ، فأته فاستشِرْه في أمرِك واستعِنه يُعينُك .

فخرج قيسٌ من ساعته حتى أتى ناضِحه <sup>(١)</sup> وهو يسْتَقِي نَحْلَه ، فضربَ الجُريرَ <sup>(٢)</sup> بالسيفِ فقطعَه ، فسقطتِ الدلوُ في البئرِ ، وأخذ برأسِ الجملِ فحملَ عليه غِرَارَتَيْنِ <sup>(٣)</sup> من تمر ، وقال : من يكفيني أمرَ هذه العجوزِ ؟ يعني أمه - فإن متُّ أنفقَ عليها من هذا الحائطِ <sup>(٤)</sup> حتى تموتَ ثم هو له ، وإن عشتُ فمألي عائِدٌ إلىّ وله منه ما شاء أن يأكل من ثمره ؟ فقال رجلٌ من قومه : أنا له ، فأعطاه الحائطَ .

ثم خرج يسأل عن خِدَاشِ بنِ زُهَير حتى دُلَّ عليه بمرِّ الظَّهْرانِ <sup>(٥)</sup> ، فسار إلى خبائه فلم يجدَه ، فنزل تحت شجرة يكون تحتها أضيافُه ، ثم نادى امرأةَ خِدَاشِ : هل من طعام ؟ فأطَلَمَتْ إليه ، فأعجبها جماله ، وكانت من أحسن الناس وجهاً ؛ فقالت : والله ما عندنا من نُزُلٍ <sup>(٦)</sup> نرضاه لك إلا تمرأ ؛ فقال : لا أبالي ، فأخرِجني ما عندك ؛ فأرسلتْ إليه ، بقُبَاعٍ <sup>(٧)</sup> فيه تمر ، فأخذ منه تمرة فأكل شِقَّها وردَّ شِقَّها الباقيَ في القُبَاعِ ، ثم أمر بالقُبَاعِ فأدخل على امرأةِ خِدَاشِ بنِ زُهَير ، ثم ذهب لبعض حاجاته .

ورجع خِدَاشُ فأخبرته امرأته خبرَ قَيْسِ ، فقال : هذا رجلٌ مُتَحَرِّمٌ <sup>(٨)</sup>

(١) الناضح : البعير يستقي عليه الماء (٢) الجُرير : الحبل (٣) الغرارة : الكيس .  
(٤) الحائط : البستان (٥) الظهران : واد قرب مكة عند قرية يقال لها : « مر » تضاف إليه فيقال مر الظهران (٦) النزل : ما يهبأ للضيف من قرى (٧) القُبَاع : الكيال الضخم  
(٨) متحرم : له عندنا حرمة وذمة .

وأقبل قيس راجعاً . فلما رأى خِدَاشَ رِجْلَهُ وهو على بعيره قال لامرأته : هذا ضيفك؟ قالت : نعم ؛ قال : كأن قدمه قدم الخطيم صديقي اليتربي ؛ فلما دنا منه قرع طُنْبٌ<sup>(١)</sup> البيت بسنان رحبه ، واستأذن ، فأذن له خِدَاشُ ، فدخل إليه ، فنسبه<sup>(٢)</sup> فانسب ، وأخبره بالذي جاء له ، وسأله أن يُعِينَهُ ، وأن يَشِيرَ عَلَيْهِ في أمره ، فرحب به خدش ، وذكر نعمة أبيه عنده ، وقال : إن هذا الأمر مازلت أتوقِّعه منذ حين . فأما قاتلُ جدك فهو ابن عم لي وأنا أعينك عليه ، فإذا اجتمعنا في نادينا جلستُ إلى جانبه وتحدثت معه ، فإذا ضربتُ فخذه فثب إليه فاقتله .

قال قيس : فأقبلت معه نحوه حتى قتتُ على رأسه لئما جالسه خِدَاشُ ، فحين ضرب فخذه ضربتُ رأسه بسيف يقال له : ذُو الخِرِّصَيْنِ ؛ فنار إلى القوم ليقتلوني ، فحالك خدش بينهم وبينى ، وقال : دَعُوهُ فإنه والله ماقتل إلا قاتلَ جدّه .

ثم دعا خدش بجميلٍ من إبله فركبه ، وانطلق مع قيس إلى العبدى الذى قتل أباه ، حتى إذا كانا قريباً من هَجْرٍ ، أشار عليه خدش أن ينطلق حتى يسأل عن قاتل أبيه ، فإذا دُلَّ عليه قال له : إن لصاً من لصوص قومك عارضنى فأخذ منى متاعاً لي . فسألت : مَنْ سيِّدُ قومه ؟ فدللتُ عليك ؛ فانطلق حتى تأخذ متاعى منه ، فإن أتبعك وحده فستنال ما تريد منه ، وإن أخرج معك غيره فاضحك ، فإن سألك نِمٌّ ضحكتك ؟ فقل : إن الشريف عندنا لا يصنعُ كما صنعتَ إذا دُعِيَ إلى اللص من قومه ، إنما يخرج وحده بسوطه دون سيفه ، فإذا رآه اللص أعطى كل شيء أخذهُ ، هيبةً له ، فإن أمر أصحابه بالرجوع فذلك خير لك ، وإن أبى إلا أن يمضوا معه فائتنى به ، فإنى أرجو أن تقتله وتقتل أصحابه .

(١) الطنب بضمين . وسكون الثانى لفة : الحبل تشد به الحيمة ونحوها ، والجمع أطناب .

(٢) نسبه : طلب إليه أن ينتسب .

ونزل خِدَاشَ تحت ظل شجرة ، وخرج قيس حتى أتى العَبْدِيَّ ، فقال له : ما أمره خدش فأحفظه<sup>(١)</sup> ؛ فأمر أصحابه فرجعوا ومضى مع قيس ؛ فلما طلع على خِدَاش ، قال له : اختر يا قيس ؛ إما أن أُعِينَكَ وإما أن أكَفَيْكَ ، قال : لا أريدُ واحدةً منهما ، ولكن إن قتلتني فلا يُفْلِتَنَّكَ ؛ ثم ثار إليه فطعنه قيس ، بالحربة في خاصرته فأنفذها من الجانب الآخر ؛ فمات مكانه .

فلما فرغ منه قال له خِدَاش : إنا إن فررنا الآن طلبنا قومهُ ، ولكن ادخل بنا مكاناً قريباً من مَقْتَلِهِ ، فإنَّ قومه لا يظنون أنك قَتَلْتَهُ ، وأقتَ قريباً منه ؛ ولكنهم إذا افتقدوه<sup>(٢)</sup> اقتَفَوْا أثره ، فإذا وجدوه قتيلاً خرجوا في طلبنا في كل وجه ، فإذا يتسوا رجعوا .

قال : فدخلنا في دَارَاتٍ من رمالٍ هناك ، وفقدَ العَبْدِيَّ قومهُ فاقْتَفَوْا أثره فوجدوه قتيلاً ، فخرجوا يطلبونهما في كل وجه ثم رجعوا ، فكان من أمرهم ما قال خِدَاش ، وأقاما مكانهما أياماً ثم خرجا ، حتى أتيا منزلَ خِدَاش ففارقه عنده قيس بن الخطيم ورجع إلى أهله ، ففي ذلك يقول قيس :

تذكَرَ لِي حَسَنُهَا وَصَفَاءُهَا      وَبَانَتْ فَمَا إِنْ يَسْتَطِيعُ لِقَاءُهَا  
وَمِثْلُكَ قَدْ أُصِيبْتُ لَيْسَتْ بِكِنَّةٍ<sup>(٣)</sup>      وَلَا جَارَةٍ أَفْضَتْ إِلَى خِبَاءِهَا  
إِذَا مَا اصْطَبَحْتُ أُرْبَعًا خَطَّ مِثْرِي<sup>(٤)</sup>      وَأَتْبَعْتُ دَلْوِي فِي السَّاحِ رِشَاءُهَا<sup>(٥)</sup>  
ثَارَتْ عَدِيًّا وَالْحَطِيمَ فَلَمْ أَضِغْ      وَصَيَّةَ أَشْيَاحٍ جُعِلَتْ لِزَاهَا

(١) أحفظه : أغضبه (٢) افتقدوه : طلبوه عند غيبته (٣) الكنة : امرأة الابن أو الأخ (٤) يريد أنه إذا شرب أربعا اختال حتى جر ثوبه من الحياء (٥) يريد أنه بلغ في السباح منها ، يقال : أتبع الدلو رشاءها ، وأتبع الفرس لجامها ، إذا بذل آخر مجهوده .

١٥٦ — بعد طعن عمر بن الخطاب \*

خرج عمر<sup>(١)</sup> بن الخطاب يوماً يطوف في الشوق ، فلقته أبو لؤلؤة غلامُ  
المغيرة بن شعبة — وكان نصرانياً — فقال : يا أمير المؤمنين ؛ أعدني<sup>(٢)</sup> على المغيرة  
ابن شعبة ، فإنَّ عليَّ خراجاً كثيراً . قال : وم كم خراجك ؟ قال : درهمان في كل  
يوم . قال : ما صناعتك ؛ قال : نجار ، نقاش ، حدّاد ، قال : فما أرى خراجك  
بكثير على ما تصنع من الأعمال ، قد بلغني أنك تقول : لو أردتُ أن أعمل رحاً  
تطحن بالريح فعلت ، قال : نعم ، قال : فاعمل لي رحاً . قال : لئن سلمتُ  
لأعملنَّ لك رحاً يتحدث بها من بالشرق والغرب ، ثم انصرف عنه .

فقال عمر : لقد تَوَعَّدَنِي العبد آتفاً ، ثم انصرف عمر إلى منزله ، فلما كان  
من الغد جاءه كعبُ الأخبار فقال له : يا أمير المؤمنين ؛ اعهدْ ، فإنك ميتٌ في  
ثلاثة أيام ، قال : وما يُدريك ؟ قال : أجدُهُ في كتاب الله عز وجل ، التوراة .  
قال عمر : الله ! إنك لتجد عمر بن الخطاب في التوراة إقال : اللهم لا ؛ ولكني  
أجد صِفَتَكَ وحِلَّتِيكَ ، وأنه قد فني أجلك — وعمر لا يحس وجعاً ولا ألماً .

فلما كان من الغد جاء كعب ، فقال : يا أمير المؤمنين : ذهبَ يوم ، وبقى  
يومان ، ثم جاءه من غد ، فقال : ذهبَ يومان ؛ وبقى يوم وليلة ، وهي لك  
إلى صبيحتها .

\* تاريخ الطبري : ٥ - ١٢ ، العقد الفريد : ٢ - ٢٥٦

(١) عمر بن الخطاب : ثاني الخلفاء الراشدين ، المضروب ببدله المثل ، أسلم قبل الهجرة بخمسين  
سنة ، وبيع بالخلافة يوم وفاة أبي بكر ، وقتل سنة ٢٣ هـ (٢) أعداه : أعانه .

فلما كان الصبحُ خرج عمر إلى الصلاة ، وكان يوكل بالصفوف رجلا ، فإذا استوت جاء هو فكبر ، ودخل أبو لؤلؤة في الناس ، في يده خنجر له رأسان ، نصابُهُ<sup>(١)</sup> في وسطه ، ف ضرب عمر ست ضربات ؛ إحداهن تحت سُرته ، وهي التي قتله .

فلما وجدَ عمر حرَّ السلاح سقط وقال : أفي الناس عبدُ الرحمن بن عوف ؟ قالوا : نعم يا أمير المؤمنين ؛ هو ذا . قال : تقدّم فصلًا بالناس . فصليَّ عبد الرحمن ابن عوف ، وعمر طريح ، ثم احتمل ، فأدخل داره .

ولما أحسَّ الناسُ قربَ موته قالوا له : يا أمير المؤمنين ؛ لو استخلفت ! قال : إن تركتكم فقد ترككم من هو خيرٌ مني ، وإن استخلفتُ فقد استخلف عليكم من هو خيرٌ مني ، ولو كان أبو عبيدة بن الجراح حيًّا لاستخلفته ، فإن سألتني ربي ، قلت : سمعتُ نبيك يقول : « إنه أمينُ هذه الأمة » . ولو كان سالم مولى أبي حذيفة حيًّا لاستخلفته ، فإن سألتني ربي قلت : سمعتُ نبيك يقول : إن سالمًا يحب الله حبًّا ، لو لم يخف ماعصاه<sup>(٢)</sup> .

قيل له : فلو أنك عهدتَ إلى عبد الله بن عمر ؛ فإنه لذلك أهل ؛ لدينه وفضله وقديم إسلامه ، فقال : بحسب آل الخطاب أن يحاسبَ منهم رجلٌ واحد عن أمة محمد ، ولوددت أني نجوتُ من هذا الأمر كغافًا<sup>(٣)</sup> ، لا لي ولا لآلِي .

---

(١) نصاب السكين : ما يقبض عليه (٢) هذه الجملة تدل على تقرير عدم العصيان على كل حال ، وعلى أن اتقاء المعصية مع ثبوت الخوف أولى (المنقح ص ٢٠٢ ج ١) (٣) الكفاف : الذي لا يفضل عن الشيء ويكون بقدر الحاجة إليه ، وهو نصب على الحال ، وقيل : أراد مكثوفه عن شرها .

ثم رآحوا فقالوا : يا أمير المؤمنين ؛ لو عهدت ! فقال : قد كنتُ أُجمعتُ (١) بعد مقاتلي لكم أن أولي رجلاً أمركم أرجو أن يجمعكم على الحق - وأشار إلى علي - ثم رأيتُ ألا أتحمّلها حياً وميتاً . فليكم بهؤلاء الرّهط الذين توفّي رسول الله وهو عنهم راضٍ : سعدُ بن أبي وقاص ، وعبدُ الرحمن بن عوف ، وعليُّ بن أبي طالب ؛ وعثمانُ بن عفان ، والزبيرُ بن العوام ؛ وطلحةُ الخير .

وقال لعبد الرحمن ادعُ علياً وعثمان والزبير وسعداً وقال : انتظروا أخاكم طلحة ثلاثاً - وكان غائباً - فإن جاء وإلا فاقضوا أمركم . أنشدك الله يا علي إن وليت من أمور الناس شيئاً أن تحملَ بنى هاشم على رقاب الناس ! أنشدك الله يا عثمان إن وليت من أمور الناس شيئاً أن تحملَ بنى أبي معيط على رقاب الناس ! أنشدك الله يا سعد إن وليت من أمور الناس شيئاً أن تحملَ أقاربك على رقاب الناس ؛ قوموا فنشأوروا ، ثم افضوا أمركم ، وليصّل بالناس صهيّب .

ثم دعا أبا طلحة الأنصاري ، فقال : قم على بابهم فلا تدعُ أحداً يدخلُ إليهم ، وأوصي الخليفة من بعدى بالأنصار الذين تبيّوا الدار والإيمان : أن يحسن إلى مُحسنهم ، وأن ينفو عن مسيئهم ، وأوصي الخليفة من بعدى بالعرب ؛ فإنهم مادّة الإسلام ؛ أن يأخذ من صدقاتهم حقها فتوضع في قفرائهم ، وأوصي الخليفة من بعدى بدمّة محمد رسول الله ؛ أن يوفى لهم بعهدهم ، اللهم هل بلغت ! تركتُ الخليفة من بعدى على أنتقى من الراحة .

يا عبد الله بن عمر ؛ اخرج فانظر من قتلتني ؟ فقال : يا أمير المؤمنين ؛ قتلتك أبو لؤلؤة غلامُ المغيرة بن شعبة ، قال : الحمد لله الذي لم يجعل مني بيد رجل

(١) أجمعت : عزمت .

سجدَ لله سجدةً واحدةً ، يا عبد الله بن عمر ؛ اذهب إلى عائشة ، فسألها أن تأذن لي  
أن أدفن مع رسول الله وأبي بكر ، يا عبد الله بن عمر ؛ إن اختلف القوم فكُنْ مع  
الأكثر ، وإن كانوا ثلاثة وثلاثة فاتَّبِع الحزب الذي فيه عبد الرحمن ، يا عبد الله ؛  
أذن للناس .

فجعل يدخل عليه المهاجرون والأنصار فيسلمون عليه ويقول : أَعَنْ مَلَأٌ (١)  
منكم كان هذا ؟ فيقولون : معاذ الله ! ودخل في الناس كعب ، فلما نظر إليه  
عمر قال :

فأوعدني كعبٌ ثلاثاً أعدّها      ولا شكّ أن القول ما قال لي كعبُ  
وما بي حذارُ الموتِ إنّي لميتٌ      ولكن حذارُ الذنبِ يتبعه الذنبُ  
ثم فاضت روحه ، رحمه الله .

---

(١) أي مشاورة من أشرفكم وجماعتكم .

١٥٧ — المؤتمرون بعلی ومعاوية وعمرو\*

لما قتلَ علىٌ أهلَ النَّهْرَوَانَ ، وكان بالكوفة زهاء ألفين من الخوارج ممن لم يخرج مع عبد الله بن وهب ، وقومٌ ممن استأمنَ<sup>(١)</sup> إلى أبي أيوب الأنصاري ؛ فتجمَعُوا وأمروا عليهم رجلا من طيِّبٍ ؛ فوجَّه إليهم علىٌ رجلا وهم بالنُّخَيْلَةِ<sup>(٢)</sup> فدعاهم ورائق بهم فأبوا ، فعاودهم فأبوا ، فاقتتلوا جميعاً .

فخرجت طائفةٌ منهم نحو مكة ؛ فوجَّه معاويةٌ مَنْ يقيمُ للناس حجَّهم ؛ ففأوشه هؤلاء الخوارج ؛ فبلغ ذلك معاوية ؛ فوجَّه بسرَّ بن أرطاة أحدَ بني عامر ابن لؤي فتوقَّفوا وتراضوا بعد الحرب بأن يصلى بالناس رجلٌ من بني شيبه ؛ لئلا يفوتَ الناسَ الحجَّ .

فلما انقضى نظرت الخوارجُ في أمرها فقالوا : إن علينا ومعاوية قد أفسدا أمرَ هذه الأمة ، فلو قتلناها لعاد الأمرُ إلى حقِّه .

وقال رجلٌ من أشجعٍ : والله ما عمرو ودونها ؛ وإنه لأضلُّ هذا الفساد ! فقال عبد الرحمن بن ملجم . أنا أقتلُ علياً ! فقالوا : وكيف لك به ؟ قال : أغتاله !

فقال الحجاج بن عبد الله الصريميُّ : وأنا أقتلُ معاوية ! وقال زاذويه مولى بني العنبرِ : وأنا أقتلُ عمرأ !

\* المسعودي : ٢ - ٤٠ ، ابن أبي الحديد : ٢ - ٤٢ ، ٢ - ١٤٤ ، السكامل : ٢ - ١٢٥  
 رغبة الأمل : ٧ - ١١٨

(١) رفع على راية الأمان مع أبي أيوب ، فنادى : من جاء هذه الراية منكم ممن لم يقتل ولم يستعرض فهو آمن ، ومن انصرف إلى الكوفة أو إلى المدائن فهو آمن (١) النخيلة : موضع قرب الكوفة .

فَاجَمَعُوا رَأْيَهُمْ عَلَى أَنْ يَكُونَ قَتْلُهُمْ فِي لَيْلَةٍ وَاحِدَةٍ ؛ فَعَمِلُوا تِلْكَ اللَّيْلَةَ لَيْلَةً إِحْدَى وَعِشْرِينَ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ .

فَخَرَجَ كِلْتَا وَاحِدٍ مِنْهُمَا إِلَى نَاحِيَةٍ : فَاتَى ابْنَ مُلْجَمِ الْكُوفَةَ ، فَأَخْفَى نَفْسَهُ ، وَأَرَادَ أَنْ يَتَزَوَّجَ مِنْ امْرَأَةٍ يُقَالُ لَهَا قَطَامٌ . بِنْتُ عَقْمَةَ ؛ وَكَانَتْ تَرَى رَأْيَ الْخُورِاجِ <sup>(١)</sup> ؛ فَقَالَتْ لَهُ : لَا أَفْعُ مِنْكَ إِلَّا بِصِدَاقٍ أُسْمِيَهُ لَكَ وَهُوَ ثَلَاثَةُ آلَافِ دِرْهَمٍ وَعَبْدٌ وَأَمَةٌ ، وَأَنْ تَقْتَلَ عَلِيًّا ! فَقَالَ لَهَا : لَكَ مَا سَأَلْتِ أَفَكَيْفَ لِي بِهِ ؟ قَالَتْ : تَرَوْمُ ذَلِكَ غَيْسَلَةٌ ؛ فَإِنْ سَلِمْتَ أَرَحْتَ النَّاسَ مِنْ شَرِّ وَأَقْتَمْتَ مَعَ أَهْلِكَ ، وَإِنْ أُصِيبَتْ صِرْتَ إِلَى الْجَنَّةِ وَنَعِيمٌ لَا يَزُولُ ! فَانْتَمَ <sup>(٢)</sup> لَهَا ، وَخَرَجَ مِنْ عِنْدِهَا وَهُوَ يَقُولُ :

وَلَمْ أَرَ مَهْرًا سَاقَهُ ذُو سَمَاحَةٍ      كَمَهْرٍ قَطَامٍ مِنْ فَصِيحٍ وَأَعْجَمٍ  
ثَلَاثَةَ آلَافٍ وَعَبْدٌ وَقَيْنَةٌ      وَضَرْبٌ عَلَى الْبُحْسَامِ الْمَصْمِ <sup>(٣)</sup>  
فَلَا مَهْرَ أَغْلَى مِنْ عَلِيٍّ وَإِنْ غَلَا      وَلَا فَتْكَ إِلَّا دُونَ فَتْكَ ابْنِ مُلْجَمٍ

ثُمَّ أَتَاهُ ابْنُ مُلْجَمٍ ؛ فَلَامَتَهُ امْرَأَتُهُ ، وَقَالَتْ : لَا تَمْضِ لِمَا قَصَدْتَ ! لِشَدِّ مَا أَحْبَبْتَ أَهْلَكَ ! قَالَ : إِنِّي قَدْ وَعَدْتُ صَاحِبِي وَقَتًّا بَعِينًا .

ثُمَّ واطأ رجلاً من أشجع يقال له شبيب بن بحيرة على ذلك .

فَلَمَّا كَانَتْ لَيْلَةُ إِحْدَى وَعِشْرِينَ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ خَرَجَ ابْنُ مُلْجَمٍ وَشَبِيبُ الْأَشْجَعِيِّ فَاعْتَوَرَا <sup>(٤)</sup> الْبَابَ الَّذِي يَدْخُلُ مِنْهُ عَلَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مَغْلَسًا <sup>(٥)</sup> وَيُوقِظُ

(١) كان على قتل أباهما وأخاهما يوم النهروان ، وكانت أجل أهل زمانها (٢) أنتم لها : قال لها : نعم (٣) المصم من السيوف : الذي يمر في العظام (٤) اعتوروا الشيء : تداولوه فيما بينهم (٥) التغليس : السير بغلس ، والغلس : ظلمة آخر الليل .

الناس للصلاة ؛ فخرج كما كان يفعل ، فضربه شبيب فأخطأه ، وأصاب سيفه  
الباب ، وضربه ابن مُلجَم على صلعتيه وهو يقول : لله الحكم لالك يا علي .  
فقال عليّ : قُرْتُ<sup>(١)</sup> ورب الكعبة ! شأنكم بالرجل !

وحمل ابن مُلجَم على الناس بسيفه ، فأفرجوا له ، وتلقاه المغيرةُ بن توفل بن  
الحارث بن عبد المطلب بقطيفة ، فرمى بها عليه ، واحتمله فضرب به الأرض - وكان  
المغيرةُ أيداً<sup>(٢)</sup> - فقعده على صدره .

وأما شبيب فانتزع السيفَ منه رجل من حَضْرَمَوْت ، وصرعه ، وقعد على  
صدره ؛ وكثر الناس ، فجمعوا يصيحون : عليكم صاحبَ السيف ؛ تخاف الحضرمي  
أن يُكَبِّئوا عليه ، ولا يسمعوا عذره ؛ فرمى بالسيف ، وانسلَّ شبيب بين الناس .  
فدخلَ عليّ على عليّ رضي الله عنه ، فأمر فيه فاختلف الناس في جوابه ، فقال  
عليّ : إِنْ أَعِشْ فَأَلْمُرُ إِلَى ، وَإِنْ أَصَبْ فَأَلْمُرْ لَكُمْ ، فَإِنْ آثَرْتُمْ أَنْ تَقْتَصُوا  
فَضْرِبَةٌ بِضْرِبَةٍ ، وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبَ لِلتَّقْوَى .

وأقام عليّ يومين ؛ فسمع ابن ملجَم الرثّة من الدار ، فقال له من حضره : أي  
عدوّ الله ، إنه لا بأس على أمير المؤمنين ، فقال : أما والله لقد اشتريتُ سيفي بألف  
درهم ، وما زلتُ أعْرِضُه فما يعيبه أحدٌ إلا أضلحتُ ذلك العيب ، ولقد سقيتهُ  
السّمَّ حتى لفظه ، ولقد صرَبْتُهُ ضربةً لو قَسِمْتُ على مَنْ بالمشرق  
لَأَتَتْ عَلَيْهِمْ .

ومات عليّ رضي الله عنه ، في اليوم الثالث .

---

(١) قار الشئ : قطعه من وسطه خرقاً مستديراً (٢) الأيد : القوى .

فدعا به الحسنُ رضى الله عنه فقال ابنُ مُلجم : إن لى عندك سرّاً ! فقال الحسن : أتدرون ما يريد منى ؟ يريد أن يقرب من وجهى فيعض أذنى فيقطمها ! فقال : أما والله لو أمكنتنى منها لا قتلعتها من أصلها ! فقال الحسن : كلا والله لأضربنك ضربة تؤدى بك إلى النار ! فقال : لو عملتُ أن هذا فى يديك ما اتخذت إلهاً غيرك ! فقال عبد الله بن جعفر : يا أبا محمد ؛ ادفعه إلىَّ أشفِ نفسى منه ؛ فأحى له ميلين وكحلّه بهما فجعل يقول : إنك يا بن أخى لتكحلُّ عمك بمؤولين<sup>(١)</sup> مضاضين<sup>(٢)</sup> . ثم قتله .

وأما الحجاجُ بن عبد الله الصَّريِّمى فإنه ضرب معاويةَ مُصلِّياً ، فأصاب ما كَمَّته<sup>(٣)</sup> ، وكان معاويةَ عظيمَ الأوزاكِ قطع منه عرقاً ، فجاء الطبيب إليه فنظر إلى الضربة ، فقال : إن السيف مسموم ، فاخترْ إما أن أحمى لك حديدة فأجعلها فى الضربة ، وإما أن أسقيك دواء فتبرأ وينقطع نسلك ! فقال : أما النار فلا أطيقها ، وأما النسل فى يزيدي وعبد الله ما تقرُّ به عينى ، وحسى بهما . فسقاه الدواء ، فعوفى وعالج جرحه حتى التأم ، فلم يولدْ لمعاوية بعد ذلك ولد .

فلما أخذ قال : الأمان والبشارة ؛ قُتِلَ علىَّ فى هذه الصبيحة ، فاستؤننى<sup>(٤)</sup> به حتى جاء الخبر ، فقطع معاوية يده ورجله ؛ فأقام بالبصرة ؛ فبلغ زياداً أنه قد ولد له ، فقال : أيولده وأميرُ المؤمنين لا يولد له فقتله .

وأما زاذويه فإنه أُرصدَ لعمرو ، واشتكى عمرو بطنه فلم يخرج للصلاة وخرج خارجة<sup>(٥)</sup> ، فضربه زاذويه فقتله .

(١) اللؤلؤ : الكحل (٢) مض الكحل العين : آلمها (٣) الأكمة : لحمه على رأس الورك (٤) استأنى : تأنى وثبت (٥) هو خارجة بن خذافة أحد بنى عامر ابن لؤى .

فلما دُخِلَ به على عمرو فرآهم يخاطبونه بالإمرة ، قال : أو ما قتلتُ عمرًا !  
قيل : لا ؛ إنما قتلت خارجة . قال : أردتُ عمرًا . وأراد الله خارجة !  
وأوقفَ الرجل بين يدي عمرو فسأله عن خبره ، فقصَّ عليه القصة ، وأخبره أن  
عليًا ومعاوية قُتِلَا في هذه الليلة ، فقال : لا بد من قتلك ؛ فبكي ، فقيل له : أجزعاً  
من الموت مع هذا الإقدام ! فقال : لا والله ؛ ولكن غمًّا أن يفوزَ صاحبي بقتل علي  
ومعاوية ، ولا أفوز أنا بقتل عمرو ! فضرب عنقه وصُلب .

١٥٨ — بين عبد الملك بن مروان وعمرو بن سعيد\*

لما أراد عبدُ الملك بن مروان الخروجَ إلى العراق لقتال مُصعب<sup>(١)</sup> بن الزبير، وأخذ في جهّازه أبلت عاتكة ابنة يزيد بن معاوية، امرأته، في جواربها، وقد تزينت بالخلّي، فقالت: يا أمير المؤمنين؛ لو قعدتَ في ظلال مُلكك، ووجهت إليه كلبًا من كلابك لكفأك أمره، فقال: هيات! أما سمعت قول الأول:

قومٌ إذا ما غزَوْا شَدُّوا مَازِرَهم دونَ النساءِ ولو بَاتَتْ بأطهارِ  
فلما أبى عليها وعزم، بكت وبكى معها جواربها، فقال عبد الملك: قاتل الله ابن أبي ربيعة؛ كأنه ينظر إلينا حيث يقول:

إذا ما أراد الفِزْوَ لم يثنِ همَّهُ حَصَانٌ عليها نَظْمٌ دُرٌّ يَزِينُهَا  
نَهْتَهُ فلَمَّا لم تَرَ النَّهْيَ عَاقَهُ بَكَتْ فبَكَى مِمَّا دَهَاها قَظِينُهَا<sup>(٢)</sup>

ثم خرج يُريدُ مُصعب، فلما كان من دمشق على ثلاث مراحل أغلق عمرو بن سعيد دمشق، وخالف عليه، فقيل له: ما تصنع؟ أنريدُ العراق وتدعُ دمشق؟ أهلُ الشام أشدُّ عليك من أهل العراق. فرجع مكانه، وحاصر أهل دمشق حتى صالح عمرو بن سعيد على أنه الخليفة بعده، وأن له مع كل عامل عاملًا. ففتح له دمشق، وكان بيت المال بيد عمرو بن سعيد، فأرسل إليه عبد الملك:

\* المقدم الفريد: ٣ - ١٥٣، الأملال: ١ - ١٤

(١) انظر صفحة ١٦٨

(٢) الجهاز - بالفتح والكسر - للمسافر: ما يحتاج إليه

(٣) القطين: الخدم.

أن أخرج للحرس أرزاقهم . فقال : إذا كان لك حرس فإن لنا حرساً أيضاً ، فقال عبد الملك : أخرج للحرس أرزاقهم .

فلما كان يوم من الأيام أرسل عبد الملك إلى عمرو بن سعيد نصف النهار . أن ائتني أبا أمية حتى أدبر معك أموراً ، فقالت امرأته : يا أبا أمية ؛ لا تذهب إليه ، فإنني أتخوفُ عليك منه ، فقال : والله لو كنتُ نائمًا ما أيقظني ! قالت : والله ما آمنه عليك ، وإني لأجدُ ريحَ ديمٍ مسفوحٍ ؛ فما زالت به حتى ضربها بقائم سيفه فشحجها .

فخرج وخرج معه أربعة آلاف من أبطال أهل الشام الذين لا يُقدر على مثلهم ، مسلحين ، فأحدقوا بمحضراء دمشق ، وفيها عبدُ الملك ، فقالوا : يا أبا أمية ؛ إن ربك ريبٌ فأسمعنا صوتك ، ثم دخل ، فجعلوا بصيحون : يا أبا أمية ؛ أسمعنا صوتك - وكان معه غلام أسحم<sup>(١)</sup> شجاع - فقال له : اذهب إلى الناس فقل لهم : ليس عليه بأس ؛ فقال له عبد الملك : أمكراً عند الموت أبا أمية ! خذوه ، فأخذوه ثم قال له عبد الملك : إني أقسمتُ إن أمكنتني منك يد أن أجعل في عنقك جامعة<sup>(٢)</sup> ، وهذه جامعة من فضة ، أريد أن أبرَّ بها قسماً ، وطرح رقبته في الجامعة ، ثم نثره<sup>(٣)</sup> إلى الأرض بيده ، فانكسرت نبيته<sup>(٤)</sup> ، فجعل عبد الملك ينظر إليه ، فقال عمرو : ولا عليك يا أمير المؤمنين ، عظم انكسر .

وجاء المؤذنون فقالوا : الصلاة يا أمير المؤمنين - لصلاة الظهر - فقال لعبد العزيز ابن مروان : اقتله حتى أرجع إليك من الصلاة ، فلما أراد عبد العزيز أن يضرب

(١) الأسحم : الأسود (٢) الجامعة : الفل (٣) النثر : الجذب بجفاء (٤) النبية من الأربح التي في مقدم الفم ، ثنتان من فوق ، وثنتان من أسفل .

عنفه ، قال له عمرو : نَشَدْتِكَ <sup>(١)</sup> الرَّحِمَ يا عبد العزيز ألا تقتلني من يديهم ، فجاء عبد الملك ، فرآه جالساً . فقال : مالك لم تقتله ؟ لعنك الله ، ولعن أمّاً ولدتك ! ثم قال : قدّموه إليّ ، فأخذ الحربة بيده فقال : فعلتها يا بنَ الزرقاء ، فقال له عبد الملك : إني لو علمت أنك تبقى ويصلحُ لي ملكي لفديتُك بدم الناظر ، ولكن قلما اجتمع فخلان في ذود <sup>(٢)</sup> إلا عدّاً أحدهما على الآخر ، ثم رفع إليه الحربة فقتله وقد يرعد ، ثم أمر به فأدرج في بساط وأدخل تحت السرير .

وأرسل إليه قبيصة <sup>(٣)</sup> بن ذؤيب الخزاعيّ فدخل عليه ، فقال : كيف رأيتُك في عمرو بن سعيد الأشدق ، فقال - وقد أبصر قبيصة رجلاً عمرو تحت السرير : اضرب عنقه يا أمير المؤمنين ، واطرح رأسه ، وانثر على الناس الدنانير يتشاغلون بها ، ففعل ، وافترق الناس .

---

(١) نَشَدْتِكَ : سأنتك (٢) الذود من الإبل : ما بين الثلاث إلى العشر (٣) صحابي من الفقهاء الوجوه ، كان على خاتم عبد الملك بن مروان بالشام ، وتوفى بدمشق سنة ٥٨٦ هـ .

١٥٩ — الأخطل يفرق من الجحاف \*

كان الجحافُ بن حكيم السلمي<sup>(١)</sup> من فتاك العرب ، وكان من خبر ابن عمه  
 عمير بن الحباب السلمي أنه نهض في الفتنه التي كانت بالشام بين قيس وكنب  
 بسبب الزبيرية والمروانية ، فلقى في بعض تلك المغاورات<sup>(٢)</sup> خيلاً لبني تغلب ؛  
 فقتلوه ؛ فلما اجتمع الناس على عبد الملك بن مروان ، ووضعت تلك الحرب أوزارها  
 دخل الجحاف على عبد الملك والأخطل عنده ، فالتفت إليه الأخطل فقال :

ألا سائل الجحاف هل هو نائرٌ      لِقَتَلَى أُصِيبَتْ مِنْ سَلِيمٍ وَعَامِرِ !  
 فقال الجحاف مجيباً له :

بلى ، سوف أبكيهم بكل مهندٍ      وأبكي عميراً بالرماح الخواطر<sup>(٣)</sup> .  
 ثم قال : يا بن النصرانية ؛ ما ظننتك تجترى على بمنل هذا ولو كنتُ  
 مأسوراً ! فحم الأخطل فرقا<sup>(٤)</sup> من الجحاف ، فقال عبد الملك : لا ترع ، فإني جارك  
 منه . فقال الأخطل : يا أمير المؤمنين ؛ هبك تجيرني منه في اليقظة ، فكيف تجيرني

في النوم !

ثم نهض الجحاف من عند عبد الملك يسحب كسأه ، فقال عبد الملك : إن  
 في قفاه لقدرة ، ومرّ الجحاف لطيبته<sup>(٥)</sup> ، وجمع قومه وأنى الرصافة ، ثم سار إلى بني

\* بجم الأمثال : ٢ - ٢٤ ، معجم البلدان : ٢ - ١٨٦

(١) فانك ، نائر ، شاعر كان معاصراً لعبد الملك بن مروان ، توفي نحو سنة ٩٠ هـ (٢) غاورم :  
 أغار عليهم وأغاروا عليه ، والمغاورة مفاعلة (٣) للهند : السيف . خطر الرمح : اهتز .  
 (٤) فرقا : خوفاً (٥) يقال : مضى لطيبته ، أى لوجهه الذي يريد به ، ولينته التي اتواها .  
 ( ٢٦ - قصص - ثالث )

تَغْلِبُ فِصَادِفَ فِي طَرِيقِهِ أَرْبَعًا مِائَةً مِنْهُمْ قَتَلْتَهُمْ ، وَمَضَى إِلَى الْبِشْرِ <sup>(١)</sup> فِصَادِفَ عَلَيْهِ جَمْعًا مِنْ تَغْلِبَ ، فَقَتَلَ مِنْهُمْ خَمْسًا مِائَةً رَجُلًا ، وَتَعَدَّى الرِّجَالَ إِلَى قَتْلِ النِّسَاءِ وَالْوَالِدَانِ <sup>(٢)</sup> ، فَنَادَتْهُ مَجْمُوزٌ مِنْهُمْ ، وَقَالَتْ : يَا جِحَافُ ! أَتَقْتُلُ النِّسَاءَ ! فَانْحَذِلْ وَرَجِعْ .

فَبَلَغَ الْخَبْرُ الْأَخْطَلَ ، فَدَخَلَ عَلَى عَبْدِ الْمَلِكِ ، وَقَالَ :  
لَقَدْ أَوْقَعَ الْجِحَافُ بِالْبِشْرِ وَقَعَةً إِلَى اللَّهِ مِنْهَا الْمُسْتَكِي وَالْمَعُولُ  
فَأَهْدِرُ <sup>(٣)</sup> عَبْدَ الْمَلِكِ دَمَ الْجِحَافِ . فَهَرَبَ إِلَى الرُّومِ ، فَكَانَ بِهَا سَبْعَ سِنِينَ ،  
وَمَاتَ عَبْدَ الْمَلِكِ ، وَقَامَ الْوَلِيدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ ، فَاسْتَبْرَأَ لِلجِحَافِ ، فَأَمَّنَهُ ،  
فَرَجِعْ .

---

(١) البشـر . ماء لبني تغلب . (٢) الوليد . المولود ، والصبي والعبد ؛ جمه الولائد والولدان  
(٣) أهـدر دمـه : أبطله ؛ أي أباح قتله .

١٦٠ — قد أخرجتُ الإذن عليه لتقتلوه فلم تفعلوا \*

قال عبّيد الله بن قيس الرقيّات<sup>(١)</sup> : خرجتُ مع مُصعب بن الزبير حين بلغه شخصُ عبدِ الملك بن مروان إليه . فلما نزل مُصعب بمسكن<sup>(٢)</sup> ، ورأى معالمَ الغدْرِ ممن معه ، دعاني ودعا بجالٍ ومناطقٍ<sup>(٣)</sup> ، فلأُ المناطقَ من ذلك المالِ وألبسني منها ، وقال لي : انطلق حيث شئتُ فإني مقتول ؛ فقلتُ له : والله لا أريم<sup>(٤)</sup> حتى أرى سبيك ، فأقتُ معه حتى قُتل .

ثم مضيتُ إلى الكوفة ، فأول بيت صرتُ إليه دخلته ، فإذا فيه امرأةٌ لها ظبيّتان ، فرقيتُ في درجةٍ لها إلى مشربةٍ<sup>(٥)</sup> ، فعمدتُ فيها ، فأمرتُ لي المرأةُ بما احتاجُ إليه من الطعام والشراب والفرشِ والماء للوضوء ، فأقتُ كذلك عندها أكثرَ من حوّل ، تُقيمُ لي ما يصلحني ، وتغدو عليّ في كلّ صباح فتسألني بالصباح والحاجة<sup>(٦)</sup> ، ولا تسألني من أنا ، ولا أسألها من هي ! وأنا في ذلك أسمعُ الصباح فيّ وأجعل .

فلما طال بي المقام ، وقعدتُ الصّباح فيّ ، وغرضتُ<sup>(٧)</sup> بمكاني غدتُ عليّ

\* الأغاني : ٥ - ٧٦

(١) عبّيد الله بن قيس الرقيّات : شاعر قريش في الإسلام ، ولقب الرقيّات لأنه شبّ بثلاث نسوة سمين جميعاً رقية (٢) مسكن : موضع على نهر دجيل ( شعب من دجلة ) بالكوفة ، به كانت الوقعة بين عبد الملك بن مروان ، ومصعب بن الزبير في سنة ٧٢ هـ وبه قتل مصعب .  
(٣) المنطقة : ما يشد على الوسط (٤) لا أبرح (٥) المشربة : الفرفة والولية .  
(٦) أي تقول : كيف أصبحت ؟ (٧) غرضت : مللت .

تسألني بالصبح والحاجة ، ففرقتها أنى قد غرِضتُ وأحببت الشُّخوص إلى أهلى ؛  
قالت لى : نأتيك بما تحتاجُ إليه إن شاء الله تعالى .

فلما أمسيتُ ، وضرب الليل برواقه رَقِيتُ إلىَ وقالتُ : إذا شئتُ ، فزلتُ  
وقد أعددتُ راحلتين عليهما ما أحتاجُ إليه ، ومعهما عبد ، وأعطتُ العبد نفقة الطريق ،  
وقالت : العَبْدُ والراجلتان لك .

فركبته وركب العبد معى حتى طرقتُ أهل مكة ، فدقت منزلى ؛ فقالوا لى :  
من هذا ؟ قلت : عبيد الله بن قيس الرقيات ، فولئولوا وبكوا ، وقالوا : ما ظرفنا  
طلبكُ إلا فى هذا الوقت ؛ فأمت عندهم حتى أسحرتُ<sup>(١)</sup> .

ثم نهضتُ ومعى العبد حتى قدِمْتُ المدينة ، فحِثُّ عبد الله بن جعفر بن  
أبى طالب عند المساء ، وهو يُعشى أصحابه ، فجلستُ معهم ، وجعلتُ أتعاجم وأقول:  
إباربار<sup>(٢)</sup> ابن طيار<sup>(٣)</sup> ! فلما خرج أصحابه كشفتُ له عن وجهى ، فقال :  
ابن قيس ؟ قلت : ابن قيس ، جئتُك عائداً بك ؛ قال : ويحك ! ما أجدهم فى  
طلبك ! وأحرصهم على الظفر بك ! ولكنى سأكتبُ إلى أم البنين بنتِ  
عبد العزيز بن مروان فهى زوجةُ الوليد بن عبد الملك ، وعبد الملك أرقُ شىء  
عليها . فكتبُ إليها يسألها أن تشفعَ له إلى عمها ، وكتبَ إلى أبيها يسأله أن يكتبَ  
إليها كتاباً يسألها الشفاعة .

فدخل عليها عبد الملك كما كان يفعلُ وسألها : هل من حاجة ؟ فقالت : نعم

(١) أسحر: دخل فى وقت السحر (٢) ربار: كلمة فارسية ، ومعناها : صاحب والشفيق  
والعين (٣) الطيار : لقب جعفر بن أبى طالب ، والد عبد الله هذا :

لى حاجة ؛ فقال : قد قضيتُ كلَّ حاجة لك إلا ابن قيس الرقيات ؛ قالت :  
 لا تَسْتَنْ عَلَى شَيْئًا ! فَتَفَحَّ (١) بيده ، فأصاب خدَّها ، فوضعت يدها على خدَّها ؛  
 فقال لها : يَا بِنْتِي ؛ ارفعي يدك ، قد قضيتُ كلَّ حاجة لك ، وإن كانت ابن قيس  
 الرقيات ؛ قالت : إن حاجتي ابن قيس الرقيات تؤمِّنه ، فقد كتب إلى أبي يسألني  
 أن أسألك ذلك ؛ قال : فهو آمن فمُريه يحضر مجلسي العشية .

فحضر ابن قيس وحضر الناسُ حين بلغهم مجلسُ عبد الملك ، فأخَّرَ الإذْنَ ،  
 ثم أذِنَ للناس ، وأخَّرَ إذْنَ ابن قيس الرقيات حتى أخذوا مجالسهم ، ثم أذِنَ له ؛  
 فلما دخل عليه قال عبد الملك : يَا أَهْلَ الشَّامِ ؛ أتعرفون هذا ؟ قالوا : لا ؛ فقال :  
 هذا عبيد الله بن قيس الرقيات الذي يقول :

كيف نومي على الفراش ولما تشمل الشامَ غارةً شعواه  
 تُذْهِلُ الشَّيْخَ عن بنيه وتُبْدِي عن خِدَامِ العقيلة العذراه (٢)

فقالوا : يا أمير المؤمنين ، استغنا دمَ هذا المنافق ! قال : الآن وقد أمَّنته وصار  
 في منزلي وعلى بساطي ! قد أخرتُ الإذنَ له لتقتلوه فلم تفعلوا . فاستأذنه ابن قيس  
 أن ينشده مديحه فأذِنَ له ، فأنشده قصيدته التي يقول فيها :

عادَ له من كَثِيرَةٍ (٣) الطَّرَبُ (٤) فعينه بالدموع تنسكبُ  
 كوفِيَّةٌ نازحٌ محلَّتْهَا لا أمُّ (٥) دارها ولا صقْبُ (٦)

(١) فح بيده : ضرب بها ضربة خفيفة (٢) الخدام : جمع خدمة (بالتحريك) وهم  
 الخلقال : قال في اللسان : أراد وتبدي عن خدام العقيلة ، وخدام هنا في نية عن خدامها ، وعدى  
 تبدي بمن لأن فيه معنى تكشف (٣) كثيرة هي التي تزل بدارها عبد الله بن قيس فأوته  
 وأصبح بعد ذلك يذكرها كثيراً في شعره (٤) الطرب هنا : الحزن (٥) لا أم دارها :  
 ليست قريبة (٦) الصقْب : الملاصقة .

والله ما إن صَبَّتْ إِلَى وَلَا يُعْرِفُ بَيْنِي وَبَيْنَهَا سَبَبُ  
إِلَّا الَّذِي أَوْرَثَتْ كَثِيرَةً فِي الْقَلْبِ، وَلِلْحَبِّ سَوْرَةٌ<sup>(١)</sup> عَجَبُ  
حَتَّى قَالَ فِيهَا :

إِن الْأَغْرَ الَّذِي أَبُوهُ أَبُو الْعَاصِي عَلَيْهِ الْوَقَارُ وَالْحُجُبُ  
يَعْتَدِلُ النَّاجُ فَوْقَ مَنْرِ قَهْ عَلَى جَبِينِ كَأَنَّهُ الذَّهَبُ<sup>(٢)</sup>

فَقَالَ لَهُ عَبْدُ الْمَلِكِ : يَا بَنُ قَيْسِ ؛ تَمَدَحْنِي بِالنَّاجِ كَأَنِّي مِنَ الْعَجْمِ ، وَقَوْلُ  
فِي مُصْعَبِ :

إِنَّمَا مُصْعَبٌ شِهَابٌ مِنَ اللَّهِ تَجَلَّتْ عَنْ وَجْهِهِ الظُّلُمَاءُ  
مُلْكُهُ مُلْكُ غِرَّةٍ لَيْسَ فِيهِ نَجَبْرُوتٌ مِنْهُ وَلَا كِبْرِيَاءُ

أَمَّا الْأَمَانُ فَقَدْ سَبَقَ لَكَ ؛ وَلَكِنْ لَا تَأْخُذْ مَعَ الْمُسْلِمِينَ عَطَاءً أَبَدًا .

فَذَهَبَ ابْنُ قَيْسٍ إِلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَعْفَرٍ ، وَقَالَ لَهُ : مَا نَفَعْنِي أَمَانِي ، تَرِكَتُ  
حَيًّا كَيْتٍ ، لَا آخُذُ مَعَ النَّاسِ عَطَاءً أَبَدًا !

فَقَالَ لَهُ عَبْدِ اللَّهِ : كَمْ بَلَغْتَ مِنَ السَّنِ ؟ قَالَ : سِتِّينَ سَنَةً . قَالَ : فَعَمَّرَ<sup>(٣)</sup>

نَفْسَكَ ، قَالَ : عَشْرِينَ سَنَةً مِنْ ذِي قَبَلٍ<sup>(٤)</sup> ، فَذَلِكَ ثَمَانُونَ سَنَةً ، قَالَ : كَمْ عَطَاؤُكَ ؟

قَالَ : أَلْفًا دَرَاهِمًا ، فَأَمَرَ لَهُ بِأَرْبَعِينَ أَلْفًا دَرَاهِمًا ، وَقَالَ : ذَلِكَ لَكَ عَلَىَّ إِلَى أَنْ تَمُوتَ

عَلَى تَعْمِيرِكَ نَفْسِكَ ، فَعِنْدَ ذَلِكَ قَالَ عَبِيدُ اللَّهِ بْنِ قَيْسِ الرِّقِيَّاتِ يَمْدَحُ عَبْدِ اللَّهِ

ابْنَ جَعْفَرِ :

(١) السورة : شدة الأمر (٢) وفي هذه القصيدة :

ما تقنوا من بني أمية إلا  
وأنتهم سادة الملوك فإ  
أنهم يحملون إن غضبوا  
تصلح إلا عليهم العرب

(٣) عمر نفسه : قدر لها قدرًا محدوداً (٤) يقال : أفعل ذلك من ذي قبل : أى أفعله من

تَقَدَّتْ بِي الشَّهْبَاءِ نَحْوَ ابْنِ جَعْفَرٍ<sup>(١)</sup> سَوَاءٌ عَلَيْهَا لَيْلٌ وَنَهَارُهَا  
تَزُورُ امْرَأً قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ أَنَّهُ تَجَوَّدُ لَهُ كَفٌّ قَلِيلٌ غَرَارُهَا<sup>(٢)</sup>  
أَتَيْتُكَ نُذْنِي بِالَّذِي أَنْتَ أَهْلُهُ عَلَيْكَ كَمَا يُنْزِي عَلَى الرَّوْضِ جَارُهَا  
فَوَاللَّهِ لَوْلَا أَنْ تَزُورَ ابْنَ جَعْفَرٍ لَكَانَ قَلِيلاً فِي دِمَشْقَ قَرَارُهَا  
إِذَا مَتَّ لَمْ يَوْصَلْ صَدِيقٌ وَلَمْ تَقُمْ طَرِيقٌ مِنَ الْمَعْرُوفِ أَنْتَ مَنَارُهَا  
ذَكَرْتُكَ إِنْ فَاضَ الْقَرَاتُ بِأَرْضِنَا وَفَاضَ بِأَعْلَى الرَّقَّتَيْنِ<sup>(٣)</sup> بِجَارُهَا

---

(١) تقدت : أى سارت سيراً ليس بعجل ولا مبطئ ، ولزمت سنن الطريق (٢) قليل غرارها : أى أن منها المعروف قليل ، وأصل الفرار أن تمنع الناقة درتها ، ثم يستعار في كل ما أشبه ذلك ، أو الفرار : المثال (٣) الرقتان : يراد بهما الرقة والرائقة ، وهما مدينتان ، والتثنية من باب التقليل .

## ١٦١ - آبي الضيم\*

قال المفضل الضبي:

كان إبراهيم بن عبد الله بن الحسن<sup>(١)</sup> متوارياً عندي بالبصرة ، وكنت أخرج وأتركه ، فقال لي : إذا خرجت ضاق صدري ، فأخرج إلى شيناً من كتبك أنفرتجُ به ، فأخرجتُ له كتباً من الشعر ، فاختر منها القصائد التي صدرتُ بها كتاب المفضليات ، ثم أتممتُ عليها باقي الكتاب .

فلما خرج خرجتُ معه ، فلما صار بالمرْبَد ، مر بد سليمان بن عليّ ، وقف عليهم ، واستسقى ماء ، فأتي به ، فشرِب ، فأخرج إليه صبيان من صبيانهم ، فضمّمهم إليه ، وقال : هؤلاء والله منا ونحن منهم لحنا ودمنا ، ولكن آباءهم انزوا<sup>(١)</sup> على أمرنا ، وابتزوا حقوقنا ، وسفكوا دماءنا ، ثم تمثّل :

مهلاً بني عمنا ظلامتنا      إن بنا سورة<sup>(٢)</sup> من الغلق<sup>(٤)</sup>  
 لمثلكم<sup>(٥)</sup> نحمل السيوف ولا      نغمز أحسابنا من الرقّ<sup>(٦)</sup>  
 إني لأُتَمِّي<sup>(٧)</sup> إذا اتّمتتُ إلى      عزّ عزيزٍ ومعشر صدق  
 بيض سباط<sup>(٨)</sup> كأنّ أعينهم      تكحل يوم الهياج بالعلق<sup>(٩)</sup>

\* ابن أبي الحديد : ١ - ٣٢٤ ، الأغاني : ١٠ - ٥

(١) أحد الأشراف الشجعان ، خرج بالبصرة على المنصور العباسي ، وكانت بينه وبين جيوش المنصور وقائع هائلة إلى أن قتل سنة ١٤٥ هـ (٢) انتزى إلى الشر : توثب (٣) السورة : الرنوب (٤) الغلق : الضجر (٥) المراد : أننا نحمل لـم السيوف ، لأنكم أكفاؤنا (٦) الرقّ : الضعف (٧) أنسب (٨) السباط : جمع سبط ، وهو حسن القد والاستواء (٩) الغلق : الدم ، يريد أن عيونهم حمر لشدة الغيظ والغضب ، فكأنها كحلت بالدم .

قلت له : ما أجود هذه الأبيات وأفحلها ! فلن هي ؟ فقال : هذه يقولها  
 ضرار بن الخطاب النهري يوم عَبَرَ الخندق على رسول الله صلى الله عليه وسلم وآله،  
 وتمثل بها علي بن أبي طالب يوم صفين ، والحسين يوم الطف<sup>(١)</sup> ، وزيد بن علي  
 يوم السبحة<sup>(٢)</sup> ، ويحيى بن زيد يوم الجوزجان<sup>(٣)</sup> ، فتطيرت له من تمثله بأبيات  
 لم يتمثل بها أحداً إلا قتل .

ثم سرنا إلى باخرا<sup>(٤)</sup> ، فلما قرب منها أتاه نعي أخيه محمد ، فتغير لونه ،  
 وجري<sup>(٥)</sup> بريقه ، ثم أجهد باكياً ، وقال : اللهم إن كنت تعلم أن محمداً خرج  
 يطلب مراضاتك ، ويؤثر أن تكون كلمتك العليا ، وأمرك المتبع المطاع ، فاغفر له ،  
 وارحمه وارض عنه ، واجعل ما نقلته إليه من الآخرة خيراً مما نقلته عنه من الدنيا ،  
 ثم انفجر باكياً ، ثم تمثل :

أنا المُنَازِلُ يا خَيْرَ الفوارسِ مَنْ يُفَجِّعُ بِمِثْلِكَ في الدنيا فقد فُجِّعَا  
 اللهُ بِمِثْلِهِمْ أُنَى لو خشيتهمُ أَوْ آنَسَ القلبُ من خوفٍ لهم فزَعَا  
 لم يقتلوك ولم أسلِمِ أَخِي لَهُمْ حَتَّى نعيشَ جميعاً أَوْ نموتَ معاً

قال المفضل : فجلت أعزِّيهِ وأعاتبُهُ على ما ظهر من جزعه ، فقال : إني والله  
 في هذا كما قال دُرَيْدُ بن الصِّمَّةِ :

تقول : ألا تبكي أخاك وقد أرى مكان البكاء، لكن بنيت<sup>(٦)</sup> على الصبرِ  
 لمقتل عبد الله والملك الذي على الشرف الأعلى قتيل<sup>(٧)</sup> أبي بكر

(١) الطف : ضاحية الكوفة ، وبها قتل الحسن (٢) السبحة : موضع بالبصرة (٣) جوزجان :  
 كورة واسعة من كور بلخ بخراسان ، وبها قتل يحيى بن زيد (٤) باخرا : موضع بين الكوفة  
 وواسط (٥) جري بريقه : ابتلعه بالجهد على مضض (٦) بنيت : خلقت (٧) قتيل أبي بكر  
 هو أخوه قيس ، قتله بنو أبي بكر بن كلاب برأسهم عمرو بن سفيان الكلابي .

وعبدِ يَفُوثَ<sup>(١)</sup> أو خَلِيلِي خَالِدِ<sup>(٢)</sup> وَجَلَّ مَصَابَا حَثُوْ قَبْرِ عَلِي قَبْرِ !  
فإِنَّمَا تَرَوْنَنَا لَا تَزَالُ دَمَاؤُنَا لَدَى وَاتْرِ يَسْتَقِي بِهَا آخِرَ الدَّهْرِ  
فإِنَّمَا لِلْحَمِّ السَّيْفِ غَيْرَ نَكِيرَةٍ<sup>(٣)</sup> وَنُلْحِمُهُ<sup>(٤)</sup> طَوْرًا وَبِئْسَ بَدِي نَكْرٍ  
يُنَارُ عَلَيْنَا وَاتْرِينَ فِئْشَتِنِي بِنَا إِنْ أُصِيبْنَا ، أَوْ نَفْسِيرُ عَلِي وَتْرِ  
بِذَلِكَ قَسَمْنَا الدَّهْرَ شَطْرَيْنِ قِسْمَةً فَمَا يَنْقُضِي إِلَّا وَنَحْنُ عَلِي شَطْرُ

قال المفضل : ثم ظهرت لنا جيوش أبي جعفر مثل الجراد ، فتمثل إبراهيم :

إِنْ يَقْتُلُونِي<sup>(٥)</sup> لَا تُصِيبُ أَرْمَاحُهُمْ نَارِي وَيَسْمِي الْقَوْمَ سَفِيًّا جَاهِدَا  
نَبَيْتُ أَنْ بَنِي جَدِيمَةَ أَجَعْتُ أَمْرًا تُدْبِرُهُ لَتَقْتُلَنَّ خَالِدَا  
أَرْمِي<sup>(٦)</sup> الطَّرِيقَ وَإِنْ رُصِدَتْ بِضَيْقِهِ وَأَنْزَلُ الْبَطْلَ الْكَمِيَّ الْحَارِدَا<sup>(٧)</sup>

قلت له : من يقول هذا الشعر يا بن رسول الله ؟ فقال : يقوله خالد بن جعفر

ابن كلاب يوم شُعب جَبَلَةَ .

ثم أقبلت عساكر أبي جعفر المنصور ، فطعن رجالاً وطعنه آخر ، فقلت له :  
أتباشر القتال بنفسك ! وإنما العسكر منوط بك ، فقال : إليك يا أخا بني ضبة ،  
فإني لكما قال عوف القوافي :

أَلَمْتُ سَعَادَ ، وَإِلْمَامُهَا أَحَادِيثُ نَفْسِي وَأَحْلَامُهَا  
مَحْجَبَةٌ مِنْ بَنِي مَالِكٍ تَطَّالَوْا فِي الْمَجْدِ أَعْلَامُهَا

(١) أخوه أيضاً قتله بنو مرة (٢) خالد أخوه أيضاً قتله بنو الحارث بن كعب (٣) التنكر :  
التغير عن حال تترك إلى حال تكرهها ، والاسم النكير (٤) أكلته سبني : قتلته ، وأصل أكله :  
أطعمه اللحم (٥) النبي : أنهم إن قتلوني ، ثم حاولوا أن يصيبوا رجلا آخر مثل يصلح أن يكون  
لي نظيراً وسعوا في ذلك سعيًا جاهدًا ، فإنهم لن يجدوا (٦) يقول : أسلك الطريق الضيق ،  
ولو جعل لي فيه الرصد لقتل (٧) الحارث : المنفرد في شجاعته ، الذي لا مثل له .

وإن لنا أصلَ جرثومةٍ تردّ الحوادثَ أيامها  
تردّ الكتيبةَ مفلولةً بها أقدانها وبها ذامها<sup>(١)</sup>

والتحمت الحرب واشتدت ، فقال يا مفضل : احكني بشيء ، فذكرت آياتنا  
أعويف القوافي لما كان ذكركه هو من شعره فأنشدته :

ألا أيها الناهي فزارة بعدما أجذت لسيرٍ ، إثم أنت ظالمُ  
أبي كلُّ حرٍّ أن يبيت بوثره وتمنع منه النومَ إذ أنت نائمُ  
أقول لفتيان كرامٍ تروحووا على الجردِ في أفواههن الشكائمُ :  
قفوا وقفهً ، من يحيى لا يُخزَّ بعدها ومن يُخترمُ لا تتبغفه اللوامُ  
وهل أنت إن باعدت نفسك عنهم لتسلم فيما بعد ذلك ، سالم !

فقال : أعد وتبينتُ من وجهه أنه يستقتل ، فانهيت وقلت : أو غير ذلك !  
فقال : لا ، بل أعد الأبيات ، فأعدتها ، فتمطى في ركبتيه فقطعهما ، وحل فغاب  
عني ، وأتاه سهمٌ عائرٌ<sup>(٢)</sup> فقتله ، وكان آخر عهدي به .

(٢) العائر من السهام : مالا يعرف راميهِ .

(١) الأفن : النقص ، والذام : العيب

١٦٢ — مصرع الوليد بن طريف \*

كان الوليدُ بن طريف الشيباني<sup>(١)</sup> رأس الخوارج وأشدّهم بأساً وصولة ، واشتدّت شوكته ، وطالت أيامه ، فوجّه إليه الرشيد يزيد بن يزيد الشيباني<sup>(٢)</sup> ، فجعل يخاله ويمآكره - وكانت البرامكة منحرفةً عن يزيد - فأغروا به أمير المؤمنين ، وقالوا : إنما يتجافى عنه للرحم ، وإلا فسوّكّة الوليد بسيرة .

فوجّه إليه الرشيد كتاباً مُغضّب يقول فيه : ولو وجّهت بأحد الخدم لقام بأكثر مما تقوم به ، ولكنك مداهن متعصّب ؛ وأمير المؤمنين يُقسم بالله لئن أخرجت مناجزة الوليد ليؤجّهن من يحمل رأسك إلى أمير المؤمنين ..

فلقى الوليد عشية خميس في شهر رمضان ، وقال لأصحابه : فداكم أبي وأمى ! إنما هي الخوارج ولهم حَمَلَةٌ ، فاحلوا فإنهم إذا انهزموا لم يرجعوا ، فكان كما قال : حلوا حَمَلَةٌ وثبت يزيد ومن معه من عشيرته وأصحابه ؛ ثم حمل عليهم فانكشفوا واتبع يزيد الوليد بن طريف فلحقه بعد مسافة وألقاه يقول :

أنا الوليدُ بن طريف الشاري<sup>(٣)</sup> قسورة<sup>(٤)</sup> لا بضطلي بناري

\* جوركم أخرجني من داري \*

\* الأغاني ١١ - ٩ ، معاهد التنصيص : ٥١ : ٢

(١) نائر من الأبطال ، خرج في خلافة الرشيد ، فأرسل إليه الرشيد جيشاً فائده يزيد بن يزيد الشيباني فقتله بعد - شديدة سنة ١٧٩ هـ . (٢) أمير من القادة الشجعان ، تولى سنة ١٨٥ هـ (٣) الشاري : الحارجي ، وم الشراة (٤) القسورة : الفرز يقنسر غيره ، أى يقهره .

فأخذ يزيد رأسه . ولما سمعت بهذا أخته ليلي بنت طريف صَبَّحَتْهُمْ مستعدة  
عليها الدرْع والجوشن<sup>(١)</sup> ، فجعلت تحمل على الناس فقُرفت ، فقال يزيد :  
دَعُوها ، ثم خرج إليها فضرب بالمرح قِطَاة<sup>(٢)</sup> فرسها ، ثم قال : اغْرُبِي<sup>(٣)</sup> أغْرَبَ  
الله عينيك ، فقد فَضَحْتَ العِشيرة ، فاستَحْيَيْتِ وانصرفتْ وهي تقول :

بِتَلَّ نُبَاتِي <sup>(٤)</sup> رَسْمٌ قَدِيرٌ كَأَنَّهُ	على عِلْمٍ فَوْقَ الْجِبَالِ مُنِيفٍ
تَضَمَّنَ جُوداً حَاتِئِيًّا وَنَائِلًا	وَسُورَةَ مِقْدَامٍ وَقَلْبَ حَضِيفٍ
فَإِنَّ يَكُ أَرْدَاهُ يَزِيدُ بْنُ مَرْزِيدٍ	فِيَارُبَّ خَيْلٍ فَضَّهَا وَصُفُوفٍ !
أَلَا يَا لِقَوْمِي لِلنَّوَابِ وَالرَّدى	وَدَهْرٍ مُلِحٍّ بِالْكَرَامِ عَنِيفٍ !
وَاللِّدْرَمِ بَيْنَ الْكُوكَبِ إِذْ هَوَى	وَاللِّشَّمْسِ هَمَّتْ بَعْدَهُ بِكُسُوفٍ
وَاللَّيْثِ كُلِّ لَيْثٍ إِذْ يَحْمَلُونَهُ	إِلَى حُفْرَةِ مَلْحُودَةٍ وَسَقِيفٍ <sup>(٥)</sup>
أَيَا شَجَرَ الْخَلَابُورِ <sup>(٦)</sup> مَالِكَ مُورِقَا	كَأَنَّكَ لَمْ تَجْزَعْ عَلَى ابْنِ طَرِيفٍ !
فَتَى لَا يَجِبُ الزَّادَ إِلَّا مِنَ التُّقَى	وَالْمَالَ إِلَّا مِنَ قَنَاءِ وَسِيفٍ
فَلَا تَجْزَعَا يَا بَنِي طَرِيفٍ فَإِنِّي	أَرَى الْمَوْتَ نَزَالَ بِكُلِّ شَرِيفٍ
فَقَدْنَاكَ فَقَدَانَ الرَّيْبِ وَلَيْتَنَّا	فَدَيْنَاكَ مِنْ دَهَائِنَا بِاللُّوفِ

\*\*\*

ولما انصرف يزيد بالظفر حُجِبَ برأى البرامكة ، وأظهر الرشيد السخَطَ عليه؛  
فقال : وحقَّ أمير المؤمنين لأصَيِّتَنَ وَأَشْتُونََ عَلَى فَرَسِي أَوْ أَدْخَلَ .

(١) الجوشن : الحديد الذي يلبس من السلاح، وقيل : زرد يلبسه الصدر (٢) القِطَاة : العِجْر

(٣) يقال : اغْرَبَ عني أي تباعد ، ويقال غربت العين إذا ورم مآقها (٤) بُنَاتِي كِسْبَارِي :

موضع بالبصرة (٥) السَقِيف : السقف (٦) نَيْت ، ونهر ، وواد .

فارتفع الخبر بذلك إلى الرشيد ، فأذن له ، فدخل ؛ فلما رآه أميرُ المؤمنين  
ضحك ومُسرّاً ، وأخذ يصيح : مَرَّحِباً بالأعرابي حتى دخل وأجلسه وأكرمه ،  
وعرف بلاءه ونقاء صدره <sup>(١)</sup> .

---

(١) ولما عفا عنه الرشيد مدحه الشعراء ، فكان ممن مدحه مسلم بن الوليد ، ومن أحسن  
ما ورد في شعره قوله :

يفتر عند افترار الحرب مبتسماً	إذا تغير وجه الفارس البطل
موف على مهج ، في يوم ذي رهج	كأنه أجل يسمى إلى أمل
ينال بالرفق ما يعيا الرجال به	كالموت مستجلاً يأتي على مهل
يقرى النية أرواح العداة كما	يقرى الضيوف شعور الكوم والبرل
يكسو السيوف رهوس الناكثين به	ويجعل الهام تيجان القنا الذبل
إذا اقتضى سيفه كانت مسالكه	مسالك الموت في الأبدان والقلل

## البَابُ الْخَامِسُ

في القصص التي تحكى ما كان للجند من أحداث  
وأحاديث ، في الغارات والنزوات والفتوح ، مصورة  
نفسياتهم وأحوالهم ، واصفة تطواتهم العقلية والخلقية  
بنشأة الدولة العربية وانفساح رُفعتها ، مفصلة عُددهم  
وآلاتهم وأسلحتهم في حياتهم الجديدة .

١٦٣ — كِلَابُ بنِ أُمَيَّةَ وَأَبَوَاهُ \*

حَدَّثَ عُرْوَةُ بنُ الزُّبَيْرِ قَالَ : هَاجَرَ كِلَابُ بنُ أُمَيَّةَ بنِ الأَسْكَرِ إِلَى المَدِينَةِ فِي خِلافةِ عَمْرِو بنِ الخَطَّابِ ، فَأَقَامَ بِهَا مَدَّةً ، ثُمَّ لَقِيَ ذَاتَ يَوْمٍ طَلْحَةَ بنَ عَبْدِ اللهِ وَ الزُّبَيْرِ بنَ المَوَّامِ ، فَسَأَلَهُمَا : أَيُّ الأَعْمَالِ أَفْضَلُ فِي الإِسْلامِ ؟ فَقَالَا : الجِهَادُ . فَسَأَلَ عَمْرًا فَأَغْرَاهُ فِي جَيْشِ ، وَكَانَ أبُوهُ قَدْ كَبُرَ وَضَعْفٌ ، وَخَرَجَ مَعَهُ أَخٌ لَهُ آخَرُ ؛ فَانْبَعَثَ أُمَيَّةُ يَقُولُ :

يَا أُمَّ هَيْمٍ ؛ مَاذَا قُلْتَ أَيْسَلَانِي	رَيْبُ النَّوْنِ وَهَذَا نِ الْجَدِيدِ أَنْ (١)
إِنَّمَا تَرَى حَجْرِي قَدْ رَكَ (٢) جَانِبُهُ	قَدْ يَسْرُكُ صُلْبًا غَيْرَ كَذَّانِ (٣)
إِنَّمَا تَرِينِي لَا أَمْضِي إِلَى سَفَرِي	إِلَّا مَعِي وَاحِدٌ مِنْكُمْ أَوْ اثْنَانِ
يَابْنِي أُمَيَّةَ ، إِنِّي عَنَّا غَانِي	وَمَا لِنَعْنِي غَيْرَ أَنِّي مُرْتَعَشٌ فَا نِي
يَابْنِي أُمَيَّةَ ، إِلَّا تَشْهَدَا كِبْرِي	فَإِنَّ نَأْيَكُمَا وَ الشُّكْلَ مِثْلَانِ
إِذْ يَحْمِلُ الفَرَسُ الأُحْوَى (٤) ثَلَاثَتَنَا	وَإِذْ فَرِاقُكُمَا وَالمَوْتَ سِيَانِ
أَصْبَحْتُ هُرْءًا لِرَاعِي الضَّانِ أَعْجِبُهُ	مَاذَا يَرِيكَ مِنِّي رَاعِي الضَّانِ !
انْفَقَ بِضَانِكَ فِي نَجْمٍ (٥) مُخْفَرُهُ	مِنَ الأَبَاطِحِ وَاحْبِسْهَا بِمُجْمَدَانَ (٦)
إِنْ تَرَعَّ ضَانًا فَإِنِّي قَدْ رَعَيْتُهُمْ	بِيضَ الوُجُوهِ بَنِي عَمِي وَإِخْوَانِي

\* المحاسن والساوى : ٥٨٨ ، (طبع ليزج) ، ذيل الأمل : ١٠٨

(١) الجديدان : الليل والنهار (٢) رك : ضعف (٣) الكذبان : الرخو

(٤) الأحمى : الأسود (٥) النجم : ما نجم من النبات على غير ساق (٦) جمدان : جبل

بطريق مكة ، وواد .

فلما طالت غيمة كلاب عنه قال :

لمن شَيْخَانٍ قَدْ نَشَدَا كِلَابًا (١)  
 فنَفَضُ مَهْدَهُ شَفَقًا عَلَيْهِ  
 إِذَا هَتَفَتْ حَمَامَةٌ بَطْنٍ وَادٍ  
 تَرَكْتَ أَبَاكَ مُرْعَشَةً يَدَاهُ  
 أَنَادِيهِ وَوَلَّانِي قَفَّاهُ  
 فَإِن مَهَاجِرِينَ تَكَنَّفَاهُ  
 وَإِنَّ أَبَاكَ حِينَ تَرَكْتَ شَيْخًا  
 إِذَا بَلَغَ الرَّسِيمَ (٤) فَكَانَ شَدًّا (٥)

كِتَابَ اللَّهِ إِنْ رَقَبَ الْكِتَابَا  
 وَنَجْنِبُهُ أَبَاعِرْنَا (٢) الصَّعَابَا  
 عَلَى بَيْضَاتِهَا دَعَوَا كِلَابَا  
 وَأَمَّا مَا تُسَمِّعُ لَهَا شَرَابَا  
 فَلَا وَأَبِي كِلَابُ مَا أَصَابَا  
 لِيَتْرَكَ شَيْخَهُ ؛ خَطِئًا وَخَابَا  
 يُطَارِدُ أَيْنَمَا شُئِبَا (٣) طِرَابَا  
 يَجْرُ ؛ فَخَالِطِ الذَّقْنُ التَّرَابَا

فبلغت أحياته عمر ، ولم يرُدِّ كِلَابَا ، فاهتز أمية واختلط (٦) جزعاً عليه ، ونفخت  
 الرُّنْبَانُ بشعر أبيه فبلغه ، فأنشأ يقول :

لعمرك ما تركتُ أبا كلابٍ  
 وأما لا يزالُ لها حنينٌ  
 لكسبِ المالِ أو طلبِ المعاليِ  
 ولكيِّ رجوتُ به الثَّوابَا

كَبِيرَ السَّنِّ مُكْتَنِبًا مُصَابَا  
 تَنَادَى بَعْدَ رَقَدَتِهَا كِلَابَا

ثم أتاه يوما وهو في مسجد الرسول ، وحوله المهاجرون والأنصار ، فوقف  
 عليه ثم أنشأ يقول :

أعاذلُ قد عدلتِ بغيرِ علمٍ  
 ولا تدرينِ عاذلُ ما الألقى

(١) نشدا : طلبا (٢) الأباعر : جمع بهير (٣) الشيب : جمع شاسب وهو النجف  
 اليايس . (٤) الرسيم : سير اللابل . (٥) الشد هنا : العدو . (٦) اختلط : فسد عقله .

فإباً كنتِ عاذلتى فردى كلاباً إذ توجَّه للعراقِ  
 ولم أفض اللبانة من كلابٍ غداة غدٍ وآذَن بالفراقِ  
 فتى الفتيان فى عُسْرِ ويسرٍ شديد الركن فى يوم التلاقِ  
 فلا والله ما باليت وَجَدِي ولا شَفَقِي عليك ولا اشتياقِ  
 سأسْتَعِدِي على الفاروق ربَّاً له حجّ الحجاج على اتِّساقِ  
 وأدعو الله مجتهداً عليه بيطن الأخشبين<sup>(١)</sup> إلى دُفاق<sup>(٢)</sup>

فلما أشدها عمر بن الخطاب كتب إلى سعد بن أبى وقاص : أن رحل كلاباً ، فرحله .

فلما قدم دخل إليه فقال : ما بلغ من بركِ بأبيك ؟ قال : كنتُ أبره وأكفيه أسره ، وكنت أعتمد - إذا أردت أن أحلب لبناً - أغزَرَ ناقة فى إبله وأسمتها فأسقيه لبنها .

فبعث عمر إلى أمية من جاء به إليه . فأدخله يتهادى ، وقد ضمف بصره وانحنى . فقال له : كيف أنت يا أبا كلاب ؟ قال : كما ترانى يا أمير المؤمنين ؛ قال : فهل لك من حاجة ؟ قال : نعم ، أشتهى أن أرى كلاباً ، فأشمه شمةً ، وأضمه ضمةً قبل أن أموت . فبكى عمر ثم قال : ستبلغ من هذا ما تحبُّ إن شاء الله تعالى .

ثم أمر كلاباً أن يحتلب لأبيه ناقة كما كان يفعل ، ويبيعث إليه بلبنها . ففعل ، فناوله عمر وقال : دونك هذا يا أبا كلاب . فلما أخذه وأدناه إلى فمه ، قال : نعم والله يا أمير المؤمنين ، إنى لأشتم رائحة كلاب من هذا الإناء . فبكى عمر وقال : هذا كلابٌ عندك حاضراً قد جئناك به . فوثب إلى ابنه وضمه إليه وقبله .

(١) الأخبان : جبلا مكة : أبوقبيس والأحر ، وجبلا منى (٢) دفاق : موضع أوواد.

وجعل عمر يبكي ومن حضره ، وقال لكلاب : الزم أبويك فجاهد فيهما  
ما بقيا ، ثم شأنك بنفسك بعدها ؛ وأمر له بمطائه وصرفه مع أبيه .  
ثم قتل كلاب مع علي بن أبي طالب بصيفين ، وعاش أبوه أمية دهرأ طويلا ،  
حتى خرف ، فرآ به غلام له كان يرعى غنمه ، وأمية جالس يمشو على رأسه التراب ؛  
فوقف ينظر إليه ، فلما أفاق بصر بالغلام ، فقال :

أصبحتُ لهواً لراعي الضأنِ أُعجبهُ      ماذا يريبك مني راعي الضأنِ !  
انفق بضأنك إني قد قدتُهُمُ      بيض الوجوه بني عمي وإخواني

## ١٦٤ — في يوم اليرموك\*

شهد اليرموك ألف من أصحاب رسول الله فيهم نحو مائة من أهل بدر ، وكان أبو سفيان يسير فيقف على الكراديس<sup>(١)</sup> فيقول : الله الله ؛ إنكم ذادة<sup>(٢)</sup> العرب وأنصار الإسلام ، وإنهم ذادة الروم وأنصار الشرك ؛ اللهم إن هذا يوم من أيامك ، اللهم أنزل نصرك على عبادك .

وأمر خالد عكرمة<sup>(٣)</sup> والقعقاع<sup>(٤)</sup> ، فأشبا القتال ، وارتجز القعقاع وقال :  
يا ليتني ألقاك في الطراد قبل اعترام<sup>(٥)</sup> الجحفل الورد  
\* وأنت في حلتبك الورد<sup>(٦)</sup> \*

وقال عكرمة :

قد علمت بهكنة<sup>(٧)</sup> الجوارى أئى على مكرمة أحامى  
فنشب القتال ، والتحم الناس ، ونطارد الفرسان ؛ فإنهم على ذلك إذ قدم  
البريد من المدينة فأخذته الخيول ، وسأله الخبر ، فلم يخبرهم إلا بسلامة ، وأخبرهم  
عن إمداد ؛ وإنما جاء بموت أبي بكر رحمه الله ، وتأمير أبي عبيدة .

\* الطبرى : ٤ - ٣٤

(١) الكردوسة : القطعة العظيمة من الخيل (٢) ذادة : جمع ذائد ، وهو المدافع (٣) من صناديد قريش في الإسلام ، كان هو وأبوه من أشد الناس على النبي ، وأسلم في يوم الفتح فشهد الوقائع ، وولى الأعمال لأبي بكر واستشهد سنة ١٥ هـ (٤) أحد فرسان العرب وأبطالهم شهد اليرموك ، وكان شاعراً فجل مات نحو ٤٠ هـ (٥) الاعترام : الاشتداد وفي حديث على « على حين فترة من الرسل واعترام من الفتن » (٦) الحلبة : جماعة الخيل ، والورد جمع ورد ، وهو الفرس بين السكيت والأشقر (٧) الهكنة : الفتاة الفضة .

فأبلغوه خالداً فأخبره خبر أبي بكر أسره إليه ، وأخبره بالذي أخبر به الجند ؛ فقال : أحسنت قفیف ؛ وأخذ الكتاب ، وجعله في كِنَانَتِهِ ؛ وخاف إن هو أظهر ذلك أن ينتشر له أمر الجند ؛ فوقف نَحْمِيَةَ بن زُنَيْمٍ - وهو الرسول - مع خالد وخرج جَرَجَةَ <sup>(١)</sup> حتى كان بين الصّفين ، ونادى : لِيُخْرَجْ إِلَى خَالِدِ .

فخرج إليه خالد ، وأقام أبا عبيدة مكانه ، فوافقهُ بين الصّفينِ حتى اختلفت أعناق دابتيهما ، وقد آمن أحدهما صاحبه ؛ فقال جَرَجَةَ : يا خالد ؛ اصدقني ولا تكذبنني فإن الحُرَّ لا يَكْذِبُ ، ولا تُخَادِعُنِي فإن الكريم لا يُخَادِعُ ، هل أنزل الله على نبيكم سيفاً من السماء فأعطاكمه فلا تسلمه على قوم إلا هزمتهم ؟ قال : لا ! قال : فيم سُمِّيَتَ سيفَ الله ؟ قال : إن الله عزّ وجلّ بعث فينا نبيّه ، فدعانا فنفرنا عنه ؛ ونأينا جميعاً ؛ ثم إن بعضنا صدّقه وتابعه ، وبعضنا باعده وكذّبه ، فكذتُ فيمن كذّبه وبعده وقاتله ؛ ثم إن الله أخذ بقلوبنا ونواصينا فهدانا به فتابعناه ، فقال : أنت سيفٌ من سيوف الله سلّه الله على المشركين ، ودعالي بالنصر ، فسُمِّيَتُ سيفَ الله بذلك ؛ فأنا من أشدّ المسلمين على المشركين ، قال : صدّقْتَنِي ! ثم أعاد عليه جَرَجَةَ : يا خالد ؛ أخبرني إلامَ تدعونني ؟ قال : إلى شهادة أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً عبده ورسوله ، والإقرار بما جاء من عند الله ؛ قال : فن لم يجيبكم ؟ قال : فالجزيةُ ونعمته ! قال : فإن لم يُعْطِها ؛ قال : نُؤذِنُه بحرب ثم نقاتله ! قال : فما منزلةُ من يدخل فيكم ويجيبكم إلى هذا الأمر اليوم ؟ قال : منزلتنا واحدة فيما افترض الله علينا ، شريفنا ووضيعنا وأولنا وآخرنا .

ثم أعاد عليه جَرَجَةَ : هل لمن دَخَلَ فيكم اليوم يا خالد مثل مالكم من

(١) جرجة : مقدم عسكر الروم يوم اليرموك .

الأجر والذخر؟ قال : نعم ، وأفضل ، قال : وكيف يساويكم وقد سبقتموه !  
قال : إنا دخلنا في هذا الأمر ، وبايضا نبينا وهو حى بين أظهرنا تأتيه أخبارُ  
السماء ، ويخبرنا بالكتب ، ويرينا الآيات ، وحق لمن رأى ما رأينا وسمع ما سمعنا  
أن يُسَلِّمَ وَيُبَاعِ ، وإنكم أتم لم تَرَوْا ما رأينا ، ولم تسمعوا ما سمعنا من العجائب  
والحجج ، فمن دخل في هذا الأمر بحقيقة ونية كان أفضل منا .

قال جرجة : بالله لقد صدقتنى ولم تخادعنى ولم تآلفنى . قال : بالله لقد  
صدقتك وما بى إليك ولا إلى أحدٍ منكم وَحْشَةٌ ، وإن الله لولى ما سألتَ عنه .  
فقال : صدقتنى ، وقلب التُّرْسَ ومال مع خالد ، وقال : علمنى الإسلام ؛ فقال به  
خالدٌ إلى فُسْطَاطَه<sup>(١)</sup> فشنَّ عليه قَرَبَةً من ماء وصلى ركعتين !

---

(١) الفسطاط : الخيمة .

١٦٥ — في يوم القادسية \*

كان أبو مُجَبَّنَ الثَّقَفِيَّ (١) من المُعَاقِرِينَ لِلخَمْرِ ، المُحَدِّدِينَ فِي شُرْبِهَا ، أَقَامَ عَلَيْهِ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ الْحَدَّ مَرَاراً ، وَهُوَ لَا يَتَّهَى ؛ فَنَفَاهُ إِلَى جَزِيرَةٍ فِي الْبَحْرِ ، وَبَثَّ مَعَهُ حَرَسِيًّا (٢) ، فَهَرَبَ مِنْهُ وَلَحِقَ بِسَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ ، وَهُوَ فِي حَرْبِهِ مَعَ الْفَرَسِ وَكَانَتْ حَرْبَ الْقَادِسِيَّةِ .

ولما بلغ ذلك عمر كتب إلى سعد بجبسه، فحبسه في القصر، وتطلّع أبو مُجَبَّنَ إِلَى الْحَرْبِ ، فَرَأَاهَا مُشْتَعِلَةً ، فَذَهَبَ إِلَى سَلْمَى بِنْتِ أَبِي حَفْصٍ - زَوْجِ سَعْدٍ ، فَقَالَ لَهَا: هَلْ لَكَ فِي خَيْرٍ؟ قَالَتْ: وَمَا ذَاكَ؟ قَالَ: تُخَلِّينَ عَنِّي وَتُعِيرِينَ بِنِي الْبَلْقَاءِ (٣)؛ فَلَلَّهُ عَلَيَّ إِنْ سَلَّمَنِي اللَّهُ أَنْ أَرْجِعَ إِلَيْكَ حَتَّى تَضَعِي رِجْلِي فِي قَيْدِي؛ فَقَالَتْ: وَمَا أَنَا وَذَاكَ؟ فَرَجَعَ يَرْسُفُ فِي قَيْوَدِهِ ، وَيَقُولُ:

كفَى حَزَنًا أَنْ تَرَدِّي الْخَيْلُ بِالْقَنَا      وَأَتْرَكَ مَشْدُودًا عَلَيَّ وَثَاقِيَا  
إِذَا قَتُّ عَنَانِي الْحَدِيدُ وَغُلَّقَتْ      مَصَارِيْعُ مِنْ دُونِي نُصْمُ الْمُنَادِيَا  
وَقَدْ كُنْتُ ذَا مَالٍ كَثِيرٍ وَإِخْوَةٍ      فَقَدْ تَرَكُونِي وَاحِدًا لَا أَحَايَا

\* مهذب الأغاني : ٢ - ٤٨ ، الخزانة : ٣ - ٥٥٣ ، الأغاني : ٢٠ - ١٣٨ ، الكامل لابن الأثير : ٢ - ٢٣٢ ، المسعودي : ١ - ٤٢٣  
(١) أبو مجبن اسمه وكنيته على المشهور ، أَسِمَ سَنَةَ ٥٩ هـ ، وَسَمِعَ مِنَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَرَوَى عَنْهُ ، وَكَانَ جَوَادًا كَرِيمًا مِنَ الْفَرَسَانِ الْمَشْهُورِينَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ وَالْإِسْلَامِ مَاتَ سَنَةَ ٣٠ هـ  
(٢) الحرسى : واحد حرس السلطان (٣) البلقاء : فرس سعد بن أبي وقاص .

وقد شفّ جسمي أننى كلّ شارقي<sup>(١)</sup> أعالج كنبلاً<sup>(٢)</sup> مُصمتًا قدّ برّانياً  
 فلهِ درّى يومٍ أنترك مؤثّقاً وتذهّل عني أسرتى ورجاليا !  
 حبيساً عن الحرب العوان وقد بدتْ وإعمال غيرى يومَ ذاك العواليا  
 والله عهدٌ لا أخيسُ<sup>(٣)</sup> بعدهِ اثن فرجتْ ألا أزورّ الحوانيا<sup>(٤)</sup>  
 فقالت له سلمى : إني استخرتُ الله ورضيتُ بهدك ، وأطلقتَه .

فانقاد أبو محجنّ الفرس ، وأخرجها ثم ركبها ، ودبّ عليها ، وفي ذلك اليوم  
 أظهر من شجاعته عجباً . ولما تحاجز أهلُ العسكرين أقبل أبو محجنّ حتى دخل  
 القصر ، ووضع نفسه عن الدابة ، وأعاد رجليه في القيد وقال :

لقد علمتْ تقيف غيرِ فخريِّ بأنّا نحنُ أكرمهمُ سيوفاً  
 وأكثرهم دروعاً سابغات وأصبرهم إذا كرهوا الوقوفا  
 فإن أحبّس فقد عرفوا بلائى وإن أطلق أجزّعهم حتوفا

فقالت له سلمى : يا أبا محجنّ ؛ في أىّ شيء حبسك هذا الرجل ؟ فقال :  
 أما والله ما حبسنى بحرام أكلته ولا شربته ، ولكنى كنتُ صاحبَ شراب في  
 الجاهليّة ؛ وأنا امرؤ شاعر ، يدبّ الشعر على لسانى ، فينفثه أحياناً ، فحبسنى  
 لأنى قلت :

إذا ميتٌ فادفنى إلى أصلِ كرميةِ تروى عظامى بعد موتى عروقها  
 ولا تدفننى بالفلاة<sup>(٥)</sup> فإننى أخافُ إذا مايتُ ألا أذوقها

فذهبت إلى سعد وأخبرته خبر أبي محجنّ ، فدعا به وأطلقه ، وقال : اذهب  
 فما أنا مؤاخذك بشيء . تقوله حتى تفعله ؛ فقال : والله لا أجت لسانى إلى قبيح أبداً .

(١) أصل الشارق : اليوم الذى فيه الشمس ، والمراد كل يوم ، (٢) الكيل : القيد  
 (٣) خاس بالمهد : غدر ونكث (٤) الحانية : الدكان ، وهو يريد أمكنة بيع الخمر  
 (٥) الفلاة : الأرض المهلكة .

١٦٦ - في فتح نهاوند\*

بعث عمرُ بن الخطاب رضى الله عنه السائبَ بن الأقرع مولى ثَقِيفَ ، وكان رجلاً كاتباً حاسباً ، فقال : الحق بهذا الجيش - جيش المسلمين بنهاوند - فكن فيهم ، فإن فتح الله عليهم فاقسم على المسلمين فيهم ، وخذ خمسَ الله وخمسَ رسوله ، وإن هذا الجيشُ أُصيبَ فاذهب في سَوَادِ الأَرْضِ فبطنُ الأَرْضِ خيرٌ من ظهرها .

قال السائب : فلما فتح الله على المسلمين نهاوند أصابوا غنائمَ عظاماً ، فوالله إني لأقسِم بين الناس إذ جاءني عِلْجٌ من أهلها ، فقال : أتؤمنني على نفسي وأهلي وأهل بيتي على أن أدلك على كُنوزِ آل كسرى تكون لك ولصاحبك ولا يَشْرَكَكَ فيها أحد ؟ قلت : نعم ! قال : فابعث معي من أدله عليها ، فبعثت معه ، فأتى بَسْمَطَيْنِ عَظِيمَيْنِ ليس فيهما إلا اللؤلؤُ والزَّبْرَجَدُ والياقوت ،

فلما فرغت من قَسَمي بين الناس احتملتها معي ، ثم قدمتُ على عمر بن الخطاب فقال : ما وراءك ياسائب ؟ فقلت : خيراً يا أمير المؤمنين ؛ فتح الله عليك بأعظم الفتح ، واستشهد النعمان<sup>(١)</sup> بن مقرن رحمه الله ، فقال عمر : إنا لله وإنا إليه راجعون ! ثم بكى فنشج<sup>(٢)</sup> .

\* الطبرى : ٤ - ٢٣٢

(١) صحابي فاتح من الأمراء القادة الشجعان ، فتح القادسية ، وولاه عمر إمرة الجيش فنزا أسبهان ففتحها ، وهاجم نهاوند فاستشهد فيها سنة ٢١ هـ . (٢) نشج الباكي : غس بالباكة في حلقه من غير انتخاب .

فلما رأيت ذلك قلت : والله يا أمير المؤمنين ما أصيب بعده من رجل  
يُعرَف وجهه !

ثم قام ليدخل ، فقلت : إن معي مالاً عظيماً قد جئتُ به ، ثم أخبرته خبر  
السفطين ، فقال : أدخلهما بيت المال حتى ننظر في شأنهما ، والحق بجدك ،  
فأدخلتهما بيت المال ، وخرجت سريعاً إلى الكوفة .

وبات تلك الليلة التي خرجتُ فيها ، فلما أصبح بعثَ في أثرِي رسولا ،  
فوالله ما أدركني حتى دخلتُ الكوفة ، فأنحْتُ بعيري وأناخ بعيره على عرْقوبتي  
بعيري ، فقال : الحق بأمر المؤمنين ؛ فقد بعثني في طلبك ، فلم أدر عليك إلا الآن !  
قلت : ويلك ! ماذا ؟ ولماذا ؟ قال : لا أدرى والله .

فركبتُ معه حتى قدمتُ عليه ؛ فلما رأني قال : مالي ولا ابن أم السائب ؟  
بل ما لابن أم السائب ومالي ؟ قلت : وما ذاك يا أمير المؤمنين ؟ قال : ويحك !  
والله ما هو إلا نمتُ في الليلة التي خرجتَ فيها فباتت ملائكة ربي تسجني إلى  
ذيتك السفطين يشتملان ناراً ، يقولون : لنكويَنَّك بهما ، فأقول : إني سأقسمهما  
بين المسلمين ، فخذهما عني لا أبالك ، والحق بهما فبعهما في أعطيات المساكين وأرزاقهم !

فخرجتُ بهما حتى وضعتهما في مسجد الكوفة ، فابتاعها مني عمرو بن  
حُرَيْث الخزومي بألني درهم ، ثم خرج بهما إلى أرض الأعاجم فباعهما بأربعة  
آلاف ألف .

١٦٧ — عمرو بن العاص وأحد كفار المعجم\*

لما فتح عمرو بن العاص قيسارية<sup>(١)</sup> سار حتى نزل غزوة؛ فبعث إليه علياً<sup>(٢)</sup> :  
أن ابث إلى رجلاً من أصحابك أكلمه؛ ففكر عمرو وقال : ما لهذا  
أحد غيري .

فخرج حتى دخل على العليج فكلمه؛ فسمع كلاماً لم يسمع قط مثله ، فقال  
العليج : حدثني ؛ هل في أصحابك أحدٌ مثلك ؟ قال : لا تسأل عن هذا ! إني  
هين عليهم ؛ إذ بعثوا بي إليك ، وعرضوني لما عرضوني له ، ولا يدرون  
ما تصنعُ بي .

فأسر له بجائزة وكسوة ، وبعث إلى البواب : إذا مرَّ بك فاضرب عنقه ،  
وخذ ما معه .

فخرج من عنده ؛ فمر برجل من نصارى غسان ، فعرفه ، فقال : يا عمرو :  
قد أحسنت الدخول فأحسن الخروج ! ففطن عمرو لما أراده ، فرجع فقال له الملك :  
ماردك إلينا ؟ قال : نظرتُ فيما أعطيتني ، فلم أجد ذلك يسعُ بني عمي ، فأردت  
أن آتيك بعشرة منهم ، تعطيمهم هذه العطية ، فيكون معروفك عند عشرة خيراً

\* العقد الفريد : ١ - ١٤٦

(١) بلدة بفلسطين .

(٢) العليج : الرجل من كفار المعجم .

من أن يكونَ عند واحد ! فقال : صدقتَ ، اعجلُ بهم ! وبعثَ إلى البواب :  
أنْ خلَّ سبيله !

فخرج عمرو وهو يلتفت ، حتى إذا أمِنَ ، قال : لاعدتُ إلى  
مثلها أبداً !

فلما صالحهُ عمرو ودخل عليه العليُّ ، قال له : أنت هو ؟ قال : نعم ، على  
ما كان من غدرك !

١٦٨ — عمر بن الخطاب وغنائم المسلمين\*

بعث عمرُ سلمة بن قيس الأشجعيّ إلى طائفةٍ من الأكراد كانوا على الشُّرك؛ فخرج إليهم في جيش أُرسله معه من المدينة .

فلما انتهى إليهم دعاهم إلى الإسلام أو إلى أداء الجزية، فأبوا، فقاتلهم فنصره اللهُ عليهم؛ فقتل المقاتلة؛ وسبى الذرية، ووجد حليةً وفصوصاً وجواهر، فقال لأصحابه: أنطيبُ أنفسكم أن نبعث بهذا إلى أمير المؤمنين؛ فإنه غيرُ صالحٍ لكم، وإنَّ على أمير المؤمنين لمثونةً وأتقلا، قالوا: نعم، قد طابت أنفسنا .

فجمل الجواهر في سَفَط<sup>(١)</sup>، وبعث به مع واحد من أصحابه، وقال له: سِرْ فإذا أتيتَ البصرةَ فاشترِ راحلتين فأوقِرهما<sup>(٢)</sup> زاداً لك ولعلامك، وسِرْ إلى أمير المؤمنين .

قال: ففعلتُ فأتيتُ عمر وهو يُغذّي الناس قائماً متكئاً على عصا كما يصنع الراعي، وهو يدور على القصاع؛ فيقول: يا يرفاً<sup>(٣)</sup>، زد هؤلاء لهما، زد هؤلاء خُبزاً، زد هؤلاء مرقة .

فجاستُ في أذني الناس، فإذا طعامٌ فيه خُسونة، طعامي الذي معي أطيبُ منه. فلما فرغ أذرب فاتبعتهُ، فدخل داراً فاستأذنت، ولم أعلم حاجبه من أنا، فأذن لي، فوجدته في صَفَّةٍ<sup>(٤)</sup> جالساً على مسحٍ<sup>(٥)</sup> متكئاً على وصادئين من

\* ابن أبي الحديد : ٣ : ١٥٧

(١) السَفَط : كالجوالق أو كالكففة، حمه أسفاط (٢) أوقر الدابة : حلها (٣) يرفاً : مولى عمر بن الخطاب (٤) الصفة من البنيان : شبه البهو الواسع (٥) المسح : توب من الشر غليظ .

أدم<sup>(١)</sup> محشوتين ليفاً ، وعليه ستر من صوف ، فنبذ إلى إحدى الوسّادتين ، فجلست عليهما .

فقال : يا أمّ كلثوم ، ألا تُعدّوننا ؟ فأخرجت إليه خُبزة<sup>(٢)</sup> بزيت في عرضها ملح لم يُدق ، فقال : يا أمّ كلثوم ، ألا تخرجين إلينا تاكلين معنا ؟ فقالت : إني أسمعُ عندك حسن<sup>(٣)</sup> رجل ، قال : نعم ، ولا أراه من أهل هذا البلد . فقالت : لو أردت أن أخرج إلى الرجال لكسوتني كما كسا الزبيرُ امرأته ، وكما كسا طلحةُ امرأته !

قال : أو ما يكفيك أنك أمّ كلثوم ابنة عليّ بن أبي طالب ، وزوجة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ؟ قالت : إن ذاك عندي لقليل الغناء ! ثم قال : كلّ ، فلو كانت راضيةً لأطعمتِك أطيبَ من هذا . فأكلت قليلاً ، وطعامي الذي معي أطيبُ منه . وأكل ، فآرايت أحداً أحسنَ أكلًا منه ، ما يتلبّث<sup>(٤)</sup> طعامه بيده ولا فمه .

ثم قال : اسقونا ؛ فحاءوا بمسّ<sup>(٥)</sup> من سلّة<sup>(٦)</sup> ، فقَالَ : اشرب ، فشربت قليلاً ، وإنّ سويق الذي معي لأطيبُ منه ، ثم أخذه فشربه حتى قرع القدحُ جبهته .

ثم قال : الحمد لله الذي أطعمنا فأشبعنا ، وسقانا فأروانا ؛ إنك يا هذا لضعيف الأكل ضعيفُ الشرب .

---

(١) الأدم : جمع للأديم : وهو الجلد (٢) الخبزة : مجين يوضع في الملة حتى ينضج ، والملة : الرماد والتراب الذي أوقد فيه النار (٣) الحسن : الصوت الحني (٤) لا يتوقف (٥) الحس : القدح العظيم (٦) السلّة : السمير .

قلت : يا أمير المؤمنين؛ إن لي حاجة ، قال : ما حاجتك ! قلت : أنا رسول سلمة ابن قيس قال : مرحباً بسلمة ورسوله ، فكأنما خرجت من صُلْبِهِ - حَدَّثَنِي عَنْ المهاجرين كيف هم ؟ قلت : كما تحبُّ - يا أمير المؤمنين - من السلامة والظفر والتصر على عدوهم . قال : كيف أسعارُهم ؟ قلت : أرخص أسعار ؛ قال : كيف اللحم فيهم فإنه شجرة العرب ولا تصلح العرب إلا على شجرتها ؟ قلت : البقرة فيهم بكذا ، والشاة فيهم بكذا . ثم قلت : سِرُّنا يا أمير المؤمنين حتى لقينا عدوَّنا من المشركين ، فدعوناهم إلى الذي أمرتَ به من الإسلام فأبَوْا ، فدعوناهم إلى الخراج فأبَوْا ؛ فقاتلناهم فنصرنا الله عليهم ، فقتَلْنَا الْمُقَاتِلَةَ ، وسبينا الذَّرِّيَّةَ ، وجمعنا الثروة ، فرأى سلمة في الأموال حليَّةً ، فقال للناس : أنظيبُ أنفسكم أن أبعثَ بها إلى أمير المؤمنين ؟ قالوا : نعم ! ثم استخرجتُ سَفَطِي ففتحتُه .

فلما نظر إلى تلك الفصوص من بين أحمر وأخضر وأصفر ، وثب وجعل يده في خاصرته يصيح صياحاً عالياً ويقول : لا أشبع اللهُ إذنُ بطنِ عمر - يُكْرَرُهَا !

فظنَّ النساءُ أني جئت لأغتاله ، فجئنَ إلى السرِّ فكشفتُه ، فسمعه يقول : لفَّ ما جئتَ به ، يا يَرْفَا ، جَأْ عَنقَه (١) ! فأنا أصلح سَفَطِي ، ويرفَا بَجَأْ عَنقِي !

ثم قال : النجاء النَّجَاءُ ! قلت : يا أمير المؤمنين فأحلتني ! فقال : يا يَرْفَا ، أعطه راحتين من إبلِ الصدقة ، فإذا لقيتَ أحداً أفقر إليهما منك فادفعهما إليه .

(١) وجأت عنقه : ضربته .

وقال : أظنك سَبَطِيٌّ ، أما والله لئن تفرَّق المسلمون في مشاتهم قبل أن يُقسَمَ هذا فيهم لأفعلن<sup>(١)</sup> بك وبصاحبك الفاقرة !  
قال : فارتحلتُ حتى أتيتُ إلى سلمة بن قيس ، فقلت : لا بارك الله فيما اختصصتني به ! اقسم هذا في الناس قبل أن تصيبني وإيَّاك فاقرة ، فقسمه فيهم ، فكان الفصُّ يُباعُ بخمسة دراهم وستة وهو خير من عشرين ألفاً

---

(١) الفاقرة : الدامية .

١٦٩ — قد كاد أميركم يهلك \*

لما تكاملَ للمسلمين فتوحُ الشام ؛ وأقاموا على دمشق شهراً ؛ جمع قائدُهم—  
أبو عبيدة— أمراءَ المسلمين واستشارَهُم في السيرِ إلى قيسارية<sup>(١)</sup> أو إلى بيت المقدس ،  
فقال مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ : أَيُّهَا الْأَمِيرُ ؛ اكْتُبْ إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عُمَرَ ؛ فحِثُّ أَمْرِكَ  
فَامْتَثِلْهُ . فقال له : أَصَبْتَ الرَّأْيَ يَا مُعَاذُ !

ثم كتب إلى أمير المؤمنين عُمَرَ يعلمه بذلك ، وأرسل الكتاب مع عَزَفَجَةَ  
ابنِ نَاصِحِ النَّخَعِيِّ<sup>(٢)</sup> ، فسار حتى وصل إلى المدينة ؛ فسلم الكتاب إلى عمر .  
فقرأه على المسلمين واستشارهم ، فقال عليّ بن أبي طالب : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ،  
مُرَّ صَاحِبُكَ يَنْزِلُ بِجِيُوشِ الْمُسْلِمِينَ إِلَى بَيْتِ الْمَقْدَسِ ، فَإِذَا فَتَحَ اللَّهُ بَيْتَ الْمَقْدَسِ  
صَرَفَ وَجْهَهُ إِلَى قَيْسَارِيَّةٍ فَإِنَّهَا تُفْتَحُ بَعْدَهَا إِنْ شَاءَ اللَّهُ .  
فدعا عمر بدواة وكتب : بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . من عُمر إلى عامله بالشام  
أبي عبيدة .

« أما بعد ، فَإِنِّي أُحْمَدُ إِلَيْكَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ، وَأُصَلِّي عَلَى نَبِيِّهِ . وقد  
وصل إلى كتابك تستشيرني إلى أي ناحية تتوجه ؟ وقد أشار ابنُ عمر رسول الله  
صلى الله عليه وسلم بالسيرِ إلى بيت المقدس ، فَإِنَّ اللَّهَ يَفْتَحُهَا عَلَى يَدَيْكَ ،  
والسلام . »

\* المستطرف : ٢ - ١٥

(١) قيسارية : بلد على ساحل بحر الشام ، تعد من أعمال فلسطين (٢) النخعي : نسبة إلى  
نخع ، وهي قبيلة باليمن .

فلما وصل الكتابُ إلى أبي عبيدة قرأه على المسلمين ؛ ففرحوا بالمسير إلى بيت المقدس وتقدّمه الجيشُ إليها ، وأقام المسلمون في القتال عشرة أيام ، وأهل بيت المقدس يُظهرون الفرح وعدم الخوف .

فلما كان اليوم الحادى عشر أشرفت عليهم رايةُ أبي عبيدة ، وخالدٌ عن يمينه وعبدُ الرحمن بن أبي بكر عن يساره ؛ فضجَّ الناس بالتهليل والتكبير ، ووقع الرُعْب في أهل بيت المقدس فاجتمعوا بقامة ، وهى البيعةُ <sup>(١)</sup> المعظمة عندهم .

فلما وقفوا بين يدى البطرِك <sup>(٢)</sup> قال لهم : ما هذه الضجة التى أسمعُ ؟ قالوا : قد قدّمَ أميرُ المؤمنين ببيعةَ المسلمين .

فلما سمع ذلك تربّد <sup>(٣)</sup> وجهه ، وقال : إننا وجدنا فى علمنا الذى ورثناه : أن الذى يفتح الأرضَ هو الرجل الأحمر ، صاحبُ نبيهم محمد ؛ فإن كان قدّم عليكم فلا سبيلَ إلى قتاله ، ولا بدّ أن أشرفَ عليه ، وأنظر إلى صفته ؛ فإن كان هو أجبتُهُ إلى ما يريد ، وإن كان غيره فلا بأس عليكم .

ثم وثب قائماً والقسس والرهبان من حوله ، وقد رفعوا الصليبان على رأسه ؛ فصعدوا إلى السور إلى أن ورد أبو عبيدة ، فناداهم رجل من الروم : يا معاشر المسلمين ؛ كفوا عن القتال حتى نسألكم !

فأمسك المسلمون عنهم فناداهم بلسانٍ عربى : اعلموا أن الرجل الذى يفتحُ

---

(١) البيعة : متعبد النصارى ، وجمها بيع ، وقامة : كانت كنيسة للنصارى بدمشق ، ولهم فيها

مقبرة يسمونها القيامة ، ويروون أن المسيح قامت قياته فيها (٢) البطرِك : مقدم النصارى .

(٣) تربد . تغير .

بلدتنا هذه صِفَتُهُ عندنا ؛ فإن كانت في أميركم لم تقاتلكم ؛ بل نسلم إليكم  
وإن لم تكن هذه صفته فلا نسلم إليكم أبداً .

فأعلم المسلمون أبا عبيدة بذلك ؛ فخرج أبو عبيدة إليهم إلى أن حادّاهم ، فنظر  
إليه البَطْرُكُ مَلِيًّا ، ثم قال : ليس هو الرجل ؛ فأبشروا وقاتلوا عن دينكم  
وحرّيمكم .

وكان نزولُ المسلمين على بيت المقدس في فصل الشتاء والبردِ ، فأقاموا أربعة  
أشهر في أشدِّ قتال .

فلما نظر أهلُ بيتِ المقدسِ إلى شدّةِ الحصارِ ، ورأوا ما حلَّ بهم من المسلمين ،  
وقفوا بين يدي البَطْرُكِ ، وقالوا : قد عَظُمَ الأمرُ ، ونريدُ منك أن تشرفَ على القومِ  
وتسألَ : ما الذي يريدون ؟ فإن كان أمراً صعباً فتحننا الأبوابَ ، وخرجنا إليهم ،  
فإما أن تقتل عن آخرنا أو نهزمهم عنا .

فأجابهم البَطْرُكُ إلى ذلك ، وصعد في السور ، واجتمع القسيسون والزّهبانُ حوله  
ونادى رجل : يامعشر الفُرُسانِ ، عمدة دين النصرانية قد أقبل يخاطبكم ، فليدُنْ  
منا أميرُكم .

فقام أبو عبيدة يمشى ، ومعه جماعة من أصحاب رسول الله ، فلما وقف بإزائهم  
قال : ما الذي تريدون ؟ قال البَطْرُكُ : إنكم لو أقمتم علينا عشرين سنة لم نصلوا  
إلى فتح بلدتنا ، وإنما يفتحها رجلٌ ليس معكم !

قال أبو عبيدة : وما صفةٌ من يفتحُ بلدكم ؟ قالوا : لا نخبركم بصفته ! ولكن

قرأنا أن هذا البلد يفتحه صاحبٌ لمحمد يعرف بالفاروق<sup>(١)</sup> لا تأخذه في الله لومة لائم،  
ولسنا نرى صفته فيكم .

فلما سمع أبو عبيدة كلام البطرّك تبسّم وقال : فتحنا البلد وربّ الكعبة اثم  
أقبل على البطرّك وقال : إن رأيتَ الرجلَ تعرفه ؟ قال : نعم ! وكيف  
لا أعرفه .

قال أبو عبيدة : هو والله خليفتنا وصاحبُ نبينا . قال : فإذا كان الأمرُ على  
ما ذكرتَ فاحقنِ الدماء ، وابعثْ إلى صاحبك ، فإذا رأيناه وتبيننا نعتَه ، فتحنا له  
البلد ، وأعطيناه الجزية .

فانصرف أبو عبيدة وأمر الناس بالكفّ عن القتال ، وكتب إلى عمر يعلمه  
بالمخبر .

فلما وصل إليه الكتاب قرأه على المسلمين ، وقال : ما تروّون - رحمكم الله -  
فيما كتب إلينا أمينُ<sup>(٢)</sup> الأمة ؟ فكان أولَ من تكلم عثمانُ بن عفّان ، فقال :  
يأمر المؤمنين ، إن الله قد أذلّ الروم ، فإن أنتَ أقمتَ ولم تسيّر إليهم علموا أنك بأمرهم  
مُسْتَخِفّ ، فلا يثبتون إلا يسيراً .

فلما سمع عمرُ ذلك من عثمان جزاه خيراً ، وقال : هل عند أحدٍ منكم رأىٌ  
غيرُ هذا ؟ فقال علي بن أبي طالب : نعم ، عندى غيرُ هذا الرأى ، وأنا أبديّه إليك .  
فقال له عمر : وما هو يا أبا الحسن ؟ قال : إن القوم قد سألك ، وفي سؤالهم ذلّ ،  
وهو على المسلمين فَتَح ، وقد أصابهم جهْدٌ<sup>(٣)</sup> عظيم ، من البرد والقتال ، وطول المقام

---

(١) لقب عمر بن الخطاب (٢) هو أبو عبيدة (٣) الجهد : المشقة .

وإن سرت إليهم فتح الله على يديك هذه المدينة ، وكان لك في مسيرك الأجر العظيم ،  
ولست آمن منهم أنهم إذا يتسوا منك أن يأتيهم اللدد من طاعتهم ؛ فيحصل  
للمسلمين بذلك الضرر . فالرأى أن تسير إليهم .

فقال عمر : لقد أحسن عثمان النظر في المكيدة للعدو ، وأحسن على النظر  
للمسلمين ؛ جزاها الله خيراً ، ولست آخذ إلا بمشورة علي ؛ فاعرفناه إلا محمود  
المشورة ، مئيمون الطلعة .

ثم إن عمر أمر الناس أن يأخذوا الأهبة للمسير معه ، واستخلف على المدينة  
علي بن أبي طالب ، وخرج على بعيره له أحر ، عليه غرارتان<sup>(١)</sup> ؛ في إحداها  
سويق ، وفي الأخرى تمر ، وبين يديه قرية ، وخلفه جفنة للزاد .

وسار إلى أن أقبل على بيت المقدس ، فتلقاه أبو عبيدة ؛ فلما رآه أناخ قلوته<sup>(٢)</sup> ،  
وأناخ عمر بعيره ، وترجلا ، ومد أبو عبيدة يده ، وصافح عمر ، وأقبل المسلمون يسلمون  
على عمر ، ثم ركبوا جميعاً إلى أن نزلوا ، فصلى عمر بالمسلمين صلاة الفجر ، ثم خطبهم ،  
فلما فرغ من خطبته جلس وأبو عبيدة يحدثه بما لقي من الروم إلى أن حضرت  
صلاة الظهر ، فأذن بلال في ذلك اليوم ، فلما قال : الله أكبر ! خشعت جوارحهم ،  
واقشعرت أبدانهم ، وحينما قال : « أشهد أن لا إله إلا الله ، وأشهد أن محمداً  
رسول الله » بكى الناس بكاء شديداً عند ذكر الله وذكر رسوله ، فلما فرغ من  
الأذان صلى عمر ، وجلس ، ثم أمرهم بالركوب .

وركب هو - وكانت عليه مرقعة الصوف - فقال المسلمون : يا أمير المؤمنين ،

(١) الغرارة : الجوالق (٢) القلوس من الإبل : الشابة .

لوركبتَ غيرَ بعيرك هذا جواداً ، ولبست ثياباً لكان أعظمَ لهيبتِكَ في قلوب أعدائك ! وأقبلوا يسألونه ويتلطفون<sup>(١)</sup> إلى أن أجابهم إلى ذلك ، ونزع مرقعته ، ولبس ثياباً بيضا ، وطرح على كتفيه منديلان دفعه إليه أبو عبيدة ، وقدم له برذوناً<sup>(٢)</sup> أشهب من براذين الروم .

فلما صار عمر فوقه جعل البرذون يهملج<sup>(٣)</sup> به ؛ فلما نظر عمر إلى ذلك نزل مسرعاً ، وقال : أَيْلُونِي ؛ أقال اللهُ عَثْرَاتِكُمْ يومَ القيامة ! لقد كاد أميركم يهلك مما داخله من الكبر !

ثم إنه نزع ثيابه وعاد إلى لبس مرقعته ، وركوب بعيره ، فَمَلَّتْ ضِجَّةُ الْمُسْلِمِينَ ، فقال البَطْرُكُ لقومه : انظروا : ما شأن العرب .

فاشرف رجلٌ منهم ، فقال : يا مَعْشَرَ الْعَرَبِ ، ما شأنكم ؟ قالو : إن عمر بن الخطاب قد قدم إلينا . فرجع هذا وأعلم البَطْرُكُ ، فأطرق ولم يتكلم . فلما كان الغد صلى عمرُ بالمسلمين ، ثم قال لأبي عبيدة : تقدّم وأعلمهم أني قد أتيت .

فخرج أبو عبيدة وصاح بهم : إن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب قد أتى ، فما تصنعون ؟ قال البَطْرُكُ : قل له يدنو منا ، فإننا نعرفه بصفاته ونعمته ؛ وأفردوه من بينكم حتى نراه .

فرجع أبو عبيدة إلى عمر ، فأخبره بما قال ، فهمَّ عمر بالقيام فقال له بعض أصحابه : يُخَشِي عَلَيْكَ مِنَ الْإِنْفِرَادِ بِلَا عُدَّةٍ .

(١) تطفوا وتلاطفوا : رفقوا (٢) البرذون : الدابة . والبراذين من الخيل : ما كان من غير تاج العراب (٣) الهملجة : حسن سير الدابة في سرعة .

فقال عمر : لن يصيبنا إلا ما كتبَ اللهُ لنا ، هوَ مَوْلانا وعلى اللهُ فليَتَوَكَّلْ  
أَلْمُؤْمِنُونَ . ثم لبسَ مُرَقَّتَهُ وركبَ بعيره ، وأبو عبيدة سائرٌ بين يديه إلى أن أتى  
بِإِزَاءِ البَطْرِكِ قَرِيباً مِنَ الحِصْنِ .

فقال أبو عبيدة : هذا أمير المؤمنين ! فمدَّ البطرِكُ عنقه ونظرَ إليه فزَعَقَ (١) ،  
وقال : هذا والله الذي صفتهُ في كتابنا !

ثم قال : يا أهل بيت المقدس ، انزلوا إليه ، وخذوا منه الأمان والذِّمَّةَ ، فهذا  
والله صاحبُ محمد .

فنزّلوا مسرعين ، وكانت أنفسهم قد ضاقت من شدَّةِ الحِصَارِ ، وفتحوا البابَ ،  
وخرجوا إلى عمر يسألونه العهد .

فلما رآهم عمر على تلك الحالة خرَّ لله ساجداً على قَتَبِ (٢) بعيره ، ثم أقبلَ عليهم  
وقال : ارجعوا إلى بلدكم ولكم العهد .

فرجع القوم إلى البلد ولم يُغلقوا الأبوابَ ، ورجع عمر .  
فلما كان الغد دخل عمر إليها ، وخطبَ بها محرّاباً (٣) وأقرَّ أهلها على عهدهم ،  
وأداء الجزية (٤) .

---

(١) زعق : صاح (٢) القتب : البرذعة على قدر سنام البعير (٣) المحراب : مقام الإمام  
من المسجد ، والموضع ينفرد به الملك فيتباعد عن الناس (٤) الجزية : خراج الأرض ، وما يؤخذ  
من الذي .

١٧٠ — عند ملك الصين \*

أَوْعَلَ قُتَيْبَةَ<sup>(١)</sup> بن مسلم حتى قرُب من الصين . فكتب إليه ملكُ الصين .  
 أن ابعث إلينا رجلا من أشرف من معكم يخبرنا عنكم ونسأله عن دينكم .  
 فانتخب قُتَيْبَةَ من عسكره اثني عشر رجلا ، لهم جمال وأجسام وألسُن وشعور  
 وبأس ، فكلمهم قُتَيْبَةَ وفأطنهم<sup>(٢)</sup> ، فرأى عقولا وجمالا ؛ فأمر لهم بعدة حسنة من  
 السلاح والمتاع الجيد من الوشَى والرقيق والنعال والعطر ، وحملهم على خيول مُطَهَّمة  
 تقاد معهم ودوابَّ يركبونها .

وكان هُبَيْرَةُ<sup>(٣)</sup> بن المُشَمَّرَج الكلابي مفوَّهاً ، فقال له : يا هُبَيْرَةُ ؛ ماذا أنت  
 صانع ؟ قال : أصلح الله الأمير ! قل ما شئت أقله وأخذ به ؛ قال : سيروا على  
 بركة الله وبالله التوفيق ، لا تضعوا العمام عنكم حتى تقدموا البلاد ، فإذا دخلتم عليه  
 فأعلموه أني قد خلفت ألا أنصرف حتى أطأ بلادهم وأجبي خراجهم .

فساروا وعليهم هبيرة بن المُشَمَّرَج ، فلما قدموا أرسل إليهم ملك الصين يدعومهم ،  
 فدخلوا الحمام ثم خرجوا فلبسوا ثيابا بيضا تحتها الغلائل ، ثم مسوا الغالية<sup>(٤)</sup> ،  
 ولبسوا النعال والأردية ، ودخلوا عليه ، وعنده عطاء أهل مملكته ، فجلسوا ، فلم  
 يكلمهم هو ولا أحد من جلسائه ، فنهضوا .

\* تاريخ الطبرى : ٨ - ١٠٠

(١) أمير فاتح من رجال العرب ، اتصل بالوليد بن عبد الملك فولاه خراسان ، وغزا أطراف  
 الصين وضرب عليها الجزية ، واستمرت ولايته ١٣ سنة وقتل سنة ٥٩٦ هـ (٢) فاطنة في الكلام :  
 راجعه (٣) كان مع قُتَيْبَةَ حين غزا الصين وتوفى بفارس سنة ٥٩٦ هـ (٤) الغالية : الطيب .

فقال الملك لمن حضره : كيف رأيتم هؤلاء ؟ قالوا : رأينا قوما ما هم إلا نساء ، ما بقي منا أحدٌ حين رآهم إلا وجد رأحتهم .

فلما كان الغد أرسل إليهم ، فلبسوا الوشئ وعمائم الخرز والمطارف<sup>(١)</sup> ، وغدوا عليه ، فلما دخلوا عليه قيل لهم : ارجعوا فقال لأصحابه : كيف رأيتم هذه الهيئة ؟ قالوا : هذه الهيئة أشبهُ بهيئة الرجال .

فلما كان اليوم الثالث أرسل إليهم فشدوا عليهم سلاحهم ، ولبسوا البيض<sup>(٢)</sup> والمغافر<sup>(٣)</sup> ، وتقلدوا السيوف ، وأخذوا الرماح ، وتكَبُّوا<sup>(٤)</sup> القسي ، وركبوا خيولهم وغدوا ! فنظر إليهم صاحبُ الصين ، فرأى أمثال الجبال مقبلةً ، فلما دنوا ركزوا رماحهم ، ثم أقبلوا مشمرين ، فقيل لهم قيل أن يدخلوا : ارجعوا ، لما دخل قلوبهم من خوفهم .

فانصرفوا فركبوا خيولهم وحملوا رماحهم ، ثم دفعوا خير لهم كأنهم يتطاردون بها ، فقال الملك لأصحابه : كيف ترؤنهم ؟ قالوا : ما رأينا مثل هؤلاء قط !

فلما أرسل إليهم الملك أن ابشوا إلى زعيمكم وأفضلكم ، بشوا إليه هبيرة ، فقال له حين دخل عليه : قد رأيتم عظيم ملكي ، وأنه ليس أحدٌ يمكنكم مني وأتم في بلادي ، وإنما أتم بمنزلة البيضة في كفي ، وأنا سائلك عن أمر فإن لم تصدقني قتلتك . قال : سل ، قال : لم صنعتم ما صنعت من الزمى في اليوم الأول والثاني والثالث ؟ قال : أما زينا الأول فلباسنا في أهلينا وريحنا عندهم ، وأما يومنا الثاني فإذا أتينا أمراءنا ، وأما اليوم الثالث فزينا لمدونا ، فإذا هاجنا هبج

(١) الطرف : رداء من خز مربع ذو أعلام ، وجمه مطارف . (٢) البيضة : الحوزة ، وجمه بيض ، والمغافر : جمع مفتر : زرد من الدرع يلبس تحت الفلنسة ، أو حلق يتقنع بها التسلح (٣) تكب قوسه : ألقاه على منكبه .

وفزعُ ككنا هكذا . قال : ما أحسن ما دَبَّرْتُمْ دَهْرَكُمْ ! فانصرفوا إلى صاحبكم ،  
فقولوا له ينصرف ؛ فإني قد عرفتُ حِرْصَهُ وَقِلَّةَ أَصْحَابِهِ ، وإلا بعثتُ عليكم مَنْ  
يهلككم ويهلكهُ .

قال له : كيف يكون قليلَ الأصحابِ مَنْ أولُ خيله في بلادك وآخرها في  
منابت الزيتون ؟ وكيف يكون حريصاً من خلفِ الدنيا قادراً عليها وغزاًك ؟  
وأما تخويفُك إيانا بالقتلِ فإن لنا آجالاً إذا حضرت فأكرمها بالقتلِ ، فلسنا  
نكرهُه ولا نخافهُ .

قال : فما الذي يُرضى صاحبك ؟ قال : إنه قد حلف ألا ينصرف حتى يطاء  
أرضكم ويُعطى الجزية . قال : فإننا نخرجه من يمينه ونبعثُ إليه بتراب من تراب  
أرضنا فيطوهُه ، ونبعثُ إليه بجزية يرضاه ؛ ثم دعا بصِحَافٍ من ذهب فيها تراب ،  
وبعث بحرير وذهب ، ثم جزاهم فأحسن جوائزهم ؛ فساروا فقدموا بما بعث به فقبل  
قَتِيْبَةَ الجزية وَوَطِئَ التراب .

١٧١ — إنك ابني\*

قال رجل من أهل الكوفة : كنا مع مَسْلمة<sup>(١)</sup> بن عبد الملك ببلاد الروم ، فسبى سبياً كثيراً ، وأقام يبعض المنازل ، فعرض السَّبِيَّ على السيف ، فقتل خَلْقاً كثيراً ، حتى عرض عليه شيخٌ ضعيف ، فأمر بقتله .

فقال : ما حاجتك إلى قتلِ شيخٍ مثلي ؛ إن تركتني جثتك بأسيرين من المسلمين شابين . فقال : ومن لي بذلك ؟ قال : إني إذا وعدتُ أوفيتُ . قال : لستُ أثق بك . قال : فدعني أطوفُ في عسكري ، لعل أعرِفُ من يكفلني إلى أن أمضي وأجيبُ بالأسيرين . فوكلَ به من طاف معه في عسكريه ، والاحتفاظ به .

فأزال الشيخ يطأوف ويتصفحُ الوجوه ، حتى مرَّ بفتى من بني كلاب قائماً يحسنُ فرسه ، فقال : يا فتى ، اضمني من الأمير ؛ وقبصَّ عليه قصته . قال : أفعل . وجاء الفتى معه إلى مَسْلمة فضمنه ، فأطلقه مسلمة . فلما مضى قال : أتعرفه ؟ قال : لا والله . قال : ولمَ ضممته ؟ قال : رأيتُه يتصفح الوجوه ، فاختراني من بينهم ، وكرهت أن أخلفَ ظنه .

فلما كان من الغد عاد الشيخُ ، ومعه أسيران من المسلمين شaban ، دفعهما إلى

\* الفرج بعد الشدة : ١ - ٨٢

(١) أمير قائد من أبطال عصره ، ولاء أخوه يزيد لأمرة المراقين ، ثم أرمينية ، ومات بالشام

مسلمة وقال : يا ذنُّ الأمير في هذا الفتى أن يصيرَ معي إلى حصني لأكافئه على فعله معي . قال مسلمة : إن شئتَ فامضِ معه .

فلما مضى وصار معه إلى حصنِهِ ، قال له : تعلم والله يا فتى أنك ابني ؟ قال : وكيف أكونُ ابنك ، وأنا رجل من العرب مسلم ، وأنت من الروم نصراني ؟ قال : أخبرني عن أمك مَنْ هي ؟ قال : رومية . قال : فإني أصفها لك ، فبالله إن صدقتُ إلا صدقتني . قال : أفعَل .

فأقبل الرومي يصفُ أمه ما خرم من صفتها شيئاً . فقال : هي كذلك فكيف عرفت أني ابنها ؟ قال : بالشبه وتعارُفِ الأرواحِ وصدقِ الفراسة . ثم أخرج إليه امرأه ، فلما رآها الفتى لم يشك في أنها أمه لشدة شبهها بها ، وخرجت معها عجوز كأنها هي ، فأقبلنَ يُقبِلنَ رأس الفتى ، فقال له الشيخ : هذه جدتك ، وهذه خالتك .

ثم خرج من حصنه ، فدعا بشباب في الصحراء ، فأقبلوا فكلمهم بالرومية ، فجمعوا يقبلون رأس الفتى ويديه ورجليه ، فقال : هؤلاء أخوالك وبنو خالتك ، وبنو عم والدتك ؛ ثم أخرج إليه جلباباً<sup>(١)</sup> كثيراً وثياباً فاخرة ؛ فقال : هذا لوالدتك عندنا منذ سُبيت ، فخذهُ معك ، فادفعه إليها ، فإنها ستعرفه ، ثم أعطاه لنفسه مالاَ كثيراً ، وثياباً جليلة ، وحمله على عدة دواب وبنغال وألحقه بمسكّر مسلمة وانصرف .

فأقبل الفتى قافلاً حتى دخل منزله ، فأقبل يخرج الشيء بعد الشيء مما عرفه

الشيخ أنه لأمه ، فتراه فتبكي ، فيقول لها : قد وهبته لك !

(١) الجلب : كل ما جلب من خيل أو غيرها .

فلما أكثر هذا عليها ، قالت : يا بنى - : أسألك بالله ؛ من أى بلد صارت إليك هذه الثياب ؟ وهل قتلتم أحداً من أهل هذا الحصن الذى كان هذا فيه ؟ فقال لها الفتى : صفة الحصن كذا ركذا ، وصفة البلد كذا وكذا ، ورأيت فيه قوماً من حالم كذا وكذا ، ووصف لها أمها وأختها وأولادها وهى تبكى ، فقال لها : ما يبكيك ؟ فقالت : الشيخ والله أبى ، والعجوز أمى ، وتلك أختى ! فقص عليها الخبر ، وأخرج بقية ما كان معه مما أنفذه أبوها إليه ، فدفعه لها .

١٧٢ — خدعة\*

لما ذهب الرشيد لغزو الروم أخذ يفتحُ المدن والحصون ويخربها ، حتى أناخ على هر قلة<sup>(١)</sup> ، وهي أوثقُ حصن وأعزّه جانباً ، وأمنعه ركنًا ، فتحصن أهلها - وكان بابها يُطلُّ على وادٍ ، ولها خندق يُطيفُ بها - ولما ألحَّ عليهم بالمجانيق والسهام والعرّادات<sup>(٢)</sup> ففتح الباب ، وإذا برجل من أهلها كأكل الرجال ، قد خرج في أكل السلاح فنادى : قد طالت موآقتكم إيانا ، فليبرز إلى منكم رجلا ن . ثم لم يزل يزيدُ حتى بلغ عشرين رجلا ، فلم يجبه أحدٌ ؛ فدخل وأغلق باب الحصن .

وكان الرشيدُ نائمًا فلم يعلم بخبره إلا بعد انصرافه ؛ فغضب ولام خدّمه وغلماناه على تركهم إنباهه<sup>(٣)</sup> ، وتأسف لقوّته . فقيل له : إن امتناع الناس منه سيّقويّه ويطغيه ، وأحرّبه أن يخرج في غد ، فيطلبَ مثل ما طلبَ ؛ فطالت على الرشيد ليلته ، وأصبح كالمنتظر له ، ثم إذا هو بالباب قد فتح ، وخرج طالبًا للمبارزة ، وذلك في يوم شديد الحر ، وجعل يدعو بأنه يثبت لعشرين منهم .

فقال الرشيدُ : من له ؟ فابتدره جملةُ القواد كهرثمة ، ويزيد بن مزيد ، وعبد الله بن مالك وغيرهم ؛ فعزم على إخراج بعضهم ؛ فضجّت المطوّعة<sup>(٤)</sup> حتى

\* الأغاني : ١٧ - ٤٦

(١) مدينة ببلاد الروم (٢) اللجنيق والمرادة : آلتان من آلات الحروب ترى بها الحجارة (٣) أنبّهه : أيقظه من النوم (٤) الطووعة : الذين يتطوعون بالجهاد .

سَمِعَ ضَجِيجَهُمْ ، فَأَذِنَ لِعَشْرِينَ مِنْهُمْ ، فَاسْتَأْذَنُوا فِي الشُّورَةِ ، فَأَذِنَ لَهُمْ ، فَقَالَ قَائِلُهُمْ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ؛ قَوَادِكُمْ مَشْهُورُونَ بِالْبَأْسِ وَالنَّجْدَةِ وَعِلْوِ الصِّدْقِ وَمُدَارَسَةِ الْحُرُوبِ ، وَمَتَى خَرَجَ وَاحِدٌ مِنْهُمْ فَقَتَلَ هَذَا الْعِلِجَ <sup>(١)</sup> لَمْ يَكْبُرْ ذَلِكَ . وَإِنْ قَتَلَهُ الْعِلِجُ كَانَتْ وَضِيعَةٌ عَلَى الْعَسْكَرِ عَجِيبَةٌ ، وَثَمَّةٌ لَا تَسُدُّ . فَإِنْ رَأَى أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ يَخْلِينَا نَخْتَارُ رَجُلًا فَنَخْرُجُهُ إِلَيْهِ إِنْ ظَفِرَ عِلْمُ أَهْلِ الْحِصْنِ أَنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ قَدْ ظَفِرَ بِأَعْرَاسِهِمْ عَلَى يَدِ رَجُلٍ مِنَ الْعَامَّةِ وَمِنْ أَفْنَاءِ <sup>(٢)</sup> النَّاسِ ، لَيْسَ مِنْهُمْ يُوْهِنُ قَتْلَهُ وَلَا يُؤَثِّرُ ، وَإِنْ قَتَلَ الرَّجُلُ فَإِنَّمَا اسْتَشْهَدَ رَجُلٌ ، وَلَمْ يُوْثِرْ ذَهَابُهُ فِي الْعَسْكَرِ ، وَلَمْ يَنْتَلِمْهُ ، وَخَرَجَ إِلَيْهِ رَجُلٌ بَعْدَهُ مِثْلَهُ حَتَّى يَمْضِيَ إِلَيْهِ مَا شَاءَ .

قال الرشيد : لقد استصوبتُ رأيكم هذا ؛ فاختراروا رجلا منهم يعرف بابن الجزري ، وكان معروفاً في الثغرِ بالبأسِ والنَّجْدَةِ ، فقال الرشيد : أنخرج ؟ قال : نعم ! وأستعينُ الله . فقال : أعطوه فرساً ورُحْماً وسيفاً وترُساً . فقال : يا أمير المؤمنين : أنا بفرسي أوثقُ ، ورحمي بيدي أشدُّ ؛ ولكنني قد قبلتُ السيفَ والترسَ .

فلبسَ سلاحه ، واستدناهُ الرشيدُ فودَّعه واستتبعهُ الدعاءُ ، وخرج معه عشرون رجلاً من المطوِّعة : فلما انقضى في الوادي ، قال لهم العليج وهو بعدُهم : إنما كان الشرطُ عشرين وقد زدتمُ رجلاً . ولكن لا بأس ، فنادَوْه : ليس يخرج إليك منا إلا رجل واحد . فلما فصلَ منهم ابن الجزري تأمله الرُّومي ، وقد أشرف أكثرُ الروم من الحصن ، يتأملون صاحبهم والقِرْنَ ، حتى ظنوا أنه لم يبقَ في الحصن أحدٌ إلا أشرف . ثم أخذَا في شأنهما فاطفَعَا <sup>(٣)</sup> حتى طال الأمرُ بينهما ، وليس يخبِشُ واحدٌ منهما صاحبه .

(١) العليج : الرجل من كفار العجم (٢) لا يعلم من هو (٣) تطلعنا .

ثم تحاجزا بشيء فرجَّ كل منهما برُئِحِه ، وأصْلَتَ <sup>(١)</sup> سَيْفَه ، فَجَالَدَا مَلِيًّا ، واشتدَّ الحرُّ عليهما وتبلَّدَ <sup>(٢)</sup> القَرَسَان ، وجعل ابن الجزرى يضرب الرومى الضربةَ التي يرى أنه قد بلغ فيها فيتقيها الرومى ، وكان ترسُه حديدًا ، فيسمع لذلك صوتًا مُنْكَرًا .

فلما يئس كلُّ واحد منهما من الوصول إلى صاحبه انهزم ابنُ الجزرى فدخلت المسلمين كآبةً لم يكتبوا مثلها قط ، وعظَّمَطَ الروم <sup>(٣)</sup> اختيالًا وتطاولا ، وإنما كانت هزيمته حيلةً منه . فاتبَعَه العِجَجُ وتمكَّن منه ابنُ الجزرى فرماه بوهق <sup>(٤)</sup> ، فوقع في عنقه وما أخطأه ، ورَكَضَ فألقاه عن فرسه ، ثم عطف عليه ، فما وصل إلى الأرض حيًّا حتى فارقه رأسه . فكبَّرَ المسلمون أعلى تكبير ، وأنخذَلَ الروم ، وبادروا الباب يُفلقونه ، وأتصل الخبرُ بالرشيد فصاح بالقوَّاد : اجعلوا النار في الجمانيق ، وارموا فليس عند القوم دَفْعٌ . ففعلوا وجعلوا الكتان والنَّفَطَ على الحجارة وأضرموا فيها النار ، ورموا بها السور فكانت النار تلتصق به ، وتأخذ الحجارة وقد تصدعت فهاقت . فلما أحاطت بها النيران فتحوا الباب الباب مستأمنين ومستقبلين .

(١) أصلت السيف : جرده من غمده (٢) التبلد : ضد التجلد (٣) المطعطة : تتابع الأصوات واختلاطها في الحرب وغيرها (٤) الوهق بفتح الهاء وإسكانها : الجبل يرى أنشوطه ، فتؤخذ به الدابة .

١٧٣ — وامعتصماه \*

وقف رجلٌ على المعتصم <sup>(١)</sup> فقال : يا أمير المؤمنين ؛ كنت بمعمورية <sup>(٢)</sup> وجاريةً من أحسن النساء سيرةً ، قد لطمها عَاجُجٌ <sup>(٣)</sup> في وجهها ، فنادت : وَاْمُعْتَصِمَاهُ ! فقال العَلِيجُ : وما بقدرُ عليه المعتصمُ ! يحيى على أبلقٍ وينبرك ! وزاد ضربها .

فقال المعتصم : وفي أى جهة معمورية ؟ فقال له الرجل - وأشار إلى جهتها : هاهى ذى ؛ فردّ المعتصم وجهه إليها ، وقال : لَتَبَيْكِ أيتها الجارية ، لَتَبَيْكِ ؛ هذا المعتصم بالله أجابك ، ثم تجهّز إليها في اثني عشر ألف فرس أبلقٍ ، وحاصرها .

ولما طال مُقامه عليها جمع المنجّمين فقالوا له : إنّا نرى أنك ما تفتّحها إلا في زمان نُضِجَ العنب والتين ، فسقّ عليه ذلك وانقمّ ، وخرج ليلةً مع بعض حشمه متجسّساً في المسكر بسمع ما يقول الناس ، فررّ بنجمة حدّاد يضرب نعال الخليل ، وبين يديه غلام أقرع قبيح الصورة ، وهو يضرب على السندان ويقول : في رأس المعتصم ! فقال له معامه : اترُكنا من هذا ، مالك وللمعتصم ! فقال : ما عنده تدبير ، له كذا وكذا يوماً على هذه المدينة مع قوّته ولا يفتّحها ! لو أعطاني الأمر ما بات غداً إلا فيها .

فتعجب المعتصمُ مما سمع ، وترك بعض رجاله موكلاً به ، وانصرف إلى خبائه ، فلما أصبح جاءوا به ، فقال : ما حملك يا هذا على ما بلغنى عنك ؟ فقال الرجل .

\* معاضرات الأبرار : ٢ - ٦٣

(١) خليفة من أعظم خلفاء الدولة العباسية وهو فاق عمورية توفي سنة ٢٢٧ هـ (٢) عمورية : بلدة من بلاد الروم . (٣) العليج : الواحد من كفار العجم

الذى بلغك حقّ ، ولو وليّتني الحرب فإني أرجو أن يفتح الله عليك . فقال : قد وليّتك ، وخلق عليه وقدمه على الحرب ، ففتح الله عليه ، ودخل المعتصم المدينة ، ولم يثبت قول المنجمين .

ثم دعا بالرجل الذي بلغه حديث الجارية ، فقال له : ميرّبي إلى الموضع الذي رأيته فيها ، فسار به ، وأخرجها من موضعها ، وقال لها : يا جارية ، هل أجابك للمعتصم ؟ ثم ملكها العليج الذي لطمها ، والسيد الذي كان يملكها وجميع ماله<sup>(١)</sup> .

---

(١) وفي هذه يقول أبو تمام قصيدته :

السيف أصدق أنباء من الكتب  
بيض الصفائح لا سود الصفائف في  
والعلم في شهب الأرماع لامة  
وخوفوا الناس من دهيا داهية  
تخرماً وأحاديثاً ملفقة

في حده الحدّ بين الجد والعب  
متونهن جلاء الشك والريب  
بين الخمسين لافي السبعة الشهب  
إذا بدا الكوكب القرني ذو الدب  
ليست بنبع إذا عدت ولا غرب

عرض بتاريخ المنجمين في التين والعنب فقال :

تسون أفاً كآساد الشرى نضجت  
جلودهم قبل نضج التين والعنب

## فهرس القصص

### الباب الأول

فى القصص التى تعرب عما يقع بين العامة والملوك ، والقواد والرؤساء والقضاء ومن إليهم ، من كل ذى صلة بالحكم والحكام ، مما يتناول حيلهم فى المنازعات والخصومات ، ويوضح طرائقهم فى رفع الظلمات ورجع الحقوق وما يجرى هذا الجرى :

العنوان	رقم القصة	رقم الصفحة
متى تعبدتم الناس ؟	١	٨
أحب الولاة إلى عمر بن الخطاب	٢	٩
عمر يتفقد رعيته	٣	١١
عمر بن الخطاب يحاسب نفسه	٤	١٣
جنتك من عند أهد الناس	٥	١٤
تأديب عمر بن الخطاب لعماله	٦	١٦
أخطأت فى ثلاث	٧	١٨
تنصرت الأشراف من عار لطفة	٨	١٩
بصيرة العباس	٩	٢٥
أثر المعروف	١٠	٢٧
فى البيعة ليزيد بن معاوية	١١	٢٩

العنوان	رقم الصفحة	رقم القمبة
ذو الوجهين لا يكون عند الله وجيهاً	٣٣	١٢
الحجاج وأهل العراق	٣٤	١٣
نصيحة	٣٩	١٤
من حيل الحجاج	٤١	١٥
لا أحد إلا الله	٤٣	١٦
لا أسألكم عليه أجراً	٤٥	١٧
خليفة بين يدي قاض	٤٧	١٨
العهد لعمر بن عبد العزيز	٤٩	١٩
عمر بن عبدالعزيز يحمل الناس على الحق	٥٢	٢٠
لا تلوموا إلا أنفسكم	٥٤	٢١
ذكّرتنى الطمن وكنت ناسياً	٥٥	٢٢
الولد سر أبيه	٥٧	٢٣
أوارث أنت بنى أمية	٥٩	٢٤
حذر عيسى بن موسى	٦١	٢٥
يقظة المنصور	٦٣	٢٦
المنصور في ساحة القضاء	٦٥	٢٧
نبى كما كانت أوائلنا تنى	٦٧	٢٨
همذانى بين يدي المنصور	٦٩	٢٩
أمير في مجلس القضاء	٧١	٣٠
قاضٍ يطلب الإقالة من القضاء	٧٤	٣١
أبو ذلامة وابن أبي ليلى القاضى	٧٥	٣٢

العنوان	رقم الصفحة	رقم القصة
صاحب شرطة المهدي مع الهادي	٧٦	٣٣
لا أفلح قاض لا يقيم الحق	٧٨	٣٤
الغادر مخذول	٨٠	٣٥
رجل يقاضى المأمون	٨١	٣٦
لا يخلو أحد من شجن	٨٣	٣٧
كيف يمتذر إنسان من كلام تكلم به!	٨٥	٣٧
غرس يدي وإلف أدبي	٨٨	٣٩
غسان بن عباد وعلي بن عيسى	٩٠	٤٠
فطنة	٩٢	٤١
لا تتبع الهوى	٩٣	٤٢
هشام بن عبد الرحمن الداخل وأحد صنائعه	٩٤	٤٣
قاضٍ لا يقبل شهادة خليفة	٩٦	٤٤

### الباب الثاني

في القصص التي تصوّر احتفاظهم بأنسابهم واعتزازهم بقبائلهم ، وتمجيدهم للأسلاف ، وتعديدهم مآثر كوا من مآثر ، وما أدّى إليه ذلك من مفاخرات ومنافرات:

العنوان	رقم الصفحة	رقم القصة
خاطرت علي حسبي وحسبك	١٠٠	٤٥
لا تجعلن هوازنا كذحج	١٠٣	٤٦
يتنازعان الزعامة	١٠٥	٤٧

العنوان	رقم الصفحة	رقم القصة
أنت له	١١١	٤٨
أنت اليوم ذو جدّين	١١٦	٤٩
إن البلاء موكل بالمنطق	١١٨	٥٠
معاقره	١٢٠	٥١
قد كان يسوءنى أن تكون أميراً	١٢٢	٥٢
لترجمن بأكثر مما آب به معدّى	١٢٤	٥٣
ما تكشف الأيام منك إلا عن سيف صقيل	١٢٧	٥٤
لولا ما جعل الله لنا في يدك ما أتيناك	١٣٤	٥٥
ذهبت قريش بالمكارم والعلا	١٣٧	٥٦
لو ترك القطا لنا ما	١٤٠	٥٧
مفاخرة ربيعة	١٤٥	٥٨
أراك عالماً بقومك	١٤٨	٥٩
لقد خفت أن تفخر علىّ	١٥٠	٦٠
بين عبد الله بن جعفر والحجاج	١٥١	٦١
إنها قريش يقارع بعضها بعضاً	١٥٣	٦٢
تستجير بقبر أبيه !	١٥٤	٦٣
الفرزدق والأنصار	١٥٥	٦٤
الفرزدق عند سليمان بن عبد الملك	١٥٨	٦٥
الباهلى	١٥٩	٦٦
كلثوم المتأبى	١٦١	٦٧

الباب الثالث

في القصص التي تنقل ما كانوا يتفكّهون به من أسمار ومطايبات ، ومناقذات  
وأفاكيه ، مما نال به المحدثون والندماء سنيّ الجوائز والحلّمع من الخلقاء والوزراء ،  
وما ارتفعت به مكاتهم عند السادة والوجوه في المحتعمات والمنتديات :

العنوان	رقم الصفحة	رقم القصة
يبيع اسمه	١٦٦	٦٨
أنا كنت أولى بهذا الشعر من أبيك	١٦٧	٦٩
عبد الرحمن بن الحكم يترضى زياداً	١٦٩	٧٠
أنا كم غريب الدار مظلوم	١٧١	٧١
أرى فيك موضعاً للصنيعة	١٧٢	٧٢
الرئية	١٧٣	٧٣
ظرف عباد الحجاز	١٧٥	٧٤
جرير وجارية الحجاج	١٧٦	٧٥
أرادت عرّارا بالهوان	١٧٨	٧٦
قد نجوت	١٧٩	٧٧
ما أنا بيارح أو يرضى أمير المؤمنين	١٨٢	٧٨
آكل !	١٨٦	٧٩
نزل أم حبيب	١٨٧	٨٠
امرأة تحاور كثيراً	١٨٨	٨١
إفحام	١٩٠	٨٢

العنوان	رقم الصفحة	رقم القصة
بين كثير وعزة	١٩١	٨٣
حوار بين شعراء	١٩٣	٨٤
احتال حتى أقرأها رسالته	١٩٧	٨٥
من لي بمثلك يُمتبني إذا استعنته	٢٠٠	٨٦
ها قرا السماء وأنت نجم	٢٠٣	٨٧
نفي الأحوص	٢٠٥	٨٨
شهادة	٢٠٨	٨٩
فضض الطرف إنك من مُبخر	٢١٠	٩٠
لا أهجو شاعراً هذا شعره	٢١٣	٩١
جارية	٢١٥	٩٢
فضحت شيخاً من قريش وعذبتني!	٢١٦	٩٣
في دار هشام بن عبد الملك	٢١٨	٩٤
هروب الكميث	٢٢١	٩٥
وشاية	٢٢٦	٩٦
أشعب يبلغ رسالة	٢٣٠	٩٧
رُعنتي راعك الله	٢٣٢	٩٨
كادت تموت فرحاً	٢٣٣	٩٩
هلم إليّ أ كافتك	٢٣٤	١٠٠
بوزع	٢٣٧	١٠١
المنصور يطلب من يسليه بالشعر	٢٣٩	١٠٢
صير إليّ متى شئت	٢٤١	١٠٣
أتذكر إذ لحافك جلدُ شاة!	٢٤٣	١٠٤

العنوان	رقم الصفحة	رقم القصة
لقد كان ذلك الرجل شؤمياً	٢٤٥	١٠٥
حُيِّت مع الدجاج	٢٤٧	١٠٦
مأزره لو أن ذنوب العالمين على ظهري	٢٤٩	١٠٧
لو أن لي مهجة أخرى لجدتُ بها	٢٥٢	١٠٨
يهجو نفسه	٢٥٥	١٠٩
كل امرئٍ يأكل زاده	٢٥٧	١١٠
حماد والمفضل	٢٥٨	١١١
في خبَاء الأعرابي	٢٦٠	١١٢
دعا بفراق من تهوى أبان	٢٦١	١١٣
راوية أبي نواس والعتابي	٢٦٢	١١٤
ألا موت يُباع!	٢٦٤	١١٥
قد وجدناك ممتعاً	٢٦٥	١١٦
تعوّدتُ حسن الصبر حتى ألفتُهُ	٢٧٠	١١٧
ملّ كُتّابي إحصاء ما يهَبُّ	٢٧٢	١١٨
اسمى مشتق من اسمك	٢٧٧	١١٩
بديهة قَيْنَة	٢٧٨	١٢٠
لا أذوق المدام إلا شميما	٢٧٩	١٢١
إن بعد العسر يسرا	٢٨١	١٢٢
راوية مسلم بن الوليد	٢٨٣	١٢٣
لباقة	٢٨٥	١٢٤
لولا حقه وحق صاحبه لمت جوعاً	٢٨٩	١٢٥

العنوان	رقم الصفحة	رقم القصة
إذا لم يكن للمرء في دولة امرئ	٢٩٠	١٢٦
نصيب ولا حظّ تمنى زوالها		
خلق دِعْبِل	٢٩٢	١٢٧
ديك دِعْبِل	٢٩٧	١٢٨
بين البادية والخصر	٢٩٨	١٢٩
الجاحظ في مرضه	٢٩٩	١٣٠
ظبي مذبوح ، ورجل جريح ، وفتاة ميتة	٣٠١	١٣١
جوائز الصلاة	٣٠٣	١٣٢
مامعى إلا قفاى !	٣٠٤	١٣٣
قد شفى منه صدورنا !	٣٠٨	١٣٤
نقد شعر امرئ القيس	٣٢٤	١٣٥
لا وصل إلا أن يشاء ابن معمر	٣٢٦	١٣٦
الشعر بضاعة تجدى	٣٢٧	١٣٧
حديث جويرية	٣٣٠	١٣٨
أحلف وأنا في هذه السن !	٣٣٢	١٣٩
ضرتان	٣٣٤	١٤٠
من كذب الأعراب	٣٣٥	١٤١
قسّم فأحسن القسمة	٣٣٦	١٤٢
زهد وأدب	٣٣٨	١٤٣
تشابه خاطرين	٣٤٤	١٤٤
إنما توجد في قعر البحار الفصوص	٣٤٦	١٤٥

## الباب الرابع

في القصص التي تؤرخ مذكور أيامهم ، وتفصّل مشهور وقائعهم ، ومقتل  
كبرائهم ، ونصف الحروب والمنازعات التي كانت تدور بين قبائلهم ، أخذاً بالنار ،  
أو حماية للذمار :

العنوان	رقم الصفحة	رقم القصة
كان لم يكن بين الحجون إلى الصفا أنيس ولم يسمر بمسكة سامر	٣٤٨	١٤٦
ألا من يشتري سَهراً بنوم	٣٥٢	١٤٧
غثك خير من سمين غيرك	٣٥٤	١٤٨
مقتل كليب	٣٥٦	١٤٩
المجرس بن كليب يثار لأبيه	٣٦١	١٥٠
قربا مربوط النعامة منى	٣٦٣	١٥١
ضيغنى صغيراً ، وحلنى دمه كبيراً	٣٦٧	١٥٢
ما كان لولا غرة الليل يفلب	٣٧٦	١٥٣
لأقتلنه ولو كان في حجر النعمان	٣٨٠	١٥٤
وفاء وغدر	٣٨٣	١٥٥
يثأر لأبيه وجده	٣٨٥	١٥٦
بعد طعن عمر بن الخطاب	٣٨٩	١٥٧
المؤتمرون بعلى ومعاوية وعمرو	٣٩٣	١٥٨
بين عبد الملك بن مروان وعمرو بن سعيد	٣٩٨	١٥٩
الأخطل يفرق من الجحاف	٤٠١	١٥٠

رقم القصة	رقم الصفحة	العنوان
١٦١	٤٠٣	قد أخرجت الإذن عليه لتقتلوه
١٦٢	٤٠٨	آبى الضمى
١٦٣	٤١٢	مصرع الوليد بن طريف

### الباب الخامس

فى القصص التى تحكى ما كان للجند من أحداث وأحاديث فى الغارات والغزوات والفتوح ، مصورة نفسياتهم وأحوالهم ، واصفة تطوراتهم العقلية والخلقية بنشأة الدولة العربية وانفساح رقعتها ، مفصلة عددهم وآلاتهم وأسلحتهم فى حياتهم الجديدة :

رقم القصة	رقم الصفحة	العنوان
١٦٤	٤١٦	كلاب بن أمية وأبواه
١٦٥	٤٢٠	فى يوم اليرموك
١٦٦	٤٢٣	فى يوم القادسية
١٦٧	٤٢٥	فى فتح نهاوند
١٦٨	٤٢٧	عمرو بن العاص وأحد كفار الأعاجم
١٦٩	٤٢٩	عمر بن الخطاب وغنائم المسلمين
١٧٠	٤٣٣	قد كاد أميركم يهلك
١٧١	٤٤٠	عند ملك الصين
١٧٢	٤٤٣	إنك أبى .
١٧٣	٤٤٦	خدعة
١٧٤	٤٤٩	وامتعصماه !

## فهرس الأعلام

- (١)
- أبو أيوب الأنصاري : ٣٩٣
- أبو بكر الصديق ١١٨ ، ٤٢٠
- أبو تمام : ٤٥٠
- أبو جزء بن عمرو بن سعيد : ١٥٩
- أبو جهل بن هشام : ١٠٧
- أبو دلامة : ٢٤٨ ، ٧٥ ، ٢٥٠ ، ٢٥٢
- ٢٥٨ ، ٢٥٥
- أبو ذؤيب الهذلي : ٢٣٩
- أبو السائب المخزومي : ٢١٦
- أبو سفيان بن حرب : ١٠٧ ، ٢٥ ، ٤٢٠
- ٤٢٠
- أبو طلحة الأنصاري : ٣٩١
- أبو الطيب التنجي : ٣٠٨
- أبو عبيدة عامر بن الجراح : ٤٢٠ ، ٤٣٤
- أبو العتاهية : ٢٧٠
- أبو العلاء صاعد : ٣٤٦
- أبان بن عبد الحميد : ٢٦١
- أبان بن عثمان : ٢٦٤
- أبان بن الوليد البجلي : ٢٢٢
- إبراهيم السويقي : ٣٢٧
- إبراهيم بن عبد الله بن الحسين : ٦٤
- إبراهيم بن عثمان : ٧٩
- إبراهيم بن محمد بن سعد : ١٥٥
- إبراهيم بن محمد بن طلحة : ٣٩ ، ٤٧
- ابن أبي ليلى : ٧٥
- ابن بشير القاضي : ٩٦
- ابن الجزري : ٤٤٧
- ابن زبَّنج : ٢٣٤
- ابن ظافر : ٣٤٤
- ابن المدبر : ٣٠٣
- ابن معمر : ٣٢٦
- ابن المغازلي : ٣٠٤

أمية بن الأسكر الكنانى : ١٠٣  
إياد ( قبيلة ) : ٣٧٢  
إياس بن قبيصة : ١٠١  
أيوب بن سليمان بن عبد الملك : ٤٩  
أيوب المورياتى : ٢٤٩  
( ب )  
بجير بن عمرو : ٢٦٤  
بديح ( مولى عبد الله بن جعفر ) : ٢٧٣  
بسر بن أرطاة : ٣٩٣  
البسوس : ٣٥٦  
بشار بن برد : ٣٦١  
بكر بن وائل : ١٨٠ ، ٣٥٦ ، ٣٦٣  
بنو آكل المرار : ٣٧٣  
بنو أسد : ٣٦٧  
بنو أمية : ٥٣ ، ٥٤ ، ٥٩ ، ٢٧٨  
بنو تميم : ١٢٠  
بنو حرام : ٢١٣  
بنو حية : ١٠١  
بنو الديان : ١٠٣  
بنو عامر : ٣٨٠

أبو علي الحاتمي : ٣٠٨  
أبولؤلؤة المجوسى : ٣٨٩  
أبو محجن الثقفى : ٤٢٣  
أبو موسى الأشعري : ١٠  
أبو نواس : ٢٧٩ ، ٢٦٢  
أحمد بن أبي خالد : ٨٤ ، ٨٥ ، ٨٩  
الأحنف بن قيس : ١٣ ، ٣١  
الأحوص : ١٩٤ ، ٢٠٥ ، ٢١٣  
الأخطال : ١٣٨ ، ٤٠١  
أزهر السمان : ٢٤١  
إسحاق بن الصباح : ٧٢  
إسماعيل بن إسحاق القاضى : ٩٣  
إسماعيل بن جعفر بن محمد : ٣٣٢  
أشعب بن جبير : ٢٣٠ ، ٢٣٢ ،  
٢٣٣ ، ٢٣٤  
الأصمى : ٢٦٥  
الأعشى : ١٠٩  
امرؤ القيس بن أبان : ٣٦٤  
امرؤ القيس بن حجر الكندى : ٢٦٩  
أم عمرو ابنة منظور : ١٤٠  
أم كلثوم بنت علي بن أبي طالب :  
١١ ، ٤٣٠

جفنة (قبيلة) : ١٩

جليلة بنت مرة : ٣٥٨ ، ٣٦١

جندل بن عبيد بن الحصين : ٢١٠

( ح )

حاتم بن عبد الله الطائي : ٩٩

حاجب بن زرارة : ١١٦ ، ١٥٨

الحارث بن أبي شمر : ٣٧٣

الحارث بن ظالم : ٣٨٠

الحارث بن عباد : ٣٦٣

حبي بنت نكيف : ٢٢٢

حبيب بن بديل : ٢٢٢

الحجاج بن عبد الله الصريمي :

٣٩٣

الحجاج بن يوسف الثقفي : ٣٩ ، ٣٤ ،

٤١ ، ٤٣ ، ١٥١ ، ١٥٤ ، ١٧٥ ،

١٧٨ ، ١٨١

حجر الكندي : ٣٦٧

حرملة بن الأشعر المري : ١٠٧

حربش بن عبد الله السعدي : ١٥٨

حسان بن ثابت : ٢٣ ، ١٥٥

بنو عبس : ٣٨٧

بنو لام : ١٠٠

بنو هاشم : ٢٣٩

بهراء : ٣٧٣

( ت )

تأبط شراً : ١٦٦

تغلب (قبيلة) : ٣٥٦ ، ٣٦٣ ، ٤٠١

تميم بن زيد القيني : ١٥٤

تنوخ (قبيلة) : ٣٧٣

( ج )

الجاحظ : ٢٩٩

الجارود بن بشر بن العلاء : ١٤٦

جبلة بن الأيهم : ١٩

الجعاف بن حكيم السلي : ٤٠١

جرم (قبيلة) : ٣٤٨

جرير بن عطية الخطفي : ١٧٦ ، ١٨٢ ،

٢١١

جساس بن مرة : ٣٥٦ ، ٣٦١

جعفر بن أبي جعفر المنصور : ٢٣٧ ،

٢٣٩

الخطيم بن عدى : ٣٨٥

(د)

داود بن يزيد بن هاشم : ٢٨٣

دريد بن الصمة : ٤٠٩

دعبل بن علي الخزاعي : ٢٩٢ ،

٢٩٧

دغفل بن حنظلة : ١١٨

ذكين الراجز : ٢٠٨

(ذ)

ذورعين : ٣٥٢

(ر)

الراعي : ٢١٠

الربيع بن زياد الحارثي : ٩

الربيع بن زياد العبسي : ١١١

الربيع بن يونس : ٦٨ ، ٦٥ ، ٥٩

رييمة ( قبيلة ) : ٣٦٧

رجاء بن حيوة : ٤٩

رملة بيت الزبير : ١٣٧ ، ١٥٣

روح بن حاتم : ٢٥٢

روق بن عطية المذحجي : ٣٥٤

حسان بن جبلة : ١٠٠

الحسن بن علي : ٣٩٦

حسين بن عبد السلام المصري : ٣٠٣

الحسين بن علي : ٣١

الحصين بن أسيد : ٣٧٨

الحصين بن زهير : ٣٧٨

الحكم بن أبي العاص : ١٠٠

حكيم بن جبلة : ١٤٥

حكيم بن عباس الكلابي : ٢٢١

حماد الراوية : ٢١٨ ، ٢٢٧

حمزة بن بيض : ١٠٠

حمير : ٣٥٢

(خ)

خالد بن جعفر بن كلاب : ٣٨٠ ، ٤١٠

خالد بن الوليد : ٤٢٠ ، ٤٣٤

خالد بن يزيد : ١٥١

خداش بن زهير : ٣٨٦

خزاعة ( قبيلة ) : ٣٥٠

خزيمة بن خازم : ٨٠

خزيمة بن عمرو : ١٠٧

سلمة بن قيس : ٤٢٩

سليمان بن عبد الملك : ٤٩ ، ٥٥ ،

١٨٦ ، ١٥٨

السموأل : ٣٧٣

سيف الدولة بن حمدان : ٣٢٤

(ش)

شاس بن زهير : ٣٧٦

شبيب الأشجعي : ٣٩٤

شريك بن عبد الله : ٧١

شمر بن عمر : ٣٨٤

(ص)

صالح بن علي : ٢٩٧

صمصمة بن صوحان : ١٢٢ ، ١٤٦

(ض)

الضحاك بن قيس : ٢٩

ضرار بن الخطاب : ٤٠٩

(ط)

طارق بن ديسق : ١٢٠

طاهر بن الحسين : ٨٣

(٣٠ - قصص - ٣)

رياح بن الأسك : ٣٧٤

ريطة بنت أبي العباس : ٢٥١

(ز)

زاذية : ٣٩٣

الزبير بن بكار : ٣٠١

الزبير بن العوام : ٣٩١ ، ٤١٦

زهير بن جذيمة : ٣٧٦ ، ٣٨٠

زياد بن أبيه : ١٢٧ ، ١٦١

(س)

السائب بن الأقرع : ٤٢٥

السائب (راوية كثير) : ١٩٢

سحيم بن وثيل الرياحي : ١٢٠

سعد بن أبي وقاص : ٣٩١ ، ٤٢٣

سعد بن مالك : ٣٦٣

سعدة (زوج أوليد بن يزيد) : ٢٢٩

سعيد بن خالد : ٥٠

سعيد بن عبد الرحمن الداخل : ٩٦

سعيد بن العاص : ١٢٧

سعية بن غريص : ١٦٧

سلمى بنت أبي حفص : ٤٢٣

عبد الله بن طاهر : ٨٦

عبد الله بن عباس : ١٥ ، ١٢٧

١٤٠

عبد الله بن علي : ٦١

عبد الله بن عمر بن الخطاب : ٣٩١

عبد الله بن عمر العمري : ١٧٥

عبد الله بن عمرو بن عثمان : ٢٠٣

عبد الله بن مالك : ٧٦ ، ٤٤٦

عبد الله بن وهب : ٣٩٣

عبد الملك بن عمر بن عبد العزيز :

٥٧

عبد الملك بن مروان : ٣٤ ، ٣٩ ،

١٤٥ ، ١٤٨ ، ١٥١ ، ١٧٣ ،

١٧٨ ، ١٨٢ ، ٣٦٨ ، ٤٠١ ،

٤٠٣

عبيد بن الأبرص : ٣٦٧

عبيد بن طبيان : ٧٨

عبيد الله بن عبد الله بن طاهر : ٣٠٢

عبيد الله بن قيس الرقيات : ٤٠٣

عتاب بن ورقاء الرياحي : ١٥٨

طريح بن إسماعيل النفقي : ٤٢٦

طلحة بن عبد الله : ٤١٦

(ع)

عاتكة بنت يزيد بن معاوية :

٣٩٨

عاقبة بن يزيد : ٧٤

عامر بن جوين : ١٠٢

عامر بن الطفيل : ١٠٣ ، ١٠٥

عباس بن عبد المطلب : ٣٥

عبد الرحمن بن أبي بكر : ٢٦

عبد الرحمن بن حسان بن ثابت :

١٣٧

عبد الرحمن بن الحكم : ١٢٧ ،

١٦٩

عبد الرحمن بن عوف : ٣٩٠ ، ٣٩٣

عبد العزيز بن مروان : ٣٩٩

عبد الله بن جعفر : ١٤٥ ، ١٧٣ ،

٤٠٤

عبد الله بن الحسن : ٦٣

عبد الله بن الحصين : ١٤٠

عبد الله بن الزبير : ٣١ ، ١٤٠

عبد الله بن سوار : ١٤٦

عمر بن حفص : ٦٣  
عمر بن الخطاب : ١٣ ، ١١ ، ٩ ، ٨ ،  
٤١٦ ، ٣٨٩ ، ١٨ ، ١٦ ، ١٤  
٤٢٩ ، ٤٢٥ ، ٤٢٣  
عمر بن عبد العزيز : ٤١ ، ٤٩ ، ٥٢ ،  
٢٠٥ ، ٢٠٣ ، ١٨٦ ، ٥٥ ، ٥٤

٢٠٨

عمرو بن الإطناية : ٣٨٠  
عمرو بن جابر : ٣٧٣  
عمرو بن حريث : ٤٢٦  
عمرو بن سعيد : ٢٩  
عمرو بن سعيد الأشدق : ٣٩٨  
عمرو بن العاص : ٨ ، ١٢٧ ، ١٣٤ ،  
٤٢٧ ، ١٨٦

عمرو بن عتبة : ١٥٢  
عمرو بن مسعود : ٣٦٧  
عمير بن حباب السلمي : ٤٠١  
عمير بن سعد : ١٤  
عمير بن ضابي الجرهمي : ٩  
عنيسة بن سعيد بن العاص : ٥٥ ،  
٢٢٤ ، ١٧٦

عتبة بن أبي سفيان : ١٢٥ ، ١٦٩ ،  
عتبة بن جعفر : ٣٧٨  
عثمان بن عفان : ٢٤ ، ٣٨٩  
عديل بن الفرج : ١٧٩  
عدى بن زيد : ٢١٩  
عدى بن عمرو : ٣٨٥  
عرار بن عمرو بن شاس الأسدي :

١٧٨

عزة (صاحبة كثيرة) : ١٩٠ ، ١٩١  
عطاء بن أبي رباح : ٤٥  
عفير بن ذى يزن : ١٢٦  
عك (قبيلة) : ١٩  
عكرمة بن أبي جهل : ٤٢٠  
علقمة بن علاثة : ١٠٥  
علي بن أبي طالب : ٢٥ ، ١٢٠ ،  
٣٩٣ ، ٣٩١  
علي بن الجهم : ٢٩٨  
علي بن سليمان : ٢٥٥ ، ٢٥٧  
علي بن عيسى : ٨٨  
عمر بن أبي ربيعة : ١٩٣ ، ١٩٧ ،  
٢٠٥

قطام بنت علقمة : ٣٩٤

القعقاع بن عمر : ٤٢٠

قيس بن الخطيم : ٣٨٥

قيس بن زهير : ٣٨٠

قيس بن عاصم : ١٥٨

قيس عيلان ( قبيلة ) : ٣٦٧ ، ٢٦١

٤٠١

قيس بن مسعود : ١١٦

قيصر : ٣٧٤

( ك )

كثير بن عبد الرحمن : ١٨٨ ، ١٥٥

١٩٣ ، ١٩١ ، ١٩٠

كعب الأحبار : ٣٨٩

كعب بن جعيل : ١٣٧

كلاب بن أمية بن الأسكر : ٤١٦

كلب ( قبيلة ) : ٤٠١

كلثم بنت سعد الخزومية : ١٩٧

كلثوم بن عمرو العتابي : ٢٦٢ ، ١٦١

كليب بن ربيعة : ٣٥٦

الكيمت : ٢٢٢ ، ٢٢١

عويف القوافي : ٤١٠

عيسى بن جعفر : ٧٨

عيسى بن موسى : ٦١

عيننة بن حصن : ١٠٧

( غ )

غاضرة ( أم ولد لبشر بن مروان ) :

١٨٩

غالب بن صعصعة . ١٢٠

غان بن عباد : ٩٠

غنى ( قبيلة ) : ٣٧٧

غيلان بن سلمة الثقفي : ١٠٧

( ف )

الفرزدق : ١٥٨ ، ١٥٥ ، ١٥٤ ، ١٢٠

٢١٣ ، ٢١٠ ، ٢٠٣

الفضل بن الربيع : ٢٧٩

الفضل بن يحيى : ٢٧٧ ، ٢٧٢ ، ٢٦٥

( ق )

القاسم بن إبراهيم بن طباطبا : ٨٨

قبيصة بن ذؤيب الخزاعي : ٤٠٠

قتيبة بن مسلم : ٤٤٠ ، ٤٣

مخلد بن يزيد بن المهلب : ٢٠٠  
مذحج ( قبيلة ) : ٣٥٤  
سرة بن ذهل : ٣٥٦  
سروان بن الحكم : ١٦٩  
مزاحم ( مولى عمر بن عبد العزيز ) :  
٥٧ ، ٥٢  
مزيد المدني : ٣٣٢  
مسلم بن الوليد : ٢٨٣ ، ٢٨١  
مسامة بن هشام : ٢٢٤  
مصعب بن الزبير : ٤٠٣ ، ٣٩٨ ، ١٧٢  
مصقلة بن رقية العبدى : ١٤٥  
مطيع بن إياس : ٢٣٧  
مضاض بن عمرو بن الحارث : ٣٤٩  
معاوية بن أبي سفيان : ٣١ ، ٢٧ ،  
١٢٢ ، ١٢٥ ، ١٢٧ ، ١٣٤ ، ١٦٧ ،  
٣٩٣ ، ١٦٩  
معاوية بن هشام : ٢٢٤  
معبد بن خالد : ١٤٨  
المعتصم : ٤٤٩  
المعتضد ( الخليفة العباسى ) : ٩٢ ،  
٣٠٤

كفنانة ( قبيلة ) : ٣٦٧  
( ل )  
ليلى بنت طريف : ٤٠٣  
( م )  
الأمون ( الخليفة العباسى ) : ٨١ ،  
٨٣ ، ٨٥ ، ٨٨ ، ٩٠ ، ٢٨٩ ،  
٢٩٤ ، ٢٩٠  
متمم العبدى : ٣٣٠  
المتوكل ( الخليفة العباسى ) : ٢٩٨  
محمد بن جعفر : ٦٧  
محمد بن الحجاج : ١٨٢  
محمد بن عبد الله بن الحسن : ٦٥ ،  
٤٠٩  
محمد بن عبد الله بن عبد المطلب  
( الرسول ﷺ ) : ١١٨  
محمد بن عمران الطلحى : ٦٥  
محمد المهلبى : ٢٦٤  
محمد بن موسى الضبى : ٢٩٢  
محمد بن هارن الرشيد الأمين  
( الخليفة العباسى ) : ٨٠ ، ٢٧٩  
محمية بن زنيم : ٤٢١

( هـ )

الهادى ( الخليفة العباسى ) : ٧٦  
هارون الرشيد ( الخليفة العباسى ) :  
٧٨ ، ١٦٢ ، ٢٦٥ ، ٢٧٨ ،  
٢٨١ ، ٢٩٤ ، ٤٠٣ ، ٤٤٦  
هانئ بن عروة المرادى : ٢٧  
هيرة بن المشمرج : ٤٤٠  
المجروس بن كليب : ٣٦١  
هرثمة : ٤٤٦  
هرقل : ١٦  
هرم بن قطبة : ١٠٧  
هشام بن عبد الرحمن الداخل : ٩٤  
هشام بن عبد الملك : ٤٥ ، ٤٧ ،  
٢١٨  
هشام بن مرة : ٣٥٨

( و )

الوليد بن جابر : ١٢٤  
الوليد بن طريف : ٤٠٣  
الوليد بن عبد الملك : ٤١  
الوليد بن يزيد : ٢٢٦  
وهم بن عمرو : ١٠١

معد ( قبيلة ) : ٣٨٣

معن بن زائدة : ٢٤٣ ، ٢٤٥  
معن بن عطية المذحجى : ٣٥٤  
المغيرة بن شعبة : ١٢٧  
المغيرة بن نوفل : ٣٩٥  
المفضل الضبى : ٢٥٨ ، ٤٠٨  
ملاعب الأسنه : ١٠٣ ، ١٠٥ ، ١١١  
المنذر بن ماء السماء : ٣٨٣  
المنصور ( الخليفة العباسى ) : ٦١ ، ٥٩  
٦٣ ، ٦٥ ، ٦٧ ، ٦٩ ، ٢٤١ ،  
٢٤٢ ، ٢٤٨ ، ٢٤٩ ، ٢٥٣  
المهدى ( الخليفة العباسى ) : ٧٤ ، ٧٦  
٢٥٠ ، ٢٥٦ ، ٢٥٩ ، ١٦١  
مهلهل بن ربيعة : ٣٦٤ ، ٣٦٦  
موسى بن عيسى : ٧١ ، ٧٢ ، ٧٣

( ن )

نصيب بن رباح : ١٨٧ ، ١٩٣  
النعمان بن بشير : ١٣٨  
النعمان بن مقرن : ٤٢٥  
النعمان بن المنذر : ١٠٠ ، ١١١ ، ١١٦ ،  
٣٧٦ ، ٣٨٠  
نمير المدنى : ٦٥

يزيد بن مزيد الشيباني : ٢٨١ ،

٤٤٦ ، ٤٠٣

يزيد بن معاوية : ٢٧ ، ٢٨ ،

١٣٧ ، ٢٩

يزيد بن المقفع : ٣٠

يزيد بن المهلب : ١٧٩

يوسف بن عمر : ٢١٨

( ى )

يحيى بن أكرم : ٨١

يحيى بن سعيد : ١٦٢

يرفأ ( مولى عمر بن الخطاب ) : ٩ ،

٤٢٩

يزيد بن عبد المدان : ١٠٣

يزيد بن عبد الملك : ٥٠ ، ٥٦ ،

٢١٨ ، ٢١٥

## فهرس الأماكن

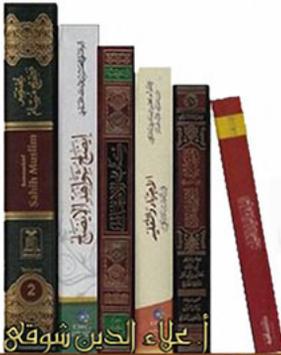
(ق)	(ر)	(ا)
قديد : ١٩٣	الرقة : ٢٨١، ٨٧	أتاية العرج : ٣٠١
القسطنطينية : ٢٠	الروحاء : ١٩٣	الأحص : ٣٥٧
قيسارية : ٤٣٣، ٤٢٧	(س)	أشبونة : ٣٣٨
(م)	السغد : ٢٦٦	أنقرة : ٣٧٥
المدينة : ١٥٥	السند : ٢٩٩	(ب)
مصر : ٨	سلعوس : ٢٨٦	البحرين : ٩
مكة : ٣٤٨	(ش)	البشر : ٤٠٢
مسكن : ٤٠٣	شبيب : ٣٥٧	بطن الجريب : ٣٥٧
(ن)	(ط)	(ت)
النحيلة : ٣٩٣	الطائف : ١٧١	تبالة : ٣٧٢
نهاوند : ٤٢٥	(ع)	تهامة : ٣٦٧
النهروان : ٣٩٣	العراق : ٣٩٨، ٣٤	تباء : ٣٧٣، ١٦٧
(هـ)	العرج : ١٩٣	(ح)
هرقلة : ٤٤٦	عسيب : ٣٧٤	حصص : ١٤
(و)	عيسا باذ : ٢٥٨	(د)
واسط : ١٧٦	عمورية : ٤٤٩	دمون : ٣٧٠
ودان : ١٩٣	عين اباغ : ٤٨٣	دهلاك : ٢٠٥
(ى)	(غ)	(ذ)
اليرموك : ٤٢٠	غزة : ٤٢٧	الذئاب : ٣٥٧

## مراجع هذا الجزء

الأغانى	: لأبى الفرج الأصفهاني
الأمالي	: للقالي
الأمالي	: للمرتضى
بدائع البدائه	: لعلى بن ظافر الأزدي
بلوغ الأرب	: للألوسى
تاريخ الأمم والملوك	: لابن جرير الطبرى
تزيين الأسواق	: لداود الأنطاكي
ثمرات الأوراق	: للحموى
الحيوان	: للجاحظ
خزانة الأدب	: للبغدادى
ذيل الأمالي	: لأبى على القالي
ذيل زهر الآداب	: للحصرى
رغبة الأمل	: للمرصفي
زهر الآداب	: للحصرى

سيرة عمر بن عبد العزيز	: لابن عبد الحكم
شرح نهج البلاغة	: لابن أبي الحديد
صبح الأعشى	: للقلقشندي
عصر المأمون	: للدكتور فريد رفاعي
العقد الفريد	: لابن عبد ربه
العقد الفريد	: للملك السعيد
عيون الأخبار	: لابن قتيبة
غرر الخصاص الواضحة	: لأبي إسحاق الوطواط
الفرج بعد الشدة	: للتفوشي
الكامل في الأدب	: للمبرد
الكامل في التاريخ	: لابن الأثير
مجمع الأمثال	: للميداني
المحاسن والأضداد	: للجاحظ
المحاسن والمساوي	: للبيهقي
محاضرات الأبرار	: لابن عربي
المختار من نوادر الأخبار (مخطوط)	: لمحمد بن أحمد الأنباري
مروج الذهب	: للمسعودي
المستطرف في كل فن مستظرف	: للأبشيبي

: لياقوت الحموى	معجم الأدباء
: لياقوت الحموى	معجم البلدان
: لبدر الدين العباسى	معاهد التنصيص
: للخضرى بك	مهدب الأغانى
: للمقرى	نفخ الطيب
: للنويرى	نهاية الأرب



أبناء الكين شوقى

[www.lisanarb.com](http://www.lisanarb.com)

## مراجع الضبط والشرح والتحقيق والتراجم

للزخشرى :	أساس البلاغه
للزركلى :	الأعلام
لجورجى زيدان :	تاريخ آداب اللغة العربية
للخضرى بك :	تاريخ الأمم الإسلامية
لأبى هلال المسكرى :	جمهرة أمثال العرب
للمرصفى :	رغبة الأمل
للمرصفى :	شرح ديوان الحماسة
للبكرى :	شرح الأمال
لابن سلام :	طبقات الشعراء
لابن قتيبة :	طبقات الشعراء
للضبى :	الفاخر فى الأمثال
لأمير بك واصف :	فهرس خريطة الممالىك الإسلامية
للفيروز أبابذى :	القاموس المحيط
لابن منظور :	لسان العرب
لابن قتيبة :	المعارف
لابن هشام :	مغنى اللبيب
لابن خلكان :	وفيات الأعيان